

خمسة حالات من التحليل النفسي



تأليف

سيجموند فرويد

ترجمة

عبدالله ميخائيل رزق

صلاح مخيمر

تقديم

مصطفى زيور



مكتبة الأنجلو المصرية

خمس حالات من التحليل النفسى

تأليف

سيجموند فرويد

ترجمة

صلاح محيىم عبده مينخائيل رزق

مراجعة

مصطفى زيور



مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ ش محمد فريد - القاهرة

أسم الكتاب: خمس حالات من التحليل النفسي
تأليف : سيجموند فرويد
ترجمة : صلاح مخيمر & عبده ميخائيل رزق
تقديم : مصطفى زيور
الناشر: مكتبة الانجلو المصرية
سنة الطبع: ٢٠٠٧
رقم الايداع: ٤٢٨٤
الترقيم الدولي: ٦-٠٥٦٧-٠٥-٩٧٧

(١)

تقديم الكتاب

بقلم

مصطفى زيور

نقدم في هذا الجزء الأول من كتاب « خمس حالات من التحليل النفسى » ثلاث حالات هى حالات « دورا » و « هانز الصغير » و « رجل الفئران » أما الحالتان الأخيرتان : « شريير » و « رجل الذئب » فستشران فى الجزء الثانى وهو تحت الطبع .

وقد نشر فرويد هذه الحالات الخمس فيما بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٨ . ويتضح من قراءة هذه الحالات الخمس تقدم فرويد شحذ فنيات التحليل فى ضوء تجاربه المتزايدة وما وفرته له من أضواء أكثر شمولا وأعظم نفاذا من خلال المحاولة والخطأ . ومن أجل ذلك فإن الحالة الخامسة أعنى حالة « رجل الذئب » أكثر الحالات عمقا من حيث العمل التحليلى وأفضلها ثراء من حيث المعطيات الناجمة من عمق الفطنة بالبنيان السيكولوجى التحتانى . وغنى عن البيان أن هذه الحالات الخمس اختيرت من بين عشرات الحالات التى قام بتحليلها فرويد وذلك لأسباب تعليمية من ناحية وديونولوجية (واجب السرية) من ناحية أخرى .

وسبق أن ذكرت فى تصدير كتاب « تفسير الأحلام » أننا نزمع أن ننشر فى مجموعة « المؤنفات الأساسية فى التحليل النفسى » هذه الحالات الخمس وذلك لأنه يكاد يستحيل على غير الاخصائى أن يتبين من قراءة الكتب التى تعرض قضايا التحليل النفسى عرضا نظريا مصدرها من الوقائع العيانية الاكلينيكية التى تنتجها عملية التحليل النفسى لمريض نفسى . وما يدور أثناءها من حوار يدور شهورا أو سنوات ، بحيث يدرك صدق الاستنباط والاستقراء اللذين يسفران عن قضايا نظرية التحليل النفسى .

(ب)

وأراني مضطرا أن ألح على قضيتي كررت بيانها في أكثر من موضع ، وذلك لما يبدو لي من أن النسيان يغلفها لدى الكثيرين وأعني بها : أن الحق في ابداء الرأي في مبحث علمي ليس حقا طبيعيا وانما هو حق يكتسب ، واكتساب هذا الرأي بصدد قضايا التحليل النفسي لا يتم الا بممارسة مايمارسه المحلل النفسي محلا ثم محلا . ومن أجل ذلك فلن يدهشني أن القارئ المتعجل لهذه الحالات الخمس قد يشيح بوجهه في موضع أو آخر منكرا أو مستنكرا . غير أن نشر هذه الحالات قد يتيح لقارئ متأن بسمة الصمود نعم أقول الصمود أزاء بعض الوقائع التي تستثير قلقا قد يكون خفيا عتيا معا ، ولكنه مع ذلك الثمن الذي لا بد من بذله أن تستحيل لديه المجهولة معرفة .

ولا يظن القارئ أننا معشر المحللين النفسيين نلزمه أن يخضع نفسه لتحليل نفسي على يد محلل نفسي قبل أن يقول لا أو نعم ، وانما نفرض ذلك ثقتا على طلاب التأهيل المهنة التحليل النفسي حتى يزيلوا « النقط العمياء » فاذا هم مبصرون مستبصرون . أما القارئ الذي لا يطلب الا معرفة قبوسعه — مستضيئا بما قرأ في هذه الحالات الخمس — أن يقوم بتجربة أعلم أنها ليست هينة وانما تقتضى غلبا . وأعني بهذه التجربة أن يحزم أمره على انتصدي لفلقات لسانه وما يأتيه من نسيان طارئ وما الى ذلك ويخضعها في صبر لمنهج التداوي الحر . فاذا أضاف الى ذلك اخضاع أحلامه بضعة شهور لهذا المنهج فسيتبين صدق القضية التي نعتبرها ذروة قضايا التحليل النفسي أعني أن « الأنا مجهولة » .

فاذا كان الأنا — وخاصة بصدد نفسه — مجهولة فان كل مبحث في النفس لا يصدر الا عن الشعور لا يمكن في أحسن تقدير أن يكون الا علما بنتائج المجهولة . وهل يغيب عن فطنة القارئ الذي يستطيع اخلاصا مع نفسه المعنى في عملية التكوين العكسي أي أن يكون المرء في أعماقه كارها فاذا هو من حيث لا يدري محبا بالقياس الى الشعور المباشر . والواقع أن حصيلة العلاج بالتحليل النفسي هو أن يمس

الانسان في أعماقه محبا أكثر منه كارها ، بعد أن كان في أعماقه كارها أكثر منه محبا .

وأن قضية الأنا مجهلة يلزم عنها أن اليقين الشعورى مهما استخدمنا من عدد وأدوات نصقلها من حيث « الثبات » و « الصدق » - أقول أن هذا اليقين الشعورى شيء والحقيقة في مبحث النفس شيء آخر . ولا مفر من ذلك مادامنا نستجوب الشعور وحده ، سواء أكان هذا الاستجواب في إطار معمل علم النفس أو في إطار المعالجة الاحصائية أو في إطارها معا بحيث تبدو النتائج وكأنها ضد النموذج الفزيائى الرياضى .

فاذا أضفنا الى ثنائية الوجدان Ambivalence (الكراهية والحب معا) ثنائية المعنى Ambiguity بحيث يكون الرأى عذل نقيضه ، لاتضح لنا أن التناقض ليس كذلك بانقياس الى أعماق الأنا ، حتى صح القول أنه لا وجود لحرف النفس « لا » في النشاط اللاشعورى كما أن هذا النشاط لا زمانى . وبعبارة أخرى فان الانسان فيما يبدو لنا منه لا ينطبق على نفسه ، فهو ما ليس هو ، وهو ليس ما هو (اذا صحت استعارة هذه الصياغة الوجودية) .

وقد لفتت هذه النتائج للخبرة التحليلية النفسية انتباه جمهرة الفلاسفة المعاصرين المعنيين بالاستمولوجيا وفلسفة العلوم ، من حيث أن هذه النتائج تقوض نظريات المعرفة من أساسها ، بحيث أصبح الكوحييتو الديكارتى بما كان يحمله من يقين موضع تساؤل واستشكال على نحو أكثر عمقا واختلافا عما قام به كمنط وهيجل وهوسرل .

وهل هناك ما يقض مضاجع اليقين أكثر من القول بأن معطيات الأنا الشعورى مطبوعة بطابع المجهلة والمبهمة ، وهى قضية سبق لماركس أن طرحها في ميدان الاقتصاد الاجتماعى ، ونبئتسه في ميدان

القيم • ولكن طرح هذه المشككة من خلال قضايا التحليل النفسى كان أكثر ازعاجا وأعظم أرهاقا لذهن الباحث عن الحقيقة ، وذلك لأن قضية المجهلة الناجمة من الفحص التحليلى النفسى تحمل طابع الخبرة الواقعية الامبيريقية المتاحة لأى انسان يشاء أن يعيشها • وليس هذا مقام عرض المحاولات المعاصرة فى اقامة ايستومولوجيا جيدة تأخذ فى الاعتبار ديالكتيك الشعور واللاشعور وخاصة فى العلوم الانسانية • وتكفى الاشارة الى بزوع النهج البنينانى المعاصر بدأ فى الليموسيقا ثم انتقل الى الأنتروبولوجيا وغيرها من علوم الانسان ، فانبثق من هذه الدراسات « مقال » آخر لوغوس آخر ينبعث من أعماق النفس نقيا بريئا من شوائب المجهلة ، وبالتالي أدق اعرابا عن حقيقة الانسان بما هو الانسان وشروط صدق الاعرفة وكذلك حدودها لديه •

فاذا كان هذا حال فلاسفة الايستمرولوجيا وحال الكثير من علماء مباحث الانسان فما بال بعض علماء النفس يتباطؤون ويتشبثون بمناهج البحث التى تبين قصورها فى ميدان النفس اذا هى انطلقت من معطيات الشعور وحده ، فأذا قيل أن قضايا التحليل النفسى لاتصلح لصياغة اجرائية تسمح بالتحقيق التجريبي والمعالجة الاحصائية فاننا نذكرهم بما قام به جون دولارد ، ونيل ميلر ، وماورد ، وروبرت سيرز ، وكارل هوفلاند ومعاونوهم وأتباعهم من صياغة اجرائية لمفاهيم التحليل النفسى فى اطار نظريات التعلم ، وما حصلوا عليه من التجريب المعملى من نتائج ألفت أضواء جديدة على بناء الشخصية غنم منها علم النفس الاكاديمى تقديما وثناء ، ثم ماقام به رايموند كاتل من استخدام مفاهيم التحليل النفسى على نطاق واسع فى قياس « أبعاد » الشخصية بأسلوب التحليل العاملى الاحصائى ، ثم ماتوفره لنا من معطيات من خلال التجريب المعملى الفسيولوجى باستخدام جهاز التسجيل الكهربى لنشاط المخ (E. E. G) اثناء النوم ومايتخلله من أحلام وما أسفر عنه هذا التجريب من أن وظيفة الحلم أنه حارس

النوم كما قال بذلك فرويد — منذ سبعين عاما — من حيث أن الظلم يقوم بخفض التوترات الناجمة عن ضغوط الرغبات في أشباع هلوسى محرف .

وعلى هذا النحو من البحث تستطيع ميلاين علم النفس أن تسيّر قدما متجهة نحو « وحدة علم النفس » كما ناقشها البروفسور لاجاش في مناقشته الافتتاحية عام ١٩٤٧ (١) وذلك من خلال ضرب من « التغذية الراجعة » وحوار دياكتيكي صادق بين المشتغلين بالتجريب والمعالجة الاحصائية والمشتغلين بعلم النفس الدينامى الاكلينيكي الذى يفيد من منجزات التحليل النفسى .

ويسعدنى هنا أن أقبرر أنه بغير الجهد الأكاديمى الصادق الذى بذله زميلائى الأستاذ الدكتور صلاح مخيمر والأستاذ عبده رزق لما غنمت المكتبة العربية هذا الكتاب النفيس . ولايد من أن أثبت لكل ذى حق حقه . فبدون الخلفيه الثقافية الواسعة فى علوم الانسان بما فى ذلك قضايا التحليل النفسى التى اكتسبها الزميل الدكتور صلاح مخيمر أثناء دراسته بالسوربون (٢) ، للا جاء هذا الكتاب ترجمة دقيقة وواضحة معا لما كتبه فرويد عن الحالات الخمس .

مصطفى زبور

دكتور فى الطب

رئيس عيادة الأمراض النفسية بكلية الطب بباريس سابقا

أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس سابقا

عضو الجمعية الدولية للتحليل النفسى

(١) راجع : دانييل لاجاش : وحدة علم النفس ، ترجمة الاستاذ الدكتور صلاح مخيمر والاستاذ عبده رزق . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ . وانظر أيضا تقديمنا لكتاب انحراف الاحداث تأليف كمال جندى ابو السعد ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧١ .

(٢) دكتوراه الدولة فى الاداب جامعة السوربون ، عضو الجمعية الفرنسية الروشاخ ، عضوية الجمعية المصرية للمعالجين النفسيين ، عضو القطاع التربوى للمجلس الاعلى للجامعات ، عضوية لجنة علم النفس للمجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

تصدير

بقلم

مصطفى زيور

أن العثور - بعد وفاة فرويد - على مجموعة خطباته الى صديقه الطبيب « فليس » أماط اللثام عن كثير من الوقائع والظروف التي صاحبت ميلاد التحليل النفسى . فيها هو فى خطاب بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٠٠ يخبره أنه بدأ علاج فتاة فى الثامنة عشرة نعرف الآن أنها « دورا » التى يناقش حالتها ويعرض أهم تفاصيل علاجها بالتحليل النفسى فى هذا المقال الأول من المقالات الخمس التى نقدمها فى هذا الكتاب .

وقد انتهت المريضة علاجها فى ٣١ ديسمبر من نفس العام ، أى بعد أحد عشر أسبوعا من بدء العلاج . وقد أنجز فرويد كتابة هذا المقال فى يناير سنة ١٩٠١ ، ولكنه لم ينشره الا سنة ١٩٠٥ ، لأسباب تتصل بالخطر الذى يمليه الحرص على إخفاء شخصية المريضة .

وبدد التحليل النفسى لحالة المريضة وأعراضها وبخاصة السعال العصابى والأفونيا ، (انحباس الصوت) حول تفسير حلمين أعانا فرويد على النفاذ الى انصرعات اللاشعورية وفهم بنيانها ، فضلا عن الكشف عن خبرات فى الطفولة غلفتها الامنيزيا (النسيان) الطفولية بفعل الكبت . ومن ثم فان هذا المقال يعتبر - كما يقرر فرويد فى خطابه الى فليس بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٠١ - أمثـدأدا لكتابه والذى يسجل أعظم كشوفه أعنى « تفسير الأحلام » الذى صدر عام ١٩٠٠ وهذا يبين لنا لم كان عنوان هذا المقال فى بادىء الامر « الأحلام والهستيريا » ، كما يقرر فرويد فى الملاحظات التصديرية لهذا المقال (ص ٧) .

ويؤيد بنيان هذا المقال ماسبق أن قرره فرويد، في صدر كتابه « تفسير الأحلام » (الترجمة العربية ، دار المعارف بمصر ، صفحة ٣١) : « وأن من قصر عن أن بين منشأ صور الحلم ليجهد عبثا في أن يفهم المخاوف المرضية والأفكار القهرية والهجاسية أو في أن يؤثر فيها تأثيرا شافيا » .

والواقع أن هذه القضية تفوت الكثيرين ، أعنى أن الدراسة المتعمقة الشاملة لسيكولوجية الأحلام هي الشرط الضروري Sine qua non لفهم « العمليات الأولية » اللاشعورية التي ينسج علي منوالها الأحلام والعصاب والذهان جميعا . ومن أجل ذلك فان المحللين النفسيين ينصرفون عن التصدي لأي ناقد لم يبذل ماينبغي من الجهد في دراسة تفسير الأحلام نظريا وعمليا .

ومع ذلك تنبغي الإشارة الى تكنيك « فنيات » التحليل النفسي حاليا ، اى بعد انقضاء نحو سبعين عاما علي تحليل « دورا » ، تطورا تطورا كبيرا بحيث لم يعد تفسير الأحلام يحتل مكان الصدارة كما هو الحال في هذا المقال . وقد أرسى فرويد الأسس الاولى لفنيات التحليل، النفسى في مجموعة من المقالات ، نذكر منها مقالته « المرتقيب في المستقبل من العلاج بالتحليل النفسى » (عام ١٩١٠) ، ثم مقالته : « في استخدام تفسير الأحلام في التحليل النفسى (عام ١٨١٢) » ثم مقالته : « في ديناميات التحويل » (عام ١٩١٢) ، ثم مقالته : « توصيات للأطباء عن منهج العلاج بالتحليل النفسى » (عام ١٩١٢) ، ثم سلسلة من المقالات بعنوان « توصيات اضافية في فنيات التحليل النفسى » في سنوات ١٩١٣ و ١٩١٤ و ١٩١٥ ، ثم مقالته « تحولات في أساليب العلاج بالتحليل النفسى » (عام ١٩١٩) وأخيرا مقالته « التحليل (النفسى) القابل للتمام وغير القابل للتمام » (عام ١٩٣٧) ومقالته في نفس العام « التشييد في التحليل النفسى » .

وغنى عن البيان أن فنيات التحليل النفسى لم يتوقف تطورها منذ وفاة فرويد عام ١٩٣٩ . وأخص بالذكر التقدم في فهم ومعالجة «التحويل» ومضاد التحويل وها هو فرويد يقرر في تذييل هذا المقال (صفحة ١٠١) :

«ان أكبر ميزة في هذه الحالة من التحليل، وهي على التحديد، وضوحها غير
ميزة في هذه الحالة من التحليل ، وهي على التحديد وضوحها غير
العادي الذي يجعل منها حالة جد ملائمة لان تكون أول عمل ينشر كمدخل
للتحليل النفسى ، لهى جد وثيقة الارتباط بأكثر عيب لها ، والذي يؤدي
الى توقف التحليل قبل أوانه . لم أنجح في السيطرة على التحويل في
الوقت الملائم . وعندما جاء الحلم الاول ، وهو الذى أعطت فيه لنفسها
انذارا بأنه من الأفضل لها أن تترك العلاج على يدي ، كان يتحتم على
أن أصغى أنا نفسى لهذا الانذار وهكذا اخذنى التحويل على
غرة ، وبسبب هذا القدر المجهول في شخصى الذى يذكر دورا بالسيدك،
انتقمت منى اذ أرادت أن تنتقم منه ... فما عساه كان هذا
« المجهول ؟ انى بالطبع لا أعرف » في هذه العبارات يتبين بوضوح
التقصير في الفطنة الى التحويل في الوقت المناسب ، وعلاقة هذا التقصير
بانعدام الفطنة الى مضاد التحويل . ولكن هذا التقصير يحمل معان
نفيد، منها لاصدد فنيات التحليل وحسب ، وانما بصدد أحوال الانسان
بعامة ، تلك التى يجهد التحليل النفسى في فض معمياتها ، وبخاصة
طبيعة تلك الحرب الضروس بين ارادة المجهلة في مقابل ارادة المعرفة .

وجدير بالذكر أن حالة دورا اذا كانت تعتبر امتدادا ، كما سبق
القول ، لكتاب «تفسير الأحلام» فهى في نفس الوقت ارهاص لكتاب
فرويد : « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » (الترجمة العربية : دار
المعارف بمصر) وهو الكتاب الذى سجل فيه كشوفه الثورية عن الحياة
الجنسية لدى الأطفال ، وعلاقة ماقد، يكتنفها من التعتش باثدلاع
العصاب في سن الرشد .

١

جزء من تحليل لحالة هستيريا

(دورا)

(١٩٠٥)

جزء من تحليل لحالة هستيريا (١)

ملاحظات تصديرية

في عامي ١٨٩٥ و ١٨٩٦ قدمت آراء معينة عن النشوء المرضي للأعراض الهستيرية ، وعن العمليات النفسية التي تحدث في الهستيريا ومنذ ذلك الوقت مضت سنوات عديدة • وعليه ، فاننى أذ أعترزم الآن

ظهر أولا في :

(1) Bruchstück Einer Hysterie - Analyse Monatschrift Fur Psychiatrie und Neurologie, Bd. Xxviii, Heft 4 nud 5/1905.

ثم نشر من جديد في :

Freud, Sammluna Kleinr Schriften, II, 1909.

ثم أعيد نشره بتصريح من الناشر Deuticke في الاعمال المكتملة لسجيموند فرويد Gesammelte Schriteten حيث يشكل مع أربع حالات تحليلية أخرى المجلد الثامن المعنون Krakengeschichten

ولقد تمت ترجمته الى عدة لغات ، وخاصة الى الانجليزية على يد اليكس وجييمس ستراشي ، الطبعة الاولى ، لندن ، وولف ، ١٩٢٥ ، وهو يشكل المجلد الثالث من المقالات المجموعة اسيجمند فرويد Collected Papers

المجلد الخامس من Cesammelte Werke المجلد السابع من The Complete Psychological Works. of S. Freud Standard Edition

وتمت ترجمته الى الفرنسية على يد ماري بونارت ورليفشتاين عن النص الالمانى في Gesammelte Schriften ، وظهرت الترجمة الفرنسية أولا في المجلة الفرنسية للتحليل النفسى عام ١٩٢٨ :

Revue Francaise de Psychanalyse, t. II. Fase. I, 1928.

وهذه الترجمة الفرنسية ، والتي راجعتها أن برمان ، هى نفسها التي ظهرت عام ١٩٥٤ في كتاب بعنوان :

Cinq Psychanalyses. Prsses Univers itaire de France

تأييد الآراء بتقديم تقرير مفصل عن تاريخ حالتها وعلاجها ، فليس في وسعى أن أتجنب تقديم بضع ملاحظات تمهيدية ، وذلك من ناحية كيما أبرز من زوايا مختلفة الخطوة التي أقدم عليها ، ومن ناحية أخرى كيما أجد من التوقعات التي يمكن أن تطلقها الآمال في هذا التقرير •

ولقد كان غريبا ولاشك اننى اضطررت ان نشر نتائج أبحاثى دون أن تكون هناك أية امكانية للزملاء من الاخصائيين لفحصها والتحقق من صحتها وخاصة وأن هذه النتائج كانت تبعث على الدهش وليست بحال مما يبعث على الرضا ولايكاد الأمر يقل غرابة حين يبدأ الآن بتقديم بعض من المعطيات التى أقمت عليها نتائجى ، فأجعلها فى متناول حكم الجميع • فلن أكون بذلك فى مأمن من النقد •

وكل ما هناك أنه وأن كان قد عيب على فى الماضى عدم تقديم أية معلومات عن مرضى ، فسوف يعاب على الآن أننى صرحت بمعلومات ما كان ينبغى التصريح بها عن مرضى • وكل ما أتوقعه هو أن القائمين ينقدى هم هم فى الحالين نفس الأشخاص وقد بدلوا فحسب من أسانيدهم ، فان كان الأمر كذلك ، فلا يسعنى إلا أن أسلم مقدا باستحالة أية امكانية لوضع حد لانتقاداتهم •

وحتى لو تجاهات سوء قصد النقاد ضيقى العقول من أمثال هؤلاء ، فان عرض تواريخ الحالات سوف يظل بالنسبة لى مشكله يصعب حلها • وهذه الصعوبات ترجع من ناحية الى طبيعة الفنيات ، ولكنها ترجع من ناحية أخرى الى طبيعة الظروف ذاتها • فاذا كان صحيحا أن أسباب الاضطرابات الهستيرية توجد فى الدخائل الحميمة للحياة النفسجنسية للمرضى ، وأن الأعراض الهستيرية هى التعبير عن رغباتهم المكبوتة الأيمن سرية ، فعندئذ يتحم على العرض المكتمل لحالة هستيريا أن ينطوى على كشف لهذه الدخائل الحميمة وفصح لهذه الأسرار • ومن المؤكد أن المرضى ماكانوا لييوحوا بشيء لو خطر ببالهم أن أقوالهم يمكن أن تكون يوما موضع استغلال علمى ، ومن المؤكد أيضا أنهم ماكانوا ليوافقوا بحال لو طلبنا اليهم أن يأذنوا لنا بنشر

حالاتهم • ففي مثل هذه الأحوال فإن المترمتين وانهيابين سوف يقدمون على ماعداه واجب الكتمان الطبي ، معلنين في أسف أن الأمر من طبيعة تحول بينهم وبين خدمة العلم بتنويره في هذه الظروف • ومع ذلك فاني أعتقد أن على الطبيب واجبات ليس فصصب تجاه مريضه الفرد بل أيضا تجاه العلم ، وبأن واجباته تجاه العلم لا تعنى في نهاية الأمر شيئا غير واجباته تجاه الكثرة من المرضى الآخرين الذين يعانون ، أو سوف يعانون يوما ، نفس الاضطراب • وهكذا يصبح من واجب الطبيب أن ينشر ما يعتقد أنه يعرفه من أسباب الهستيريا وبنيتها ، ويصبح امتناعه عن ذلك جانبا يبعث على الخزي ، طالما كان بوسعه أن يتجنب الحاق أية اساءة شخصية بالمريض الفرد • انى لأعتقد بأننى قد اتخذت جميع الاحتياطات لأحول بين مريضتى وبين أن تتعرض لاية اساءة من هذا القبيل • لقد انتقيت حالة جرت مشاهد حياتها ، لا في فينا ، بل في بلدة اقليمية نائية ، ومن ثم فان ظروفها الشخصية لابد وأن تكون من الناحية العملية غير معروفة في فينا • وحرصت منذ البداية على أن أبقى على واقعة علاجها عندى سرا ، أحرص عليه ، بحيث أن طبيبا واحدا آخر لا غير — ممن أثق كل الثقة في كتمانهم — هو وحده الذى يستطيع أن يعرف أن الفتاة كانت أحد مرضاى • وقد انتظرت أربع سنوات كاملة بعد توقف العلاج ، مؤجلا النشر ، حتى علمت بأن المريضة قد طرأ على حياتها تغير من طبيعة تسمح لى بالاعتقاد بأن اهتماماتها بالأحداث والوقائع السيكولوجية التى سوف أرويها هنا قد غدت الآن شاحبة • ولا حاجة بى الى القول بأننى لم أبق على اسم يتيح لأى قارئ عادى بأن يقتضى أثرا ، هذا الى أن نشر الحالة في مجلة علمية فنية صرفه من شأنه أن يقدم ضمانا ضد اقراء غير المتخصصين من هذا القبيل • ولكننى بطبيعة الحال لا أستطيع أن أحول بين مريضتى وبين أن تأثم لو أن تاريخ حياتها وقع صدفة في يدها • ولكنها لن تجد فيه شيئا لا تعرفه من قبل ، وقد نتساءل من عداها يستطيع أن يكتشف من تاريخ الحياة هذا أنها هي موضوع هذا المقال •

وانى أعرف بأنه ، فى هذه المدينة على الأقل ، ثمة كثرة من الأطباء - وهو أمر يبعث على الحقن - سوف يقبلون على قراءة تاريخ حياة من هذا القبيل لا على أنه أسهام فى سيكوبيا ثولوجيا. العصاب ، بل على أنه « رواية ذات لغز ينحل » من أجل تسليتهم . وأستطيع أن أؤكد لمثل هذا نفر من القراء بأن كل تاريخ حياة سيتاح لى نشره فى المستقبل سوف يكون فى مأمن من فطنتهم ، بفضل نفس ضمانات السرية ، وان كان فى هذا التصميم ما ينطوى على قيود غير عادية تحد من حرية انتقائى للمعطيات .

هنا ، فى تاريخ هذه الحالة - وهى الوحيدة اثنتى نجحت حتى الآن فى أن أمضى بها عبر القيود التى يفرضها الكتان الطبي وتفرضها الظروف غير المواتية - سوف تجرى بأقصى صراحة مناقشة العلاقات الجنسية ، وسوف نسمى الأعضاء الجنسية والوظائف الجنسية بأسمائها ، وفى وسع القارىء الحى أن يخلص من عرضى الى أنتى لم أتردد فى أن أتحدث فى مثل هذه المسائل بمثل هذه اللغة حتى مع فتاة شابة . أكون على اذن أن أتولى الدفاع عن نفسى فى هذا الأمر أيضا ؟ اننى ببساطة أطلب لنفسى بالحقوق التى لطبيب النساء - أو بحقوق أكثر تواضعا منها بكثير - وأضيف بأنها لعلامة غسق فريد شاذ الافتراض بأن أحاديث من هذا القبيل تمثل وسيلة ناجعة لاهاجة الرغبات الجنسية أو لاشباعها . هذا الى اننى أستشعر ميلا للافصاح عن رأيى فى هذا الأمر فى كلمات قليلة مستعارة :

« أنه لما يبعث على الاسى أن يكون على المرء فى عمل علمى أن يفسح مكانا لاحتجاجات وبيانات من هذا القبيل ، ولكن ليس لأحد أن يلامنى على ذلك ، بل ليتهم بالحرى روح العصر ، التى بلغنا بفعلها الى هذه الحالة التى لم يعد فيها من الممكن لأى كتاب جاد أن يطمئن على بقاءه (١) » .

وسوف اصف الآن الطريقة التي تغتبت بها على هذه الصعوبات الفنية في صياغة التقرير الخاص بتاريخ هذه الحالة • والصعوبات هي جد هائلة حين يكون على الطبيب أن يياثر في اليوم الواحد من ست إلى ثمانى جلسات من حالات العلاج النفسى ، ولا يستطيع تدوين ملاحظاته أثناء الجلسة مع المريض مخافة أن يزعزع ثقة المريض وأن يرتبك هو نفسه فى امساكه بالمادة التى يلاحظها • والواقع أننى لم أنجح حتى الآن فى حل المشكلة الخاصة بكيفية الاحتفاظ بالمعلومات من أجل النشر ، وفى حائة تاريخ علاج طويل الأمد • وفيما يتعلق بالحالة الراهنة ، ثمة عاملان قد اعاننى : أولهما أن العلاج لم يطل لأكثر من ثلاثة أشهر ، وثانيهما أن المعطيات التى أنارت الحالة انتظمت حول حلمين (أحدهما جاءت روايته فى منتصف العلاج والآخر فى نهايته) • والصيغة اللفظية لهذين الحلمين قد تم تدوينها عقب الجلسة مباشرة ، مما جعلهما محورا أكيدا لسلسلة التأويلات والذكريات المنبعثة عنهما • أما تاريخ الحالة نفسه فهو وحده الذى أعتمدنا فى كتابته على الذاكرة بعد ما بلغ العلاج الى نهايته ، وكانت ذكرياتى عن الحالة ما تزال نضرة ، وقد شحذها عزمى على نشرها • وهكذا فان تقريرى ليس دقيقا بشكل مطلق كنسخة صوتية ، ولكنه مع ذلك جدير بدرجة عالية من الثقة • ما من شىء ذى قيمة تعرض فيه للتعبير اللهم الا تفسيرات تغير ترتيبها فى بضع مواضع ، وقد تم ذلك حتى يكون عرض الحالة أكثر تماسكا فى شكله •

والآن ابين على وجه التخصيص ما يوجد فى هذا المقال ، وما لا يوجد فيه • كان عنوان المقال فى الأصل • « الاحلام والهستيريا » ، اذ بدا لى أنه جد ملائم لبيان كيف أن تفسير الاحلام يدخل فى تاريخ العلاج ضمن نسيج واحد ، وكيف يمكن لتفسير الاحلام أن يصبح الوسيلة لسد فجوات الذاكرة (الـأمـنـيـزيـات) وفهم الأعراض • ولم

يكن غير أسباب وجيهة ، أننى فى عام ١٩٠٠ أعطيت أسبقية للدراسة العميقة المضمينه للأحلام (١) على ماكنت انتوى نشره فى سيكولوجيه الأعصاب . وقد استطعت أن أتبين من الطريقة التى استقبل بها (كتاب تفسير الأحلام) مدى ضآلة انتفهم التى ثقاها مثل هذه الجهود من جانب الزملاء فى أيامنا - غفى هذه الحالة لم يكن ثمة ما يسند الاعتراض بأن المعطيات التى أقمت عليها نتائجى لم يتم تقديمها ، وبأنه بالتالى من المستحيل التحقق من صحتها عن طريق فحصها والتثبت منها ، فبوسع أى شخص أن يخضع أحلامه للفحص التحليلى ، وفنيات تفسير الأحلام يمكن بسهولة تعلمها بالرجوع الى التعميمات والأمثلة التى قدمتها . ومرة أخرى يتحتم على هنا أن أوكد ما سبق أن أكدته آنذاك ، من أن الشرط السابق الذى لا غنى عنه للوصول الى أى فهم للعمليات النفسية فى الهستيريا والأعصاب النفسية الأخرى هو : الدراسة العميقة لمشكلات الأحلام . فما من أحد يتنصل من هذا الجهد الاعدادى يستطيع أن يتقدم ولو لبضع خطوات فى هذا الميدان . وعليه فما دام تاريخ الحالة هذا يفترض مسبقا معرفة بتفسير الاحلام ، فسوف يكون جد بعيد عن أن يبعث الرضا فى أى قارئ لا تتوفر له هذه المعرفة . مثل هذا القارئ لن يجد فى هذه الصفحات الأخيرة بدلا من الفهم الذى يرجوه ، وسوف يكون دون شك نزاعا الى أن يسقطا منسب حيرته على المؤلف ، والى أن يرمى آرائى بالخيالية المرفة . والواقع هو أن هذه الحيرة تنتمى الى ظواهر العصاب ذاتها ، ولكن وجودها تحجبه فحسب ألفة الطبيب بالوقائع ، بينما تبرز هذه الحيرة من جديد مع كل محاولة لتفسير هذه الوقائع . ولا يمكن القضاء عليها تماما الا عندما ننجح فى أن نرد كل واقعة جزئية فى العصاب الى عوامل كانت مألوفة بالفعل لنا . ولكن كل شىء يميل على العكس الى أن يظهرنا على أن دراسة الاعصاب سوف تجربنا الى التسليم بكثرة المعطيات الجديدة التى يمكن أن تصبح شيئا فشيئا موضوع معرفة يقينية . فالجديد هو الذى يثير دائما الحيرة والمقاومة .

ومع ذلك فمن الخطأ الاعتقاد بأن الأحلام وتفسيراتها تشغل

مثل هذا المكان البارز في كل التحليلات النفسية على النحو الذى هى عليه في هذا المثال .

وبينما تاريخ الحالة الذى أمامنا يبدو موفقا بصفة خاصة من زاوية استخدام الاحلام ، فانه قد تكشف من زوايا أخرى أفقر مما كنت أرجوه . ولكن معاييه تتصل بنفس تلك الظروف التى جعلت نشره ممكنا . فكما قلت من قبل ، ماكنت لأدرى كيف تناول المعطيات التى ينطوى عليها تاريخ علاج يمتد لعام كامل مثلا . فالتاريخ الذى أمامنا ، والذى يمتد ثلاثة اشهر فحسب ، يمكن تذكره والاحاطة به في جملة ، ولكن نتائجه تظل قاصرة من أكثر من وجه . فالعلاج لم يتم المخي به الى نهايته المرسومة ولكنه توقف بناء على رغبة المريضة بعد أن بلغ نقطة بعينها . عند هذه النقطة ، لم تكن بعض مشكلات الحالة قيد بلغها مجرد تناول ، ولم يكن بعضها الاخر قد حظى الا باستيضاح قاصر ، بينما لو كان العمل قد تواصل لكنا حصلنا ولا شك على أعظم استيضاح ممكن لكل واقعة جزئية في الحالة . وعليه فكل ما استطيع تقديمه في الصفحات التالية هو تحليل جزئى .

أن القراء الذين يألّفون فنيات التحليل على النحو الذى عرضت عليه في كتاب « دراسات في الهستيريا » (١) ربما يدهشون كيف أنه لم يكن ممكنا في ثلاثة أشهر الوصول الى حل مكتمل على الأقل لتلك الأعراض التى تم تناولها وسوف يعدو ذلك مفهوما عندما أوضح كيف أنه منذ تاريخ صدور « دراسات في الهستيريا » تعرضت فنيات التحليل لثورة جذرية ففي ذلك الوقت كان عمل التحليل يبدأ من الاعراض ، ويستهدف القضاء عليها الواحد بعد الآخر . ولكنى تخليت عن تلك الطريقة منذ ذلك الحين ، لأننى وجدتها غير ملائمة بالمرّة لتناول البنية المرهفة للعصاب فانى الآن أترك للمريض أن يختار بنفسه موضوع عمل اليوم ، وبهذه الطريقة أبداً من أى سطح يتفق

Breuer und Freud. Studien Über Hysterie, 4 op ed. Leirzig (١)
& Vienne, Deutieke 1895. Freud, Ges. Werke (Complete Works) Vol. I. Standard Edition Vol. II.

ثلاثشعوره أن يتيحه لتبته آنذاك • ولكن بهذه الطريقة فان كل ما من شأنه أن يعين عن القضاء على عرض بعينه يبرز على أجزاء ، تنتمي الى سيقاقات مختلفة ، وتتوزع على فترات زمنية جد متباعدة • وعلى الرغم من هذا العيب الظاهر ، فان الطريقة الجديدة تفضل القديمة بكثير ، وليس ثمة شك في الواقع في أنها الوحيدة الممكنة •

وأزاء عدم اكتمال نتائج التحليلية ، لم يكن أمامي الا أن أقتني مثال أولئك المستكشفين الذين يكون من حسن طالعهم أن يخرجوا الى النور ، بعدما طال انطمارها ، هذه المتخلفات الأثرية التي لايمكن تقديرها بثمن • وأن تكن مبتورة • ولقد قمت بترميم ما كان مبتورا ، مقتنيا أفضل النماذج التي التقيت بها في تحليلات أخرى ، ولكني كعالم آثار أمين لم يفتني أن أبين في كل حالة أين تنتهي الأجزاء الأصيلة وأين تبدأ انشاءاتي •

وثمة نوع آخر من عدم الاكتمال أقحمته بنفسى عن قصد ، فكقاعدة عامه لم أورد عملية التأويل التي كان يتحتم اجراؤها على تداعيات المريضة وأقوالها ، وانما أوردت فحسب نتائج عملية التأويل هذه • ففيما عدا الأحلام ، لم يتم ايراد فنيات العمل التحليلي الا في مواضع جد قليلة • كان هدفي في تاريخ الحالة هنا وهو الكشف عن البنية الخبيثة لاضطراب عصابى والعوامل المحددة لأعراضه • وئو أننى حاولت الاضطلاع بالمهمة الأخرى في نفس الوقت لما كان الممكن أن يتمخض ذلك عن شىء ، اللهم الاعماء لارجاء منه • فقبل أن يكون من الممكن أن نضع على نحو صحيح قواعد الفنيات ، وهى التى تم الوصول الى معظمها عن طريق الخبرة ، كان من الضرورى أن تجتمع معطيات من عدد كبير من تواريخ العلاجات • ومع ذلك فان الاقتضاب الناجم عن اغفال الفنيات لاينبغى المبالغة في تصوره في هذه الحالة خاصة • فجانب العمل التحليلي الاكثر صعوبة لم يتح له على وجه التحديد أن يبدأ مع هذه المريضة ، اذ أن عامل « الطرح » الذى تجرى مناقشته في نهاية تاريخ الحالة لم ينجح في أن بزدهر خلال هذا العلاج القصير •

اما عن النوع الثالث من عدم الاكتمال في هذا التقرير ، فلا المريض ولا المؤلف بمستويين عنه • فمن البديهي أن تاريخ حياة واحد ، حتى لو كان مكتملا ولا يفتح لأى شك ، لا يستطيع ان يجيب على جميع الاسئلة التي تثيرها مشكلة الهستيريا ، فليس في وسعه أن يقدم استبصارا بجميع أشكال هذا الاضطراب ، بجميع الاشكال التي تتخذها البنية للعصاب ، بكل العلاقات الممكنة بين النفسى والبدنى التي يمكن أن نجدها في الهستيريا • ليس من المعقول أن نتوقع من حالة واحدة أكثر مما يمكن أن تقدمه • وأى شخص لم يكن حتى الان متهيئا للاقتناع بأن التعليل النفسجنسى للهستيريا هو صحيح بصفة عامة وبلا استثناء ، يندر أن يتهيأ للاقتناع بهذه الحقيقة حين يتزود بمعطيات تاريخ واحد • يجدر به أن يعلق حكمه حتى نتيح له ممارساته الخاصة الحق في أن يقتنع (١) •

(١) (ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣) - ان العلاج الوارد في هذا المقال قد توقف في ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٩ (الصحيح ١٩٠٠) وقد دونت تقريرى عنه في الاسبوعين التاليين مباشرة ولكنه لم ينشر حتى عام ١٩٠٥ • وليس من المتوقع بعدما يزيد على عشرين عاما من العمل المتصل أن لا أجد في ارائى عن هذه الحالة ، وفي عرضى لهماما تحتاج الى تعديل ، ولكن يكون من السخف الواضح أن أحاول ، بالتصحيات والاضافات • جعل تاريخ الحالة مسائرا لمعارف « الحالية » • ومن ثم فقد تركته على حاله ، وفي كل أساسياته ، ولكنى فقط صححت في النص أخطاء قليلة من السهو وعدم الدقة نبهنى ائها مترجمائى الانجليزيان والممتازان ، مستتر ومستر جيمس سترائى • وفيما يتعلق بالملاحظات النقدية التي اعتقدت أن هناك ما يبرر اضافتها فقد أوردتها في ملاحظات اضافية بحيث يكون القارئ محقا في أن يفترض بأنى ما زال أتمسك بالآراء الواردة في النص اللهم الا أن يجد ما ينقضها في ملاحظات الهامش • أما مشكلة الكتمان الطبى التي ناقشتها في هذا التصدير فلا محل لها في تورايج الحالات الباقية التي يشتمل عليها هذا الكتاب ، فثلاثة منها نشرت بموافقة صريحة من أصحابها (أو بالحرى ، فيما يتصل بهانز الصغير ، بموافقة من أبيه) ، بينما في الحالة الرابعة (حالة شريير) لم يكن موضوع التحليل شخصا بل كتابا كتبه المريض • وفي حالة دورا ظل السرطى الكتمان حتى هذا العام ، لقد انقطعت صلتى بها منذ أمد طويل ، =

= ولكن بلغنى منذ قليل أنها قد وقعت أخيرا في المرض من جديد لاسيما
أخرى وأنها اسرت الى طبيبها بأنها قد عولجت بالتحليل على يدي وهي
شابهة . وهذا الافشاء من جانبها هو الذي أتاح لزميلي هذا أن يتعرف فيها
على دورا ١٨٩٩ . وما من حكم عادل على العلاج التحليلي يجد موضعا
للملامة في أن علاج الثلاثة أشهر الذي تابعته المريضة في ذلك الجين لم
يتمخض عن شيء أكثر من حل صراعها القائم ، دون أن يفتدر على أن يجعلها
في مأمن من الامراض اللاحقة .

اللوحة الكلينيكية

في كتابي « تفسير الأحلام » ، الذي نشر عام ١٩٠٠ . أوضحت أن الأحلام بصورة عامة تنفتح للتفسير ، وأن العمل التفسيري متى أكتمل فإن الأحلام يمكن أن تقام في مكانها ، بشكل صحيح ومكتمل ، أفكار تجد مكانها الطبيعي في سياق النسيج النفسي . وأود في الصفحات التالية أن أقدم مثالا للاستخدام العملي الوحيد الذي يسمح به فيما يبدو فن تفسير الأحلام . ولقد سبق لى أن ذكرت في كتابي (١) كيف تأتي لى أن اتناول مشكلة الأحلام . فقد اعترضت المشكلة طريقي بينما كنت أحاول شفاء الأعصاب النفسية باستخدام طريقة خاصة في العلاج النفسى . فعندما كان مرضاى ، ضمن الأحداث الأخرى من حياتهم النفسية ، يسردون أحلامهم ، وكانت هذه الأحلام توحى بأنها تتطلب الاندراج ضمن السلسلة الطويلة للتداعيات ، والتي تبرز في نسيج يمتد ما بين عرض مرضى وفكرة مولدة للمرض ، تعلمت عندئذ، أن أترجم لغة الحلم الى أسلوب التعبير العادى ولباشر لتفكيرنا . واستطيع أن أجزم بأن هذه المعرفة لاغنى عنها للمحلل النفسى ذلك أن الحلم هو واحد من الطرق التى يمكن أن تسلكها الى الشعور المواد النفسية ، هذه التى ، بسبب المعارضة التى يثيرها مضمونها ، منعت عن الشعور وكتبت ، ومن ثم أصبحت مولدة للمرض . وباختصار . فان الحلم هو واحد من المنعطفات التى يمكن بها تفادى الكبت ، أنه واحد من الوسائل الرئيسية التى تستخدم فيما يعرف بالأسلوب غير المباشر للمثول فى الذهن . والقطعة التالية من تاريخ علاج فتاة هستيرية تستهدف ايضاح الكيفية التى بها يلعب تفسير الأحلام دورا فى العمل التحليلى . كما أنها تتيح لى فى نفس الوقت فرصة أولى لأن أدم ، فى تفصيلات تكفى للحيلولة دون مزيد من اساءة لفهم بعض آرائى عن العمليات النفسية فى الهستيريا ، وعن محدداتها

Die Traumdeutung (rgoo) 1900

(١) الترجمة العربية : تفسير الاحلام ، دار المعارف بمصر ، الفصل

للثانى .

العضوية • فاذا ماأفضت في هذا الموضوع ، فما أحسبني بحاجة إلى الاعتذار عن ذلك ، اذ من المتفق عليه الان أن ماتلح الهستيريا في تطلبه من الطبيب والباحث انما يمكن الوفاء به فحسب بروح البحث المتعاطفة الى أقصى حد ، وليس بروح التعالي والأزدراء •

« لا العلم يكفي ولا الفن وحده

بل على الصبر أيضا أن يلعب دوره ! (١) »

فلو أنني بدأت بتقديم تاريخ حياة مكتمل و متماسك ، لكان من شأنه أن يضع القارئ في موقف جد مبين لموقف الطبيب الملاحظ • أن تقارير أقارب المريض — في الحالة التي أمامنا تسلمت تقريراً من والد المريضة ذات الثماني عشر عاماً — عادة ماتقدم عن مسار المرض صورة شديدة البعد عن الوضوح • أنني أبدأ العلاج في الواقع بأن أطلب إلى المريض أن يقدم لي القصة الكاملة لحياته ومرضه ولكن حتى مع ذلك ، فان المعلومات التي اتلقاها لاتكون بحالة كافية لأن أتبين طريقى • فهذا السرد الأول أشبه مايكون بنهر تستحيل الملاحه فيه ، أحياناً ماتخفق مجراه الصخور ، وأحياناً ماينفترق ضائعا في مستنقعات وجزر من الرمال • ولا يسعنى الا أن أعجب كيف يتيسر للمؤلفين تقديم تواريخ حياة بهذه الدرجة من الدقة والصقل في حالات الهستيريا • ففي واقع الأمر ، يعجز المرضى عن أن يقدموا مثل هذه التقارير عن أنفسهم • انهم يستطيعون حقا تزويد الطبيب بالوفير من المعلومات المتناسفة عن هذه الفترة أو تلك من حياتهم ، ولكن من المؤكد أنه تعقب ذلك فترة أخرى تصبح فيها ادلاءاتهم ضحلة ، تتخللها فجوات بغير ملء ، وألغاز بغير حل ، ثم تعقبها مع ذلك فترة

Nicht Kunst und Wissenschaft allein

(١)

Geduld will bei dem werke sein !

Goethe, Faust, I, Hexenküche.

(جوته ، فاوست ، الجزء الاول ، مطبخ الساحرة ، قارن الفكرة

المشهورة « العبقرية صبر طويل » ، هامش الترجمة الفرنسية •

أخرى تظل غامضة تماما لاتصيرها حتى ولا قطعة واحدة من معلومات يمكن الافادة منها . أن العلاقات — حتى الظاهرة — تكون في معظمها غير منماسة ، وتتبايعات الأحداث المختلفة تكون غير مؤكدة . وحتى أثناء سردهم لقصة حياتهم ، لا يفتأ المرضى يصححون واقعه جزئية أو تاريخيا ، وربما يعودون ، بعد فترة من التردد ، الى توكيدهم الاول . أن عجز المرضى عن أن يقدموا بشكل مرتب تاريخ حياتهم ، من حيث أنه يمثل مرضهم ، لهو أمر لا يخص العصاب (١) . فهذا العجز ينطوى أيضا على دلالة نظرية هائلة . إذ أن هذا العجز يتركز على الدعائم التالية : ففى المقام الاول ، فان المرضى يحتجزون عن وعى وعن قصد جانبا مما ينبغى سرده — أشياء معروفة لديهم تمام المعرفة — لأنهم لم يتغلبوا بعد على شعورهم بالحياء والخجل (أو شعورهم بالتكتم حين يتعلق حديثهم بالآخرين) ، وذلك هو الدور الذى تلعبه المراوغة الشعورية . وفى المقام الثانى ، فان جانبا من معطيات ماضى المريض وتاريخ مرضه ، مما يجده المرضى فى متناولهم فى ظروف أخرى ، يغيب عنهم حين يقومون بالفعل بسرد قصتهم ، ولكن دون أن يرجع ذلك الى أية تحفظات مقصودة من جانبهم ، وذلك هو الدور الذى تلعبه المراوغة اللاشعورية . وفى المقام الثالث ، توجد دائما أمنييزات

(١) بعث الى طبيب بشقيفته للعلاج النفسى ، وأخبرنى بأنها تتابع منذ سنوات وبغير طائل ، علاجها كحالة هستيريا (آلام ومشية مضطربة) : بدت الصورة المقتضبة التى أمدنى بها مسابرة تماما لهذا التشخيص . ولكنى طلبت الى المريضة فى الجلسة الاولى ان تسرد لى بنفسها تاريخ حياتها . فلما جاءت قصتها مكتملة فى وضوحها وتماسكها على الرغم من النوعية الخاصة للأحداث التى تنطوى عليها ، قلت لنفسى أن هذه الحالة لايمكن أن تكون هستيريا ، وقمت على الفور بإجراء كشف طبي دقيق . وقد تمخض هذا الفحص عن التشخيص : خراج Tabes فى مرحلة متقدمة نوعا ، وقد جرى علاجها فيما بعد بحقن الزئبق H. Ginjections الزيت السنجانى hulle grise على يد الاستاذ لانج . وحقت تحسنا ملحوظا .

(٢) أن الامنييزات والبراميتيزات ترتبط فيما بينها بعلاقة تتنام فحيث تكبر الفجوات فى الذاكرة ، ثقل الذكريات الكاذبة وبالعكس فان الذكريات الكاذبة هذه يمكن ، بالنسبة للنظرة الاولى ، أن تدجب وجود الامنييزات .

حقه — فجوات في الذاكرة تغيب منها ليس فقط ذكريات قديمة ، بل حتى ذكريات جد حديثة — وبارامنيزيات ، هي خداعات ذاكرة أو ذكريات كاذبة ، تكونت بصفة ثانوية لتملأ تلك الفجوات (٢) • بل أنه عندما تكون الأحداث ذاتها باقية في الذاكرة ، فإن الهدف الذي تسعى اليه الأمنيزيات يمكن أن يتحقق بشكل أكسيد أيضا متى أنمحت علاقة ، والعلاقة تتمحى بأقصى درجة من التأكد متى تغير الترتيب الزمني للأحداث • ومن ثم فإن هذا الترتيب الزمني يكون دائما أكثر العناصر في محتويات الذاكرة تعرضا للإصابة ، وأكثرها سهولة في التعرض للكبت • ونحن نلتقى بكثرة من الذكريات هي في المرحلة الأولى من الكبت أن جاز القول ، فهي ذكريات معبأة بالشكوك • وهذه الشكوك يمكن في مرحلة لاحقة أن تخلي مكانها لنسيان أو لذكرى كاذبة (١) •

وثمة اعتبارات من طبيعة نظرية تحملنا على أن نعتبر هذه الحالة التي عليها الذاكرة خاصية لازمة للأعراض الهستيرية • وفي مسار العلاج يدلى المريض بالوقائع ، التي ، وان تكن معروفة لديه طوال الوقت ، كان يحتجزها ، أو لم تخطر بباله • فالبارامنيزيات تتكشف استحالة التمسك بها ، وفجوات الذاكرة تمتلئ ولن يكون من الممكن الاقرب نهاية العلاج ، أن نجد أمامنا تاريخ حياة مكتمل ، يتتابع في منطقية ، وينفتح للفهم • وبينما للهدف العملي للعلاج هو ازالة كل ما يمكن ازالته من أعراض ، واضعين في مكانها أفكارا شعورية ، فثمة هدف آخر ، الهدف النظري ، وهو اصلاح كل ما لحق بذاكرة المريض من تلف • والهدفان متساوقان ، فعندما نبليغ الى الواحد نبليغ الى الآخر ، واليهما يؤدي طريق واحد بعينه •

وتلزمنا طبيعة الوقائع التي تشكل مادة التحليل النفسي أن

(١) حين يكشف مريض عن شكوكه أثناء سرده ، فقد علمتنا الخبرة قاعدة يتحتم بمقتضاها أن لانلقى بالا على الاطلاق لمثل هذه الاقوال التي يعبر بها عن حكمه • أما اذا تارجح في سرده بين روايتين ، فينبغي أن نميل الى أن نعتبر روايته الاولى هي صحيحة ، وان نعتبر الثانية ناجمة عن الكبت •

نبذل ، في تواريخ الحياة التي ندرسها ، من الاهتمام بالظروف الانسانية والاجتماعية الصرفة لمرضانا ، بقدر ما نبذل من اهتمام بالمعطيات البدنية وبالأعراض المرضية . وأكثر من أى شئ سوف يتجه اهتمامنا الى ظروفهم العائلية - وليس ذلك فقط ، كما سيتضح فيما بعد ، لمجرد تقصى وراثتهم .

أن مريضتنا - موضوع هذا المقال - ، وهى شابة فى الثامنة عشرة من عمرها ، تتألف عائلتها فضلا عنها من أبويها وأخ يكبرها بعام ونصف . كان أبوها هو الوجه المهيمن فى هذه العائلة ، ويرجع ذلك الى ذكائه وشخصيته ، بقدر ما يرجع الى ظروف حياته . وكانت تلك الظروف هى نفسها التى شكلت للمريضة اطار طفولتها ومرضها . وفى الوقت الذى بدأت فيه علاج الفتاة كان أبوها فى أواخر الأربعينات ، رجلا متدفق النشاط ، ينعم بمواهب غير عادية ، وكان من كبار رجال الصناعة ، ويعيش فى ظروف مادية ناعمة . كانت ابنته أشد ما تكون حنانا فى تعلقها به ، وبسبب ذلك فان قدراتها النقدية ، التى استيقظت مبكرة ، قد تأذت ، بنفس لدرجة من القوة والتبكير ، من جراء أفعاله وسماته الشخصية .

بل ان حبها لأبيها قد تزايد منذ عامها السادس بسبب الأمراض الشديدة التى تعرض لها . ففى ذلك الوقت أصيب بمرض أنسل ، فانتقلت العنة بسبب ذلك الى بلدة صغيرة تمتاز بظيب مناخها ، وتقع فى إحدى مقاطعاتنا الجنوبية . وهناك تحسن سريعا مرضه الرئوى ، ولكن بالنظر الى الاحتياطات التى كانت ما تزال تعد ضرورية ، فقد استمر الأبروان والطفلان ، لعشر سنوات تالية ، يقيمون بصفة أساسية فى هذا المكان ، الذى سوف أسميه ب - : وعندما تحسنت صحة أبيها كان من عادته أن يرحل بين حين وآخر يتفقد مصانعه . وفى آخر فترة فى الصيف اعتادت العائلة أن ترحل الى منتجع صحى فى الجبل .

وحين كانت الفتاة فى العاشرة من عمرها تقريبا ، كان على أبيها أن يتابع دورة علاجية فى غرفة مظلمة بسبب انفصال شبكى . وقد تمخض هذا الحدث التمس عن قصور دائم فى بصره . ولكن أخطر

مرض عاناه وقع له بعد عامين تقريبا . كانت نوبة من الخلط العقلي ،
أعقبتها أعراض شلل واضطرابات نفسية طفيفة .

ولقد اتقنه صديق له (يلعب دورا في القصة سوف نعرض له فيما بعد) ، حين بدأت صحته بالكاد تتحسن ، أن يسافر الى فيينا مع طبيبه ويحضر لى للاستشارة . ترددت بعض الوقت فيما ان كانت الحالة لا ينبغي اعتبارها شللا راجعا الى الخراج ، ولكننى أنهيت آخر الأمر الى تشخيصها على أنها إصابة عامة في الجهاز الوعائى ، وحيث أن المريض قد صرح بأنه يتعرض قبل الزواج لعدوى متعينة (بالزهرى) فقد وصفت له دورة من العلاج الشديد الفاعلية ضد الزهرى ، كان من نتيجتها أن انحسرت جميع الاضطرابات التى كانت ما تزال باقية . وليس من شك فى أن هذا التدخل الموفق من جانبى هو الذى حدا به بعد أربعة أعوام أن يجيء الى بابنته ، التى كانت قد غدت ، خلال هذه الفترة ، عصابية بشكل أكيد ، وبعد عامين آخرين ، الى أن يسلمها الى العلاج النفسى .

وخلال هذه الفترة أيضا كنت قد تعرفت فى فيينا بشقيقة له ، كانت تكبره بقليل . وكانت لديها شواهد تقطع بوجود شكل خطير من العصاب النفسى دون أية أعراض هستيرية مميزة . وبعد حياة أسقمها زواج تعس ، توفيت من هزال استفحل فى سرعة ، ظلت أعراضه فى الواقع غير مستجلاة تماما . وثمة شقيق أكبر لوالده الفتاة ، تصادف لى أن التقيت به مرة ، كان أعزب ويعانى من الهيوكوندريا (توهم المرض) (١) .

(١) لنتنبه الى وجود عديد من الاقرباء الاخرين لدورا سوف ينتاب ذكرهم . فالمؤلف يتحدث مثلا فى ص ١٨ عن « عمها وبناته » الامر الذى يتضح منه وجود عم آخر لها غير هذا العم الاعزب . وفى ص ٨١ يأتى الحديث عن ابن عم شاب ثم عن ابن عم آخر ، وفى ص ٤٦ تجرئ . ابنة خالة لها . . الخ وثمة صعوبة فى الاستنباط الدقيق للعمومة أو الخثولة فى بعض المواضع بالنظر الى التعبير عن القرابين بكلمة واحدة فى اللغات الاروبية . المترجمون)

كانت الفتاة التي أصبحت ، كما أشرت ، مريضة وهي في الثامنة عشرة ، نتج دائما بعواطفها إلى أسرة أبيها ، ومنذ أصابها المرض اتخذت من عمها السالفة الذكر مثلها الأعلى . ولم يكن أيضا ثمة شك في أن الفتاة قد أخذت عن أسرة أبيها ليس فحسب مواهبها الطبيعية وفتحتها العقلي الباكر ، وإنما أخذت عنها أيضا الاستعداد للمرض . لم أتعرف قط على أمها . ولكني من أقوال الفتاة وأبيها تصورت أنها امرأة غير مثقفة ، وعلى الأخص عديمة الفطنة ، ركزت اهتماماتها في الأعمال المنزلية ، وخاصة منذ مرض زوجها وما أدى إليه من تباعد بينهما . كانت في الواقع تقدم لوحة لما يمكن أن نسميه « ذهان الزوجة — الخدامة » لم يكن بوسعها أن تتفهم آمال طفليها ، وكان شغلها الشاغل طوال اليوم هو تنظيف البيت ، آثاثاته وأدواته وأوانيها ، والابقاء على كل شيء نظيفا إلى حد يكاد يستحيل معه استخدامه أو الاستمتاع به . وهذه الحالة التي غالبا ما نجد ملامح منها عند ربات البيوت العاديات ، تذكرنا ولا شك بأشكال الاغتسال العصابي القهري ، وبصور أخرى من النظافة القهرية العصابية . ولكن ربات البيوت هؤلاء (وهذا يصدق على أم المريضة) ليس لديهن أى استبصار بمرضهن ، ومن ثم تغيب عندهن خاصية أساسية « للعصاب القهري » . كانت العلاقة بين الفتاة وأمها يعوزها منذ سنوات الطابع الودى . كانت الفتاة لا تحفك بأماها ، وكان من عاداتها أن تنهك عليها بالنقد في غير رحمة ، وكانت بمنأى تماما عن تأثيرات أمها (١) .

(١) صحيح أنني لا أتبنى الرأي القائل بأن الوراثة هي العامل الوحيد المسبب للهستيريا ولكني من ناحية أخرى — وأنى أقرر ذلك بالرجوع بصفة خاصة إلى بعض كتاباتي السابقة « الوراثة والاسباب المولدة للعصبية » ١٨٨٦ ، المقالات مجلد 1 Collected Papers Vol. 1 التي حاربت فيها هذا الرأي — حريص على أن لا يفهم من ذلك أنني أقلل من قيمة الوراثة فيما يتصل بالاسباب المولدة للهستيريا ، أو أنني أؤكد امكانية الاستغناء عنها وبالنسبة إلى مريضتنا الحالية ، فإن المعلومات التي قدمتها عن أبيها وشقيقته وشقيقته تشير إلى وراثة لها ثقلها ، والواقع أنه إذا كان لنا أن نعتقد بأن الشواهد المرضية من قبيل ما نجد عند أمها ينبغي أن =

وخلال السنوات الباكرة ، كان أخوها الوحيد (أخوها الذي يكبرها بعام ونصف) هو المثل الأعلى انذى تتجه مطامحها الى التشبه به . ولكن العلاقات بين الأخ وأخته قد اخذت في السنوات الأخيرة تتباعد أكثر فأكثر . كان من عادة الأخ الشاب أن يحاول ما وسعه الأمر أن يكون بمنأى عن المنازعات العائلية ، ولكنه عندما كان يجد نفسه مضطرا لأن يتخذ جانبا في النزاع كان يقف بالحرى الى جانب أمه . وهكذا فان التجاذب الجنسى المألوف قد قرب من ناحية بين الأب والأبنة ، ومن ناحية أخرى بين الام والابن .

والمريضة ، التي سوف أشير اليها باسم دورا ، بدأت تظهر عندها ، منذ عامها الثامن ، أعراض عصابية . فقد اعترافا في ذلك الوقت عسر تنفس مزمن ، مع نوبات بين حين وحين ، كان المرض أثناء يستفحل جدا . حدث الظهور الاول لهذا المرض عقب نزهة قصيرة في الجبل ، ومن ثم كانت نسبته الى الانهك الزائد . وخلال ستة أشهر ، كانت فيها ملزمة بالراحة وموضع عناية فائقة ، انحصر

= تنطوى أيضا على استعداد وراثي ، فعندئذ يمكن النظر الى العوامل الوراثية عند المريضة على أنها متلافية . وفي تصوري ، فان هناك مع ذلك عاملا آخر أعظم دلالة بالنسبة للاستعداد الوراثي أو بتعبير ادق الاستعداد الجيلي عند هذه الفتاة : فقد ذكرت ان أباهما أصيب بالزهري قبل زواجه . وقد تبين لي أن نسبة مئوية عالية بشكل لافت من بين المرضى الذين عالجتهم بالتحليل النفسى ينحدرون من آباء سبق أن أصيبوا بالخراج أو ذهان الشلل العام . وسبب مايطبع طريقتي في العلاج من جدة فائى لا أرى من الحالات الا أخطرها وهي التي ظلت تحت العلاج سنوات دون طائل . وبحسب نظرية ارب - فورنيه Erl - Fournier يمكن النظر الى الخراج أو الشلل العام عند الآباء المذكور أنه بمثابة دليل على أصابة باكرة بالزهري والورم التي انتهت اليها من حيرتي كطبيب لامراض الجهاز العصبى ، ألا وهي عدد من المقالات . وفي أحداث البحوث على نسل الآباء المصابين بالزهري (المؤتمر الدولى الطبى الثالث عشر المنعقد في باريس ما بين ١ أو ٩ اغسطس ١٩٠٠ : أبحاث فنجر وشارنوفكس وجوليان الخ ، لم اجد إشارة الى النتيجة التي انتهت اليها من خبرتي كطبيب لامراض الجهاز العصبى ، ألا وهي ان الزهري عند الاب المذكور هو عامل جد فعال في تشكيل الجيلة العصبية الباثولوجية للأطفال .

عنها المرض شيئا فشيئا • ويبدو أن طبيب العائلة لم يتردد لحذلة والحدة في تشخيص الاضطراب على أنه عصبى صرف ، وفى استبعاد أى سبب عضوى لعسر التنفس ، ولكن من الواضح أنه اعتبر هذا التشخيص مسائرا لاعتقاده بأن السبب المولد للمرض هو الانهالك الزائد (١) •

وقد اجتازت الفتاة لصغيرة الأمراض المعدية المألوفة للطفولة دون أن يخفف ذلك عندها أى ضرر • وكما قالت لى بنفسها — وكانت كلماتها تستهدف الأيحاء بمعنى أعمق — فان أخاها كان دائما يسبقها فى الإصابة بالمرض ، يعتربه عادة فى صورة جد هينة ، وبعدئذ كانت تتبعه إلى المرض فى صورة خطيرة منه • وعندما بلغت الثانية عشرة تقريبا بدأت تعاني من صداع نصفى ومن نوبات سعال عصبى • فى البداية كان هذان المرضان يظهران دائما معا ، ولكنهما أصبحا بعد ذلك منفصلين ومضى كل فى مسار مختلف • فالصداع النصفى مضى أندرا فأندر ، واختفى عندما بلغت السادسة عشرة • أما نوبات السعال العصبى ، التى كان يطلقها بغير شك زكام عادى فقد استمر حدوثها طوال الفترة كلها • وعندما حضرت الى العلاج ، وهى فى الثامنة عشرة ، كانت تحتاز نوبة وما تزال تسعل على نحو متميز • وهذه النوبات لم يكن من الممكن تحديد مداها ، فقد كانت تمتد من ثلاثة الى خمسة أسابيع ، بل لقد امتدت مرة بضعة أشهر • كان أكثر الأعراض ازعاجا فى النصف الأول من نوبة من هذا القبيل ، وذلك على الأقل فى السنوات القليلة الأخيرة ، ينحصر فى فقدان تام للصوت • كان التشخيص منذ وقت طويل هو : ان الأمر يتعلق هنا أيضا بحالة « عصبية » ، ولكن مختلف طرائق العلاج المألوفة ، بما فى ذلك المعالجة بالياه والمعالجة الموضوعية بالكهرباء ، لم تتمخض عن أية نتيجة • فى مثل هذه الظروف استحالت الطفلة الى شابة ناضجة تتميز باستقلالية شديدة فى أحكامها وقد ألفت السخرية من جهود الأطباء ، وانتهت آخر الأمر ، الى رفض معונتهم ، كانت ترفض دائما

(١) وسوف نعرض فيما بعد السبب الذى اثار هذا المرض الاول •

الاستشارة الطبية ، وان لم يكن لديها أى شىء ضد شخص طبييب العائلة . كان كل اقتراح باستشارة طبيب جديد يستثير عندها المقاومة ، وكانت سلطة أبيها ليس غير ، هى التى جاءت بها الى . رأيتها أول مرة فى بداية الصيف عندما كانت فى السادسة عشرة من عمرها . كانت تعاني من السعال ومن بحّة فى الصوت ، وقد نصحت لها حتى فى ذلك الوقت بالعلاج النفسى . ولكن نصيحتى لم تقبل ، اذ أن النوبة كغيرها اختفت تلقائيا ، وان استمرت على غير العادة طويلا . وفى شتاء العام التالى قدمت الى فيينا وأقامت فيها مع عمها وبناته (١) ، وذلك بعد موت العمّة التى كانت الفتاة جد مولعة بها . فى ذلك الحين أصيبت بجمى جرى تشخيصها : التهاب الزائدة الدودية (٢) . وفى الخريف التالى ، اذ كانت صحة أبيها تسمح بذلك رحلت الاسرة بصفة نهائية عن ب - موطن الاستشفاء . أقامت أولا فى البلدة التى بها مصنع الاب ، ولم يكد يمضى عام حتى انتقلت نهائيا الى فيينا .

فى ذلك الوقت كانت دورا قد بلغت زهرة الشباب ، فتاة تنطق ملامحها بالذكاء والجادبية . ولكنها كانت مصدر نكد شديد لأبويها . كانت الاعراض الاساسية لحالتها هى الاكتئاب (العصابى) واضطراب الشخصية . كان واضحا أنها لم تكن راضية لا عن نفسها ولا عن عائلتها ، كان اتجاهها من أبيها غير ودى ، وكانت علاقتها شديدة السوء مع أمها ، التى تريد فى اصرار أن تستدرجها الى الاسهام فى أعمال المنزل . كانت تحاول تجنب العلاقات الاجتماعية ، وكانت تشغل نفسها - ما سمح لها التعب والعجز عن التركيز اللذان كانت تشكو منهما - بحضور محاضرات للنساء وبمتابعة دراسيات جادة بدرجة أو اخرى . وذات يوم استولى الفزع على أبويها . عندما عثرا فى مكتب الفتاة أو فوقه على خطاب تودعهما فيه لأنها -

(١) فى الترجمة الفرنسية « وبنات عمومته » اذ أن العم الوحيد الذى سبقته الاشارة اليه أعزب ، المترجمون .
(٢) فيما يتصل بهذه النقطة ، انظر تحليل الحلم الثانى .

كما قالت — لم تعد تستطيع أن تحتلم حياتها (١) • والواقع أن اباه ، بفكره الثاقب ، أحس بأن الفتاة ليست لديها نية جادة للانتحار • ولكن الأمر مع ذلك قد هزه بشدة ، وذات يوم ، وعلى أثر مناقشة هينة بينه وبين ابنته ، اذ انتابها أول نوبة أغماء (٢) — واقعة حجبها فيما بعد أميزيا — قرر الاب علي الرغم من المعارضة التي أبدتها ، ضرورة حضورها الى العلاج •

وليس من شك أن تاريخ الحالة هذه علي نحو ما أوجزته ، لا يبدو في جملته جديراً بالنشر • فهي ليست غير حالة « هستيريا صغرى » (Petite Hystérie) بأعراضها البدنية والنفسية الأكثر شيوعاً • عسر التنفس ، والسعال العصبى ، وفقدان الصوت ، وربما الأصدعة النصفية مع الاكتئاب المصاحب والاجتماعية الهستيرية ، والتبرم بالحياة هذا الذى يحتلم أن لا يكون مكتمل الصدق • فثمة حالات من الهستيريا أكثر طرافة ولا شك قد سبق نشرها ، وكانت في الأغلب أفضل في عرضها ، اذ لن نلتقي في الصفحات التالية بشيء عن مياسم (٣) الحساسية الجلدية ، أو عن انكماش الحقل البصرى ، أو ما شابه ذلك • ومع ذلك فقد أجتريء على القول بأن تلك المجموعات كلها من الظواهر غير المألوفة والعجيبة للهستيريا لم تتقدم الا قليلا بمعارفنا عن مرض ما يزال كما كان دوما

(١) كما سبق ان اوضحت ، فان علاج الحالة ، وبالتالي فان استبصارى بالاحداث العديدة المتشابهة • قدبقى جزئيا ومن ثم فهناك كثرة من الاسئلة التى لا يستطيع ان اقدم لها جوابا ، او التى لا يستطيع ان اعول فيها الا على تلميحات وفروض • وقد وردت مسألة الخطاب هذه خلال احدى جلساتنا ، وأبدت الفتاة علامات الدهشه • تساءلت • « كيف بالله عثر على هذا الخطاب ؟ لقد أغلقت عليه داخل مسكنى • » ولكن حيث انها كانت تعلم ان ابويها قرآ مسودة خطاب الوداع ، فانى استنتج انها كانت قد رتبت الامر بحيث يقع في أيديهما •

(٢) كانت النوبة فيما اعتقد مصحوبة بتشنجات وهذيانات • ولكن نظرا لان التحليل لم يبلغ الى هذه الواقعة هى الاخرى ، فليس بين يدي في هذا الموضوع ذكريات اكيذة يمكن التعويل عليها •

لغزا هائلا . فما نحتاج اليه هو على التحديد ايضاح للحالات الأكثر شيوعا ، ولاعراضها الأكثر تواترا ونمطية . وكنت اخون جد معتبم لو ان الظروف أتاحت لى أن أقدم ايضاحا مكتملا لهذه الحالة من « الهستيريا الصغرى » ، وخبرتى مع المرضى الآخرين لاتجعلنى أشك بحال فى أن طريقتى التحليلية كانت ستمكبنى من ذلك .

وفى عام ١٨٩٦ ، وبعد قليل من ظهور كتابى « دراسات فى الهستيريا » (وهو الذى كتبته بالاشتراك مع الدكتور ج . بروير) ، سألت شخصية مبرزة من الزملاء الاخصائيين عن رايه فى النظرة السيكولوجية فى الهستيريا ، والتي جاءت فى ذلك الكتاب . أجابنى بصراحة أنه يعتبرها تعميما غير شرعى لنتائج قد تصدق على عدد قليل من الحالات . ومنذ ذلك الوقت رأيت كثرة من حالات الهستيريا ، وقضيت مع كل حالة أياما من العمل أو أسابيع أو أشهر أو سنوات فما من حالة واحدة لم أعثر فيها على المخدرات السيكولوجية المبينة فى « دراسات فى الهستيريا » ، ألا وهى صدمة نفسية وصراع وجدان ، وعامل آخر — كشفت عنه فى مؤلفات لاحقة — هو اضطراب فى مجال الجنسية . ومن الطبيعى أن لا نتوقع من المريض أن يسعى الى الطبيب ، يلتقى به فى منتصف الطريق ، ليقدم اليه مادة غدت — بسبب جهادها نفسه لأن تبقى خبيثه — مولدة للمرض ، كما لا ينبغى على الباحث أن يقنع بأول « لا » .
تعرض طريقه (١) .

(١) مثال على ذلك : زميل طبيب فى فيينا ، ربما كان اقتناعه بعدم أهمية العوامل الجنسية فى الهستيريا قد تدعم الى حد بعيد بخبرات من هذا القبيل . عرضت عليه حالة صبية فى الرابعة عشرة كانت تعاني من قىء هستيرى خطير . عقد عزمه على أن يلقي اليها بهذه السؤال الاليم عما أن حانت قد سبحت لها على الاطلاق علاقة عاطفية مع رجل أجابت الصبية « لا ! » فى تصنع للدهشة ولاشك ، ثم قالت بعد ذلك لامها بطريقتها غير المهذبة : « تصورى ! » أن هذا العجوز الغبى سألنى ما أن كنت عاشقة : ، وحضرت الى فيما بعد للعلاج . وقد تبين ولم يكن ذلك بالتأكيد فى الجلسة الاولى — أنها كانت خلال سنوات عديدة تستمنى ، وكان استمنائها مصحوبا بلوكوريات (افرازات بيضاء) غزيرة (وهى وثيقة الصلة بالقى =

في حالة دورا ، — وبفضل ما كان لأبيها من فكر ثاقب أشرت إليه أكثر من مرة — لم أكن بحاجة الى أن أفتش عن مواطن الارتباط بين أحداث حياتها ومرضاها ، على الأقل في أحدث صورة له . قال لي أبوها أنه أثناء اقامته ببلدة ب — ربطته هو وعائلته صداقة حميمة مع زوجين كانت اقامتها هناك قد امتدت سنوات عديدة . كانت مدام ك — قد قامت بتمريضه الطويل ، واستحقت بذلك ، على حد قوله ، عرفانه الأبدي . أما السيد ك — فقد كان دائما أعظم ما يكون رعاية لدورا . كان يخرج في نزعات معها عندما يكون بالبلدة وكان يقدم لها هدايا صغيرة ، وما كان لأحد أن يجد في ذلك أي ضرر . وكانت دورا تعنى أعظم عناية بطفلي عائلة ك — ، فكانت تقريبا أما لهما . وعندما حضرت دورا مع أبيها لرؤيتي قبل ذلك بعامين أثناء الصيف ، كانا في طريقهما للحاق بالسيد ك — وقرينته الذين كانا يقضيان الصيف على شواطئ إحدى بحيرتنا في الألب . كان على دورا أن تقضى بضعة أسابيع مع عائلة ك — بينما كان أبوها ينتوى أن يرحل عنهم بضعة أيام وخلال تلك الفترة كان السيد ك — يقيم هناك أيضا . وعندما بدأ أبوها يتهيأ للرحيل أعلنت الفتاة فجأة ، وفي اصرار شديد ، أنها سترحل معه ، ونفذت في الواقع ما أصرت عليه . وعلى هذا التصرف الغريب من جانبها ، لم تلق دورا أي ضوء قبل مضي بضعة أيام . عندئذ قالت لأبها — وكانت تقصد أن يبلغ ما تقوله الى أبيها — أن السيد ك — قد اجترأ على أن يطارحها حبه وهما يسيران بعد نزهة على البحيرة . وفي اللقاء التالي طلب الأب والعم من السيد ك — أن يقدم ايضا عن الأمر ، ولكنه أنكر في أشد الكلمات حسما أن يكون قد صدر عنه أي شيء يمكن أن يفهم على هذا النحو . ثم بدأ يلقي ظلال الشك على الفتاة ،

(عندها) ثم تخلصت أخيرا من تلك العادة ، ولكنها ظلت تتعذب ، فامتناعها ، بأقصى احساس بالاثم ، الى حد أنها كانت تعتبر كل النكبات التي تحيق بعائلتها عقوبة سماوية على انتهاكاتها السابقة ، هذا الى أنها قد انفلكت بقصة خالة لها غير متزوجة كان حملها (وهو عامل ثان للقيء عندها) قد أخفى عنها أمره بنجاح فيما يظن . كانوا يتوهمون الفتاة « مجرد طفلة » ولكن اتضح أنها خبرت كل اساسيات العلاقة الجنسية

قائلا بأنه كان قد سمع من مدام ك - بأنها لم تكن تهتم بشيء الا بالمسائل الجنسية بل أنه كان من عاداتها ، وهي في بيتهم على شاطئ البحيرة ، أن تقرأ كتاب مانتيجازا Manteggazze « فسيولوجية الحب » ، وكتبا أخرى من هذا القبيل . وأضاف قائلا بأن الفتاة في أغلب الظن قد أثارتها هذه القراءات الى أبعد حد فتخيلت - ليس الا - كل المشهد الذي وصفته .

ومضى الأب في حديثه قائلا : « ليس لدى شك في أن هذه الحادثة هي السبب في اكتئاب دورا وانفعالها وأفكارها الانتحارية . لقد مضت تلح على بأن أقطع صلتى بالسيد ك - وعلى الأخص بمدام ك - التي كانت من قبل تجلها بشكل ايجابي . ولكن ذلك مالا أستطيعه . أولا ، لأنى أنا نفسى أعتقد أن حكاية دورا عن التصرفات اللا أخلاقية للرجل هي مجرد أخبولة استولت على عقلها ، وثانيا ، فانى تربطنى بمدام ك صداقة نبيلة ولست أحب أن أؤذى مشاعرها . فهذه المرأة المسكينة هي أنتس ماتكون مع زوجها ، هذا الذى فكرتى عنه ليست جد عالية . فقد عانت هي نفسها كثيرا من أعصابها وأنى سندها الوحيد ولست فى حاجة - بالنظر الى حالتى الصحية - أن أؤكد لك ما من شىء غير مشروع يشوب علاقتنا . اننا لسنا غير كائنين تعيسين يتعزيان ماوسعهما الامر اذ يتبادلان التعاطف المودود . فأنت على علم من قبل بأن زوجتى لاتمثل شيئا بالنسبة لى . ولكن دورا التى ورثت عنادى يستحيل زحزحتها عن كراهيتها لعائلة ك - ، فقد اعترتها النوبة الأخيرة على أثر حديث ألفت على فيه من جديد أن أقطع صلتى بهم . أرجوك أن تحاول ، وأن تردها الى الصواب » .

لم تكن أحاديث أبيها تتفق تماما على الدوام مع هذه الكلمات ، ففى مناسبات أخرى كان يحاول أن يلقي بمسئولية سلوك دورا الذى لا يطلق على أمها ، التى كانت غرائبها تجعل الحياة فى البيت مستحيلة على الجميع . ولكنى قررت منذ البداية أن لا أصدر حكما على حقيقة الأمر حتى أستمع الى الطرف الآخر أيضا .

أن التجربة مع السيد ك - مغالته لها وما ينطوى عليه ذلك من جرح لشرفها - تشكل على ما يبدو الصدمة النفسية فى حالة دورا ،

هذه الصدمة التي سبق لبرويرولي أن اعلنا منذ وقت طويل أنها للشرط الضروري السابق لحدوث اضطراب هستيرى • ولكن هذه الحالة الجديدة تتطوى أيضا على كل الصعوبات التي حملتني منذ ذلك الوقت على أن اتخطى هذه النظرية (١) ، هذا إلى صعوبة إضافية من طبيعة خاصة • ذلك أن الصدمة التي تبدو لنا في حياة دورا ، كما يحدث غالبا في تواريخ الحالات الهستيرية ، تقصر عن تفسير أو تحديد المطابع المميز للاعراض ، ففهمنا للامر كله ما كان ليزيد أو ينقص لو أن الصدمة قد تمخضت عن أعراض أخرى تماما غير السعال العصبى، وفقدان الصوت والاكنتاب ، والتبرم بالحياة • وينبغى أن نضيف هنا أيضا أن جانبا من الأعراض — السعال وفقدان الصوت — كان قد سبق ظهوره عند المريض قبل الصدمة بسنوات ، وأن ظهوره الأول ينتسب إلى طفولتها ، من حيث أنه ظهر في عامها الثامن • وعليه فاذا كان علينا أن لا نتخطى عن نظرية الصدمة ، من المحتمل أن نرجع إلى الوراء ، إلى طفولتها ، مفتشين فيها عن أية تأثيرات أو انطباعات كان من الممكن أن يكون لها أثر شبيه بأثر الصدمة • ومما هو جدير أيضا بالملاحظة أنني حتى في دراستى للحالات التي لم يسبق فيها أن ظهرت الاعراض الاولى • ابان الطفولة ، وجدتهى منساقا إلى أن أرجع إلى الوراء ، إلى السنوات الاولى من تاريخ حياة المرضى (٢) •

فعندما تم التغلب على الصعوبات الأولى في العلاج ، روت لى

(١) أنى تخطيت تلك النظرية ، ولكنى لم أتخل عنها ، بمعنى أنى اليوم لأعتبر تلك النظرية خاطئة بل غير مكتملة • فاننى لم أعد اللج بالاهمية على • حالة شبه النوم المغناطيسى ، المزعومة ، والتي كان يعتقد بأنها تظهر عند المريض أثر الصدمة ، وكان يعتقد انها المسئولة عن كل مايلى من ظواهر سيكولوجية شاذة • واذا كان من الجائز في عمل مشترك تحديد الانصبه فيما بعد ، فانى انتبهت هذه الفرصة لاقدر أن الغرض الخاص • مجاله شبه النوم المغناطيسى « - وهو الذى يميل كثير من النقاد إلى اعتباره محور كتابنا - كان بكلينه نتاج مبادرة من بروير فانى من جانبى أعتبر أن استخدام هذا المصطلح لا لزوم له وأنه مفضل لانه يقطع تواصل المشكلة ، التي تنحصر في تبين العمليات السيكولوجية الخاصة بتكوين الاعراض الهستيرية •

CF: The Aetiology of Hysteria (1896), Collected (٢)

دورا حدثا أبكر مع السيد ك - هو الاجدر من الحادث الاخر بأن يفعل فعل الصدمه . كانت اذ ذلك في عامها الرابع عشر .

وكان السيد ك - قد رتب معها ومع زوجته ان تحضرا اليه عصر يوم في محل عمله بالميدان الرئيسي ببلده ب - لمشاهدة موكب ديني ولكنه اقنع زوجته بالبقاء في البيت ، وصرف مساعديه ، بحيث كان بمفرده عندما وصلت الفتاة . وعندما اقترب موعد الموكب ، طلب الي الفتاة ان تنتظره عند باب السلم المؤدى الى الطابق العلوى ، ريثما يخلق انبب الخارجى لمحلته . ثم عاد اليها ، وبدلا من يخرج معها من انبب المفتوح ، ضم الفتاة حياء اليه وقبلها على شفئها . كان ذلك بالتاكيد وعلى التحديد، موقفا من شأنه أن يثير شعورا متميزا من الهياج الجنى عند فتاة في الرابعة عشرة لم يسبق قط أن اقترب منها رجل . ولكن دورا اعترافا في تلك اللحظة شعور جارفا بالاشمئزاز ، فانتزعت نفسها بشدة متملصة من الرجل ، وتجاوزته مهرولة الى بئر السلم ومنه الى باب الشارع . ولكنها مع ذلك استمرت بالتقى بالسيد ك - ولم يشر أحدهما قط الى هذا المشهد الصغير ، وعلى حد قولها فقد احتفظت بالأمر سرا حتى اعترفت به أثناء العلاج . ولكنها على أية حال ظلت بعد ذلك فترة من الزمن تتجنب البقاء منفردة مع السيد ك - . وكان السيد ك - وقرينته قد رتبا قبيل ذلك مشروع رحلة لبضعة أيام ، وكان من المتفق عليه أن ترافقهما دورا . ولكنها ، بعد حادث القبله ، رفضت الاشتراك في الرحلة ، دون أن تبدى أى سبب لذلك .

في هذا المشهد - وهو الثانى في ترتيب السرد والاول في الترتيب الزمنى - كان سلوك هذه الصبية ذات الأربعة عشر عاما يعد بالفعل هستيريا تماما . فأنى دون أدنى تردد ، أعتبر هستيريا كل شخص تولد عنده فرصة الاثارة الجنسية الاشمئزاز (١) ليس غير ،

(١) في الاصل الالمانى وفي الترجمة الانجليزية حرفيا « مشاعر غير

سارة » - المترجمون) .

أو على وجه الخصوص ، وذلك سيان ظهرت لديه أو لم تظهر أعراض
بدنية • أن استجلاء ميكانيزم انقلاب الوجدان هذا لهو مشكلة من
أهم المشكلات وهو في نفس الوقت من أعسرها في سيكولوجية
الأعصاب • وفي اعتقادي أنني مازلت بعيدا عن بلوغ هذه الغاية ،
وأضيف بأنني ، ضمن الحمد للضيقة لهذا المقال ، لن يكون بوسعي
الا أن أقدم جانب من معارفى التي ماتزال قاصرة •

ولتخصيص حالة دورا لا يكفى أن نقتصر على مجرد إبران
انقلاب الوجدان فينبغى أن نضيف أنه يوجد أيضا « نقل »
للإحساس • فبدلا من الإحساس الانساني الذي كان من المؤكد أن
تستشعره في هذه الظروف (١) فتاة سوية ، اجتاح دورا ذلك الشعور
الكدر الخاص بالغشاء المخاطي عند مدخل القناة الهضمية : ونعني
الاشمئزاز • وليس من شك في أن اثارة شفتيها بقفل القبلة كانت لها
أهميتها في تحديد موضع الشعور في هذا المكان بالذات ، ولكنى
أستطيع فيما اعتقد أن أتبين أيضا عاملا آخر يعر عمله (٢) •

فالاشمئزاز الذي استشعرته دررا في هذه المناسبة ، لم يتحول
الى عرض دائم ، وحتى في وقت العلاج لم يكن له من وجود الا
بالقوة ، ان جاز القول • كانت مقلة في طعامها ، واعترفت بأن لديها
بعض النفور من الطعام • ولكن ذلك المشهد ، من ناحية أخرى ، قد
خاف وراءه أثرا ثانيا في صورة هلوسة حسية تعاود الظهور بين حين
وحين ، بل لقد ظهرت وهي تسرد على حكايتها • فقد صرحت بأنها
تستشعر « الآن » أيضا على الجزء العلوى من بدنها ضغط ذلك
العناق • وبمراعاتى بعض ما سبق لى كشفه من قوانين تكوين

(١) سوف يتضح حكما على هذه الظروف عندما نلقى عليها مزيدا من الضوء •

(٢) لم يكن اشمئزاز دورا بفعل القبلة بالتأكيد راجعا الى اسباب عارضة ، والا لما
عجزت عن أن تذكرها وتسردها • فقد تصادف لى أن تعرفت على السيد ك - إذ كان
هو الشخص الذى حضر مع ابينا لزيارتي ، وكا رجلا مايزال في شبابه خلاب الظهر •

للأعراض ، وفي نفس الوقت بغقدى الصلة مع بعض الغرائب الأخرى للمريضه ، والتي كان يستحيل بغير ذلك تفسيرها — من قبيل عدم رغبتها في أن تمر بجوار رجل نراه منهمكا مع سيدة في حديث غيـه لهفة أو عاطفية — ، تمكنت من أن أعيد في ذهني بناء المشهد على النحو التالي • أعتقد أنها ، وهى بين أحضان الرجل المتلهفة ، قد أحست ، ليس فقط على شفيتها بقبلته ، بل أيضا على بدنها بضغط عضوه المنتصب • كان هذا الاحساس صادما لها ، فانطرد من ذاكرتها وانكبت ، وحل محل هذا الاحساس البرىء بضغط على صدرها ، وهو احساس يدين بشدته المسرفة الى كبت الحفزة الأصلية • ومرة أخرى من جديد نجد « نقلا » من الجزء السفلى للبدن الى جزئه العلوى (١) • ومن ناحية أخرى فان ما سبق أن ذكرت من قدر من السلوك القهرى لديها يبدو وكأنه يصدر عن ذكرى المشهد في غير تحريف • فهى لم تكن ترغب في أن تمر بجوار أى رجل تعتقد أنه في حالة هياج جنسى ، لأنها لم تكن ترغب في أن تشه مرة ثانية العلامة البدنية لهذا الهياج •

ومما تجدر ملاحظته أننا هنا أمام ثلاثة أعراض — الاشمزاز ، والاحساس بالضغط على الجزء العلوى من البدن ، وتجنب الرجال المنهكين في حديث عاطفى — وكلها ترجع الى تجربة واحدة بعينها ، وأننا ان لم نضع في اعتبارنا العلاقة المتبادلة بين هذه الظواهر الثلاث فلن نستطيع أن نفهم الكيفية التى بها يتم تكون الأعراض • فالاشمزاز هو العرض المناظر لكبت المنطقة الشبكية الفمية ، هذه الحص من أجل اللذة وضغط انقضيب المنتصب. يحتمل أن يكون قد أدى الى تغير مماثل في العضو الأنثوى المناظر ، المبظر ، واثارة هذه المنطقة

(١) ان النقل من هذا القبيل ليس مرضا أمناء خصيما لتفسير هذه الواقعة وحدها ، فهذا الفرض قد نأكد من لاغنى عنه لتفسير ثمة نسيحة من الامراض • فهذه علائق لدورا النقيت بمثال آخر لعناق (بغير تميلة في هذه المرة) تسبب عنه رعب • كانت هائلة سيدة شابة ولهة بخلبيها ، ولكنها فجأة بدأت تشعر تجاعة ببرود مصحوب باكتئاب شديد ، وعندئذ حضرت الى للعلاج • ولم تكن هناك صعوبة في ارجاع هذا الرعب الى انتصاب من جانب الخليلب أحست به ولكنها طردته من شعورها •

اشبكية الثانية ، قد احييت — عن طريق عملية نقل — الى الضغط
المصاحب على الصدر ، حيث تثبتت هناك • وتجنبها لرجال الذين
يحتمل أن يكونوا في حالة هياج جنسى يتبع ميكانيزم رهاب (فوبيا) ،
فهدفه حمايتها ضد أى بعث جديد للادراك المكبوت •

وكيما أتأكد من صحة هذه الاستنتاجات ، سألت المريضة في حيطة
شديدة ما ان كانت لديها فكرة عن العلامات ائبدنية للهياج في جسم
الرجل • كان جوابها : عن الوقت الحاضر « نعم » ، وعن وقت الحادث
« لا أعتقد » • وقد اتخذت مع هذه المريضة منذ البداية أقصى الحيطة
حتى لا أقدم لها أية معلومات جديدة في مجال الحياة الجنسية ، وقد
فعلت ذلك ، لا بدافع من ترمت الضمير ، بل لأنى كنت شديد الرغبة في
هذه الحالة في أن أخضع فروضى للضبط الصارم • ومن هنا ، فأنى ام
أقم بتسمية شىء باسمه ، الا بعد ، أن تصبح اشارتها اليه من الواضح
بحيث لم تكن هناك مخاطرة تذكر في ترجمتها الى الاسم الصريح •
كانت دائما تجيب في التو ، وفي صراحة ، أنها تعرف ذلك من قبل •
ولكن من أين جاءت هذه المعرفة ؟ ذلك لغز لم تستطيع ذكرياتها حله •
فقد نسيت مصادر كل معلوماتها عن هذا الموضوع (١) •

وإذا كان لى أن أفترض أن مشهد القبلة قد جرى على هذا النحو،
فبوسعى أن أبلغ الى التفسير التالى لنشأة مشاعر الاشمئزاز (٢) •
هذه المشاعر يبدو أنها في الأصل استجابة لرائحة البراز (وفيما بعد
أيضا لمشهد البراز) • ولكن أعضاء التناسل يمكن أن تذكر بالوظائف
الايخراجية ، وهذا يصدق بصفة خاصة على عضو التناسل الذكري ،
لأن هذا العضو يضطلع بوظيفة التبول ، كما يضطلع أيضا بالوظيفة
الجنسية • والواقع هو أن وظيفة التبول هى أبكر الوظائفين الى

(١) قارن الحلم الثانى •

(٢) هنا ، كما هو الشأن في الحالات المشابهة ، ينبغى أن يكون القارئ مهيا لان
يلتقى لأسباب واحد ، بل بعدة أسباب — بالتحتميم بأكثر من سبب •

معارفنا ، بل هي الوحيدة في معرفتنا طوال الفترة قبل الجنسية (١) .
بهذه الطريقة تصبح مشاعر الاشمئزاز وسيلة من وسائل التعبير الوجداني
في مجال الحياة الجنسية . وعبرة أحد آباء الكنيسة inter urinas et
faeces nascimur (ما بين البول والبراز نولد) تنصب على الحياة
الجنسية ولا يمكن فصلها عنها ، على الرغم من كل المحاولات لاسباغ
المثالية . ومع ذلك فأني أود أن أؤكد في صراحة اعتقادي بأن المشكلة
لا تنحل بمجرد ائعثور على هذا المر للتداعي . فكون هذا التداعي يمكن
ابتعائه لا يدل على أنه بالفعل سوف يتم ابتعائه . والواقع أنه في الظروف
السوية لن يتم ابتعائه . ومعرفة ممرات التداعي لا تنقل من ضرورة
معرفة القوى التي تجتازها (٢) .

ومهما يكن من أمر ، فلم يكن يسيرا على أن أوجه أنتباه مريضتي
الى علاقاتها بالسيديك — فقد صرحت بأنها قد انتهت منه . فالتطبيق
العليا لكل تداعياتها أثناء الجلسات ، وكل ما كان يصبح عندها في يسر
شعوريا ، وما تتذكر أنها كانت تعيشه في اليوم السابق ، كنه كان يرتبط
دائما بأبيها . لقد كان من الصحيح تماما أنها لم تكن تستطيع أن تغفر
لأبيها استمرار علاقاته بالسيديك — ، وعلى الأخص بمدامك — .
كانت تنظر الى هذه العلاقات في ضوء يباين تماما هذا الذي كان الأب
يرغب في أن تبدو فيه . فلم يكن ثمة شك في تصورنا في أن الذي يربط
أباها بهذه السيدة الشابة والجميلة هو علاقة غرامية مبتذلة . وما من
شيء يمكن أن يؤيد هذه النظرة استطلاع أن يفات من ادراكها ، هذا

(١) (المتصود هنا قبل الانسانية Pregenita ، اذ تبدأ الجنسية بمعناها العام مع

بداية حياة الطفل — المترجمون) .

(٢) كل هذه المناقشات تشتمل على كثير مما هو نمطى وبصدق على الهستيريا بعامة .
فموضوع الانتصاب يقدم الحل لبعض من أكثر الاعراض الهستيرية طرانة . . والانتباه الذي
توليه النساء لمعالم الاعضاء التناسلية للرجال ، على نحو ما ترسم من وراء ملابسهم ، يصبح
متى انكبت اصلا للحالات جد الشائعة من تجنب المحبة والارتباب من الاجتماعات .
والرباط النسبجي الذي يضم الجنسى والاخراجى يكاد يكون من المستحيل أن نفالى فيها
له من أهمية في توليد المرض ، فهو رباط يوجد في أساسه عدد هائل من الفوبيات الهستيرية .

الذى كان في هذا الصدد ثاقب لايرحيم ، فها هنا لم تكن ثمة فجوات في ذاكرتها • كانت عائلتها قد تعرفت على عائلة ك — قبل المرض الخطير لابيها ، ولكن العلاقة لم تصبح حميمة الا بعد أن اضطلعت السيدة الشابة رسميا أثناء ذلك المرض بوظيفة الممرضة ، بينما بقيت أم دورا بعيدة عن حجرة المريض • وفي أول اجازة صيف بعد شفائه حدثت أشياء من شأنها أن تفتح عين كل انسان على الطابع الحقيقي لهذه « الصداقة » • فقد استأجرت العائلتان جناحا مشتركا في فندق • وذات يوم أعلنت مدام ك — أنها لا تستطيع الاستمرار في غرفة النوم التي كان أحد طفليها حتى ذلك الوقت يشاركها اياها • وبعد أيام قليلة تخلى أبو دورا عن غرفة نومه ، وانتقل الاثنان الى غرفتين آخريين تقعان في أقصى الداخل ولا يفصلهما غير ممر ، بينما لم يكن يتوفر للغرفتين اللتين تخليا عنهما مثل هذا الضمان ضد الازعاج • وفيما بعد عندما كانت دورا تنتقد أباهما بخصوص مدام ك — كان من عادته أن يردد أن ليس في وسعه أن يفهم عدائيتها ، وأنها وأخاها على العكس لديهما كل سبب للاحساس بمشاعر الامتنان لمدام ك — • وعندما طلبت من أمها ايضا لما تعنيه هذه الاشارة الغامضة من أبيها ، أجابتها بأن أباهما كان من الثعاسة في ذلك الوقت الى حد أنه صمم على أن يمضى الى الغابة ويقتل نفسه ، ولكن مدام ك ، وقد ساورها القلق، لحقت به ، فيما يقال ، وأقنعت بتوسلاتها بأن يبقى على حياته من أجل أسرته • وبطبيعة الحال لم تصدق دورا هذه القصة ، فلم يكن لديها شك في أن البعض قد رأها معا في الغابة ، وعندئذ ابتدع أبوها من خياله قصة الانتحار هذه ليبرر لقاءهما (١) •

وعندما عادت الأسرة الى بلدة ب — كان الأب يزور مدام ك — كل يوم في ساعة معينة أثناء وجود زوجها في عمله • كان التجميع يتحدثون عن ذلك ، وكانوا يسألون دورا عن الأمر بطريقة لها مغزاها •

(١) ترتبط هذه النقطة بمثليتها الخاصة بالانتحار ، والتي يمكن اعتبارها تمييزا عن

والسيدك — نفسه كثيرا ما شكنا بمرارة الى أمها ، وان حرص عني أن
يجنب دورا أية إشارة الى هذا الأمر — وذلك في رأيها بدافع من رقة
مشاعره • وعندما كانوا يخرجون جميعا في نزهة ، كان أبوها ومدامك
— يعرفان دائما كيف يرتبان الأمر بحيث ينفردان معا • ثم يكن هناك
أى شك في أنها كانت تتلقى منه نقودا ، لأنها كانت تنفق أكثر مما كان
يمكن أن تتيحه امكانياتها أو امكانيات زوجها • وأضافت دورا أن
أباها بدأ في تقديم هدايا ثمينة الى مدامك — ، وأنه تغطية لهذا الأمر
بدأ في الوقت نفسه يصبح شديد الكرم مع زوجته ومع دورا نفسها •
وبينما كانت مدامك — فيما مضى عليلة الى حد أنها اضطرت الى أن
تتقى شهورا في إحدى المصحات بسبب اضطرابات عصبية أعجزتها
عن المشي ، فقد غدت الآن موفورة الصحة تفيض بالحيوية •

وحتى بعد أن رحلت الأسرة عن بلدة ب — الى بلدة المصنع ، فان
هذه الغلظة ، التي كان لها من العمر سنوات ، قد استمرت • كان من
عادة أبيها ، بين حين وحين ، أن يعلن عجزه عن تحمل قسوة الجو ،
وأن عليه أن يهتم بنفسه ، ثم يبدأ في السعال والشكوى ، حتى يرحل
فجأة الى بلدة ب — ، ومن هنا كان يبعث اليهم بخطابات تفيض
بالبهجة الى أقصى حد • ثم تكن كل هذه التوجعات الا تعلات ليلتقى
بصديقه من جديد • وذات يوم تقرر أن تنتقل الأسرة الى فينا ،
وبدأت دورا تشك في وجود سبب خفي لهذا القرار • والواقع أنه لم
تكذ تمضي عليهم ثلاثة أسابيع في فينا حتى سمعت دورا بأن عائلة ك —
قد انتقلت هي الأخرى الى فينا • كانوا جميعا في فينا في نفس الوقت
الذي كانت دورا تتحدثني فيه بذلك وكثيرا ما كانت تلتقي في الطريق
بأبيها مع مدامك — • وكانت هي أيضا كثيرا ما تلتقى السيدك — ،
وكان من عادته دائما أن يتابعها بنظراته ، وحين رآها بمفردها تبعها
مسافة طويلة ، حتى يتبين الى أين تذهب ، ويطمئن الى أنها ليست
ذاتبة الى موعد •

وخلال فترة علاجها ، حدث أن ساءت من جديد صحة أبيها ، فسافر إلى بلدة ب — لفضاء بضعة أسابيع ، وما لبثت دورا بثاقب بصيرتها أن استخلصت أن مدام ك — قد رحلت إلى نفس البلدة في زيارة لأقاربها هناك . كانت انتقادات دورا لأبيها في ذلك الوقت قد بلغت أقصاها : انه ليس صادقا ، شخصيته تتسم بالخداع ، لا يفكر الا في متعته ، وهو فذ في ترتيب الأمور بحيث تكون في صالحه على أحسن نحو .

لم أستطع أن أعترض بشيء على اللوحة العامة التي قدمتها لي دورا عن أبيها . فمن زاوية بعينها كان من اليسير أن نتبين أن الانتقادات الفتاة كان لها ما يبررها . فحين كانت تفيض مراره كأن يغلبها الاعتقاد بأن أباهما قد سلمها للسيد ك ثمنا لتعاضد عن العلاقة بين أبيها وزوجته ، وكان حنقها من استغلال أبيها — لها على هذا النحو يتبدى من وراء حجبها له بينما كانت في لحظات أخرى تشعر تماما بأنها قد أذنبت بمغالاتها في التحدث على هذا النحو . فالرجلان بالطبع لم يعقدا قط اتفاقا سميما يجعلها موضوع مناقضة ، وان أباهما بصفة خاصة ليرتاع من مثل هذا الاغتراس . ولكنه كان واحدا من هؤلاء الذين يقتدرون على الافلات من مأزق يتزيف حكمهم الخاص على أحد النقيضين . فلو نبهه أحد ما يمكن أن يكون من خطر على فتاة شابة من صحبتها الدائمة ، ودون رقابة ، لرجل لا يحصل على أى أشباع من زوجته ، لكان من المؤكد أن يجيب على ذلك بأنه واثق من ابنته ، أو بأن رجلا كالسيد ك — لا يمكن بحال أن يكون من خطر على فتاة شابة من صحبتها الدائمة ، ودون رقابة ، لرجل المقصد ، أو بأن دورا ماتزال طفنة وأن السيد ك — يعاملها كطفلة . ولكن الأمور كانت في الواقع على نحو بحيث يتجنب كل من الرجلين أن يستخلص من سلوك الآخر أية نتائج من شأنها أن تفسد عليه خطه . ومن هنا كان من الممكن للسيد ك — مادام بالبلدة أن يبعث إلى دورا بالزهور كل يوم طوال سنة كاملة ، وأن ينتهز كل فرصة ليقدم إليها هدايا ثمينة ، وأن يقضى كل أوقات فراغه في صحبتها ، دون أن يلاحظ أبواها أى شيء في سلوكه ينتسب إلى تودد المغالاة .

وحيث يقدم المريض ، أثناء العلاج التحليلي ، سلسلة من الحجج الرصينة الدامغة ، فقد تستولي على الطبيب لحظة ارتباك ، وقد يسارع المريض إلى استغلالها فيسأله : « كل ذلك صحيح وصادق تماما ، اليس كذلك ؟ فماذا تريد الآن تغييره في ذلك بعد ، ان ذكرته لك ؟ » ولكن لا يابث حتى نتبين أن المريض يستخدم أفكارا من هذا النوع الذي يستحيل مهاجمته بالتحليل ، ليحجب أفكارا أخرى تتوق للافلات من النقد ومن الشعور . ان سلسلة من الانتقادات ضد الآخرين تحمل على افتراض وجود سلسلة انتقادات من نفس النوع ضد الذات . كل ما يلزم هو أن تدير كل نقد من الانتقادات ضد المتحدث ذاته . ثمة شيء آلى ولاشك في هذا الأسلوب من الدفاع عن الذات ضد نقد ذاتي بتوجيه نفس النقد إلى شخص آخر . وثمة نموذج لذلك في حجج الأطفال « أنت أيضا ! » tu quoque ، فاذا ماتعرض طفل للاتهام بأنه كذاب فسوف يجيب دون لحظة تردد : « أنت أيضا ! » أما الراشد فهو اذ يجاهد في رد اساءة ، لا يجعل همه ترديد نفس مضمون الاساءة ، بل يفتش في خصمه عن موطن ضعف حقيقي . وفي البرانونيا يكون اسقاط النقد على آخر ، دون أى تغيير في مضمون هذا النقد ، ومن ثم دون أى اعتبار للواقع ، هو التعبير الصريح عن عملية تكوين الهذيانات .

خذك انتقادات دورا ضد ابئها كن لها دائما بطانتها ومنهله من الانتقادات الذاتية التي لها نفس المضمون ، كما سأوضح بالتفصيل . كانت عني حق في اعتفادها بأن أباه لم يكن راغبا في أن يدمق النظر في سلوك السيدك — تجاة ابنته خشية أن يعكر ذلك علاقتة العشقية مع مدامك — . ولكن دورا نفسها فعلت على اثتحنيد نفس الشيء . فقد جعلت من نفسها شريكه متأمرة في هذه العلاقة ، واستبعدت من وعيها كل شيء من شأنه أن يكشف عن الطبيعة الحقيقية لهذه العلاقة . ولم يبدأ وعيها بالأمر ، وحسابها العسير لأبيها ، ألا أثر المغامرة التي تعرضت لها عند شاطئ البحيرة . فطوال السنوات انسابقة كلها كانت تقدم كل تأييد ممكن للعلاقة بين أبيها ومدامك —

لم تكن تذهب قط إلى مدام ك — متى اعتقدت أن أباهما هناك ، ولكنها
 إذ كانت تعرف بأن الطفلين في هذه الحالة لا بد وأن يكونا خارج
 المنزل ، فانها كانت تتجه بخطواتها التي حيث تنتقي بهما ، فتمضى معهم
 في نزها • وكانت بالمنزل شخصية شديدة أرغبة منذ وقت باكر في أن
 تفتح أعين دورا على طبيعة العلاقة بين أبيها ومدام ك — وفي أن
 تستحثها على أن تتخذ موقفا ضد هذه السيدة • تلك كانت مربيتها
 الأخيرة ، آنسة تقدمت بها السن ، واسعة الاطلاع متحررة التفكير (١)
 ووقد ظلت المعلمة والتلميذة على علاقة ممتازة خلال فترة من الوقت ،
 الى أن شعرت دورا فجأة بالكراهية لها وأصرت على طردها • وطوال
 الفترة التي كن فيها للمربية شيء من النقود ، لم تدخر وسعا في
 تحريك المشاعر ضد مدام ك — كانت توضح لأم دورا أنه مما لا يليق
 بكرامتها أن تسمح بمثل هذه العلاقة الحميمة بين زوجها وامرأة
 أخرى ، وكانت توجه انتباه دورا الى كل المظاهر المريبة لهذه العلاقة •
 ولكن جهودها ذهبت سدى • فقد ظلت دورا على اخلاصها لمدام ك — ،
 لا ترغب في الاستماع الى شيء من شأنه أن يعكر نظرتها الى العلاقة
 بين مدام ك — وأبيها • وكانت دورا من ناحية أخرى تتبين في يسر
 طبيعة الدوافع التي تحرك المربية • كانت عمياء في اتجاه ، ولكنها
 كانت حادة البصر بدرجة كافية في الاتجاه الآخر • كانت تتبين أن
 المربية تعشق أباهما • غفى حضوره كانت المربية تبدو شخصا آخر تماما ،
 كانت تحرف في هذه الحالة كيف تكون مرحة ومتفانية • وعندما كانت
 الأسرة تعيش في بلدة المصنع ولم تكن مدام ك — في الأثق ، كانت
 كراهية المربية تتجه الى أم دورا ، التي كانت عندئذ غريمتها الماثلة •
 والى هنا لم تحمل لها دورا حقدا • فهي لم تحقد عليها الا حين
 تبينت أنها لم تكن بالنسبة للمربية شيئا على الاطلاق ، وأن ما ادعته

(١) كان من عادة هذه المربية أن تقرأ أى نوع من الكتب عن الحياة الجنسية
 والموضوعات المشابهة ، وكايت تتحدث عنها الى الفتاة ، طالبة اليها في نفس الوقت وفي
 حراحة أن لا تنقل شيئا من احاديثها الى ابويها ، لاستحالة معرفة ما يمكن أن يكون
 عليه موقفها من هذه الامور • وقد ظلت بعض الوقت اعتبر هذه المرأة مصدر كل مآلدي
 دورا من معارف سرية ، وربما لم أكن مخطئا تماما في ذلك •

من حب لها كان في ائواقع الأمر الأبيها فعندما كان أبوها بعيدا عن بلدة المصنع لم تكن المربية تمنح شيئا من وقتها لدورا ، غلم تكن ترغب في أن تخرج معها للنزهة ، ولم تكن تحفل بدراستها • ولا يكاد أبوها يعود من بلدة ب — حتى تعود المربية من جديد متأهبة لتلبية أى مطلب وتقديم أية مساعدة لها • عندئذ أسقطتها دورا من حسابها •

لقد ألفت المربية المسكينة ضوا كريها على جانب من سلوك دورا • فما كانته المربية بين حين وحين بالنسبة الى دورا ، كانته دورا بالنسبة الى طفلى السيدك — كانت أما لهما ، قامت على تعليمهما ، خرجت معهما في نزهاة ، وقدمت لهما تعويضا كاملا عن ضالة الاهتمام الذى كانا يلقىينه من أمها • وكثيرا ماتحدث السيدك — وزوجته في أمر الطلاق ، ولكنه لم يتحقق قط ، لان السيدك — ، وهو أب حنون ، لم يكن ليقبل التنازل عن أحد طفلية • كان الاهتمام المشترك بالطفلين منذ البداية رباطا يربط بين السيدك ودورا • وكان من الواضح أن اهتمام دورا بطفليه هو مجرد قناع يجب شيئا آخر تحرص دورا على أن تخفيه عن نفسها وعن الآخرين •

وسواء من سلوك دورا تجاه الطفلين — عند النظر اليه في ضوء سنوك المربية تجاهها — أو من موافقتها الصامتة على علاقة أبيها بمدامك — ، نستخلص النتيجة نفسها ، ألا وهى أنها كانت طوال تلك السنوات فى عشق للسيدك — • وعندما أخبرتها بهذه النتيجة لم تتقبلها • صحيح أنها أضافت فى التور بأن آخرين (على سبيل المثال احدى بنات عمومتها ، وكانت قد مكثت عندهم فترة فى بلدة ب —) قالوا لها : « ما هذا ؟ انك مجنونة بهذا الرجل ! » ، ولكن ثم تستطيع هى نفسها أن تتذكر أية مشاعر من هذا النوع • وفيما بعد ، حين توفرت من المعطيات المتبعثة كمية جعات من الصعب عليها أن تستمر فى الإنكار ، سلمت

بأنها ربما كانت عاشقة للسيدك - في بلدة ب - ، ولكنها أعلنت بأن كل شيء قد انتهى منذ مشهد البحيرة (١) . وعلى أية حال ، كان من المؤكد أن الانتقاد الذي وجهته ائى أبيها ، من أنه كان يصم اذنيه عن أكثر بداءات الواجب الزاما ، ومن أنه كان يرى. الآلامور من أكثر الزوايا ملاءمة لهواه ، هذا الانتقاد كان ينصب على شخصها هي (٢) . أما انتقادها الآخر ضد أبيها فكان مؤداه أن اعتقال صحته ثم يكن غير تعلقة ، وأنه كان يستغله لاغراضه الخاصة . وهذا الانتقاد هو الآخر يخفى قطعا بأسره من تاريخ أسرارها . فذات يوم شكت بشكل ظاهر من عرض جديد ينحصر في آلام قعدية حادة . سألتها : « ترى من الذى تحاكيه الآن ؟ » وتبينت أنى قد أصبت الهدف . ففى اليوم السابق كانت قد زارت ابنتى عمتها ، تلك التى ماتت . كانت الصغرى قد خطبت ، وبهذه المناسبة وقعت الكبرى مريضة بالآلام معدية ، وكانت على وشك ترحيلها الى سمرنج Semmering (٣) . وقد اعتقدت دورا أن الآن هو أن تكون بعيدة عن البيت ، حتى لا يكون عليها أن تشهد سعادة أختها (٤) . ولكن آلام دورا المعدية كانت دثيلا يشهد بتواجدها مع أبنة عمتها ، هذه التى كانت - بحسب قولها - كثير التمارض . وكان أساس هذا التوحد اما أنها كانت هى الاخرى تحسد الفتاة الاسعد حظا على حبها ، واما أنها رأت قصتها تتكرر فى قصة الاخت الكبرى ، هذه التى كانت منذ قليل فى قصة

(١) تارن الحلم الثانى .

(٢) هنا يبرز السؤال : اذا كانت دورا عاشقة للسيدك . فما الملة فى رفضها له فى مشهد البحيرة ؟ او على الاقل ، لماذا اتخذ رفضها هذا الشكل الوحشى ، وكأنها كانت تفيض حنقا عليه ؟ وكيف لفتاة عاشقة أن تستشعر الاهانة من دعوة جاءت فى أسلوب بعيد عن عدم الكياسة أو جرح الاحساس ؟

(٣) (بلجا صحى عصرى الطراز فى الجبال ، على مسافة خمسين ميلا تقريبا الى الجنوب من فينا - هامش الترجمة الانجليزية) .

(٤) تلك ظاهرة تتكرر يوميا بين الشقيقات .

الامر كله لم يكن الا مجرد غيره من جانب الاخت الكبرى ، فقد كانت دائما تقع مريضه كلما رغبت فى شيء ما ، وما كانت ترغب فيه

حب أنتهت نهاية تسعة (١) . ولكنها كانت أيضا قد تعلمت من ملاحظتها لمدام ك — كيف أن تحون الامراض أشيأ نافعة ، فقد كان أنسبك — يقضى جانبا من العام فى السفر . وكان من المألوف لديه كلما عاد من السفر أن يجد زوجته مريضة ، على الرغم من أنها — ودورا تعثم ذلك — كانت فى أتم صحة فى اليوم السابق مباشرة . لقد تبينت دورا أن حضور الزوج يتسبب فى جعل زوجته مريضة ، بل وكان يسرها أن تكون مريضة لتتمكن من الافلات من واجباتها الزوجية التى كانت شديدة المقت لها . وعند هذه النقطة من الحديث اقحمت دورا فجأة اشارة الى ما كان يتناولها فى بلدة ب — من صحة واعتلال خلال السنوات الاولى من شبابها ، وقد جرنى ذلك الى الاظن بأن أحوالها الصحية ينبغى النظر اليها على أنها تتوقف على شىء آخر ، بنفس الطريقة التى عليها فى حالة مدام ك — (ثمة قاعدة فى فنيات التحليل تقتضى بأن الترابطة الداخلية التى ما تزال خبيئة تفسح عن وجودها عن طريق تجاور — تقارب زمنى — للتداعيات ، وكما هو الحال فى الكتابة ، فعندما نضع أ بجانب ب فمعنى ذلك أن المقطع « أ ب » ينبغى أن ينتج عنهما) فدورا انتابها عدد هائل من نوبات السعال المصحوبة بفقدان الصوت . أكان من الممكن أن يكون لحضور أو لغياب الرجل الذى كانت تحبه أثر فى ظهور واختفاء أعراض مرضها ؟ لو كان الامر كذلك ، فينبغى أن يكون من الممكن الكشف عن تلازم أو آخر ينطق بذلك . سألتها عن متوسط طول تلك النوبات . أجابت : « من ثلاثة الى ستة أسابيع تقريبا » . وما طول الفترة الواحدة من غيابات السيدك ؟ — اضطرت الى أن تسلم : « من ثلاثة الى ستة أسابيع أيضا » . وعليه فقد كان مرضها تعبيرا عن حبها للسيدك — تماما كما كان مرض زوجته تعبيرا عن كرهها له . وكل ما كان يلزمنا هو أن نفترض بأنها تحرفت على النحو المضاد لتصرف مدام ك — ، فكانت تمرض أثناء

(١) وسوف ابين فيما بعد أية نتيجة أخرى استخلصها من هذه الامام المعدة .

غيابه ، وتعود اليها صحتها عندما يعود ، ذلك ما بدأ أنه تحقق في التواتح ، على الأقل في الفترة الاولى للنوبات . وفيما بعد ، كان من الضروري ولاشك ازالة التلازم بين نوبات مرضها وغيابات الرجل الذي كانت تحبه سرا ، حتى لا يؤدي التواتر المنتظم لهذا التلازم الى فضح سرها . وعندئذ يكون طول فائزة النوبة قد بقى أثرا متخلفا لدلالته الاصلية .

أذخر أننى منذ وقت طويل ، عندما كنت أعمل فى عيادة شاركو ، رأيت وسمعت كيف أن الكتابة فى حالات الخرس الهمستيري تعمل بشكل تعويضى فى مكان الكلام . كان بوسع المرضى من أصحاب هذه الحالات أن يكتبوا بصورة أيسر وأسرع وأفضل من الآخرين ، بل وأفضل مما كانوا هم أنفسهم يكتبون قبلا . وقد حدث نفس الشئ مع دورا . ففى الايام الاولى من نوبات فقدان الصوت عندها « كانت الكتابة تواتيها دائما ميسرة بشكل خاص » . ولم تكن هناك حاجة فى الواقع لتفسير سيكولوجى لهذه الظاهرة الغريبة ، التى كانت مجرد تعبير عن وظيفة فسيولوجية بديلة حتمتها الضرورة ، ومع ذلك فجدير بالملاحظة أنه كان من اليسير العثور على هذا التفسير . كان من عادة السيدك - أن يكتب اليها فى افاضة أثناء غيابه وأن يبعث اليها ببطاقات بريدية مصورة . وكان من المؤلف أن تكون هى الوحيدة التى تعرف موعد عودته ، وأن يكون وصوله مفاجأة لزوجته . ولأن يتراسل المرء بالكتابة مع صديق غائب لا يستتبع التكلم معه فذلك ما يساوى فى معقوليته رغبة النسوة فى أن يعبر عن نفسه بالكتابة عندما يفقد صوته . وعليه فان فقدان الصوت عند دورا قد أتاح التأويل الرمضى التالى : عندما كان الشخص الذى تحبه غائبا كانت تتخلى عن الكلام فقد الكلام قيمته ما دامت لا تستطيع أن تتكلم « معه » . ومن ناحية أخرى فان الكتابة قد ازدادت أهمية ، اذ غدت الوسيلة الوحيدة للتخاطب مع الحبيب الغائب .

أترانى الآن أمضى فأقرر بأن كل حالة تنتابها نوبات دورية من فقدان الصوت يكون تشخيصها أن شخصا حببنا يغيب عن المريض بين حين وحين ؟ ما أبعد ذلك عن قصدي ! ان الاسباب المحددة للعرض في حالة دورا هي من الامعان في النوعية بحيث لا يمكن أن نتوقع التكرار المتواتر لنفس هذه الاسباب العارضة المولدة للمرض . ولكن اذا كان الامر كذلك ، فما قيمة تفسيرنا لفقدان الصوت في الحالة التي أماننا ؟ ألم نسلم أنفسنا ببساطة لخداعة اللعب بالالفاظ ؟ لا أعتقد ذلك . ها هنا يتحتم علينا أن نثير من جديد السؤال ، الذي كثيرا ما أثير ، عما ان كانت أعراض الهستيريا نفسية الاصل أم عضوية الاصل ، وعما اذا كانت الاعراض - اذا ما سلمنا بصحة الاصل النفسى - ترجع كلها بالضرورة الى أصل نفسى . هذا السؤال - كما هو شأن الكثير من الاسئلة التي يعود البحث الى تناولها المرة بعد المرة دون جدوى - سىء الصياغة . فطرفا الخيار في هذا السؤال لا يجب أيهما على جوهر المشكلة . فكل عرض هستيرى ، بقدر ما أعلم ينطوى على اسهام من كليهما . فالعرض الهستيرى لا يمكن أن يحدث دون أن يتوفر قدر معين من « المهاددة البدنية » نتيجة عملية سوية أو مرضية في عضو من أعضاء البدن أو في ارتباط معه . وهو لا لا يمكن أن يحدث أكثر من مرة - فقدره انعرض على أن يكرر نفسه هي احدى الخصائص المميزة للعرض الهستيرى - الا اذا انطوى على دلالة نفسية ، على معنى والعرض الهستيرى لا ينطوى بذاته على هذا المعنى ، بل انه يعار له ، ويلصق به ان جاز القول . وفي كل حالة من التحالات يمكن أن يختلف المعنى تبعا لطبيعة الإنكسار المكبوحة التي تجاهد لتعبير عن نفسها . ومع ذلك فهناك عدد من العوامل الفعالة من شأنها أن تجعل العلاقات بين الافكار اللاشعورية والعمليات البدنية - التي تجدها تحت تصرفها كوسائل تعبير بها عن نفسها - أقل تعسفية وأقرب ما تكون الى عدد قليل من الائتلافات النمطية . ومن زاوية العلاج النفسى تكون أكثر العوامل أهمية في تهديد

الاعراض هي تلك التى تزودنا بها المعطيات النفسية الطارئة ،
فتفسير الاعراض يتم بالبحث عن دلالتها النفسية • وعندما يتم
التخلص من كل ما يمكن التخلص منه بالتحليل النفسى . نكون فى
وضع يمكننا من اقامة أية فروض — يمكن أن تجيب على الوقائع —
عن الاساس البدنى للأعراض ، والذي هو كقاعدة عامة جبرى
وعضوى • وهكذا فاننا فى حالة دورا لن نقنع بتأويل من التحليل
النفسى لنوبات السعال وفقدان الصوت عندها ، بل سوف نبين
أيضا العامل العضوى الذى كان سبب « المهاددة البدنية » التى
مكنتها من التعبير عن حبها لرجل يغيب بين الحين والحين • واذا كان
العلاقة بين الاعراض التعبيرية والمضمون النفسى الثلاثشعورى أن
تدهشنا بما تتطوى عليه فى هذه الحادثة من براعة الاحتيال ، وسوف
يكون من دواعى سرورنا أن نتبين أن هذه العلاقة تولد
ذينا نفس الانطباع فى كل حالة أخرى ، وفى كل مثال من الامثلة
الممكنة •

وانى أتوقع هنا اعتراضا يوجه الى بأن ليس هناك من نفع كبير
فيما تمخض عنه التحليل النفسى من أن لغز الهستيريا ينبغي البحث
عن حله ، لا فى « شكل خاص من عدم استقرار الجزيئات العصبية » ،
ولا فى قابلية الفرد « لحالات شبيهة النوم المغناطيسى » ، بل فى
« مهادة بدنية » • وفى اجابتي على هذا الاعتراض أود أن أبين بأن
هذه النظرة الجديدة ، نيس فقط ، قد دفعت باللغز الى الوراء بعض
الشيء ، بل انها أيضا قد اضطلعت الى حد ما بتبسيطه • فلن
يكون علينا بعد أن نتناول اللغز كله ، بل فقط هذا الجزء منه الذى
ينطوى على الخاصية المميزة للهستيريا ، التى تجعلها متميزة عن
جميع الاعصبة النفسية الأخرى • فالعمليات النفسية فى كل
الاعصبة النفسية تمضى مسافة طويلة فى نفس الطريق ، قبل أن يبرز
أى تساؤل عن « مهادة بدنية » يمكن أن تتيح للعمليات النفسية
اللاثعورية منفاذا بدنيا • وعندما لا يبرز هذا العامل على المسرح
فأن شيئا آخر غير العرض الهستيرى سوف يتولد من الموقف

تخلى ، ولكنه سوف يكون شيئاً من طبيعة متجانسة — ربما كان ذهاباً (فوبيا) أو حصاراً — باختصار ، عرضاً نفسياً .

أعود الآن الى تهمة انتمازض انتى وجهتها دورا الى أبيها .
نرسس ما أنتصح أن هذا الانتقاد كان راجعا الى انتقادات ذاتية لاتنصب فحسب على حالاتها المرضية الباكرة ، بل أيضا على الحالية . فى مثل هذه الظروف تقع على عاتق الطبيب عادة مهمة الحدس والكمال ما يقدمه إليه التحليل فى صورة اشارات وتلميحات . كان على أن ابنه المريضة الى أن مرضها الحالى كانت تحركة من الدوافع وكان يخفى من الاغراض ، مثلما كان مرض مدام ك — تماما ، وهو المرض الذى استطاعت أن تنتهمه جيدا . قلت لها أن ليس من شك فى أنها كانت تستهدف شيئاً تأمل فى تحقيقه عن طريق مرضها . وهذا الشئ لم يكن من الممكن أن يكون غير صرف أبيها عن مدام ك — لقد فشلت فى البلوغ الى ذلك بالتوسلات والمناقشات ، فربما كانت تأمل فى البلوغ اليه بارهاب أبيها (يؤيد ذلك خطاب الوداع) أو باستئارة شفقتة (تؤيد ذلك نوبات الاعماء) ، أو ان فشلت فى كل ذلك ، فهي على الاقل تنتقم منه . واستطردت قائلاً بأنها كانت تعرف جيدا مدى تعلق أبيها بها ، وأن الدموع كانت تترقرق فى عينيه كلما سألته أحد عن صحة ابنته . كنت أشعر بانقناع تام بأن شفاءها كان يمكن أن يتحقق فى التو لو أن أباهما قال لها نقده بأنه قد ضحى بدمام ك — من أجل صحتها . ولكننى أضفت بأننى آمل بأن لا ينتهى به الامر الى الاقتران بضرورة هذا العمل ، اذ سوف تتبين هى عندئذ أى سلاح خطير تملكه فى يدها ، وسوف لا تتردد بالتأكيد ، فى كل فرصة مقبلة فى أن تستغل من جديد قابليتها للمرض . ومع ذلك فاذا رفض أبوها أن يسلم لها بما تطلبه ، فانى كنت على ثقة من أنها لن تسمح لنفسها بأن تتخلى عن مرضها بسهولة .

سوف أغفل التفصيلات التى أثبتت لى كيف كان ذلك كله صحيحا تماما ، وسأضيف بدلا من ذلك بضعة ملاحظات عامة عن

الدور الذى تلعبه فى الهستيريا دوافع المرض • ان الدافع الى المرض ينبغى تمييزه بشكل قاطع ، بما هو تصور ، عن القابلية للمرض ، أى عن المادة التى تتكون منها الاعراض • فالدوافع ليس لها أى اسهام فى تكوين الاعراض ، وهى فى الواقع لا تكون موجودة فى بداية المرض • فهى لا تظهر الا بعد المرض بشكل ثانوى ، ولكن المرض لا يكتمل صرحه الا بعد ظهور هذه الدوافع (١) • فالدوافع يمكن التأكد من وجودها فى كل حالة يطول أمدها ، وتتطوى على معاناه حقيقية • فالعرض فى البداية يقحم نفسه على الحياة النفسية للمريض كصيف غير مرغوب فيه ، فكل شئ يناهضه ، وذلك هو السبب فى أنه يحتمل أن يختفى بسهولة — من تلقاء نفسه فى الظاهر — بمرور الوقت • فهو فى البداية لا يجد لنفسه وظيفة يؤديها فى الاقتصاديات العادية للنفس ، ولكنه غالبا جدا ما ينجح فى العثور بصفة ثانوية على وظيفة له • فان اتجاها نفسيا أو آخر

(١) (ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣) ليس هذا صحيحا تماما • فالقول بان دوافع المرض لا تكون موجودة فى بداية المرض وانما تظهر بعده بشكل ثانوى ، هذا القول لا يمكن أن نستمر فى الاخذ به • ففى الفقرة التالية مباشرة يدور الحديث عن دوافع الى المرض كانت موجودة قبل تفجر المرض ، واسهمت جزئيا فى تفجره • لقد اهدت فيما بعد الى طريقتة تجيب على الوقائع بشكل أفضل ، وذلك بالتمييز بين الكسب الاولى Pranosic والكسب الثانوى epinosic المستمد من المرض • فالدافع الى المرض هو دائما بلا شك تحقيق كسب ما • وما سيلي من عبارات فى الفقرة الحالية يصدق على الكسب الثانوى • ولكن فى كل مرض عصابي ينبغى أن ننتبين أيضا الكسب الاولى ، أن الواقع ينطوى فى المقام الاول على توفير فى الجهد النفسى ، فالمرض يبرز كافضل حل ممكن من الزاوية الاقتصادية متى كان هناك صراع نفسى (فذبح نحدث عن « هروب فى المرض ») حتى وأن تكشف فيما بعد عدم فاعلية مثل هذا الهروب فى الغالبية العظمى من الحالات • هذا الجانب فى جانب الكسب الاولى يمكن نعتة بالكسب الداخلى أو النفسى • وهو كسب دائم أن جاز القول • ولكن بالاضافة الى ذلك ، فان العوامل الخارجية (من قبل المثال الذى تقدمناه عن موقف امرأة مضطهدة من جانب زوجها) يمكن أن تهيب دوافع الوقوع فى المرض ، وهذه الدوافع هى الجانب الخارجى فى الكسب الاولى •

يمكن أن يجد العرض ملائماً للافادة منه ، وبهذه الطريقة يبلغ
العرض الى الحصول على وظيفة ثانوية له ، ويظل وكأنه ، ان جاز
القول ، يضرب بجذوره في الحياة النفسية للمريض . وهكذا نجد
أن أى شخص يحاول أن يشفيه من مرضه يصطدم . ندهشته ،
بمقومة عاتية ، نعلمه أن رغبة المريض في التخلص من علة ليست
من الصدق والجديه على النحو الذى تبدو عليه (١) . فلنتصوّر
عاملاً من عمال البناء مثلاً ، وقع من أعلى منزل وأصبح مقعداً ،
ويكسب عيشه الآن من التسول عند ناصية طريق . ولنتصوّر
أن رجلاً من صناع المعجزات يحضر اليه ، ويعده بتقويم ساقه
المعوجة بحيث يعيد اليه قدرته على المشى . من غير المعقول في
تصوري أن نتوقع رؤية السعادة المفرطة ترتسم على ملامح الرجل .
ليس من شك في أنه قد شعر وقت الحادث بأقصى التعاسة ، عندما
تبين أنه لم يعد قادراً على أداء أى عمل ، وأن عليه اما أن يموت
جوعاً أو أن يعيش على الصدقة . ولكن منذ ذلك الحين تحول
نفس هذا الشيء الذى كان قد أبعدته عن امكانية العمل فأصبح
المصدر لدخله ، فهو يتعيش من عاهته . فلو سلبناه اياها فقد يصبح
ولا حول له على الاطلاق . فهو في الفترة الفاصلة قد نسى مهنته ،
وفقد عادة الكدح وألف بالتدريج حياة الكسل وربما الشراب
أيضاً .

ان الدوافع الى المرض غالباً ما تبدأ فاعليتها حتى منذ الطفولة .
فالطفل في شرهه للحب لا يسعده أن يكون عليه أن يقتسم مع اخوته
وأخواته حب أبويه . وهو يلاحظ أن حبهما كله ينهال من جديد عليه كلما
أثار فيهما لثقل بوقوعه في المرض . انه يكون بذلك قد اكتشف وسيلة
لاستدرار حب أبويه ، ولسوف يستخدم هذه الوسيلة بمجرد أن يجد
تحت تصرفه المادة النفسية الضرورية لاستحداث مرض . ومتى كبرت
طفلة من هذا القبيل وصارت امرأة فقد تجد كل المتطلبات التى كانت

(١) هناك كاتب أديب هو الى ذلك أيضاً طبيب ، ويدعى آرثر شنتزلر
A Schnitzler عبر أصدق تعبير عن هذه الفكرة في كتابه Paracelsus

تألفها في طفولتها معوقة عن الاشباع بسبب زواجها من رجل لا يحفل بها ، يلغى ارادتها ، ويستغل في غير رحمة قدرتها على العمل ، ولا يبذل لها من حبه أو من مائه . في هذه الحالة يصبح المرض سلاحها الوحيد لتوكيد ذاتها في الحياة . وسوف يتيح لها الرعاية التي تصبو اليها ، وسوف يرغم زوجها على أن يضحى بالمال من أجلها ، وعلى أن يبذل لها الاهتمام ، مما كان يستحيل أن يفعله عندما كانت تتعم بصحتها ، وسوف يرغمه المرض ، اذا ما برئت ، على أن يكون حذرا في معاملته لها ، والا فان السقوط في المرض من جديد يترتب له . وسوف تبدو حالتها المرضية موضوعية ولا ارادية ، وسوف يكون الطبيب نفسه الذي يقوم على علاجها الشاهد على ذلك ، وبفضل ذلك لن تعاني أحاسيس الندم الشعورية بسبب استخدامها الناجح لوسيلة تبينت فاعليتها في سنوات طفولتها .

ومع ذلك فالامراض من هذا القبيل هي نتيجة قصد . فهي كقاعدة عامة تستهدف شخصا بعينه ، وهي بالتالي تختفى باختفاء هذا الشخص . ان أكثر الآراء فجاجة وشيوعا عن طبيعة الاضطرابات الهستيرية — من قبيل مانسمعه من أقارب المرضى وممرضيهم من محدودى الثقافة — لهى من وجه ما صادقة . فمن الصحيح أن المرأة المشلولة طريحة الفراش تثب منتصبه على قدميها لو أن طفلها وقع فريسة مرض خطير أو لو أن كارثة تهددت ظروفها الاسرية . فالناس الذين يتحدثون عن المرضى بهذا الأسلوب هم على حق اللهم الا في نقطة واحدة : فهم يغفلون التفرقة السيكلوجية بين ما هو شعورى وما هو لا شعورى . وهذا الغفال يمكن أن يكون جائزا في حالة الأطفال ، ولكنه غير جائز في حالة الراشدين . ذلك هو السبب في أن كل التوكيدات بشأن « المسألة هي مجرد ارادة » ، وكل عبارات التشجيع ، وكل كلمات الاتهام بسوء الاستغلال التي توجه الي المريضة ليس لها من جدوى . فلا مناص من أن نضطلع أولا بمحاولة — بالطرق الالتفافية للتحويل — لاقتناع المريضة نفسها بأن لديها في أعماقها قصدا لأن تكون مريضه .

ان النضال ضد الدوافع الى المرض لهو ممكن الضعف بالنسبة الى كل الطرائق العلاجية في حالة الهستيريا . يصدق ذلك تماما بصفة عامة، كما يصدق أيضا على التحليل النفسى ومن هذه الزاوية فان مهمة التقدر أيسر بكثير فهو ليس بحاجة الى أن يشغل نفسه ، لاجبلة المريض ولا بالأحداث المولدة لمرضة ، فكل ما عليه أن يزيل دافعا الى المرض . فبيرأ المريض من مرضه بصفة مؤقتة ، وأحيانا بصفة دائمة . ما أكثر ماكانت تقل الشفاءات الاعجازية ، والاختفاءات التلقائية للأعراض ، التى كان علينا نحن الأطباء أن نسجلها في حالات الهستيريا ، لو أنه قد أتاحت لنا في الغالب نظرة الى الاهتمامات البشرية التى يحتفظ بها المرضى خبيثة عنا ! ففى حالة ، فترة بعينها من الوقت قد انقضت، وفي حالة ثانية ، اهتمام بشخص ماقد توقف ، وفي حالة ثالثة ، الموقف — بفعل حدث خارجى — قد تغير بصورة أساسية — وعندئذ فان الاضطراب برمته ، الذى كان حتى الآن مستعصيا الى أقصى حد ، يختفى دفعة واحدة ، وذلك فى الظاهر من تلقاء نفسه ، ولكن فى الواقع لأنه فقد أقوى دافع له ، ونعني احدى الوظائف التى كان يضطلع بها فى حياة المريض .

ان الدوافع التى تدفع المريض الى أن يمرض قد يمكن العثور عليها فى جميع الحالات التى اكتمل تطورها . ولكن ثمة حالات تكون فيها الدوافع داخلية صرفه — من قبيل الرغبة فى معاقبة الذات ، أى الرغبة فى الندم والتكفير به وسوف نجد أن المشكلة العلاجية تكون أيسر بكثير على الحل فى مثل هذه الحالات عنها فى الحالات التى يكون فيها المرض مرتبطا بتحقيق هدف خارجى . ففى حالة دورا كان ذلك الهدف ، بشكل واضح ، هو أن تحرك قلب أبيها وان تبعده عن مدام ك لمان شىء من أبيها أثار شعور المرارة عندها كما أثاره فيما يبدو تشبته باعتبار مشهد البحيرة من صنع خيالها . كانت تكاد تنقد صوابها كلما خطر لها ظن أبيها بأنها أتت من محض خيالها بشىء فى هذه المناسبة . ولقد ظللت مدة طويلة متحيرا فى تبين ما عساه أن يكون هذا اللوم الذاتى الذى يختفى وراء دحضها الحار لهذا التأويل للحادث

كان من حقنا أن نشك في وجوده شيء خبيء ، إذ إن التهمة التي لا يكون هناك ما يسند لها لاتحدث اهانة يطول استمرارها • ومن ناحية أخرى فإني خلصت إلى أن رواية دورا لا بد وأنها تطابق الواقع في كل تفصيلاتها • فلم تكده تدرك مقصد السيد ك — حتى سارعت ، دون أن تتيح له أن يكمل كلامه ، فصفعته على وجهه وهرولت مبتعدة • ولا بد وأن سلوكها قد بدأ للرجل بعد ، أن تركته ، مستعلقا على فهمه استغلقه على فهمنا ، إذ لا بد وأنه كانت قد اجتمعت له منذ وقت طويل من الدلائل الصغيرة التي لاحصر لها ماجعله على ثقة من حب الفتاة له • وعندما نتناول الحلم الثانى لدورا فسوف نعثر على حل هذا اللغز ، كما سنعثر أيضا على اللوم الذاتى الذى فشلنا حتى الآن في الكشف عنه :

وحيث أنها ظلت تكرر اتهاماتها ضد أبيها في رتابة تبعث على التعب ، وحيث أن سعالها ظل مستمرا في نفس الوقت ، فقد تأديت إلى الاعتقاد بأن هذا العرض يمكن أن ينطوى على دلالة ترتبط بأبيها • وفيما عدا ذلك فإن الشروط التى درجت على اعتبارها ضرورية لتفسير عرض ما ، كانت ماتزال بعيدة عن أن تتوفر بشكل يبعث على الرضا • وبحسب قاعدة أكدتها لى الخبرة ، المرة تلو المرة وأن لم يجتزىء بعد ، على تنصيصها مبدأ عاما ، فإن العرض يعنى تمثيل — تحقيق — أخيوالة مضمونها جنسى ، أى أنه يعنى موقفا جنسيا • وبتعبير أدق فإن دلالة واحدة على الأقل من بين دلالات العرض هى تمثيل أخيوالة جنسية ، ولكن تحديدا كهذا لا يفرض نفسه على مضمون الدلالات الأخرى • وكل من يمارس التحليل النفسى سرعان ما يكتشف أن للعرض أكثر من دلالة ، وأنه يضطلع في نفس الوقت بتمثيل عدة عمليات نفسية لاشعورية • وأود أن أضيف بأنه في تقديري يندر أن عملية نفسية لاشعورية أو أخيوالة لاشعورية تكن بمفردها لتوليد عرض •

وسرعان ما سنحت فرصة لتفسير سعال دورا العصبى بهذه الطريقة ، أى بالرجوع إلى موقف جنسى أخيوالى • فلقد عادت تلح

من جديد على أن مدام ك - لم تكن تحب أباهها الا لأنه كان
ein vermögander Mann رجل قدرة) • ولقد تأدت بي بعض دقائق
طريقتها في الكلام (مما أغفله هنا ، اغفالي لمعظم العناصر الأخرى من
الفنيات الصرفة للتحليل) الى أن أثبتت من وراء هذه العبارة أن
نقيضها يكمن مختبئا ، وهو على وجه التحديد، أن أباهها كان
(رجلا بلا قدرة) (١) • لم يكن من الممكن فهم ذلك الا بالمعنى الجنسي
- أى أن أباهها كرجل كان بلا قدرة ، كان عاجزا جنسيا • ولقد أيدت
دورا هذا التفسير استنادا الى معارفها الشعورية ، وعندئذ أبرزت
لها ما كانت فيه من تناقض ، اذ أنها من ناحية استمرت تصر على أن
علاقة أبيها بدمام ك - هى علاقة عشق مبتذلة ، واذا أنها من ناحية
أخرى قررت أن أباهها كان عاجزا جنسيا ، أو بعبارة أخرى كان عاجزا
عن الاضطلاع بعلاقة من هذا النوع • ولقد كشفت اجابتها عن أنها
لم تكن بحاجة ائى التسليم بهذا التناقض • فقد قالت أنها تعرف
تماما أنه توجد أكثر من طريقة للحصول على الاشباع الجنسية •
(ومع ذلك فان مصدر هذه المعلومات قد عجزنا مرة أخرى عن تبينه)
سألته ما أن كانت تقصد استخدام أعضاء غير الأعضاء التناسلية في
الاتصال الجنسي ، فأجابت بالايجاب • وعندئذ كان بوسعى أن
أضيف بأنه لا بد وأنها تفكر - في هذه الحالة - على وجه التحديد في
هذه الأجزاء من البدن التى كانت عندها في حالة استثارة : الحلق
والتجويف الفمى • وبكل تأكيد لم تكن لترغب فى المضى الى هذا الحد
فى التعرف على أفكارها ، والواقع أنه اذا كان للعرض أن يتحقق على
الاطلاق فقد كان من الضروري أن لا تكون على بينة تماما من هذا
الأمر • ولكن النتيجة اللازمة لم يعد منها مناص ، فقد كانت بسعالها

(١) كلمة Unvermögand تعنى حرفيا « عدم القدرة » ويشيع
استخدامها فى المعنيين كإيهما : « عديم القدرة ماليا » و « عديم القدرة جنسيا »
- هامش الترجمة الانجليزية •
(فى الالمانية كلمة Vermögen تعنى حرفيا « عدم القدرة » ويشيع
و « قدرة جنسية » هامش الترجمة الفرنسية •)

التشجى — الذى كان كما هو مألوف راجعا من حيث سببه المثير الى تهيح في حلقها — تمثل لنفسها مشهد اشباع جنسى عن طريق الفم Per os بين الشخصين اللذين كان عشقهما يشغل ذهنها بلا انقطاع . وبعد وقت جد قصير من تقلبها الصامت لهذا التفسير اختفى سعالها الامر الذى يتفق تماما مع وجهة نظرى ، ولكى لأرغب فى أن أعطى أهمية زائدة لهذا التطور ، اذ أن سعالها كثيرا ما كان يختفى من قبل بصورة تلقائية .

هذا الجانب الصغير من التحليل ربما أثار فى القارىء الطبيب — بالاضافة الى عدم التصديق الذى هو حق له — مشاعر الدهشة والاستشناع . وانى على استعداد الآن لتفحص هاتين الاستجابتين، كيما نتبين ما أن كان هناك مايررهما . فالدهشة ترجع الى اجترائى على التحدث فى مثل هذه الموضوعات الحساسة والكريهة مع فتاة يافعة — أو حتى أية امرأة تمارس الحياة الجنسية . أما الاستشناع فيرجع بالتأكيد الى أن فتاة عديمة الخبرة يمكن أن تكون على علم بمثل هاتيك الممارسات ويمكن أن ينشغل خيالها بذلك . وبالنسبة الى هاتين النقطتين فانى أوصى بالحرى بالاعتدال والتأمل . فليس فى الواحدة أو الأخرى مايبعث غنى الحنق . فبوسع الرجل أن يتحدث الى الفتيات والنساء فى المسائل الجنسية من كل نوع ، دون أن يسبب لهن أذى، ودون أن تلحق به أية شبهة ، طالما انتهج فى المقام الأول أسلوبا معينتا فى الاضطلاع بذلك ، واستطاع فى المقام الثانى أن يبلغ بهن الى الاقتناع بأن الأمر لا مناص منه . ان طبيب أمراض النساء لايتردد فى مثل هذه الظروف فى أن يفرض عليهن كل مايمكن من ضروب التعرية ، وخير أسلوب للتحدث فى مثل هذه المسائل هو الجاف المباشر ، وهو فى نفس الوقت أبعد مايكون عن الأسلوب الداعر الذى يتم به تناول هذه المسائل فى « المجتمع » ، والذى تألف تماما الفتيات والنساء على السواء سماعه فى العادة . انى أسمى أعضاء البدن والعمليات البدنية بمصطلحاتها الفنية ، وأقدم للمريضة هذه المصطلحات اذا

ماكانت غير معروفة لديها : J'appelle un chat un chat (١) (أفنى أسمى القطعة قطة — أى أسمى الشيء باسمه) • لقد سمعت بابتأكيد عن البعض — من الأطباء وغير الأطباء — الذين يستشعرون العار ازاء طريقة علاجه تجري فيها مثل هذه الأحاديث ، والذين على ما يبدو يحسدونني ومرضاى على التلذذ الشهوى الذى لا يبد وأن تنتجته مثل هذه الطريقة • ولكن « وقار » هؤلاء السادة أعرفه الى الحد انذى لا يحرك فى ساكننا • ولسوف اتجنب مااستشعره من غواية الكتابة للسخرية منهم • وحسبى أن اذكر شيئا واحدا • بعدما أمضى فترة من الوقت فى علاج مريضة لم يكن من اليسير عليها فى البداية أن تتقبل التحدث فى المسائل الجنسية ، فعالبا ما كان يتاح لى الاستماع اليها وهى تتعجب : « ولم لا ؟ أن طريقتك هى فى نهاية الامر أكثر وقارا من حديث السيد س ! »

مامن أحد يستطيع أن يضطلع بعلاج حالة هستيريا مالم يكن مقتنعا باستحالة تجنب الحديث فى المسائل الجنسية ، أو مالم يكن على الأقل منفتحا لأن يقتنع بالخبرة • فى الاتجاه الصحيح هو :
Pour faire une omelette, il faut casser des oeufs

(٢) (لصنع عجة لا بد من كسر بيض) • والمرضى أنفسهم يقتنعون فى يسر • وليست الفرص لتحقيق ذلك أثناء العلاج الا أكثر مما يلزم • ليس هنالك من داع لاستشعار أى حرج من مناقشة وقائع الحياة الجنسية السوية أو غير السوية معهم • واتباع قليل من الحرص ، يكون كل ما يحدث هو أننا نترجم الى أفكار شعورية ماكان بالفعل معروفا فى الملائشعور ، هذا الى أن كل فاعلية العلاج تتوقف فى نهاية الأمر ، علن معرفتنا بأن الوجدان المرتبط بفكرة لاشعورية يعمل بصورة أكثر قوة ، وبالنظر الى استمالة كفة — بصورة أكثر ضررا ، من الوجدان المرتبط بفكرة شعورية • فليس هناك على الاطلاق خطر

(١) (العبارة بالفرنسية فى الاصل الالمانى — المترجمون)

(٢) (العبارة بالفرنسية فى الاصل الالمانى — المترجمون)

افساد فتاه عديمة الخبرة • فحيث لا توجد معرفة بالعمليات الجنسية ، حتى في اللاشعور ، فلن ينشأ أى عرض هستيرى ، وحيث توجد الهستيريا فثمن يكون هناك عندئذ أى « طهر فى المشاعر » بالمعنى الذى يقصده الآباء والمربون : فمع أطفال العاشرة أو الثانية عشرة أو الرابعة عشرة ، من الصبية ومن البنات على السواء ، اقتنعت بأن صدق هذه القاعدة يمكن التعويل عليه بلا استثناء •

وفيما يتصل بالاستجابة الانفعالية الثانية ، استجابة الاستئناس وهى غير موجهة ضدى هذه المرة ، بل ضد مريضتى — على فرض أن نظريتى صحيحة وهى الاستجابة التى تعتبر الطبيعة المنحرفة لاخاييلها امرا شنيعا ، فانى أود أن أؤكد القول بأن ليس لرجل انطب أن يزج بنفسه فى مثل هذه الأدانة الحماسية • وأود أن أضيف بهذه المناسبة بأن ليس هناك من داع حين يكتب طبيب فى انحرافات الغزائر الجنسية لأن ينتهز كل فرصة ليزج فى النص بعبارات تنطق بتقززه الشخصى من مثل هذه الأمور المحنقة • اننا أمام واقعة ، دى المأمول مع الوقت أن نألفها متى طرحنا جانبها مذاقاتنا الشخصية • ينحتم علينا أن نتعلم كيف نتحدث فى غير طرح عن مانسميه بالانحرافات الجنسية — وهى الحالات التى تنتهك فيها الوظيفة الجنسية حدودها ، سواء فيما يتصل بالعضو البدنى المعنى أو بالموضوع الجنسى المتلقى • أن ميوعة الحدود التى تحدد ماينبغى تسميته بأحياة الجنسية السوية ، عندما نضع فى اعتبارنا مختلف الشعوب ومختلف العصور ، ينبغى أن نكسبون بذاتها كافية لتهدئة المغالين فى الحماسة • وليس لنا بالتأكيد أن ننسى أن أكثر الانحرافات اثاره لاشمئزازنا ، وهو الحب الشهوى بين رجل ورجل ، لم يكن فحسب يلقى التسامح من شعب تغلو ثقافته على ثقافتنا بكثير ، وهو الشعب الأفريقى ، بل كان يضطلع عندهم بوظائف اجتماعية هامة • وكل واحد منا فى حياته الجنسية الخاصة ينتهك بدرجة طفيفة — حيننا فى هذا الاتجاه وحيننا فى ذاك — هذه الحدود الضيقة المفروضة عليه بوصفها معيار السوية • ان الانحرافات لاهى بالحيوانية ، ولاهى بالانحلالية ، بالمعنى الانفعالى الكلمة • فهى

صور متطورة لبذور ينطوى عليها الاستعداد الجنسى اللامتياز عند الطفل وهي البذور التى ينتهى بها الأمر ، متى قمعت أو حرفت الى أهداف أعلى لاجنسية أى متى أعليت - الى توفير الطاقة اللازمة لعدد كبير من اتجازاتنا الحضارية ، وعليه ، فعندما يصبح شخص ما بشكل صريح وخشن منحرفا ، فمن الأصح أن نقول انه قد ظل منحرفا ، لأنه يكشف عن توقف النمو عند مرحلة بعينها ، وكل العصابين هم أشخاص لديهم ، بشكل جيد بارز ، نزعات انحرافية تعرضت للكبت أثناء نموهم فغدت لاشعورية . ومن هنا فسان اخييلهم اللاشعورية تكشف على وجه التحديد عن نفس المضمون الذى تكشف عنه الأفعال الواقعية التى سجلتها الدراسات عند المنحرفين ، حتى وأن لم يكن قد أتيح لهم أن يقرأوا كتاب كرافت ابنج

Psychopathia Sexualis

(السيكوباتية الجنسية) هذا الذى يعزو اليه السذج من الناس مثل هذا القدر الهائل من المسئولية فى احداث النزعات المنحرفة . فالأعصبة هى أن جاز القول ، التوجه السلبي للانحرافات . فعند العصابين تعمل جبلتهم الجنسية ، بما فيها من تأثيرات الوراثة فى أتتلاف مع أية تأثيرات عارضة فى حياتهم قد يكون من شأنها أن تنال بالاضطراب نمو الجنسية السوية . فالإياه عندما يعترضها عائق فى مجرى النهر تنسد وتفيض مرتده الى الوراثة فى مجار قديمة ، كان من المفروض فيما مضى أن الأمر سينتهى بها الى جفاف . ان القوى الدافعة التى تؤدى الى تكوين الاعراض الهستيرية تستمد طاقتها ليس فحسب من الجنسية السوية المنكبته بل أيضا من نزعات الانحراف اللاشعورية (١)

(١) كتبت هذه الملاحظات عن الانحرافات الجنسية قبل ظهور المؤلف الممتاز لبيلوغ بسنوات .

Bloch, J .. Beirsage Zur Atiologie der Psychopathia Seualis,

1902 - 3

(بلوغ . أسهام فى الاسباب المولدة للسيكوباتية

الجنسية) . انظر أيضا كتابى ثلاث مقالات فى نظرية الجنس ، الذى نشر هذا العام (١٩٠٥) . (وانظر الترجمة العربية بقلم د . سامى محمود على ، دار المعارف ، ١٩٠٥ - المترجمون)

ان أقل الأشكال اثارا للاشمئزاز من بين مايسمى بالانحرافات الجنسية هي ظواهر واسعة الانتشار جدا بين جميع السكان ، كما نعلم نحن جميعا باستثناء الاطباء الذين يكتبون في الموضوع • أو ، هم جميعا على علم بها أيضا ، ولكنهم فقط يحرصون على نسيانها في اللحظة التي يتناولون فيها اقلامهم للكتابة عنها • ومن هنا فليس هناك مايبعث على العجب في أن فتاتنا الهستيرية ذات التسعة عشر عاما ، وقد سبق لها أن سمعت عن استخدام مثل هذا الأسلوب في الاتصال الجنسي (مص القضيب) ، قد استحدثت أخيوالة لاشعورية من هذا القبيل ، وترجمت عنها بتهيج حلقها بسعالها • قل وليس هناك أيضا ما كان ممكن أن يبعث على العجب الشديد ، لو أنها قد تأدت الى مثل هذه الأخيوالة ، حتى دون أن تحصل على أية استشارة من مصادر خارجية - وهو أمر تبينته بكل تأكيد عند مريضات أخريات • ذلك أنه في حالة دورا كانت هناك واقعة جديرة بالملاحظة ، هيأت الشرط البدني الضروري السابق للظهور التلقائي لأخيوالة تتطابق مع ممارسات المنحرفين • كانت تذكر جيدا أنها كانت في طفولتها « مصاصة ابهام » • وقد تذكرها أبوها ، هو الآخر ، أنه قد خلصها من هذه العادة بعد ما تشبثت بها حتى عامها الرابع أو الخامس • وكانت دورا نفسها تحتفظ بصورة حية لمشهد من طفولتها الباكرة حيث كانت تجلس على الارض في زاوية تمص ابهامها الأيسر ، بينما كانت في نفس الوقت تجذب بيدها ائيمنى بشكل ايقاعى حلمة اذن أخيها ائذى يجلس في هدوء ائى جوارها وهذا مثال على شكل مكتمل للاشباع ائذاتى عن طريق المص ، على نحو ماوصفته لى أيضا مريضات أخريات ممن أصبحن كذلك فاقدرات للحساسية الجنسية وهستيريات وقد قدمت لى واحدة من أولئك المريضات معلومات تلقى ضوءا واضحا على أصل هذه العادة العجيبة • لم تكن هذه المرأة الشابة قد توقفت قط عن عادة المص • كانت تحتفظ بذكرى من طفولتها ، ترجع بحسب رأيها الى النصف الاول من عامها الثانى، حيث رأت نفسها تمص ثدى مرضعتها ، وفى نفس الوقت تشد بشكل ايقاعى حلمة اذن مرضعتها • وما من أحد فيما أعتقد يميل الى أن يجادل في أن الغشاء المخاطى للشفتين

والفم ينبغي اعتباره منطقة شبقية أولية ، بالنظر الى أنها تظل تحتفظ بهذه الدلالة الباكرة في فعل التقبيل ، هذا انذى يعتبر سويا . وهكذا فان النشاط الغريزي لهذه المنطقة الشبقية في سن باكر يحتم الظهور اللاحق لمهاودة بدنية في مجرى الغشاء المخاطى الذى يبدأ من الشفتين . ومن هنا ، ففى الوقت الذى يصبح فيه الموضوع الجنسى الحق — أى القضيب — معروفا بالفعل ، يمكن أن تنشأ ظروف تعمل مرة أخرى على الزيادة من استثارة المنطقة الفمية ، التى احتفظت — كما رأينا — بطابعها الشبقى . عندئذ لا يحتاج الامر الا لاقل القليل من قوة الابداع لاحلال الموضوع الجنسى الحالى (القضيب) محل الموضوع الاصلى (الحلمة) ، أو محل الاصبع الذى كان قد حل محل الحلمة بعد ذلك ، ولوضع الموضوع الجنسى الحالى فى ذلك الموقف الاصلى الذى تحقق فيه الاشباع فى البداية . ومن ثم نرى أن هذه الاخيولة المنحرفة والمنفرة الى أبعد حد ، أخيوولة مص القضيب ، ترجع الى أصل أشد ما يكون طهرا . فهى طبعة جديدة لا يمتز وصفه بالانطباع قبل التاريخى لمص ثدى الام أو المرزعة — وهو انطباع يتم فى العادة انبعائه برؤية الاطفال يرضعون . وكثيرا ما يلعب ضرع البقرة بشكل فعال دور الصورة الوسيطة بين الحلمة والقضيب .

أن التفسير الذى عرضنا له الان لاعراض الحلق عند دورا ، يمكن أيضا أن يثير ملاحظة أخرى . فمن الممكن أن نتساءل كيف لهذا الموقف الجنسى الاخيولى عندها أن يتناغم مع تفسيرنا الآخر للاعراض . والتفسير الآخر — كما نذكر — مؤداه أن ظهور واختفاء الاعراض كانا ترجمة عن غياب وحضور الرجل الذى كانت تحبه ، وكان ذلك ، بالمقارنة مع سلوك زوجته ، يعبر عن الفكرة التالية : « لو أننى كنت زوجته ، لاحبته بشكل مختلف تماما ، لكنت أقع مريضة (من الصباة) عند غيابيه ، ولكنت أعود الى العافيه (من الفرحة) عندما يعود الى من جديد . » على مثل هذا الاعتراض يتحتم على أن أجيب بأن خبرتى فى تفهم الاعراض النهستيرية قد كشفت لى عن أنه ليس من الضرورى أن تلتئم كلها فى كل مترابط .

فيكفي أن تكون الوحدة هي وحدة الموضوع الذي تولدت عنه كل
 الاخاييل المباشية . ومع ذلك ، فحتى التناغم من النوع الاول ليس
 بمنعدم في الحالة التي نحن بصدددها . فاحدى الداليتين تنتسب
 بدرجة أكبر الى السعال بينما تنتسب الاخرى بالحرى الى فقدان
 الصوت والطابع الدورى للاضطراب . وربما كان بوسع تحليل أمعن
 أن يكشف عن عدد أكبر بكثير من العوامل النفسية المحددة ندقائق
 المرض . ولقد تبينا من قبل أن عرضا واحدا وبعبينه يترجم في نفس
 الوقت ، وبصورة منتظمة تماما ، عن دلالات عديدة . ويمكننا الآن أن
 نضيف أن العرض يمكن أن يترجم على التعاقب عن دلالات عديدة فعلى
 مر السنين يمكن للعرض أن يغير دلالاته ، أو يغير ، دلالاته الاساسية
 أو يمكن للدور القيادي أن ينتقل من دلالة
 الى أخرى . ويبدو الامر وكأن هناك نزعة الى المحافظة في طبيعة
 العصاب من شأنها أن تضمن لعرض ، متى تكون ، أن يستمر — ما أمكن
 — في البقاء ، حتى وان كانت الفكرة اللاشعورية التي كان العرض
 يترجم عنها قد فقدت أهميتها . ولكن ليس ثمة صعوبة في تقديم
 تفسير لمثل هذه النزعة الى استبقاء العرض على أساس ميكانيكى .
 ان استحداث عرض من هذا القبيل لهو من الصعوبة ، اذ أن ترجمة
 استثاره نفسية صرفه الى اللغة البدنية — وهى العملية التي اسميتها
 التبدين — تتوقف على توفر عدد عديد من الشروط المواتية ، واذا أن
 المهاددة البدنية اللازمة لهذا التبدين هى من صعوبة المنال ، بحيث أن
 الحفزة الى أفراغ استثاره لاشعورية تحاول ما أمكن الافادة من أى
 مسرب للافراغ يكون قائما بالفعل . فيبدو أن استحداث عرض تبدينى
 جديد هو أصعب بكثير من إقامة ممرات من التداعى بين فكرة
 جديدة تتطلب الافراغ والفكرة القديمة التي لم تعد بحاجة
 للافراغ . وتنساب الاستثارة من مصدرها
 الجديد عبر هذه الممرات التي تكونت الى المنطق القديم للافراغ
 لتتصب في العرض ، وكأنها بلغة الانجيل نبىذ جديد في زقاق عتيقة .
 وقد توحي هذه الملاحظات بأن الجانب البدنى من العرض الهستيرى
 هو أكثر جانبيه استقرارا وأستعصاء على الأبدال ، بينما جانبه

النفسي هو الأكثر تغيرا وسهولة في العثور له على بديل . ومع ذلك فلا ينبغي لنا أن نحاول استخلاص شيء من هذه المقارنة ، عن الأهمية النسبية لكل من الجانبين . فمن زاوية العلاج النفسي يتحتم أن يكون الجانب النفسي هو الأكثر أهمية .

ان التكرار الذي لم ينقطع من جانب دورا لنفس الأفكار عن علاقة أبيها بمدام ك - قد أتاح للتحليل أن يبلغ إلى كشف آخر جديد وهام .

مثل هذه السلسلة من الأفكار يمكن أن نصفها بأنها قهارة ، أو علي نحو أفضل ، بأنها تتسم بالتعزيز ، أو بأنها « متسلطة » بحسب تعبير فريشيه Wernicke . فهي تكشف عن طابعها المرضي ، علي الرغم من مضبوئها المعقول في الظاهر ، بهذه الخاصية الفريدة ، وهي أنه مامن جهد شعوري وأرادى كائنا ماكان قدره من جانب المريضة يستطيع أن ينال منها أو يزيلها . أن سلسلة سوية من الأفكار ، مهما كانت شدتها ، يمكن في نسبة الأمر التحكم فيها . كانت دورا تشعر تماما بأن أفكارها عن أبيها تحتاج إلى طريقة خاصة في الحكم عليها . ولطالما تردد أنينها : « ليس بوسعى أن أفكر في شيء آخر . انى أعرف مايردده أخى من أننا نحن الاطفال ليس من حقنا أن نتقد هذا السلوك من أبينا . فهو يعلن بأن ليس لنا أن نشغل أنفسنا بذلك ، بل وربما كان لنا أن نسعد بأنه قد عثر على امرأة يستطيع أن يجبها ، مادامت ماما تسيء فهمه إلى هذا الحد . بوسعى تماما أن أفهم ذلك ، وكان بودى أن أفكر بنفس الطريقة كأخى ، ولكننى لأستطيع . لايمكننى أن أغفر له ذلك . » (١)

والآن ، ما الذى يمكن فعله في مواجهة فكرة متسلطة كهذه ، بعد ماعرفنا الأسس الشعورية التى تستند إليها ، وعدم جدوى الاحتجاجات الموجهة ضدها ؟ ان التأمل يتأدى بنا إلى أن هذه السلسلة من الأفكار

(١) أن فكرة متسلطة من هذا النوع غالبا ما تكون ، بالإضافة إلى اكتئاب عميق ، العرض الوحيد للحالة المرضية التى عادة ما تسمى « السوداوية » ، والتي يمكن مع ذلك استبحلاؤها بالتحليل النفسى كالهستيريا .

القهارية لابد وأن يكون تعزيزها راجعا الي اللاشعور . فلا يمكن لأي جهد فكري أن ينال منها ، أما لأنها هي نفسها ترجع بأصلها عميقا في اللاشعور الي أفكار مكبوتة ، وأما لان فكرة لاشعورية أخرى تكمن خبيثة وراءها ، وفي الحالة الأخيرة تكون الفكرة الخبيثة في العادة مضادة بشكل مباشر لفكرة المتسلطة . والفكرتان المتضادتان تكونان دائما في صلة وثيقة الواحدة بالأخرى ، وغالبا مايتزاوجان على نحو بحيث تكون احدهما شعورية بشكل مسرف ، بينما تظل قرينتها المضادة مكبوتة ولاشعورية . وهذه العلاقة بين الفكرتين هي نتاج عملية الكبت ذلك أن الكبت غالبا مايتحقق عن طرق تعزيز مسرف للفكرة المضادة لتلك التي يحتم كبتها . وأنبى اسمى هذه العملية تعزيزا مضادا ، كما اسمى الفكرة التي تلقى التوكيد بشكل مسرف في الشعور ، والتي (كما هو الحال في الأحكام القبلية) يستحيل زحزحتها ، فكرة مضادة وعندئذ فان الفكرتين المتضادتين يكون عمل أحدهما من الأخرى أشبه ما يكون بأبرتى جلفانومتر عديم التأثير بالجاذبية الارضية من جراء تناظرهما . فالفكرة المضادة تبقى على الفكرة لما تهجنة تحت الكبت عن طريق زيادة معينة في الشدة ، ولكنها هي نفسها بسبب ذلك « تتوحد » وتتحصن ضد الجهود الشعورية للفكر . ومن ثم تكون الوسيلة لتجريد الفكرة المتسلطة من شدتها هي أن نجلب الي الشعور الفكرة اللاشعورية التي تضادها .

وينبغي أيضا أن نكون على استعداد لأن نلتقى بحالات ترجع فيها الشدة المسرفة للفكرة ، لا الي واحد فقط من هذين السببين ، بل الي تآزرهما معا . ويمكن أيضا لتعقيدات أخرى أن تحدث ، ولكن يظل ممكنا ادخالها بسهولة ضمن هذا المخطط العام . .

لنطبق الآن نظريتنا على المثال الذي تقدمه لنا حالة دورا . ولنبدأ بالفرض الأول ، وهو ، على التحديد ، أن أنشغالها بعلاقة أبيها بمدام ك — يدين بطابعه الحضارى الي أن أصل هذا الانشغال غير معروف

لربها ، اذ يكمن في اللاشعور • وليس من العسير أن نحس طبيعة هذا الاصل ابتداء من ظروفها وسلوكها وسلوكها قد أسرف بشكل واضح في تجاوزه لا يمكن أن تكون عليه اهتمامات ابنة • • كانت في شعورها في تجاوزه يمكن أن تكون عليه اهتمامات ابنة • • كانت في شعورها مفهوما من جانب أمها • فبإندازها النهائي لأبيها (« أما هي وأما أنا ») ، وبالمشاجرات التي كان من عاداتها أن تثيرها ، وبعزمها على الانتحار وهو الذي أتاحت له أن ينكشف — بكل ذلك كانت بشكل واضح تضع نفسها موضع أمها • واذا كنا قد أصبنا الحقيقة في حدسنا طبيعه الموقف الجنسي الاخيولى الذى يكمن وراء سعالها ، فانها كانت ولا بد ، في هذه الأخيولة تضع نفسها موضع مدام ك — • وعليه فقد كانت تتوحد في نفس الوقت مع المرأة التي أحبها أبوها يوما ، ومع المرأة التي يجبها الآن • من ذلك تخلص لنا نتيجة واضحة ، هي أن حبها لأبيها كان أقوى بكثير مما كانت تعسى ، أو مما كانت على استعداد للتسليم به باختصار ، كانت تعشق أباه •

لقد تعلمت أن أنظر الى علاقات الحب اللاشعورى من هذا القبيل (وهى التى يمكن التعرف عليها من عواقبها اللاسوية) — بين أب وابنته ، أو بين أم وابنها — على أنها ابتعاث لمشاعر برعية في الطفولة • نقد أبتت باستناضة في موضع آخر (١) ، في أى سن باكرة يبرغ الشعور بالجابذية الجنسية بين الآباء والأطفال ، وأوضحت أن أسطورة أوديب ربما ينبغى اعتبارها ترجمة شعرية لما هو نمطى في هذه العلاقات • وربما نعثر عند الغالبية العظمى من الناس على متخلفات قاطعه لهذا الانحياز الباكر — من جانب الابنة لأبيها ، ومن جانب الابن لأمه • ولكن ينبغى أن نفترض أن هذا الانحياز يكون أكثر شدة منذ البداية الأولى عند أولئك الاطفال الذين تهيئوهم

(١) فى كتابى Traumdeutung (١٩٠٠) (تفسير الاحلام دار المعارف بمصر) الطبعة السابعة ، ص ١٨١ ، وفى المقال الثالث من كتابى Drel Abhandlungen Zur Sexualtheorie (١٩٠٥) (ثلاثة مقالات فى نظرية الجنس دار المعارف بمصر)

جبيتهم للعصب ، والذين يتميز نموهم بنضج سابق لأوانه الشرم
لنحب . عند هذه النقطة تدخل الى المسرح تأثيرات أخرى معينة ،
لامحل هنا لتحديث عنها ، من شأنها ان تؤدي الى تثبيت الحب البرسى
هذا أو الى تعزيزه ، ومن ثم يتحول هذا الحب (أما والطفل مايزال
صغيراً ، وأما فقط ابتداء من سن البلوغ) الى شيء ينبغي اعتباره
معادلاً لانجذاب جنسى ، من حيث أنه — كهذا الانجذاب — يملك
تحت امرته كل قوى الليبيدو (١) . ولم تكن الظروف الخارجية لمريضتنا
بحال غير مساييرها لثقل هذا الافتراض . فاستعدادها بطبيعته قد جعلها
دائماً منجذبة الى ابيها ، كما كان ولا بد لامراضه العديدة من أن تزيد
من حبها له . وفي كثير من هذه الأمراض لم يكن يسمح لأحد سواها
بأن يؤدي له الواجبات الهينة للتمريض . وكان هو من الاعتزاز بذكائها
الباكر التفتح الى حد أنه اتخذ منها ، وهى ماتزال طفله ، كاتمة سره .
كانت فى الواقع هى ، وليس أمها هى التى أدى ظهور مدام ك — الى
اجلائها عن أكثر من موقع .

وعندما أخبرت دورا بأنه لايسعنى الا أن اغترض بأن حبها
لأبيها لابد وأن يكون قد تصاعد فى وقت جد باكر الى حد أنها أصبحت
فى عشق كامل له ، اجابتنى بالطبع اجابتها المألوفة « لاأتذكر ذلك » .
ولكنها أردفت مباشرة تحكى لى شيئاً مماثلاً عن صبية فى السابعة
تقريباً ، هى ابنة خالتها ، كانت دورا غالباً ماتعتقد أنها ترى فيها نوعاً
من المرأة لطفولتها . كانت هذه الصبية الصغيرة (ولم يكن ذلك للمرة
الأولى) قد شهدت مشاجرة عاصفة بين أبويها ، وعندما حدث بعد
ذلك بقليل أن حضرت دورا فى زيادة ، همست الصبية فى أذنها
« لايمكنك أن تتصورى كم أمقت هذه المرأة ! » (مشيرة الى أمها) ،
« وعندما تموت سوف أتزوج بابا » . ومن عادتنى أن أنظر الى مثل
هذه التدايعات ، التى تقدم شيئاً يتفق مع مضمون ماذكرته ، على

(١) أن العامل الحاسم فى هذا السبب هو بلاشك الظهور الباكر لاحاسيس
انساليه حقه ، أما بصورة تلقائية ، وأما نتيجة غوابة أو استنماء .

أنها تأييد من اللاشعور لما قلته • فما من « نعم » من شكل آخر يمكن
للاشعور أن يقدمها ، وما من شيء على الإطلاق يوجد بوصفه « لا »
لاشعوريه (١) •

وطوال سنوات بلا انقطاع لم تعبر عن هذه العاطفة المشبوبة
نحو أبيها • وعلى العكس من ذلك ظلت دورا زمنيا طويلا على أوثق
علاقة مع المرأة التي حلت محلها في علاقتها مع أبيها • وعليه غان حبها
لأبيها قد ابتعث حديثا من جديد ، فان كان الأمر كذلك يبرز السؤال عن
الهدف الذي من أجله حدث هذا الابتعاث • من الواضح أنه حدث
كعرض مضاد ، حتى يكبح شيئا آخر — شيئا كان ما يزال يمارس فعالية
في اللاشعور • وبالنظر الى واقع الأحداث نم يسعنى إلا أن أفترض ،
للوهلة الأولى ، أن ما انتدب كان هو حبها للسيد ك — • ولم يكن بوسعى
أن أتجنب الافتراض بأنها كانت ما تزال تحبه ، وبأن حبها ، لأسباب
غير معروفة ، منذ مشهد البحيرة ، قد أثار فيها مشاعر عاتية من
المعارضة ، وبأنها قد ابتعثت وعززت حبها القديم لأبيها حتى لا تحتفظ
بأية فكرة شعورية عن هذا الحب الذي استشعرته في السنوات الأولى
من شبابها ، والذي غدا الآن أليما بالنسبة لها • وبهذه الطريقة تحقق
الى استبصار بهذا الصراع الذي كان من شأنه أن يدخل تغييرا جذريا
على نفسية الفتاة • فهي من ناحية قد غمرها الأسف لرفضها مطارحة
الرجل ، وغمرها الحنين الى صحبتة والى الشواهد الصغيرة الناطقة
بحبه ، ولكن من ناحية أخرى ، كانت هذه المشاعر من الحب والحنين
تتناهضها قوى عاتية ، كان كبرياؤها من أبرزها وضوحا • وهكذا
نجحت في أن تقنع نفسها بأن الأمر قد انتهى مع السيد ك — وتلك
كانت الميزة التي حصلت هي عليها من هذه العمئية النمطية من الكبت •
ولكنها مع ذلك كانت مضطرة الى ابتعاث حبها الطفلى لأبيها ، والى

(١) ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣ — ثمة شكل آخر من التأييد اللاشعورى
جد جدير بالاعتبار وبالثقة النامة ، لم أكن قد تبينته وقتما كتبت ذلك :
هو على التجديد تعجب من جانب المريض « لم يخطر لى ذلك » أو « لم أفكر
في ذلك » مما يعنى صراحة نعم كان ذلك « لاشعوريا بالنسبة لى » •

أن تباغ فيه ، حتى تحمى نفسها ضد مشاعر الحب التي كانت يشكل
متصل تتدافع قدما الى شعورها • أما الواقعة الأخرى التي مؤداها
أنها كانت دائما تقريبا فريسة لأشد مشاعر الغيرة مرارة ، فيبدو
وأنها ترجع الى سبب آخر أيضا (١) •

لم يخطيء توقعي بأى حال عندما قابلت دورا هذا التفسير من
جانبي بأقصى نفى قاطع • ان كلمة « لا » التي ينطق بها مريض بعد
ما تقدم له لأول مرة بحرة مكبوتة الى ادراكه الشعورى ، ليست غير
دليل على وجود كبت ، وعلى شدته ، فهذه الـ « لا » هي ، أن جاز
القول • مقياس لشدة الكبت • وهذه الـ « لا » — بدلا من اعتبارها
تعبيرا عن حكم موضوعى ، وهو أمر لا يقتدر عليه المريض فى واقع
الأمر — لو أننا تجاهناها ، ومضينا فى العمل التحليلى ، فسرعان
ما يبدأ فى الظهور الدليل الأول على أن « لا » فى مثل هذه الحالة تعنى
« نعم » التي نتوقعها • فلقد اعترفت دورا بأنه لم يكن فى وسعها أن
تغضب من السيد ك الغضب الذى كان يستحقه • قالت لى انها
التقت ذات يوم بالسيد ك — فى الطريق أثناء سيرها مع ابنة عم لها
لم تكن تعرف الرجل • ولقد تعجبت ابنة العم هذه على حين فجأة :
« ما هذا يادورا ؟ ماذا أصابك ؟ لقد غدوت شاحبة كقماش — أبيض ! »
أما هي نفسها فلم تستشعر شيئا من هذا الشحوب • ولكنى أوضحت
لها أن التعبير عن الانفعال وتغييرات الملامح تخضع للاشعور بأكثر مما
تخضع للشعور ، وأن هذه الظواهر هي وسيلة تفصح للاشعور (٢) •
وفى مرة أخرى حضرت الى دورا ، وكان مزاجها أسوأ ما يمكن ، بعدما
كانت مرحة بصورة منتظمة لبضعة أيام • لم تستطع أن تقدم أى
تفسير لذلك • قالت : « كل شيء اليوم يثير سخطى » • كان ذلك يوم

(١) سوف نعرض لذلك فيما بعد •

(٢) قارن هذين السطرين من شيلر

“Ruhig meg ich euch erscheiuen”

Ruhig gehen sebn. ” Schiller, “Riter Toggenburg.”

(بهدوء استطيع أن ارتقب مجيئك وبهدوء ارتقبك تنصرف)

عيد ميلاد عمها ، ولم يكن بوسعها أن تعتقد العزم على تهنئته ، ولم تكن تعرف سببا لذلك . جف معين تفسيراتي في ذلك اليوم ، ففكرتها تمضى في الحديث ، وفجأة تذكرت أن ذلك اليوم كان أيضا عيد ميلاد السيد ك — وهو أمر لم يفتنى أن استخدمه ضدها . وعندئذ لم يعد من العسير تفسير العلة في أن الهدايا الأنيفة التي تلقتها في عيد ميلادها قبل ذلك بأيام قليلة لم تحدث عندها أى سرور . كانت هناك هدية تنقصها ، هي هدية السيد ك — ، وهي الهدية التي كانت بالطبع ذات يوم أعز الهدايا عندها .

ومع ذلك فقد ظلت دورا متشبثة فترة أخرى من الوقت بأنكارها لما أوعية ، حتى خرج الى النور ، قرب نهاية التحليل ، الدليل القاطع على صحته .

ويتحتم على الآن أن اتجه الى تناول تعقيد آخر ، ماكنت بالتأكيد لافسح له أى مكان لو أننى كنت أدبيا يصور حالة نفسية من هذا النوع في قصة قصيرة ، بدلا من كونى طبيبا بعكف على تشريحها . فالعنصر الذى يتحتم أن أشير اليه الآن ليس بوسعها الا أن يلقى بظلمة من العتامة ، ويأتى على تلك المعالم الشاعرية للصراع الذى استطعنا أن نتبينه عند دورا . هذا العنصر كان ولا بد من التضحية به ، وعن حق ، من جانب الرقابة عند الأديب ، لان الأديب في نهاية الامر يعمل التبسيط والتجريد عندما يقوم بدور النفسانى . ولكن في عالم الواقع ، وهو الذى أحاول تصويره هنا ، يكون تعقد الدوافع ، وتراكم وتداخل النزعات النفسية ، وباختصار يكون التحنيم بأكثر من سبب هو القاعدة . ذلك أنه وراء سلسلة الأفكار المتسلطة عند دورا عن علاقة أبيها بمدام ك — كانت تكمن حبيسه مشاعر غيرة تتخذ من تلك السيدة مروض حبيب — بمعنى أنها مشاعر لم يكن من الممكن أن يكون لها من أساس ألا الحب من جانب دورا لواحدة من بنات جنسها . فمن المعروف منذ زمن بعيد ، ومما حظى كثيرا بالابراز ، أن الصبيان والبنات في سن البلوغ يبدون ، حتى في الحالات السنوية ، علامات واضحة على وجود حب عندهم

لأناس من جنسهم . فالصداقة العاطفية الرومانتيكية مع زميلة في
الدراسة ، بما فيها من قطع العهود ، والقبلات ، ولموعود بالتراسل
مدى الحياة ، وكل حساسيات الغيرة ، هي الطليعة لتي تسبق عادة
عند البنت حبها الأول المشبوب لرجل . وبعد ذلك فإن مجرى
مشاعر الجنسية المثلية غالبا ماينضب تماما في الحالات المواتية . ولكن
الفتاة حين لا يكتب لها التوفيق في حبها للرجل ، فإن ذلك المجرى غالبا
مايعود اليه الليبيدو من جديد ، حتى في السنوات المتأخرة من العمر .
وتزداد شدته بدرجات متفاوتة . فاذا كان ذلك هو مانتيبته بسهولة
عند الأسوياء ، واذا وضعنا في اعتبارنا ماسبق أن قلناه عن التطور
الأمعن عند العصابين للبذور العادية للأنصراف ، فاننا نتوقع أن
تتطوى جبلتهم عن استعداد من الجنسية المثلية أكثر شدة . ذلك
مايتحتهم أن يكون في الواقع ، فاننى حتى الآن ماتناولت حالة واحدة
من التحليل النفسى ، لرجل أو امرأة ، دون أن يكون على أن احسب
حساب نزعة جد قوية من الجنسية المثلية . فعند المرأة أو الفتاة
المهستيرية ، متى تعرض الليبيدو المتجه الى الرجال للقمع الشديد ،
فإن الليبيدو المتجه الى النساء يتدعم ، بصورة منتظمة وبشكل
تعويضى ، بل والى حدما على نحو شعورى .

ئن أمضى هنا الى أكثر من ذلك في هذا الموضوع الهام ، وهو بصفة
خاصة موضوع لاغنى عنه في فهم المهستيريا عند الانسان ، ذلك أن
تحليل دورا قد توقف قبل أن يتاح له أن يلقي أى ضوء على هذا
الجانب من حياتها النفسية ولكننى أحب أن أعود بالذاكرة الى المربية
التي أشرنا اليها من قبل ، والتي استمتعت معها دورا في البداية بأقصى
تفاهم فكرى ، حتى اكتشفت أن اعجاب المربية وتعلقها بها لم يكن من
أجلها هي ، بل من أجل أبيها ، وعندما ارغمت المربية على أن ترحل .
بكان من عادة دورا أيضا أن تسهب بتواتر ملحوظ ، وبالخاص ،
في حديثها عن حكاية نفور أخرى بدت بغير تفسير حتى بالنسبة لها .
كانت دائما على علاقة طيبة بشكل خاص مع الصغرى من ابنتى عمتها
وهى الفتاة التي تمت خطبتها بعد ذلك - وكانت تشاركها كل مايمكن

من الأسرار ، وعندما عاد الاب إلى بلدة ب — لأول مرة بعد قطع الإقامة على شاطئ البحيرة ، رفضت دورا أن تصاحبه ، وعندئذ دعيت ابنة عمتها الى أن تصحبه بدلا منها فقبلت الدعوة . ومنذ ذلك الحين فصاعدا ، شعرت دورا بفتور نحوها ، وكانت هي نفسها تعجب من اللامبالاة التي أصبحت عليها تجاه ابنة عمتها ، ولو أنه ، كما أعترفت ، لم يكن هناك شيء كثير يمكن أن تأخذه عليها . هذان المثالان من سرعة التأثير دفعانى الى تقصى ماكانت عليه علاقتها مع مدام ك — الى أن انقطعت العلاقة . وعندئذ تبينت أن السيدة الصغيرة والفتاة التي كانت بالكاد شابة قد عاشتا سنوات فى أوثق علاقة حميمة . وعندما أقامت دورا ، مع أسرة ك — كانت تشارك مدام ك — غرفة نومها ، بينما كان الزوج يقضى الى غرفة أخرى . وكانت موضع سر الزوجة لطفليها ، ولم تفعل مدام ك — شيئا بالتأكد لتعكر علاقة الفتاة بوالد لم يتحدثا فيه . كانت ميديا (١) راضية كل الرضا من مصادقة كريوز لطفليها ، ولم تفعل مدام ك — شيئا بالتأكد لتعكر علاقة الفتاة بوالد طفليها أما كيف أن دورا استطاعت أن تقع فى حب لرجل الذى كان لدى صديقتها الحبيبة عنه مثل هذه الكثرة من المآخذ ، فتلك مشكلة سيكولوجية طريفة . لن نكون بعيدين عن حل هذه المشكلة إذا ماتينا أن الأفكار فى اللاشعور تتعاشش فى ارتياح تام جنبا الى جنب ، وحتى المتناقضات تمضى معا بلا صدم — وتلك حالة غالبا ماتستمر بدرجة كافية حتى فى الشعور .

عندما كانت دورا تتحدث عن مدام ك — كان من عادتها أن تمتدح « بشرة بدنها ذات البياض الساحر » ، وذلك على نحو أجدر بعاشق منه بغريمة مهزومة . وفى مناسبة أخرى قالت لى ، وهى آسفة أكثر منها غاضبة ، أنها كانت على ثقة من أن الهدايا التي كان أبوها قد قدمها لها كانت من اختيار مدام ك — لأنها تعرفت فيها على ذوقها .

(١) ميديا امرأة فى الاساطير اليونانية أحببت بطلا يونانيا يدعى جاسون وإنجبت منه طفلين . وعندما أنصرف عنها جاسون ليتزوج كريوزا دفنهما اليأس الى قتل طفليها منه ، المترجمون .

وفي مناسبة أخرى أيضا ذكرت لى أنها تلقت - وكان ذلك بشكل واضح يتدخل من مدام ك - هدية من الحلبي تشبه تمام الشبه قطعة من الحلبي سبق أن رأتها بين حلبي مدام ك - فعبرت عندئذ صراحة عن رغبتها في مثلها . وأستطيع في الواقع أن اقرر بصفة عامة اننى ماسمعت منها قط كلمة قاسية أو غاضبة في حق هذه السيدة ، وأن كان من المفروض ، من زاوية فكرتها المتسلطة ، أن تعتبرها المسئولة الاولى عن تعاستها . كان سلوكها يبدو غير منطقي ، ولكن هذه اللامنطقية الظاهرة كانت على وجه الدقة تعبيراً عن تيار من المشاعر بالغ التعقيد . فهذه السيدة ، التى كانت دوراً متفانية في اخلاصها لها ، كيف كان سلوكها نحوها ؟ فبعدما القت دوراً باتهامها ضد السيد ك - وكتب أبوها اليه يطلب منه ايضاحاً ، بادر السيد ك - بالرد عليه معترضاً باسمى مشاعر التقدير لها ، ومقترحاً مايرام من ضرورة حضوره الى بلدة المصنع لازالة كل سوء فهم . ولكن بعد ذلك بأسابيع قليلة عندما تحدث أبوها اليه في بلدة ب لم يعد الامر على الاطلاق أمر تقدير . بل على العكس تحدث عنها السيد ك - حديث تحقيق ، متخذاً ورقته الرابعة من أن دتاة تقرأ مثل هذه الكتب وتهتم بمثل هذه الاشياء ليس لها بحال أن تكون جديرة بالاحترام من رجل . وعليه فان مدام ك - قد فضحت سرها وشوهت سمعتها ، فهى لم تقرأ مننتيجازا Mantegazza الا معها ، ولم تتناقش في الموضوعات المشينة الا معها . كان ذلك تكراراً لما سبق حدوثه مع المربية : فمم تكن مدام ك - تحبها لذاتها بل لحساب أبيها . لقد ضحت بها مدام ك - دون لحظة تردد ، حتى لا تتعكر علاقتها مع أبيها . أن هذه الجرح لمشاعرها قد نال منها ربما بدرجة أعمق ، وربما كان أكثر فاعلية في توليد المرض بالقياس الى الجرح الآخر - وهو تضحية الاب بها - وهو الجرح الذى حاولت أن تتخذ منه شعاراً حاجباً لانجراحها من مدام ك - الم يكن تشبثها العنيد بنسيان مصدر معلوماتها المشينة يرجع مباشرة الى ما توئيه من أهمية أنفعالية بالغة للاتهام الموجه ضدها في هذه المسألة ، وبالتالي لخيانة مدام ك - لسرها ؟ .

ومن هنا ، فليست أراني مخطئا إذ افترض أن سلسلة الافكار المتسلطة عند دررا ، وهى الخاصة بعلاقة ابئها مع مدام ك — لم يكن الهدف منها هو فقط كبح حبها للشيد ك — وهو الحب الذى كان يوما ماثعوريا بل أيضا حجب حبها لدام ك وهو الحب الذى كان لاثعوريا وعلى مستوى أعمق • كانت تلك السلسلة من الأفتكار المتسلطة هى المعكوس تماما لجرى المشاعر الأخرة • كانت تحدث نفسها بلا انقطاع بأن أباهها قد ضحى بها من أجل هذه السيدة ، وتبدى من المظاهر الصاخبة ماينم عن حسدها لها على امتلاكها الأبيها ، وبهذه الطريقة كانت تحجب عن نفسها الواقعة التى هى عكس ذلك ، وهى أنها كانت تحسد أباهها على امتلاكه لحب مدام ك — ، وأنها لم تغتفر للمرأة التى أحبته الى هذا الحد خيبة الامل التى سببتها بخيانتها لسرهما • أن غيرتها من هذه المرأة كانت ترتبط فى اللاثعور بغيره من قبيل مايمكن أن يستشعره رجل • هذه المشاعر المذكورة ، أو بتعبير أصبح مشاعر « الولع بالنساء » من جانب المرأة ، ينبغى اعتبارها خاصة تمطية للحياة الشبقية اللاثعورية عند الفتيات الهستريات •

٢

الحلم الأول

الحلم الأول

وعند هذه اللحظة بعينها أتت لآح فيها أن المعطيات التي تتوارد للتحليل بوشك ان تلقى الضوء على نقطه غامضة من طفوله دورا ، ذكرت لي أنها منذ بضعه ليال رأت من جديد حلما سبق أن رأته بنفس الصورة تماما في مناسبات سابقة عديدة . ان حلما يتكرر بين الحين والحين لهو بنفس خاصيته هذه جدير بأن يثير بشكل خاص استطلاعتي ، ومهما كانت الحالة ، فقد كان من حقنا لصالح العلاج أن نتفحص الكيفية التي اضطلع بها هذا الحلم بدوره في السياق الكلي للتحليل . ومن ثم عقدت العزم على أن أقوم ببحث هذا الحلم بعناية خاصة .

وها هو الحلم كما روته دورا : « منزل كان يحترق (١) » . وكان أبى واقفا بجوار سريرى وأيقظنى . ارتديت ملابسى على عجل . ارادت أُمى أن تتوقف لتتخذ علبة حليها ، ولكن أبى قال : (أنى أرفض أن أدع نفسى وطفلى نحترق من أجل علبة حنيك) . وهولنا نازلين على السلم ، وما أن صرت في الخارج حتى استيقظت » .

وبالنظر إلى أن الحلم كان حلما متكررا ، فقد كان من الطبيعي أن أسألها متى رآته أول مرة . أجابتني أنها لا تدرى . ولكنها تذكرت أنها رأت هذا الحلم ثلاث ليال على التعاقب في بلدة ل — (عند شاطئ البحيرة ، حيث وقع المشهد مع السيد ك) — وقد عاد إليها الحلم الآن من جديد منذ بضعة ليال هنا في فيينا (٢) . وقد زادت بطبيعة الحال توقعاتي

(١) في اجابتها على نقص منى ، قالت لي دورا أنه لم ينشب قط في الواقع حريق في منزلهم .

(٢) إن مضمون الحلم يجعل من الممكن أنه حدث لأول مرة في بلدة ل .

انتي كنت أرجوها من استجلاء الحليم عندما سمعت عن ارتباطه بأحداث بلدة ل — ولكنى أرغب أولا في أن أتبين السبب المباشر في تكرره أخيرا ، ومن ثم سألت دورا ان تتناول الحليم قطعة قطعة ، وأن تخبرنى عما حدث لها مرتببا بكل قطعة • كانت دورا قد حصلت من قبل على شيء من التدريب في تفسير الاحلام ، فقد سبق أن حللنا بعضا من الأمثلة البسيطة •

— قالت : شيء يخطر ببالي ، ولكنه لايمكن أن ينتسب الى الحليم ، لأنه حديث جد بينما رأيت الحليم قبله بكل تأكيد •
— أجبت : هذا لا يهم • استمرى ! سوف يتضح ببساطة أن أحدث شيء هو الذى يلتئم مع الحليم •

— قالت : حسنا • فقد تشاجر أبى مع أمى فى الأيام القليلة الماضية ، لأنها تغلق باب غرفة الطعام أثناء الليل • وغرفة أختى كما تعلم ليس لها مدخل مستقل ، بل لايمكن الدخول إليها الا عن طريق غرفة الطعام • وأبى لا يجب أن ينجس أختى على هذا النحو أثناء الليل ، قائلا « هذا لايجوز أبدا : فقد يحدث شيء أثناء الليل يحتم الخروج من الغرفة » •

— قلت : وهذا جعلك تفكرين فى خطر الحريق •

— قالت : نعم •

— قلت : والآن ، أريدك أن تنتبهى تماما الى كلماتك بالتحديد • فقد نحتاج للرجوع إليها • فقد قلت : « فقد يحدث شيء أثناء الليل يحتم الخروج من الغرفة » (١) •

(١) البحث بالاهمية على هذه الكلمات لانها ادهشتنى • كانت توحى =

ولكن دورا قد اكتشفت الآن نقطة الموصل بين السبب الحديث
الذى أطلق الحلم والسبب الأصلي ، فقد مضت تقول :

— عندما وصلنا ، أبى وأنا ، الى بلدة ل — فى ذلك الوقت ، قتل
أبى بصراحة أنه كان يخشى من حريق • فقد وصلنا أثناء عاصفة رعدية
عاتية ، ووجدنا البيت الخشبي الصغير خاليا من أى مانع للصواعق •
ومن ثم كان قلته طبيعيا تماما •

عندئذ كان على أن أقيم الصلة بين الاحداث التى وقعت فى بلدة ل
— وبين الحلم الذى كانت قد تكررت رؤيتها له هناك •

— فمضيت أسأل : هل رأيت انحللم فى لياليك الأولى ببلده ل —
أم فى لياليك الاخيرة ؟ وبعبارة أخرى : قبل أو بعد مشهد الغابة عند
شاطئ البحيرة ، وهو المشهد الذى كثر الحديث عنه ؟ (وينبغى أن
أوضح باننى كنت أعرف أن المشهد لم يحدث فى اليوم الأول مباشرة •
وأنها قد مكثت فى بلدة ل — لبضعة أيام بعد هذا المشهد دون أن تبدى
أية أسارة الى هذا الحادث) •

كانت اجابتها الأولى : « لأدرى » ، ولكنها أضافت بعد برهة :
« نعم • أعنقد أن ذلك كان بعد المشهد » •

وهكذا عرفت الآن أن الحلم كان استجابة لتلك التجربة • ولكن
لماذا تكرر انحللم هنالك ثلاث مرات ؟ وتابعت أسئلتى :
— كم من الوقت بقيت فى بلدة ل — بعد ذلك المشهد ؟ •

= بالقياس أليست هناك مطالب بدنية معينة تشير اليها نفس هذه
الكلمات ؟ ففى سلسلة من التدايعات تعمل الكلمات المتبسة (أو كما يمكن
أن نسميها « كلمات مفاتيح التحويل ») كنقط للوصل • فاذا ما « تحولت »
هذه النقط فى اتجاه آخر غير هذا الذى بدت عليه فى الحلم ، اننا نجد أنفسنا
عندئذ على « سكة » جديدة • وعلى طول هذا الخط الجديد تجرى الافكار
التي نبحث عنها ، والتي ما تزال بعد خبيثة وراء الحلم •

— أجابت : أربعة أيام (١) أخرى • وفي اليوم الخامس رحلت مع أبي •

— قلت : أننى على ثقة الآن من أن الحلم كان نتيجة مباشرة لتجربتك مع السيد ك — وأنتك قد رأيت هذا الحلم أول مارأيته فى بلدة ل — وليس قبل ذلك • ولكنك فقط أضيفت عليه عدم التأكد فى ذاكرتك حتى تطمس فى ذهنك علاقته بالمشهد (٢) • ولكن الأرقام ليست بعد منسجمة بالقدر الذى يرضينى مادمت قد بقيت فى بلدة ل — أربعة أيام أخرى ، فقد كان من الممكن للحلم أن يتكرر أربع مرات • ربما كان الأمر كذلك ؟ •

ثم تعد دورا تعترض على ما أقوله ، ولخنها بدلا من أن تجيب على سؤالى مضت تقول (٣) :

— فى عصر ذلك اليوم ، بعد نزهتنا على البحيرة ، وكنا قد عدنا (السيد ك — وأنا) فى الظهيرة ، ذهبت كعادتى لإغفاءة قصيرة ، استلقى على الأريكة فى غرفة النوم • وفجأة صحت لأجد أنسيد ك — يقف بجوارى •

سألتها : تماما كما رأيت أباك يقف الى جوار سريرك فى الحلم ؟

— قالت : نعم • وسألته فى احتداد ماذا جاء يفعل هنا • قال من قبيل الرد أن ما من شىء يمنعه حين يشاء من أن يدخل غرفة نومه ، فضلا عن ذلك فقد كان هناك — على حد قوله — شىء يفتش عنه • وهذه الحادثة جعلتني احترز ، فسألت مدام ك — ما أن كان هناك مفتاح لباب غرفة النوم • وفى صباح اليوم التالى (اليوم الثانى للمشهد) أغلقت الباب على نفسى بينما كنت أرتدى ملابسى • ولكن

(١) المقصود أربع ليال • ويوم المشهد هو الليلة الاولى ، واليوم الثانى للمشهد — حيث ضاع المفتاح فى العصر هو الليلة حيث ظهر الحلم الاول وتكرر فى اللبتين الثالثة والرابعة ليكمل مرانته الثلاث — المترجمون •
(٢) تآزن ما قلناه على ص ١٨ فى موضوع الشك المصاحب لذكرى •
(٣) حدث ذلك بسبب قطعة جديدة من المعطيات كان يتحتم أن تبزغ من الذكرى قبل أن يكون من الممكن الاجابة على سؤالى •

عندما أردت في العصر أن أغلق الباب على نفسى لأستلقى على الأريكة مرة أخرى ، كان المفتاح قد اختفى • وائى على ثقته من أن السيد ك — هو الذى أخفاه •

— قلت : واذن فما نحن هنا أمام مشكلة إغلاق أو عدم إغلاق غرفة ، وسمى المشكلة التى ظهرت من التدايعيات الأولى للحلم ، وأتى تصادف أن وقعت بأسهت كسبب مباشر فى تكرار الحلم حديثا (١) • وائى للإتساءل ماأن كانت العبارة « أرتدى ملابسى على عجل » لاتتنمى أيضا الى نفس هذا السياق ؟ •

— قالت : وعندئذ كان أن صممت على أن لأأقيم مع السيد ك — بغير أبى • وفى صباح الأيام التالية لم أكن أستطيع أن أغالب خوى من أن يفاجئنى السيد ك — وأنا أرتدى ملابسى : فقد كنت دائما أرتدى ملابسى على عجل جدا • فقد كان أبى كما تعلم ينزل بالفندق ، وكان من عادة مدام ك — أن تبكر فى الخروج صباحا لتذهب فى نزهة معه • ولكن السيد ك لم يعد الى مضايقتى مرة أخرى •

— قلت : انى أفهم ذلك • ففى عصر اليوم الثانى للمشهد صممت على أن تفتنى من مضايقاته ، وكانت الفرصة أمامك خلال الليلة الثانية والثالثة والرابعة لتكررى هذا التصميم أثناء نومك • (وفى عصر اليوم الثانى للمشهد كنت تعلمين بالفعل ، أى قبل الحلم اذن ، أن المفتاح لن يكون فى حوزتك فى صباح اليوم التالى — الثالث للمشهد — حتى تغلقى به عل نفسك أثناء ارتدائك للباسك ، ومن هنا كان تصميمك أن ترتدى ملابسك بأقصى عجلة) • ولكن الحلم تكرر فى كل ليلة ، وذلك على

(١) انى افترض ، وأن لم أخبر دورا حتى الان بذلك ، أنها قفزت على هذا العنصر بالنظر الى ماله من دلالة رمزية • فالغرفة Zimmer كثيرا جدا ماتكون فى الاخلام رمز « المرأة » Frauenzimmer وهى كلمة ازداراء هينة تعبر عن « المرأة » وتعنى حرفيا « غرف النساء » • ومسألة ما أن كانت المرأة « مفتوحة » أو « مغلقة » لايمكن بالطبع أن تكون مسألة عديمة الاهمية • وجد معروف أيضا نوع « المفتاح » الذى يحقق الفتح فى مثل هذه الحالة •

وجه الدته لأنه كان يعبر عن تصميم • فالتصميم يستمر في البقاء حتى يتم تنفيذه • • وكأني بك قلت لنفسك : « لن أعرف الراحة ، ولن أذوق النوم الهادئ الا بعد أن أصير خارج هذا البيت » • ون حكايته للحلم قلبت الامر فقلت : « وما أن صرت في الخارج حتى استيقظت » ١٥

* * *

عند هذه النقطة أقطع حديثي عن التحليل كيما أقارن هذا الجزء الصغير من تفسير الحلم بالقواعد العامة التي وضعتها عند ميكازم تكوين الاحلام • ففي كتابي (١) نامحت عن ان كل حلم هو رغبة متحققه ، وأن هذا التمثل الذي تظهر عليه يحقق التموية اذا ماكانت الرغبة مكتوبة ، تنتمي الى اللاشعور ، وأنه باستثناء حالات أحلام الأطفال ، فإن الرغبة اللاشعورية ، أو الرغبة التي غاصت عميقا في اللاشعور ، هي وحدها التي تملك القوة اللازمة لتكوين حلم • وكانت نظرتي فيما أتصور ستلقى بالتأكيد تقبلا عاما لو أنني قنعت بالقول بأن كل حلم له معنى ، ويمكن الكشف عنه باستخدام عملية تفسير معينة ، وأن التفسير متى أكتمل ، يكون من الممكن أن نضع في مكان الحلم أفكاراً لها مكانها عند نقطة يسهل التعرف عليها من الحياة النفسية اليقظة للحالم • وكان بوسعى عندئذ أن أمضى الى القول بأن معنى الحلم قد تكشف متباينا في أنواعه تباين العمليات الفكرية في اليقظة ، ففي حالة يتكشف رغبة متحققه ، وفي حالة أخرى خوفا متحققا ، وفي حالة أخرى أيضا تفكيرا يثابر مستمرا في النوم ، أو تصميميا (كما في حالة حلم دورا) ، أو قطعة من الفكر الخلاق أثناء النوم ، وهكذا • أن نظرية كهذه كانت ولاشك ، بسبب بساطتها المسرفة ، تكون جذابة ، وكان من الممكن تدعيمها بكثرة من الأمثلة من الأحلام التي أحسن تفسيرها ، من قبيل هذا المثال الذي قمنا بتحليله في هذه الصفحات •

(١) (تفسير الاحلام دار المعارف بمصر • الفصل السادس)

ولكنى بدلا من ذلك قمت بصياغة تعميم يجعل معنى الأحلام قاصرا على شكل واحد ، هو تمثيل الرغبات ، فاستثرت بذلك ميلا عاما الى معارضتي • ولكن يتحتم على أن أضيف أنني لم أعتبر من حتى ولا من واجبي أن ألجأ الى تبسيط عملية سيكولوجية كيما أجعلها بذلك أكثر تقبلا عند قرائى ، بينما كشفت فى أبحاثى عن أن هذه العملية تنطوى على تعقيد يستحيل خفضه الى الشكل الواحد قبل أن ينتقل البحث الى حقل آخر • ومن هنا فانه لما ينطوى على أهمية خاصة بالنسبة لى أن أكشف عن أن الاستثناءات الظاهرة — من قبيل حلم دورا هذا ، الذى بدأ لأول وهنة استمرارا خلال النوم لتصميم أثناء النهار — يقدم مع ذلك تأييدا جديدا للقاعدة موضوع النزاع •

* * *

وعلى أية حال ، فأغلب الحلم ما يزال باقيا بغير تفسير ، فمضيت أسأل :

— قلت : وماذا لديك عن علبة الحلوى التى أرادت أمك أن تنتقدها ؟

— قالت : أمى شديدة الولع بالألحلى ، وكان لديها الكثير مما قدمه أبى لها •

— قلت : وأنت ؟

— قالت : كنت فى رقت ما شديدة الولع بالألحلى أنا الأخرى ، ولكنى منذ مرضى لم أعد أضع أى حلوى • — وذات مرة منذ أربع سنوات (قبل الحلم بعام) ، وقعت مشاجرة كبيرة بين أبابا وماما حول قطعة حلوى وكانت ماما تريد منه قطعة بعينها قرط دلالية من « نقط » (١)

(١) (فضلنا كلمة « نقط » على كلمة « حبات » لان الكلمة الافرنجية تصلح فى نفس الوقت لاستخدامات أخرى : نقط بول ، نقط افرازات بيضاء ، ••• ومن هنا كان استخدامها فى حلم ككلمة وصل — المترجمون) •

اللؤلؤ تضعه في أذنيها • ولكن بابا لا يجب هذا النوع من الحلوى ، فأحضر لها سوارا بدلا من دلالية الأذن : أستشاطت غضبا وقالت له و أما وأنه قد أنفق كل هذا المال في هدية لا تريدها ، فالأجدر به أن يقوم هذه الهدية الى أخرى •

قلت : يخيل لى أنك قلت لنفسك عندئذ أنك ستقبلينها بسرور •
— قالت : لا أدري (١) • بل ولا أدري سبب دخول ماما في هذا الحلم ، فهي لم تكن معنا في بلدة ل — في ذلك الوقت (٢) •

قلت : سوف أفسر لك ذلك فيما بعد • ألا يخطر ببالك شيء آخر يرتبط بعلبة الحلوى ؟ فحتي الآن تكلمت عن الحلوى فقط : ولكنك لم تذكرى شيئا عن العلبة •

— قالت : نعم • فقبل ذلك بوقت قصير أهدى ألى السيد ك — علبة حلوى غالية الثمن •

— قلت : وعندئذ. والرد على الهدية بهدية يمكن أن يكون جد ملائم • ربما لاتعلمين أن علبة الحلوى Schmuckkasten هي تعبير شائع عن نفس هذا الشيء الذي أشرت اليه أنت منذ وقت غير بعيد بكيس النقود الذي كنت تحملينه (٣) — أى تعبير شائع عن الأعضاء التناسلية الأنثوية •

قلت : كنت أعرف أنك ستقول ذلك (٤) •

(١) تلك كانت في ذلك الوقت صيغتها المألوفة للاعتراف بفكرة مكبوتة؟
(٢) هذه الملاحظة تشهد بانعدام تام لفهم قواعد تفسير الاحلام ، مع أن دورا كانت في مناسبات أخرى على دراية تامة بها • هذه الولاية ، بالاضافة الى التردد وضالة التداعيات عن علبة الحلوى ، كشفت لى عن أننا كنا ازاء عادة سبق أن أصابها كبت شديد جدا •

(٣) هذه الاشارة الى كيس النقود سوف يأتي أيضاها فيما بعد (ص ٩٢) •

(٤) تلك طريقة جد شائعة لابعاد بعض المعطيات التي تنبثق من المكبوتات •

— قأت : أى أنك كنت تعرفين ذلك • — بل أن معنى الحلم يغدو الآن أكثر وضوحا • قلت لنفسك : « ان هذا الرجل يضايقنى ، أنه يريد أن يدخل عنوة فى غرفتى • فعلة حاليى فى خطر ، وإذا حدث أى شىء مالعنطه علة ابى » • ومن أجل هذا السبب قمت فى الحلم بإختيار موقف يعبر عن الضد — خطر منه ينقذك أبوك • ففى هذا الجزء من الحلم كل شىء مقلوب إلى الضد ، وسوف نتبين حالا سبب ذلك • وكما قئت فان الغموض ينصب على أمك • اذ تتساءلين : ماسبب دخول ماما فى هذا الحلم ؟ ان ماما كما تعرفين هى غريمتك السابقة فى حب لابيک • ففى واقعه السوار كنت تكونين مسرورة يقبول هذا الذى رفضته أمك • والآن دعينا فقط بدلا من كلمة « قبول » هذه نضع كلمة « اعطاء » : وبدلا من كلمة « ترفضه » نضع كلمة « تمنعه » • وعندئذ يكون المعنى أنك كنت على استعداد لاعطاء آبيک هذا الذى كانت أمك تمنعه عنه ، وهذا الشىء المعنى يرتبط بالحلى (١) • والآن ، عودى بالذاكرة إلى علة الحلى التى أهداها اليك السيد ك — ، فهى منطلق لسلسلة موازية من الافكار ، التى فيها ينبغى وضع السيد ك — بدلا من آبيک ، تماما على نحو ماكان عليه الوقوف بجوار سبريرك • لقد قدم اليك السيد ك عليه حلى ، ومن ثم يكون عليك أن تقدمى اليه علة حليک • هذا هو السبب فى أننى تحدثت ، منذ بزهة عن « الرد على الهدية بهدية » • وفى هذه السلسلة من الأفكار ينبغى وضع مدام ك — بدلا من أمك • (فلن يكون بوسعك على أى حال أن تتكرى وجودها فى ذلك الوقت •) وهكذا فأنت على استعداد لاعطاء السيد ك ماتمنعه عنه زوجته • هذه هى الفكرة التى كان يتحتم كتبها بكل هذه الشدة ، والتى جعلت من المحتم على كل عنصر من عناصرها أن ينقلب إلى ضده • فالحلم يؤكد من جديد ماسبق أن قلته لك قبل رؤيتك لهذا الحلم — وهو أنك تتبعين حبك القديم لآبيک كيما تدافعين به عن نفسك ضد حبك للسيد ك — • ولكن ما الذى تكشف عنه كل هذه

(١) بل سيكون بوسعنا فيما بعد تفسير « نطق » اللؤلؤ على نحو ينسجم مع السياق الكلى •

الجهود؟ ليس فقط أنك تخافين من السيد ك — ، ولكن أيضا وبدرجة أعظم تخافين من نفسك ، ومما تستشعرينه من غواية الاستسلام له • وباختصار فإن هذه الجهود تكشف مرة أخرى عن عمق حبك له (١) •

لم ترغب دورا بطبيعة الحال في تقبل هذا الجزء من التفسير • ومع ذلك ، فقد تمكنت أنا نفسى من أن أمضى بالتفسير خطوة أبعد ، وهى خطوة بدت ، وهى خطوة بدت لى ولا غنى عنها ، سواء بالنسبة الى تاريخ الحالة أو بالنسبة الى نظرية الأحلام • فوعدت دورا بـ «أن أخبرها بذلك فى الجلسة التالية •

لم يكن بوسعى فى الواقع أن أتغاضى عن التلميح الذى تراءى لى من هذه الكلمات المنتبسة التى سبقت الإشارة إليها — فقد يكون من الضرورى الخروج من الغرفة ، فقد يحدث حادث أثناء الليل • أضف الى ذلك أن تفسير الحلم كان يبدو لى غير مكتمل ، طالما أن شربطا ، بعينه لم يتم الوفاء به ، فانى وأن لم اثنأ أن أؤكد التعميم العادى المطلق لهذا الشرط الا أننى أستشعر ميلا قويا للعثور على وسيلة للوفاء به فالحلم العادى التكوين يقف أن جاز القول على ساقين ، أحدهما ترتبط بالسبب المباشر الأساسى الحديث ، والاخرى ترتبط بحادث عظيم الاهمية فى سنوات الطفولة ويقيم الحلم ارتباطا بين هذين العاملين — بين الحادث الذى وقع فى الطفولة ، والحادث الذى وقع فى الوقت الحاضر — ويحاول الحلم أن يعيد تشكيل الحاضر وفق أنموذج الماضى البعيد • فالرغبة التى تولد الحلم تنبعث دائما من فترة الطفولة ، تحاوك بلا انقطاع أن تنبعث الطفولة من جديد فى الواقع ، وأن تصحيح الحاضر

(١) وأضيف أيضا مايلى : « هذا الى أن عودة الحلم الى الظهور منذ أيام طفولة يرغمنى على أن استنتج أنك تعتبرين الموقف نفسه قد أنبعث من جديد ، وانك قد صممت على التخلّى عن العلاج — هذا الذى لا يحملك عليه ، فى نهاية الامر ، غير أبيك • وما أتى بعد ذلك قد كشف عن صدق حدسى • فى هذه النقطة يمس تفسيرى على عجل موضوع « التحويل » — وهو من أعظم الموضوعات أهمية من الناحيتين العملية والنظرية ، ولكنى لن تتاح فى هذا المقال فرص أخرى أفسح للتعلم فيه •

وفق معايير الطفولة وانى لا اعتقد اننى استطعت بالفعل أن استشف بشكل واضح هذه العناصر من حلم دورا التى يمكن أن تأتلف معا مؤشرا الى حدث فى طفولتها •

شرعت فى مناقشة الموضوع بتجربة صغيرة نجحت كالعادة • حدث أن كانت على المنضدة علبة ثقاب كبيرة • وسألت دورا أن تنتظر لترى ما أن كان على المنضدة شىء غير عادى لم يكن فى العادة موجودا ولكنها لم تتبين شيئا • عندئذ سألتها ما أن كانت تعرف السبب فى أن الأطفال يحرم عليهم اللعب بالثقاب •

— قالت : نعم ، خوفا من خطر الحريق • فأبناء عمى شديد والولع

باللعب بالثقاب •

— قلت : خطر الحريق ليس وحده السبب فى تحذيرهم من «اللعب بالنار» فهناك اعتقاد معين يرتبط بهذا التحذير لم تكن تعرف شيئا عن ذلك •

— قلت : حسنا اذن ، انه الخوف من تبليهم لفراسهم أن هم لعبوا بالنار « فهناك اعتقاد معين يرتبط بهذا التحذير •

لم تكن تعرف شيئا عن ذلك ❦

— قلت : حسنا اذن ، انه الخوف من تبليهم لفراسهم أن هم لعبوا بالنار والتضاد ما بين « الماء » و « النار » لا بد وأن يكون الأساس لهذا الاعتقاد • فربما يكون الاعتقاد أنهم سوف يحلمون بالنار وعندئذ يحاولون اطفاءها بالماء • ولا أستطيع أن أجزم أن كان الامر فى واقعة كذلك • ولكننى ألاحظ أن التضاد بين الماء والنار قد استغله حلمك الى أقصى حد • فأمكن أراد انقاذ علبة الحلى حتى لا تحترق ، بينما على العكس فى الأفكار الكامنة للحمام يتعلق الأمر بانقاذ علبة الحلى حتى لا تبتر • ولكن النار لا يقتصر استخدامها على كونها المضاد للماء ، فهى تستخدم أيضا رمزا مباشرا للحب (كما فى التعبير « يحترق حبا ») • وهكذا ابتداء من « النار » تمضى سلسلة من التدايعيات عن طريق هذا العنى الرمزي الى أفكار الحب ، بينما تمضى سلسلة أخرى من

التداعيات عن طريق الضاد « الساء » في أتجاه آخر ، وذلك بعدما يخرج منها خط فرعى يرمى ليرتبط من ناحية أخرى مع الحب (لأن الحب هو الآخر يجعل الأشياء تنبتل) — نقول ترمى هذه السلسلة الأخرى في اتجاه آخر . ولكن ماذا يمكن أن يكون هذا الاتجاه ؟ تأمل العبارات التى نطقت بها : فقد يحدث حادث أثناء الليل ، فقد يكون من الضرورى الخروج من الغرفة . ألا يعنى ذلك بالضرورة حاجة بدنية ؟ فإذا ما انتقلت بالحادث الى الطفولة فماذا يمكن أن يكون غير تبليد الفراش ؟ ولكن ما الذى يتبع فى العادة لمنع الأطفال من تبليد فراشهم ؟ ألا يتم إيقافهم من نومهم أثناء الليل ، تماما كما أيقظك أبوك فى الحلم ؟ ذلك أذن هو الحادث الواقعى فى الطفولة الذى خولك أن تضعى أبك بدلامن السيدك — الذى أيقظك فى الواقع من نومك . وبذلك أرانى مضطرا الى أن أستنتج أنك كنت تدمنين تبليد فراشك الى سن متأخرة بالقياس الى المؤلف عند الاطفال . ولا بد أن ذلك كان صحيحا أيضا بالنسبة الى أخيك ، اذ قال أبوك : « أنتى ارفض أن يتعرض طفلى للهلاك . » فليس لأخيك أى نوع آخر من الارتباط يربطه بالموقف الحقيقى مع أسرة كـ ، فهو يذهب معك الى بلدة لـ — والآن فبماذا تجيب ذكرياتك على ذلك ؟

— أجابت : لست أذكر شيئا فيما يتعلق بى . ولكن أخى اعتاد أن يبلى فراشه حتى عامه السادس أو السابع ، وكان أحيانا ما يحدث له ذلك أثناء النهار أيضا .

وكنت على وشك أن أبين لها كيف أن المرء يتذكر مثل هذه الأشياء عن أخيه بأيسر كثيرا من أن يتذكرها عن نفسه ولكنها استطرقت فى سلسلة ذكرياتها التى اتبعت :

— قالت : نعم ، فقد اعتدت أن أشغل ذلك أيضا ، ولكن ذلك لم يحدث الا فى السابعة أو الثامنة ، ولبعض الوقت . ولا شك أن الامر كان خطيرا ، فانى أتذكر الآن أنه تطلب استدعاء الطبيب . وقد استمرت الحالة الى ما قبل ظهور الربو العصبى عندى بوقت قصير .

— قلت : وماذا قال الطبيب عن هذه الحالة ؟
 قالت : شخصها على أنها ضعف عصبى وسوف تزول سريعا في
 رأيه • وقد وصف لى مقويات (١) •
 والآن بدا لى أن تفسير انحلّم قد أكتمل (٢) • ولكن دورا فى اليوم
 التالى مباشرة أتت لى بملحق للحلم • قالت لى بأنها نسيّت أن تخبرنى
 بأنها كانت فى كل مرة بعد استيقاظها مباشرة تشم رائحة دخان ، والدخان
 بطبيعة الحال يلتئم تماما مع النار ، ولكنه يكشف أيضا عن أن الحلم كانت
 له صلة خاصة بى • فعندما كانت تؤكّد كعادتها أن ما من شىء يختبئ
 وراء هذا أو ذاك ، كنت غالبا ما أقول من قبيل الرد : « ما من دخان
 بغير نار ! » ولكن دورا احتجت على مثل هذا التفسير الشخصى الخالص ،
 قائلة بأن السيد ك — وأباها هما من المولعين بالثدخين — كما أنا أيضا
 فى هذا الامر • وهى نفسها قد دخنت أثناء اقامتها على شاطئ البحيرة
 وكان السيد ك — قد لف لها سيجارة قبل أن يقدم على محاولته
 المشؤومة • وكانت تعتقد أيضا بأنها تتذكر بوضوح أنها لاحظت رائحة
 الدخان هذه المرات الثلاث التى رأت فيها الحلم فى بلدة ل — ، فهى لم
 تظهر اذن لأول مرة مع التكرار الأخير للحلم بحيث لم تكن ترغب
 فى أن تزودنى بأية معلومات أخرى ، فقد وقع على عاتقى أن أحدد
 الكيفية التى يائتم بها هذا الملحق ضمن النسيج الكلى لأفكار الحلم
 الكامنة • ثمة واقعة يمكننى أن أتخذ منها نقطة ارتكاز ، وهى أن رائحة
 الدخان لم تنبثق الا كملحق للحلم ، ومن ثم فلا بد وأنه كان عليها أن
 تتغلب على مقاومة شديدة بنوع خاص من جانب الكبت • ومن ثم فقد
 كان من المحتمل أن تكون رائحة الدخان هذه مرتبطة بأفكار الحلم الأكثر
 غموضا فى عرضها ، والاكثر اكتمالا فى انكباتها ، أى بتلك الافكار التى

(١) كان هذا الطبيب هو الوحيد الذى حظى بشىء من ثقفتها ، اذا كشفت
 لها هذه الواقعة عن أنه لم ينفذ الى سرها • كانت تخشى أى طبيب آخر
 لم يتح لها أن تكون فكرة عنه ، ويوسعنا الان ان نقبين أن الدافع الى
 خوفها انما كان احتمال أن ينفذ الطبيب الآخر الى سرها •
 (٢) أن لب الحلم ربما يمكن ترجمته فى كلمات كدهه : « أن الغواية
 بالغة الشدة ، أبتاه العزيز ، احمنى من جديد كما اعتدت أن تفعل فى
 طفولتى ، حتى تحمى فراشى من أن يبطل » •

ندور حول الغواية التي تتكشف فيها عن نفسها رغبة في الاستسلام للرجل . فاذا كان الأمر كذلك ، فان ملحق الحلم لا يكاد يعنى شيئاً آخر غير صوابتها اى قبلة من مدخن ، تفوح منها بالضرورة رائحة الدخان وهناك قبلة حدثت بين السيد ك ودورا قبل ذلك بنحو عامين ، وكان من المؤكد أن تكرر أكثر من مرة لو أنها استسلمت له . ومن هنا فان أفكار الغواية تبدو بهذه الطريقة ترديدا للمشهد الابكر ، واحياء لذكرى القبلة ، تلك التي دأعت ضد غوايتها في ذلك الوقت « ماصة الابهام » الصغيرة عن نفسها بمشاعر الاشمزاز . وأخيرا ، وقد وضعت في الاعتبار الدلائل التي تشير فيما يبدو الى وجود تحويل على — حيث أنى مدخن أيضا — فقد حصلت الى أنه من المحتمل أن تكون قد خضرت لها يوما أثناء الجلسة رغبة في أن تحصل منى على قبله . وعندئذ يمكن أن يكون ذلك هو السبب المباثر الذي أدى بها الى تكرار حلم التحذير ، والى أن تعقد العزم على وقف العلاج . هذه النظرية تتيح لكل العناصر أن تثبت معا على نحو يبعث غاية الرضا ، ولكن بالنظر الى الخصائص المميزة « للتحويل » فان هذه النظرية لا يمكن تقديم الدليل الحاسم على صحتها .

عند هذه النقطة كان من الممكن أن أتردد بين طريقتين : هل أبدأ بتناول مايلقيه هذا الحلم من ضوء على تاريخ الحالة ، أم أبدأ بالحرى بتناول الاعتراض الموجه الى نظريتي في الاحلام ، والتي يمكن استخلاصها من هذا الحلم ؟ لقد اخترت الطريق الأول .

أن دلالة تبديل الفراش في التاريخ البكر للعصابيين الأمر جدير بالدراسة العميقة . ومن أجل الموضوع اقتصر على الاشارة اى أن حالة تبديل الفراش عند دورا لم تكن الحالة المألوفة . فالاضطراب لم يكن ينحصر ببساطة في أن العادة قد استمرت الى مابعد الفترة التي تعتبر عادة ، بل أن تلك العادة ، بحسب أقوالها الصريحة ، قد بدأت بالاختفاء ، ثم عادت الى الظهور بعد ذلك من جديد في وقت متأخر نسبيا ، أى بعد عامها السادس . أن تبديل الفراش من هذا النوع ليس له — بحسب أقصى علمى — من سبب أكثر معقولية من الاستمناء ، وهو الذى لم تحظ

أهميته حتى الآن مما تستحقه من تقدير كسبب مولد لحالات تبلييل الفرائش بصورة عامة • وبحسب خبرتي ، فان هذا الارتباط كان الأطفال أنفسهم في وقت ما على وعي تام به ، وكل النتائج النفسية التي تترتب على هذا الارتباط تميل إلى تثبيت أنهم لم ينسوه قط • وفي الوقت الذي روت فيه دوراً حليماً ، كان البحث يمضي بنا في طريق يوشك أن يؤدي مباشرة إلى تسليم من جانبها بأنها مارست الاستمناة في طفولتها • فقبل ذلك بفترة قصيرة كانت قد سألتني لماذا هي بالذات التي أصابها المرض ، وقبل أن أتمكن من الإجابة ، ألقيت بلائمة ذلك على أبيها • وكانت مبرراتها في ذلك تصدر لا عن أفكارها اللاشعورية ، وإنما عن معارفها الشعورية • وقد أدهشني ما اتضح لي من أن الفتاة كانت تعرف طبيعة مرض أبيها فبعد ما عاد من استشارته لي ترامي إلى سماعها حديث جاء فيه اسم المرض • وفي وقت أبكر — وقت الانفصال الشبكي — لا بد وأن يكون طبيب العيون الذي استدعى وقتئذ قد أشار إلى الزهري كسبب للمرض ، إذ أن الفتاة ، في تقصيصها وقلقها ، سمعت في ذلك الوقت عمه عجوزاً لها تقول لأُمها : « لقد كان مريضاً قبل زواجه ، أنت تعرفين » ، ثم أضافت شيئاً لم تستطع الفتاة فهمه ، ولكنها ربطته في ذهنها فيما بعد بأمور غير لائقة •

وأذن فقد وقع أبوها في المرض صريع حياة ماجنة ، وكانت دوراً تعتقد أنه نقل إليها اعتلال صحته بالوراثة • وقد حرصت على أن لا أخبرها أنني كنت أنا أيضاً أعتقد كما سبق أن ذكرت (انظر ص ٢٣) أن مرضى الزهري يكون لدى نسلهم استعدادات قوى بصفة خاصة للإصابة بالالتهن العصبية الخطيرة • وكان هذا الخط الفكري ، الذي جاء فيه اتهامها هذا لأبيها ، يجد ما يكمله في معطياتها اللاشعورية • فخلال عدة أيام دون انقطاع ، توحدت دوراً مع أمها عن طريق أعراض طفيفة وخصال غريبة ، مما أتاح لها فرصة لانجازات لافتة حقاً في مجال السلوك الذي لا يطاق ، ثم كشفت عن أنها تفكر في فترة كانت قد قضتها في فرانترزياد Frauzensbad التي قصدت إليها مع أمها — لا أدري في أي عام • كانت أمها تشكو من آلام في أسفل البطن ومن انقراضات بيضاء ،

مما استلزم علاجاً في فرانكترتباد كانت دوراً تعتقد — وربما كانت على حق هنا أيضاً — أن هذا المرض كان راجعاً إلى أبيها ، الذي نقل إلى أمها مرضه التناسلي . وكان من الطبيعي جداً في استنتاجها هذا — شأنها شأن الغالبية من غير الاختصاصيين — أنها خلطت بين السيلان والزهرى — بين ما يرجع إلى العدوى وما يرجع إلى الوراثة . وكان تشبثها بهذا التوحيد مع أمها إلى الحد الذي أرغمني على أن أسألها ما أن كانت تشكو هي أيضاً من مرض تناسلي ، وعندئذ علمت أنها مصابة بافرازات بيضاء (لوكوريا)^(١) لا تذكر متى بدأت .

وعندئذ تبينت أن هذه السلسلة من الأفكار التي أوردت فيها هذه الاتهامات الصريحة ضد أبيها وكان يكمن وراءها خبيثاً ، كما هو العادة ، اتهام ضد الذات .

واستبقنتها بأن أكدت لها أنني أعتقد أن الإفرازات البيضاء عند الفتيات الصغيرات ترجع في المقام الأول إلى الاستمناء ، وأنى أعتقد أن الأسباب الأخرى التي تعد في العادة مسؤولة عن هذه العلة تجيء في الأهمية بعد الاستمناء^(٢) . وأضفت أنها الآن في طريقها إلى الإجابة عن سؤالها — لماذا هي بالذات وقعت صريعة لمرض — وذلك باعتبارها بأنها مارست الاستمناء ، ربما في الطفولة . أنكرت دوراً بحرارة أنها تذكر أى شيء من ذلك . ولكن بعد أيام قليلة صدر منها شيء لم يكن بوسعى إلا أن اعتبره خطوة أخرى إلى الاعتراف . ففي ذلك اليوم كانت تضع في خصرها — وهو أمر لم تفعله في أية مناسبة

(١) (اللوكوريا افراز مخاطي من المهبل نتيجة التهاب الغشاء المخاطي ، ومن هنا استخدمت كلمة catarrh للدلالة على المعنى ، وكلمة catarrh تفيد أيضاً افراز نتيجة التهاب الغشاء المخاطي للجهاز التنفسي . وفيما بعد سنلتقى بكلمة catarrh هذه ككلمة وصل اتاحت النقل إلى أعلى في صورة السعال (أنظر هامش ص ٩٨ ، المترجمون) .

(٢) (ملحوظة إضافية عام ١٩٢٣) — ذلك رأى مندرج لم يعد لي أن تتمسك به اليوم .

من قبل أو من بعد - كيس نقود صغيرة من شكل ظهرت موضته حديثا ، وبينما كانت ممددة على الارىكة تتحدث مضت تعبت به ، تفتحه ، وتدس أصبعها فيه ، وتعلقه من جديد ، وهكذا راقبت ذلك بعض الوقت ، ثم شرحت لها طبيعة الافعال الاعراضية (١) . فانى اطلق مصطلح الافعال الاعراضية على تلك الافعال التى يأتىها الناس ، فما يقال ، اليا لاشعوريا ، دون أن يتنبهوا لها ، وكأنهم فى لحظة شروء . أنها أفعال يميل الناس الى اعتبارها خالية من كل دلالة . فاذا ما سألناهم عنها أوضحوا بأنها عشوائية ونتيجة صدفة . ومع ذلك فان الملاحظة المتفحصة تكشف عن أن هذه الافعال ، التى لايعرف الشعور عنها شيئا أو لايريد أن يعرف شيئا ، هى فى الواقع تعبيرات عن أفكار لاشعورية وحفزات لاشعورية ، وعلى ذلك فهى على أعظم جانب من الاهمية والدلالة ، بوصفها افساحات عن اللاشعور استطاعت أن تبرز الى السطح . وثمة نوعان ممكنان من الاتجاهات الشعورية ازاء هذه الافعال الاعراضية . فاذا أستطعنا أن نرجعها الى دوافع غير جارحة تنبهننا الى وجودها ، أما اننا لم يتوفر مثل هذا السند تحت تصرف الشعور فاننا عادة ما نعجز تماما عن التنبيه الى أدائها لها . ولم تجد دورا صعوبة فى العثور على دافع . « نم لا أضع كيبا كهذا ، مادام ذلك هو الموضه الآن ؟ » ولكن تبريرا من هذا النوع لا يلغى امكانية وجود أصل لا شعورى لهذا الفعل . وان كان من ناحية أخرى يصعب التدايل بشكل قاطع على وجود هذا الأصل أو مثل هذه الدلالة التى تنسبها الى الفعل . وينبغى أن نقنع بتبيننا أن مثل هذه الدلالة تلتئم تماما بشكل عجيب ضمن السياق الكلى للموقف ، وضمن الاهتمامات الحالية التى يفرضها اللاشعور .

وسوف أنشر فى مناسبة أخرى مجموعة من هذه الأفعال

(١) أنظر مقالى عن « سيكوباتولوجيا الحياة اليومية » المنشور فى Monatschrift für Psychiatrie und Neurologie, 1901 وقد نشر فى كتاب عام ١٩٠٤ (كما أعيد نشره فى Ges. Werke IV الاعمال المجموعه ، مجلد ٤ . وفى (Standerd Edition, vol. VI)

الأعراضية على نحو ما نشاهدها عند الاسوياء وعند العصاةيين •
وأحيانا ما يكون تفسيرها غاية في السهولة •

فكيس دورا المشقوق من أعلى على النحو المألوف لم يكن غير تمثيل
لعضوها التناسلي • وعبثا به ، إذ تفتحه وتدس أصبعها فيه ، كان
تعبيرا ايمائيا مكتملا خاليا من الحرج وأن يكن واضحا ، عما تريد أن
تفعله بهذا العضو ، وهو على التحديد أن تستمنى • وثمة حادث جد
ظريف من نوع مشابه وقع لى منذ وقت قصير • وسط الجلسة
أخرجت المريضة — وهى سيدة تخطت الشباب — علبة صغيرة من
العاج ، وكان من الواضح أنها تريد أن تتعش نفسها بقطعة حلوى •
جاهدت لفتح العلبة ، ثم قدمتها الى كيما اقتنع بمدى صعوبة فتحها •
فعبرت عن ظنى بأن هذه العلبة ، لابد وأن تعنى شيئا خاصا فنتك كنت
المرّة الاولى على التحديد التى رأيت فيها هذه العلبة وأن كانت صاحبتهما
تتردد على منذ أكثر من عام • أجابتنى السيدة فى لهفة « أننى أحمل
معى دائما هذه العلبة ، فهى تلازمنى أينما ذهبت » • ولم تهدأ الا بعد
أن أبرزت لها فى ضحكة كيف أن كلماتنا تتلاءم تماما مع معنى آخر •
فالعلبة شأنها شأن كيس النقود ، وعلبة الحلوى ، لم تكن مرة أخرى غير
بديك لصدفة فينوس ، (أى) للعضو الأنثوى •

وثمة كثرة من هذه الرمزية فى الحياة ، نمر بها دون أن نتنبه لها
فى العادة وحينما أخذت على عاتقى أن أخرج الى النور ما يبيقيه
الناس خبيثا داخل أنفسهم ، مستعينا لا بالقوة القاهرة للتنويم
الغناطيسى ، بل بملاحظة ما يقولونه وما يظهر منهم كنت أعتقد أن
مهمتى هى أعرس بكثير مما وجدتها عليه فى الواقع • فمن له عينان
للبصر وأذنان للسمع فبوسعه أن يقتنع بأن ما من انسان يستطيع
أن يكتم سرا • فاذا صممت شفتاه ثرثرت أطراف أصابعه ، فالافشاء
ينضح من كل مسامه • ومن ثم فان اخراج أشد اللثايات اختفاء فى
النفس الى حيز الشعور له مهمة قابلة تماما للتحقيق •

لم يكن فعلك دورا الأعراضى الخاص بكيس النقود سابقا على

الحلم مباشرة • وقد استهلت الجلسة التي أدلت فيها بالحلم بفعل
 أعراض آخر • فعندما دخلت إلى الغرفة التي كانت تنتظرنى فيها
 سارعت إلى إخفاء خطاب كانت تقرأه • • سألتها بالطبع من أى
 شخص هذا الخطاب ، ورفضت فى البداية أن تجيبنى • وأخيرا
 أخبرتنى بشيء لم تكن له أهمية على الإطلاق ولا صلة له بالعلاج •
 لقد كان خطابا من جدتها تطلب فيه إلى دورا تكثر من الكتابة لها •
 أن دورا لم تكن تقصد إلا إلى أن تلعب معى لعبة « الأسرار » ؟
 موحية لى بأنها كانت توشك أن تسمح لسرهما بأن ينتزعه الطبيب •
 وبذلك أصبحت فى وضع يسمح لى بتفسير نفورها من كل طبيب
 جديد • كانت تخشى من أن يكشف عن أصل مرضها ، أما بفحصها
 طبيا واكتشافه لافرازاتها البيضاء ، وأما بتوجيه الأسئلة إليها وإزاحة
 الستار عن أدمانها لتبليل الفراش — حتى لا يكشف باختصار أنها
 مارست الاستمناء • ومنذ ذلك الوقت كانت تتكلم دائما باختصار
 شديد عن الأطباء ، وهم الذين كانت من قبل ولاشك تسرف فى
 تقديرهم •

أن اتهاماتها ضد أبيها بأنه السبب فى مرضها ، بالإضافة إلى ما
 يكمن وراء تلك الاتهامات من اتهامها لنفسها ، والافرازات البيضاء ،
 وعبثها بكيس النقود ، وتبليلها لفراشها بعد عامها السادس ، وسرهما
 الذى لم تكن ترغب فى أن ينتزعه منها طبيب — هى علامات بدت لى
 دليلا مكتملا وقاطعا على أنها مارست الاستمناء فى الطفولة • وفى حالة
 دورا هذه ، كنت قد بدأت أستشعر وجود الاستمناء عندما أخبرتنى
 بالآلام المعدية عند بنت عمها (انظر ص ٤٣) وكانت قد توحدت معها
 وقتئذ بشكايتها خلال عدة أيام متصلة من نفس الاحاسيس
 الاليمية • ومن المعروف جيدا ان الآلام المعدية يغلب حدوثها بضعة خاصة
 عند من يستمنون ، وبحسب ما أخبرتنى به شخصيا ف فليسر W. Filless
 فان الآلام المعدية من هذا النوع هى على التحديد التى يمكن إيقافها
 باستعمال الكوكايين فى « النقطة المعدية » التى أكتشفها بنفسه فى
 الأنف ، والتى يمكن شفاؤها بكى نفس هذه النقطة • وتأكيذا لما
 أستشعرته قدمت لى دورا واقعتين من معارفها الشعورية : فكثيرا ما

عانت هي نفسها من آلام معدية ، وكان لديها من الاسباب الوجيهة ما يحملها على الاعتقاد بأن ابنة عمتها كانت تمارس الاستمناء . ومن الامور جد الشائعة بين المرضى أنهم يتعرفون عند الآخرين على علاقات يستحيل عليهم ، بسبب مقاوماتهم الانفعالية ، أن يتبينوها في أنفسهم . والواقع أن دورا لم تعد تذكر ما استشعرته ، وأن كانت قد ظلت لا تذكر شيئا . وحتى التاريخ الذي حددته بخصوص تبليد الفراش ، عندما قالت أنه استمر «الى ما قبل ظهور الربو العصبى بوقت قصير» فإنه ينطوى فيما يبدو لى على دلالة كلينيكية . ان الاعراض الهستيرية نادرا ماتظهر على الاطلاق طالما كان الاطفال يمارسون الاستمناء ، ولحنها نظهر فقط بعد ذلك عندما تأتي فترة من الامناع (١) . فبالاعراض الهستيريه تشكل بديلا عن الاشباع الاستمنائي ، هذا الذي تستمر الرغبة فيه باقية على حالها في اللاشعور ، حتى يظهر نوع آخر من الاشباع أكثر سوية — متى كان ذلك مايزال ممكنا . وذلك لأنه ، تبعالما كان هذا النوع الجديد من الاشباع ممكنا أو غير ممكن ، تتوقف امكانية البرء من الهستيريا بالزواج والاتصال الجنسى السوى . ولكن اذا ما اختفى من جديد هذا الاشباع الذى يتيح الزواج — وهو ما يمكن أن يحدث نتيجة للجماع المقطوع ، أو نتيجة للتنافر النفسى ، أو غير ذلك من الاسباب — فعندئذ يفيض الليبيدو مرتدا الى مجراه القديم ، فيعبر عن نفسه من جديد فى أعراض هستيرية .

كنت أود لو استطعت ان أضيف بعض المعطيات القاطعة ، عن متى وتحت أى تأثير خاص توقفت دورا عن الاستمناء ، ولكن بالنظر الى عدم اكتمال التحليل ، ليس لدى من شىء أقدمه غير معطيات جزئية . فقد رأينا أن تبليد الفراش قد استمر الى ما قبل اصابتها لأول مرة بعسر التنفس بوقت قصير . وكل ما أستطاعت أن تلقيه من ضوء على هذه

(١) ويصدق ذلك أيضا من حيث المبدأ على الراشدين ، ولكن فى حالتهم يكون الامتناع النسبى ، أو الاقلال من مرات الاستمناء ، سببا كافيا ، بحيث اذا ما كان الليبيدو بالغ الشدة فمن الممكن أن تجتمع الهستيريا والاستمناء جنبا الى جنب .

النوبة الاولى لم يزد عن أن أباه كان وقت حدوث هذه النوبة متغيبا عن
ابيلت لأول مرة بعد تحسن صحته . وفي هذه الذكرى الجزئية لابد
وأن يوجد تلميح الى السبب المولد لعسر التنفس . أن الاعمال
الاعراضية لدورا ، وعلامات أخرى معينة ، قد أمدتني بأسباب وجيهه
لان افترض أن الطفلة ، وهى التى كانت غرفة نومها لايفصلها غير باب
عن غرفة نوم أبويها ، قد ترامت الى آذانها زيارة ليل من أبيها لأهها ،
وسمعت أباه (وهو الذى كان دائما ضيق التنفس) يلهث أثناء انجماع
والاطفال فى مثل هذه الظروف يستشعرون طابعا جنسيا لهذه الأصوات
المحيرة التى تبلغ أسماعهم . فالحركات المعبرة عن الهياج الجنسي
تكون عندهم فى الواقع فى متناولهم كاملة كميكانيزمات فطرية . وقد
قررت منذ سنوات مضت أن عسر التنفس وخفقان القلب اللذين
يحدثان فى المهستيريا وعصاب القلق ليسا غير جزئين منسلخين من عملية
الجماع . وفى حالات كثيرة ، كما فى حالة دورا ، استطعت ان أرجع
عرض عسر التنفس أو الربو العصبى الى نفس سبب المولد — ائى
أن المريض كان قد ترامى الى سمعه جماع بين راشدتين . فالهياج
المتعاطف الذى يمكن افتراض حدوثه عند دورا فى مثل هذه الظروف
ربما يكون ، وبمنتهى السهولة ، قد جعل جنسية الطفلة تغير من مسارها
وعندئذ أدخل ميلها الى الاستمنااء مكانه للقلق المرضى . وبعد ذلك بوقت
قصير ، عندما كان أبوها متغيبا ، وكانت الطفلة ، وقد كرسست نفسها
لحبه ، على عودته ، فانها لا بد وان تكون قد ابتعثت من جديد
الانطباع الذى سبق أن عاشته ، ولذلك فى صورة نوبة ربو . لقد احتفظت
فى ذاكرتها بالحدث الذى تسبب فى أول ظهور للعرض ، ونستطيع أن
نحدد من ذلك طبيعة هذه السلسلة من الأفكار ، المشحونة بالقلق ،
والتي صاحبت النوبة . فهذه النوبة الأولى قد حدثت لها على أثر ما
أصابها من انهاك فى نزهة فى الجبال ، بحيث يحتمل أنها كانت فى الواقع
لاهثة الانفاس بعض الشيء . الى هذا انضافت الفكرة بأن أباه كان
ممنوعا من تسلق الجبال . ولم يكن من المسموح له أن ينهك نفسه ،
اذ كان يعانى من ضيق التنفس ، عندئذ ذكرت الى أى حد أنهاك نفسه

مع أمها في تلك الليلة ، وتساءلت ما ان كان هذا لم يصبه بضرر ، بعدئذ كان انشغالها بأنها ربما تكون هي الاخرى قد أنهكت نفسها بالاستمناء — وهو فعل كالآخر يؤدي الى نشوة جنسية مصحوبة بعسر هين في التنفس — ، وأخيرا كانت عودة عسر التنفس في صورة شديدة كعرض . أن جانبا من هذه المعطيات استطعت أن أحصل عليه مباشرة من التحليل ، ولكن الباقي كان على أن أكمله . والواقع أن الطريقة التي بها ثبتنا من حدوث الاستمناء في حالة دورا ترينا كيف أن المعطيات الخاصة بموضوع واحد انما يمكن جمعها فحسب جزءا جزءا في أوقات متباعدة وضمن سياقات مختلفة (١) .

والآن تبرز سلسلة بأسرها من الأسئلة البالغة الأهمية عن

(١) أن الدليل على الاستمناء الطفلي في حالات أخرى تتم اقامته بطريقه مماثلة تماما فالمعطيات هي بصورة عامة من طبيعة مماثلة : أشارت الى وجود افرازات بيضاء ، تبليل الفراش ، طقوس خاصة بالايدي (الاغتسال الحضاري) ونحو ذلك . ومن الممكن دائما أن نتبين بشكل أكيد ، استنادا الى طبيعة الاعراض عند المريضة ، ما أن كانت تلك العادة قد اكتشفها أو لم يكتشفها الشخص القائم على الطفلة ، أو ما أن كان هذا النشاط الجنسي قد أنتهى بجهود طويلة من جانب الطفلة للتخلص من العادة ، أو في صورة تعبير مفاجيء . في حالة دورا بقي الاستمناء دون أن يكشفه أحد وانتهى دفعة واحدة (قارن : سرها ، وخوفها من الاطباء واحلالها عسر التنفس محل الاستمناء) صحيح أن المريضات ينكرن دائما شرعية الاستنتاج من مثل هذه الشواهد ، وهن يفعلن ذلك حتى حين تكون لديهن ذكرى شعورية عن الافرازات البيضاء ، أو عن تحذيرات أمهاتهن (من قبيل : « هذا بسبب الخيل ، أنه خطر ») . ولكن بعد ذلك ، تبرز بشكل أكيد هذه الذكرى التي طال كتبها ، عن هذا الجزء من الحياة الجنسية للطفلة ، ويحدث ذلك في كل حالة . ويذكرني ذلك بحالة إحدى مريضاتي ، وكانت تعاني من أحصرة هي مشتقات مباشرة من استئنائها الطفلي كانت غرائبها من قبيل التحريمات الذاتية والعقوبات الذاتية ، وشعورها بأنها أن فعلت هذا فينبغي أن لاتفعل ذلك ، وفكرتها بأنه لايتبغى أن يقطع أحد عليها ماتفعله ، ولحلمها فترات فاصلة بين اداء (بيديها) والذي يليه . وغسلها ليديها ، الخ — كلها قد تكشففت تكرارات حرفية لاجزاء من جهود دربيتها كيما تنطل هذه العادة . والنشء الوحيد الذي ظل بصورة دائمة في ذاكرتها كان كلمات التحذير : « كخ ! هذا خطر ! » . قارن أيضا في هذا الصدد كتابي « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » ، ١٩٥٥ .

الأسباب المولدة للهستيريا : هل ينبغي اعتبار حالة دورا ، من زاوية الأسباب المولدة للمرض ، حالة نمطية . وهل هي تمثل النمط الوحيد ، الممكن لتلك الاسباب ؟ وهكذا . ومع ذلك فاني على ثقة من أنني أسلك الطريق الصحيح اذ أوجل اجابتي عن مثل هذه الأسئلة ، حتى يتاح لي بنفس الطريقة تحليل ونشر عدد كبير من الحالات . هذا الي أنه يتحتم على أن أبدأ بنقد الصياغة التي تتخذها هذه الأسئلة فبدلا من أن أجيب بـ « نعم » أو « لا » على ما ان كانت الاسباب المولدة للمرض في هذه الحالة ينبغي البحث عنها في الاستمنا أثناء الطفولة ، يتحتم على أولا أن أناقش مفهوم « الأسباب المولدة للمرض » عند استخدامه في الأعصبة النفسية . عندئذ سوف يتضح أن وجهه النظر التي تمكنني من الاجابة على السؤال هي جد مياينة لوجهة النظر التي يقوم عليها السؤال . حسبنا أن نبلغ الى الاقتناع بأنه في هذه الحالة كان الاستمنا في الطفولة قائما ، وبأن حدوثه لا يمكن أن يكون مسألة صدفة أو لا أهمية له في تشكيل اللوحه الكلينيكية (١) .

وتفحص دلالة الافرازات البيضاء التي اعترفت بها دورا ييشرن باتاحة فهم أفضل لاعراضها فقد تعلمت أن تسمى علتها هذه « افراز التهابي » catarrh وذلك وقت ان كان على أمها أن تزور فرنترتباد بسبب علة مماثلة ، ومرة أخرى هنا تلعب كلمة « افراز التهابي » دور « كلمة الوصل » ، مما أتاح لكل سلسلة أفكارها حول مسئولية

(١) أن شقيق دورا لابد وأنه كان مسئولا بشكل ما عن اكتسابها عادة الاستمنا ، لانها قالت لي في هذا الصدد بكل التوكيد الذي يفضح وجود « ذكرى حاجبة » ان أخاها كان دائما ينقل اليها جميع أمراضه المعية ، وبينما كان هو يعانيتها بصورة هيئة ، كانت هي على العكس تمانيتها بصورة خطيرة . وفي اللحم تحقق انفاذ أخيها كما تحقق انفاذها من «الهلاك» . وكان أخوها هو الاخر مصابا بتبلبل فرائشه ، ولكنه تخلص من هذه العادة قبل أخته . وتصريحها بأنها استطاعت في دراستها أن تظل مسايرة لأخيها حتى وقت مرضها الاول ، ولكنها تخلفت عنه بعد ذلك ، انما كان هو الآخر بمعنى ما « ذكرى حاجبة » . كانت وكأنها صبي حتى تلك اللحظة ، ثم غدت بعد ذلك صبية لاول مرة . كانت في الواقع كأننا متوحشا ، ولكنها غدت بعد الربو هادئة ومهذبة . فهذا المرض يقيم حدودا فاصلة بين مرحلتين من حياتها الجنسية ، كانت الاولى مذكرة في طابعها ، والثانية انثوية .

أبيها عن مرضها أن تعبر عن نفسها في عرض السعال . والسعال الذي نتج في الأصل ولا شك من التهاب واقعى هين ، كان أيضا محاكاة منها لأبيها (الذى كان مصابا في رئتيه) ، ومن ثم كان بوسع السعال أن يعبر عن تعاطفها معه وقلقها عليه . ولكن للسعال ، بالإضافة الى ذلك ، كان وكأنه يصرخ عاليا بشيء ما ربما كان مايزال لا شعوريا عندها : « اننى ابنة أبى . عندى افراز التهابى تماما كما عنده . لقد جعلنى مريضة ، تماما كما جعل أمى مريضة . فمنه أخذت نزواتى الشريرة التى يعاقبها المرض (١) » .

ولنحاول الآن أن نحصى المحددات المختلفة التى كشفنا عنها كأسباب لنوبات السعال وبحة الصوت عند دورا في أعماق المستويات يتحتم أن نفترض وجود التهاب في الحلق واقعى وعضوى في أصله — اضطلع بدور حبة الرمل التى يبنى حولها حيوان الحمار لؤلؤته . هذا الالتهاب في الحلق كان قابلا للتثبيت ، لأنه ينصب على جزء من اليدين كان قد احتفظ عند دورا بدرجة كبيرة بدلالته كمنطقة شبقية . وبالتالي كان هذا الالتهاب في الحلق قد تحقق تثبيته بفضل هذا الذى يمكن اعتباره واجهته النفسية الأولى — محاكاتها التعاطفية لأبيها — وبفضل اتهاماتها الذاتية اللاحقة بخصوص «المرازها الالتهابى» (المهبل) . وبالإضافة الى ذلك فان نفس هذه الأعراض قد كشفت عن قدرتها

(١) لقد لعبت كلمة « افراز التهابى » Catarrh نفس الدور عند فتاة الاربعة عشر عاما التى أوجزت حالتها في اسطرة قليلة (ص ٢٨) . كنت قد وضعت الفتاة في بنسيون مع سيده ذكية كانت مكلفة من قبلى بالعناية بها . فأخبرتني هذه السيدة بأن الفتاة لم تكن تطبق وجودها في الغرفة عندما كانت تهيب نفسها للنوم ، وبأنه كان يئتابها وهى في فراشها سعال غريب ، لم يكن له أى اثر أثناء النهار . وعند سؤال الفتاة عن هذه الاعراض كان الشئ الوحيد الذى ورد الى ذهنها هو أن جدتها كانت تسعل بنفس الطريقة ، وكان يقال أن جدتها مصابة بالتهاب catarrh . واستنادا الى ذلك كان من الواضح أن الفتاة نفسها مصابة بالتهاب (في المهبل) وانها لم تكن ترغب في أن يراها أحد أثناء قيامها باغتسلات المساء . بل إن هذا الالتهاب (الافرازات البيضاء) ، الذى — بفضل اسمه — يقل من أسفل الى أعلى ، قد كشف عن درجة غير مألوفة من الشدة .

على التعبير عن علاقة دورا مع السيد ك ، فقد كان بوسع هذه الأعراض أن تعبر عن أساها لغيابه ، وعن رغبتها في أن تكون له زوجة أفضل من زوجته . وبعدها تحول جانب من الليبيدو عندها ، عائدا من جديد الى أبيها ، أكتسب العرض ما يمكن اعتباره دلالة الأخيرة فقد أصبح يمثل جماعا جنسيا مع أبيها ، وذلك بتوحد دورا مع مداك وبوسعي أن يؤكد أن هذه السلسلة ليست مكتملة بحال . فالتحليل الجزئي ، للأسف ، لا يمكننا من أن نقف على التعاقب التاريخي للتغيرات في دلالة العرض ، ولا من أن نبين بشكل واضح تعاقب أو تساوى هذه الدلالات المختلفة . وهذه المتطلبات يحق لنا ، في حالة التحليل المكتمل ، أن نتوقع الاجابة عليها .

ويتحتم على الآن أن أشرع في تناول علاقات أخرى أمعن بين الالتهاب المهبلى عند دورا وأعراضها الهستيرية . لقد اعتدت — في وقت كان فيه الفهم السيكولوجي للهستيريا ما يزال بعد أمرا جد بعيد — اعتدت أن أسمع زملائي الأطباء من المتمرسين لمسنين يؤكدون في حالات الهستيريات المصابات بالافرازات البيضاء ، أن أية زيادة في هذه الافرازات تستتبع دائما وبصورة منتظمة استفحالا في الأعراض الهستيرية ، وخاصة الأنوركسيا (فقدان شهية الطعام) والقيء . ولكن أحدا منهم لم يكن يفهم في وضوح طبيعة هذه العلاقة ، ولكنى أعتقد أن الاتجاه العام كان ينزع الى الرأى الذى يتبناه أطباء النساء . فحسب رأيهم ، كما هو معروف ، تؤثر اضطرابات العضو التناسلى تأثيرا مباشرا وبعيد المدى في الوظائف العصبية في صورة اضطراب عضوى — وإن كان اختيار هذه النظرية من الناحية العلاجية يترك المرء على حيرته . وفي ضوء معارفنا الحالية ، لا نستطيع استبعاد امكانية وجود تأثير عضوى مباشر من هذا القبيل ، ولكنه من الأيسر في جميع الحالات أن نتبين محددات الواجهة النفسية التى يتخذها هذا التأثير . فاعتداد النساء بمظهر أعضائهن التناسلية يمثل جانبا خاصا من اعتدادهن بأنفسهن ، ومن ثم فإن الاضطرابات التى تتألف أعضاءهن التناسلية ،

ويعتقدن أن من شأنها أن تثير مشاعر النفور بل الاستمزاز ، تملك قوة هائلة على اذلالهن ، وعلى الهبوط باعتدادهن بأنفسهن ، وعلى جعلهن سريعات التهيج ، مسرفات الحساسية ، شديدات الريية • فافرازات غير عادية من العشاء المخاطي للمهبل تعتبر باعثة على الاستمزاز •

ولنتذكر أن دورا انتابها شعور استمزاز عارم أثر تقبيل السيد ك لها ، وأنا وجدنا مانستند اليه لاكمال القصة التي روتها عن مشهد القبلة ، اذ افترضنا أنها استشعرت ، أثناء عناقها لها ، ضغط قضيبه المنتصب على بدننا • وبالإضافة الى ذلك ، نعلم الآن أن نفس المريية التي طردتها ، دورا بسبب عدم إخلاصها لها ، كانت بالاستناد الى خبراتها الخاصة في الحياة ، قد أوحى الى دورا بأن جميع الرجال عابثون ولا ينبغي الثقة فيهم • وهذا يعنى بالضرورة عند دورا أن كل الرجال كأبيها ولكنها كانت تعتقد أن أباهما مصاب بمرض تناسلي - أفلم ينقله اليها والى أمها ؟ وعلى ذلك فربما تخيلت ان كل الرجال مصابون بمرض تناسلي ، وكان تصورهما لهذا المرض يقتصر بطبيعة الحال على حدود تجربتهما الشخصية وحدها • ومن هنا فالإصابة بمرض تناسلي كانت تعنى عندها الإصابة بافرازات تبعث على الاستمزاز أفلا يكون لدينا هنا سبب آخر للاستمزاز الذى استشعرته لحظة العناق وهكذا يكون الاستمزاز الذى انزاح الى عنق الرجل مجرد شعور تم استنقاظه - تبعاً لذلك الميكانيزم الأولى الذى سبق أن ذكرته (أنظر ص ٣٣) - وهو شعور يرجع في نهاية الأمر الى افرازاتها البيضاء •

ويغلبنى الظن بأننا الآن ازاء سلسلة من الأفكار اللاشعورية مجدولة حول صرح من العلاقات العضوية (البدنية) القائمة من قبل ، على نحو ماتكون أكاليل الزهور مجدولة حول هيكل من الأسلاك ، بحيث نستطيع في حالات أخرى أن نعثر على سلاسل أخرى من الأفكار مجدولة ما بين نفس نقط الابداء ونفس نقط الانتهاء • ومع ذلك فمعرفةنا بتسلسل الأفكار الذى تحقق في حالة فردية بعينها الأمر لايمكّن المبالغة في مدى قيمته لفهم الأعراض • لقد انقطع تحليكي دورا قبل أن يتم • ولهذا

السبب وحده كنا مضطرين في حالتها الى أن نلجأ الى صياغة الفروض،
وتعويض النقص . وما أضفته سدا للثغرات انما تدعمه دائما أبدا حالات
أخرى أكمل تحليلها .

أن الحلم الذي استخلصنا منه هذه المعلومات يعبر ، كما رأينا ،
عن تصميم لازمها حتى في نومها . ومن هنا تكرر كل ليلة حتى أتيح له
التنفيذ . ثم ظهر الحلم من جديد بعد سنوات عندما برزت مناسبة
تقتضى تصميميا مماثلا . ومن الممكن صياغة هذا التصميم شعوريا في
كلمات كهذه : « يتحتم على أهرب من هذا البيت ، اذ أرى بكارتي هنا
في خطر ، سأرحل بعيدا مع أبي ، وسأخذ احتياطات بحيث لا أفاجا في
الصباح أثناء ارتدائي للملابس » . هذه الأفكار يعبر عنها الحلم بوضوح،
فهى تشكل جانبا من تيار نفسى بلغ الى الشعور وهيمن على حياة اليقظة .
ولكن وراء هذه الأفكار يمكننا أن نتبين آثارا غائمة لسلسلة تشكيل
جانبا من تيار نفسى مضاد ، ومن ثم عانت الكبح وه ، السلسلة الأخيرة
من الأفكار ذروتها غواية الاستسلام للرجل ، امتنانا لما كشف عنه من
حب وحنان لها طوال السنوات الأخيرة ، وربما تكون هذه السلسلة قد
انبعثت ذكرى القبلة الوحيدة التى تلققتها منه حتى ذلك الوقت ، ولكن
بحسب نظريتي التى قدمتها فى « تفسير الأحلام » لا تكفى مثل هذه
العناصر لعمل حلم . فالحلم بحسب هذه النظرية ليس تعبيرا عن
تصميم يبدو وقد تحقق ، بل عن رغبة تبدو وقد تحققت ، وهى أيضا
رغبة غالبا جدا ماتنتسب الى الطفولة وعلينا الآن أن نتبين ما أن كانت
هذه القاعدة لاتجد مايدحضها فى هذا الحلم .

ان الحلم يشتمل فى الواقع على مادة طفلية ، وان كان يستحيل
علينا من النظرة الأولى أن نتبين أية علاقة بين هذه المادة الطفلية وبين
تصميم دورا على أن نهرب من بيت السيد ك - ، ومن الغواية التى
تستشعرها فى حضوره فلماذا كان ينبغى أن تنبعث ذكرى تبليها لفرائسها
أثناء الطفولة والطاقت التى كان قد بذلها أبوها لتعويدها على النظافة

يمكننا أن نجيب على ذلك بأنه لم يكن ممكناً إلا بهذه السلسلة من الأفكار أن نبلغ دوراً إلى كبح الأفكار الأخرى التي تعج بالغوابة الشديدة للاستسلام ، أو أن تبلغ إلى ضمان الغلبة للتصميم الذي اتخذته نضالاً ضد تلك الأفكار الأخرى . صممت دوراً الطفلة على أن تهرب مع أبيها ، ولكنها في الواقع هربت إلى أبيها ، لأنها كانت خائفة من الرجل الذي يطاردها ، لقد استدعت حبها الطفلي لأبيها ، ليحميها ضد حبها الحالي لرجل غريب . كان أبوها نفسه مسئولاً إلى حد ما عن الخطر الذي تجدد نفسها فيه الآن ، لأنه أسلمها إلى هذا الرجل الغريب حفاظاً على علاقته الغرامية . وكم كان يكون أفضل لو أن أباه هذا نفسه لم يجب أحداً غيرها ، وكرس كل طاقته لينقذها من الأخطار التي كانت تهددها آنذاك . فالرغبة الطفلية ، وهي الآن لاشعورية ، في أن يكون أبوها في مكان الرجل الغريب ، هي التي تنطوى على الطاقة اللازمة لعمل حلم . فإذا كان هناك موقف من المواقف الماضية شبيهاً بموقف حالي ، لا يختلف عنه إلا من حيث أنه ينصب على شخص لا الأخر من الشخصين موضوع الرغبة ، فإن ذلك الموقف الماضي يصبح عندئذ الموقف الرئيسي في الحلم . مثل ذلك الموقف يوجد في حالة دورا : فأبوها وقف مرة بجوار سريرها ، تماماً كما فعل السيد ك في اليوم السابق للحلم ، وأيقظها أبوها بقبلة ، كما كان السيد ك — ربما ينتوى أن يفعل . وهكذا فإن تصميمها على الهروب من البيت لم يكن بذاته كافياً لعمل حلم ، ولكنه غداً كافياً بفضل ارتباطه بتصميم آخر يستند في أساسه إلى رغبات طفلية . أن رغبة دورا في إحلال أبيها بدلاً من السيد ك — هي التي أتاحت القوة المحركة لانشاء الحلم . واني أذكر الآن بالتفسير الذي وجدتني مضطراً إلى الأخذ به فيما يتصل بسلسلة الأفكار المتسلطة عند دورا عن علاقة أبيها بمدام ك — . فقد كان تفسيرى ينحصر في أنها قد استدعت في ذلك الوقت حبها الطفلي لأبيها ، حتى تتمكن من أن تبقى على حبها المكبوت للسيد ك — تحت الكبت . هذا الانقلاب المفاجيء في الحياة النفسية للمريضة هو نفسه الذي يصوره الحلم .

لقد سبق أن قدمت في كتابي « تفسير الأحلام (١) » بضع ملاحظات عن العلاقات بين أفكار اليقظة (متخلفات النهار) التي تتواصل في النوم وبين الرغبة اللاشعورية التي تعمل الحلم • وأسرد هنا هذه الملاحظات كما هي ، فليس لدى ماأضيفه إليها ، وتحليل حلم دورا هذا يثبت من جديد صحة ماذهبت إليه :

« انى أسلم طواعية بأن هناك طائفة كاملة من الأحلام ينشأ فيها الخافز الى الحلم بصفة غالبية ، ان لم تكن مانعة من البقايا المتخلفة من حياة النهار ، وأعتقد أنه حتى رغبتى في أن أصير في النهاية أستاذا (٢) كان يمكن ، فيما أعتقد ، أن تتركنى أنام نوما ليليا هادئا ، لو لم يكن تلقى على صحة صديقى قد بقى مستمرا بعد أن انقضى النهار • ولكن المقلق وحده ماكان يستطيع أن يصنع حلما ، بل كان من اللازم أن تقوم رغبة بتوفير القوة الدافعة التي يقتضيها الحلم ، كما كان على القاق أن يتصيد رغبة لتكون منها هذه القوة الدافعة • ولكى نوضح الموقف بتشبيه نقول : أن الفكرة للنهارية تقوم بعمل صاحب المشروع بالنسبة الى الحلم ، ولكن صاحب المشروع — وهو الذى كما نقول ، يملك الفكرة يملك الحافز الى تنفيذها — لايستطيع شيئا بغير رأس المال ، فهو محتاج الى ممول قادر على أن يزوده بالخرج ، والممول الذى يوفر المخرج النفسى بالنسبة الى الحلم هو من غير استثناء ولاجدل وأيأ كانت أفكار اليوم السابق — رغبة من اللاشعور (٣) » •

وكل من أتيح له أن يتبين مدى ماينتسم به صناعة الحلم من دقة البنيان ، لن يدهشه أن رغبة دورا في احلال أبيها بدلا من الرجل الذى كان يملك غواية لها ، لم تبتعث كيفما انتفق أية مادة من طفولتها ، بل

(١) Traumdeutung, 7th Ed. P 416.

(٢) تلك اشارة الى حلم ورد في الكتاب كمثال •

(٣) قارن ، فرويد : تفسير الاحلام ، الترجمة العربية ، دار المعارف ،

الطبعة الاولى ، ص ٥٥٠ — المترجمون

ابتعثت على وجه التحديد تلك المادة التي كانت أشد ماتكون ارتباطا
بجرح هذه الغواية • ذلك أنه إذا كانت دورا قد شعرت بعدم قدرتها
على ان تستسلم لحبها للرجل • وإذا كانت قد كتبت في النهاية هذا الحب
بدلا من أن تستسلم له ، فليس هناك من سبب مباشر يرجع اليه تصميمها
أكثر من لذاتها الجنسية الباكراة وماترتب عليها من تبليها لفراستها
واغرازاتها البيضاء ، واشمئزازها • وتاريخ باكر من هذا القبيل يمكن
تبعا لجملة المحددات الجبلية عند الفرد — ان يشكل أساسا لواحد من
اتجاهين ، في مواجهة المتطلبات التي يقتضيها الحب عند المرائد • مثل
هذا الفرد سوف يكشف أما عن استسلام للجنسية يخلو تماما من أى
دفاع ويقف به عند حافة الانحراف وأما عن رفض — فسوف يرفض
الجنسية ويقع في نفس الوقت مريضا بعصب • وفي حالة مريضتنا
دورا ، حتمت عليها جبلتها وتربيتها الرفيعة ، فكريا وأخلاقيا ، أن
تسلك الطريق الثانى •

وأحب أيضا أن أوجه انتباها خاصا الى تحليل هذا الحلم قد أتاح
لنا الامسك بتفصيلات معينة من الوقائع التي ولدت المرض ، والتي
فذكرى تبليد الفراش في الطفولة كانت كما رأينا مكبوتة • كما أن دورا
لم تكن قد أشارت قط الى تفصيلات ملاحقة السيدك — لها ، اذ لم
تخطر ايدا ببالها •

وثمة أيضا ملاحظات قليلة يمكن أن تعين على الامسك بالوحدة
الكلية لهذا الحلم • فعمل الحلم قد بدأ في عصر اليوم الثانى للمشهد
في الغابة ، بعد أن تبينت دورا أنه لم يعد بوسعها أن تغلق الباب على
نفسها • عندئذ قالت لنفسها : « هنا يهددنى خطر شديد » ، وانتهت
الى تصميمها على أن لاتبقى بمفردها في هذا البيت ، بل على أن ترحل
مع أبيها • هذا التصميم غدا كفيلا بعمل حلم ، اذ استطاع أن يجد في
اللاشعور ما يعد استمرارا له • وأن مايعد مناظرا له في اللاشعور إنما
كان استدعاء دورا حبها الطفلى لأبيها حماية لها ضد الغواية الحالية •

والانقلاب الذى تحقق بذلك فى داخلها غدا وطيدا ، وتادى بها الى الاتجاه الذى تكشف عنه سلسلة أفكارها المتسلطة — الغيرة من مدايمك — على أبيها ، وكأنها كانت هى نفسها عاشقة له . كان فى داخلها صراع بين غواية الاستسلام لمطارحة الرجل وبين قوة معقدة تنمرد على هذه الرغبة . وهذه القوة الأخيرة كان قوامها دوافع من مقتضيات الأدب والعقل ، ومن نزعات عدوانية نجمت عن نصائح المربيه (غيرة وكبرياء مجروح — كما سنرى فيما بعد) ، ومن نزعه عصابية ، هى على التحديد مزجعة تعود من الجنسية كانت قائمة عندها من قبل ، استنادا الى تاريخها الطفلى . وفى نفس هذا التاريخ الطغلى يكمن اصل حبها لأبيها ، وهو الحب الذى استدعته حماية لها ضد الغواية .

وتصميم دورا على الهرب الى أبيها ، وهو كما رأينا يجد استمرارا له فى اللاشعور ، قد تحول فى الحلم الى موقف يصور رغبته — وكأنها تحققت — فى أن ينقذها أبوها من الخطر . هنا كان من الضرورى لدورا أن تنحى جانبا فكرة معينة كانت تنقف حائلا : إذ أن أباهها نفسه هو الذى أوقعها فى هذا الخطر . وشعورها العدوانى ضد أبيها (رغبته فى الانتقام منه) الذى انكبح هنا ، كان — كما سنرى — واحدا من الدوافع المحركة للحلم الثانى .

وكما تقضى شروط عمل الحلم يتحتم اختيار موقف الحلم بحيث يكون تكرارا لموقف طفلى . ويتحقق نصر من نوع خاص اذا ما أمكن تحويل موقف حديث العهد ، بل ، ربما نفس الموقف الذى كان السبب المباشر للحلم ، الى موقف طفلى . وهذا هو ما حدث بالفعل فى الحالة الراهنة ، وبفضل صدفة مواتية . فتماما كما وقف السيد ك — الى جوار أريكتها وأيقظها ، فكذلك غالبا ما فعل أبوها فى طفولتها . وكل سلسلة أفكارها يمكن أن يعبر عنها بشكل رائع ، تعبيرا رمزيا ، احلالها أباهها مكان السيد ك — فى الموقف .

ولكن السبب الذى كان أبوها قد اعتاد أن يوقظها من أجله وهو أن ييمنعها من تبليغ فراشها . وهذا « التبليغ » كان له تأثير حاسم على

بجدد مضمون بقية الحلم ، وأن كان التبليل لا يتمثل في الحلم إلا بتأميح بعيد وبالضد .

فصد « التبليل » و « الماء » يمكن بسهولة أن يكون « النار » و « الاحتراق » وكون أبيها ، عند وصولهم الى المكان ، قد عبر عن تخوفه من خطر الحريق ، كان صدفة من شأنها أن تحدد أن يكون الخطر الذي ينفذها أبوها منه هو خطر الحريق . والموقف الذي تم اختياره ليكون صورة الحلم إنما استند الى هذه الصدفة والى تمثيل بالضد « للتبليل » : « كان هناك حريق . وكان أبوها واقفا الى جوار فراشها ليوقظها . » والقول الذي تصادف أن قاله أبوها ما كان له بالطبع أن يحتل مثل هذه المكانة الهامة في الحلم لو لم يكن ينسجم بشكل رائع مع نزعتها السائدة عندئذ الى أن تعتبر أباه ، مهما كان الثمن ، حاميتها ومنقذها . « لقد استشعر الخطر منذ اللحظة الاولى لوصولنا ! وكان على حق ! » (في واقع الأمر ، كان الأب الذي عرض الفتاة للخطر) .

وبالاستعانة ببعض الارتباطات التي في يسر الاستدلال عليها ، نتبين أن فكرة « البلال » هي التي تضطلع ، في أفكار الحلم ، بدور نقطة الموصول بين مجموعات متعددة من الأفكار . « فالبلل » يرتبط ليس فقط بتبليل الفراش ، بل أيضا مجموعة الأفكار الخاصة بالغواية والجنسية ، والتي تكمن مكبوحة وراء مضمون الحلم . كانت دورا تعرف أن الجماع الجنسي ينطوى على نوع من معاناة البلل ، وكانت تعرف أن الرجل أثناء عملية الجماع يعطى المرأة شيئا سائلا في صورة نقط . وكانت تعرف أيضا أن الخطر يكمن على وجه التحديد في ذلك ، أن مهمتها هي أن تحمي عضوها الجنسي من أن يبتل .

و « البلال » و « النقط » تفتح الطريق في نفس الوقت لتلك المجموعة الأخرى من التداعيات - ونعني المجموعة الخاصة بالافرازات البيضاء الباعثة على الاشمئزاز ، والتي كان لها بالتأكيد في سنوات شبابها نفس دلالة الازلال التي كانت لتبلك الفراش في طفولتها . « فمعاناه البلال »

في هذا المجال لها نفس دلالة « معاناة الوساخة » • فعوضها ، الذي كان ينبغي الإبقاء عليه نظيفا ، قد توسخ بالفعل بالافرازات البيضاء — وكان هذا يصدق على أمها صدقه عليها (أنظر ص ٩٠) • وكان يبدو أنها تفهم أن هوس أمها بالنظافة كان رد فعل • ضد هذا الاتساخ •

فالمجموعتان من الأفكار كأننا تلتقيان عند هذه الفكرة الواحدة :
 أمي أخذت الامرين كليهما من أبي : البلب الجنسي والافرازات الوسخة»
 وغيره دورا من أمها لم تكن منفصلة عن مجموعة الأفكار التي تدور حول حبها الطفلي لابيها ، وهو الحب الذي استدعته حمايتها • ولكن هذه المادة لم تكن مع ذلك بعد قابلة للتمثيل • فلو أمكن العثور على ذكرى تكون بنفس القدر مرتبطة بشكل وثيق بكاتبي المجموعتين المتعلقتين بكلمة « بلب » ، وتكون بمنأى عن أي إيذاء للمشاعر ، عنرئذ فان مثل هذه الذكرى تكون قابلة لأن تضطلع في الحلم بتمثيل تلك المادة المعينة •

مثل هذه الذكرى أتاحتها قصة ذلك القرط من « نقط » اللؤلؤ — وهي قطعة الحلوى Schmuck التي رغبت أم دورا في الحصول عليها • والارتباط بين هذه الذكرى وبين مجموعتي الأفكار اللتين تدوران حول البلب الجنسي والانساخ يبدو في ظاهره مجرد ارتباط خارجي وسطحي ، ومن طبيعة لفظية • ذلك أن كلمة « نقط » قد جرى استخدامها بشكل ملتبس كـ « كلمة وصل » ، بينما قطعة الحلوى Schmuck جرى فهمها كمرادف لكلمة « نظيف (١) » ، وبالتالي كصد لكلمة « متسخ (٢) » •

(١) ان كلمة Schmuck بالالمانية (قطعة حلوى) تعنى أحيانا نظيف ، هامش الترجمة الفرنسية •

(٢) ان الكلمة الالمانية Schmuck تنطوى على معنى اوسع بكثير من كلمة jewellerv بالانجليزية (حلوى) ، وان كان ذلك هو المعنى المقصود في الكلمة المركبة Schmuckkasten (علبة الحلوى) • فكلمة Schmuck كمصدر تعنى « الزينة » من كل نوع ليس فقط الزينات الشخصية بل أيضا تزينات الاشياء والتجملات بصفة عامة أما الكلمة كصفة فقد تعنى أنيق أو مهذم أو نظيف ، هامش الترجمة الانجليزية •

وان يكن ذلك على نحو من التعسف • ولكن أوثق الارتباطات يمكن في الواقع الكشف عن وجودها بين الأشياء المعنية ذاتها ، فالذكرى ترجع بأصلها الى المادة التي تدور حول غيرة دورا من أمها ، وهي الغيرة التي ، وأن تكن طفلية الأصل قد استمر بقاؤها الى ما بعد تلك المرحلة بكثير • وعن طريق هاتين الكلمتين المعبرتين غدا من الممكن أن تنزاح الى ذكرى واحدة هي « نقط اللؤلؤ » كل دلالة أفكارها عن جماع أبويها وعن السيلان عند أمها وعن ولع أمها المضنى بالنظافة •

ولكن كان ولا بد من نقل آخر قبل أن يكون لهذه المادة أن تظهر في الحلم • فعلى الرغم من ان كلمة « نقط » هي أدنى الى الكلمة الأصلية « بلل » ، الا أن الكلمة الأبعد « الحلى » هي التي وجدت لها مكانا في الحلم • وعندما تم ادراج هذا العنصر ضمن موقف الحلم ، وهو الموقف الذي كان بالفعل قد سبق تحديده كان من الممكن أن يكون معناه « أرادت أمي أن تتوقف وتنفذ حليها » • ولكن تأثيرا لاحقا نتبينه الآن ، كان من شأنه أن يؤدي الى التغير الذي انضاف ، وهو تغيير « الحلى » الى « علبه الحلى » • وهذا التأثير قد صدر عن عناصر من مجموعة الأفكار الكامنة التي تدور حول الغواية التي قدمها السيدك • فالسيدك — لم يقدم لها قط حليا ولكنه قدم لها « علبه » للحلى ، جسدت لدورا كل أمارات التفضيل ، وكل الحنان ، مما جعلها تشعر الآن بأن عليها أن تكون ممتنة والكلمة المركبة التي تكونت من ذلك : « علبه حلى » ، كان لها بالاضافة الى ذلك ما يستدعى استخدامها كعنصر ممثل في الحلم • أليست علبه الحلى Schmuckkasfchen لفظة تستخدم بشكل مألوف للدلالة على الأعضاء التناسلية الأنثوية التي تكون طاهرة ولم يمسهما بشر؟ ثم أو ليست هي من ناحية أخرى لفظة بريئة ؟ أليست

باختصار ، وقد أحسن اختيارها بشكل رائع ، تفضح وتستر معا الأفكار الجنسية التي تكمن وراء الحلم ؟

وهكذا فإن « غلبة حلي الأيم » جاء ذكرها في موضعين في الحلم وهكذا العنصر قد حل محل أى ذكر لغيره دورا الطفلية ، وأى ذكر للنقط « بمعنى البلك الجنسى » ، وأى ذكر للاتساخ بالافرازات ، كما حل من ناحية أخرى محل أى ذكر الأفكار الحالية المتصلة بالغواية - ونعنى الأفكار التي كانت تستحشا علي أن تبادل الرجل حبه ، والتي كانت تصور الموقف الجنسي (المرغوب والمرهوب معا) المائل أمامها . فعنصر « غلبة الحلي » ، كان بأكثر من أى عنصر آخر تتاج تكثيف ونقل ، فهو ائتلاف بين اتجاهات متضادة . وتعدد أصول هذا العنصر - من مصادر طفلية وحالية معا - يشير اليه ولاشك ظهوره مرتين في مضمون الحلم .

كان الحلم استجابة لتجربته حديثه العهد من طبيعة مثيرة ، وهذه التجربة لا بد وأن تكون بالضرورة قد ابتعثت ذكرى التجربة الوحيدة السابقة ، والتي كانت تمثلها من كل وجه . كانت التجربة الحديثة هي مشهد القبلة في محل عمل السيدك - حين استولى عليها الاشمئزاز . ولكن نفس هذا المشهد كان يؤدي اليه التداعى من نواح أخرى أيضا ، هي على التحديد مجموعة الأفكار الخاصة بغوايتها الحالية . ومن هنا فان المشهد قد أمد الحلم بملابس خاصة به ، كان عليها أن تلتئم مع موقف الحلم ، وهو الموقف الذي كان بالفعل قد سبق تحديده : « كان هناك حريق » وليس من شك في أن القبلة كانت نفوح برائحة الدخان ، ومن هنا قد شمت رائحة الدخان في الحلم ، واستمرت الرائحة الى ما بعد استيقاظها .

لقد تركت سهوا لسوء الحظ ثغرة في تحليل هذا الحلم . فقد قال ابو دورا في حلمها : « أنى أرفض أن أدع طفلى يتعرضان للدمار . . . » (من جراء الاستمناء فهذا ماينبغى ولاشك أضافته استنادا الى أفكار

الحلم (مثل هذه الأقوال في الأحلام تتألف عادة من قطع الأقوال الفعلية التي أما أن تكون قد قيلت أو سمعت كان ينبغي على أن أقوم بتقصي المصدر الواقعي لهذا القول . وكانت نتائج مثل هذا التقصي من جانبي سوف تكشف عن أن بناء الحلم هو أكثر تعقيدا ، ولكنه كان سيجعل هذا البناء يبدو في نفس الوقت أكثر شفافية .

أفينبني أن نفترض أنه عندما حدث هذا الحلم في بلده ل — كان له على وجه الدقة نفس المضمون الذي كان له حين تكرر أثناء العلاج ؟ لا يبدو من الضروري أن يكون الأمر كذلك . فالخبرة تكشف عن أن الناس غالبا ما يؤكدون أنهم قد رأوا نفس الحلم . بينما نتبين في واقع الأمر أن الأشكال التي يظهر عليها الحلم في تكراراته تتباين بعضها عن بعض في تفاصيل عديدة ، وفي نواح أخرى لم تكن قليلة الأهمية . من ذلك أن إحدى مريضاتي أخبرتني أنها رأت من جديد حلمها المفضل في الليلة السابقة ، وأنه قد تكرر بنفس الشكل : حلمت أنها كانت تسبح في بحر أزرق ، وأنها كانت تشق الموج في سعادة ، وغير ذلك . وقد أتضح من التقصي الدقيق أنه على أرضية مشتركة كانت تبرز حيننا واقعة جزيئه ، وحيننا واقعة جزئية أخرى ، بل في إحدى المرات كانت تسبح في بحر متجمد وكانت تحيط بها جبال الجليد . وكان عند هذه المريضة أحلام أخرى أتضح أنها وثيقة الصلة بالحلم المتكرر ، وأن لم تحاول المريضة — ولو مجرد محاولة — الادعاء بمطابقتها للحلم المتكرر . حلمت مرة مثلا أنها كانت تتطلع الى منظر (على صورة فوتوغرافية بالحجم الطبيعي) يمثل في نفس الوقت الهضبة والسهل في هيليجولاند ، وعلى البحر سفينة على ظهرها شخصان عرفتهما في شبابه ، وغير ذلك .

والإكيد في حالة دورا هو أن الحلم الذي حدث أثناء العلاج قد اكتسب دلالة جديدة ترتبط بالفترة الراهنة ، وان كان المضمون الظاهري ربما لم يتغير . فالأفكار الكامنة وراء الحلم تنتطوى على إشارة لعلاجي ، والحلم هو بمثابة تجديد للتصميم القديم على الانسحاب من خطر .

غلو أن ذاكرتها لم تخدعها عندما ذكرت أنها حتى بلدة ل — كانت تسم رائحة الدخان عقب استيقاظها ، فلا بد وأن نعترف بأنها دست ببراعة فائقة عبارتي : « ما من دخان بغير نار » ضمن الصورة المكتملة للحلم ، حيث بدت هذه العبارة تضطلع بدور التختيم بأكثر من سبب للعنصر الأخير (١) • كان الأمر بالتأكيد مجرد صدفة أن أحدث سبب مباشر للحلم (٢) — بالنظر الى اغلاق أمها باب غرفة الطعام بحيث انحبس أخوها في غرفة نومه — قد اتاح الارتباط مع مطاردة السيدك — لها في بلدة ل — • حيث اتخذت هناك تصميمها بعد ما تبينت أنها لا تستطيع أن تغلق الباب على نفسها • ومن الجائز أن أخاها لم يظهر في الحلم في تكراراته الأولى بحيث أن كلمة « طفلى » (بالمثنى) لم تكن ضمن مضمون الحلم الا بعد وقوع السبب المباشر الأخير له •

(١) المقصود بهذا العنصر : رائحة الدخان — المترجمون •

(٢) المقصود هنا هو الموقف العلاجي بما أنطوى عليه من رغبة دورا تجاه المحلل — المترجمون •

٣

الحلم الثاني

الحلم الثاني

وبعد بضعة أسابيع من الحلم الأول وقع الحلم الثاني ، وعندما انتهينا من تناوله توقف التحليل . وهذا الحلم لا يمكن جعله مكتمل المعقولية كالحلم الاول ، ولكنه أتاح توكيدا مرغوبا فيه لغرض غدا ضروريا عن الحالة النفسية للمريضه ، فقد اضطلع بسد ثغرة في ذاكرتها وجعل من الممكن البلوغ الى استبصار عميق بأصل عرض آخر من أعراضها .

روت دورا الحلم على النحو التالي « كنت أتجول في مدينة لأعرفها . رأيت شوارع وميادين غريبة على (١) . ثم دخلت في بيت كنت أسكن فيه وذهبت الى غرفتي . فوجدت خطابا من أمي ينتظرني هناك كتبت تقول حيث أننى تركت البيت بغير علم أبوى ، فانها لم ترغب في أن تكتب الى لتخبرنى بأن أبى كان مريضا . » الآن قد مات ، فلو شئت (٢) بوسعك أن تحضرى . » عندئذ ذهبت الى المحطة (Bahnhof) وسألت نحو مائة مرة « أين المحطة ؟ » . وكنت أتلقى دائما الاجابة : « خمس دقائق » . ثم رأيت أمامى غابة كثيفة ، دخلت فيها ، وهناك سألت رجلا قابلته . فقال لى « ساعتان ونصف أيضا (٣) » . عرض على أن يصحبنى . ولكنى رفضت ومضيت بمفردى . رأيت المحطة أمامى ، ولم استطع الوصول اليها وفي هذه اللحظة اعترانى

(١) الحقت بهذا فيما بعد اضافة : « رأيت نصبا في أحد الميادين » .

(٢) الحقت بهذا اضافة : « كانت توجد علامة استفهام بعد هذه

الكلمة هكذا : شئت ؟ »

(٣) في تكرارها سرد الحلم قالت : « ساعتان » .

شعور النلق المألوف الذى يعترى المرء فى الاحلام حين لاىستطيع أن يخطو الى الأمام • ثم وجدتنى فى المبيت • ولابد أنى كنت فيما بين ذلك فى حالة سفر ، ولكنى لأعرف شيئاً عن ذلك • خطوت داخل مسكن انبواب ، وسألت عن شقتنا • فتحت لى الخادمة الباب ، وأجابتنى أن أمى والآخرين حاليأ هم فى المدافن (Friedhof) (١) •

نم يىمض تفسير هذا الحلم بغير صعوبة • فبالنظر الى الظروف الخاصة التى توقف فيها التحليل - وهى ظروف ترتبط بىمضمون هذا الحلم - لم يكن من الممكن استيضاح كل شىء • ولهذا السبب أيضاً فانى لست متأكداً بنفس الدرجة - فيما يتصل بكل نقطة - من الترتيب الذى تتابعت عليه النتائج التى بلغت اليها • وسابداً بذكر المادة التى كان يجرى تحليلها فى الوقت الذى طراً فيه هذا الحلم • كانت دورا نفسها - ولبعض الوقت - تثير عدداً من الأسئلة عن العلاقة بين بعض تصرفاتها وبين الدوافع التى تكمن أغلب الظن وراء هذه التصرفات • كان أحد هذه الأسئلة : « لماذا لم اقل شيئاً عن مشهد البحيرة لعدة أيام بعد وقوعه؟ » • وكان سؤالها الثانى : « ولماذا بعد ذلك فجأة أخبرت أبوى بالأمر؟ » • هذا الى أن أحساسها بالانجراح العميق من مطارحة السيدك - لها بدا لى بصفه عامه أمراً يتطلب التفسير ، خاصة وأنى بدأت أتبين أن السيدك - نفسه لم يكن ينظر الى مطارحته لدورا على أنها مجرد محاولة عابثة للتغريب بها • واعتبرت اخبارها الأبويها بالحادث تصرفاً أنته عندما كانت واقعة بالفعل تحت تأثير تحرق مرضى للانتقام • فانى أميل الى الاعتقاد بأن الفتاة السوية أنما تتولى بنفسها معالجة موقف من هذا القبيل • وسأشرع الآن فى تقديم المعطيات التى أنتجها التحليل فى الترتيب شبه العشوائى الذى ترد به الى ذهنى •

(١) فى الجلسة التالية التحقت دورا بهذا أضافتين : « رأيت نفسى بوضوح تام أصعد السلم » ، و « وبعد أن اجابتنى ذهبت الى غرفتى ، ولكن دون أدنى حزن ، وبدات فى قراءة كتاب كبير كان موضوعاً على مكتبى » •

كانت تتجول بمفردها في مدينة لا تعرفها ، ورأت شوارع وميادين ، أكدت لي دورا أن المدينة لم تكن بالتأكيد بلدة ب — التي اتجه اليها ظنّي أول الأمر ، ولكنها كانت مدينة لم يسبق لها قط أن ذهبت اليها . وكان من الطبيعي أن الفت انتباهها الى أنها ربما رأت بعض الرسوم أو الصور الفوتوغرافية واستمدت منها صور الحلم . وبعد هذه الملاحظة من جانبي جاءت اضافتها الخاصة بالنصب التذكاري في أحد الميادين ، وجاء بعد ذلك مباشرة تعرفها على مصدر هذا النصب . كانت في عيد الميلاد (١) قد تلقت كتاب صور عن منتجع صحي ألماني ، يشتمل على مناظر للمدينة ، وفي نفس اليوم السابق على الحلم أخرجت كتاب الصور هذا لتعرضه على بعض أقاربها الذين كانوا في زيارة الأسرة . كان ذلك الكتاب موضوعا في علبة لحفظ الصور ، ولم تستطيع العثور على هذه العلبة من أول محاولة . وعندئذ قالت لأمها : « أين العلبة ؟ » (٢) . كانت إحدى الصور تمثل ميدانا فيه نصب تذكاري . كان كتاب الصور هذا قد بعث به هدية اليها مهندس شاب ، كانت قد تعرفت عليه يوما بصورة عابرة في بلدة المصنع . ولقد قبل هذا الشاب وظيفة في ألمانيا حتى يستطيع الاعتماد على نفسه بأسرع مايمكن ، وكان ينتهز كل فرصة تسنح ليذكر دورا بشخصه . وكان من اليسير أن يدرك المرء أنه كان ينتوي أن يتقدم يوما لطلب يدها ، عندما يتحسن مركزه . ولكن ذلك كان يتطلب وقتا ، وكان معناه الانتظار .

ان التجول في مدينة غريبة كان « يحتمه أكثر من سبب » . فهو يرجع الى واحد من الأسباب المباشرة في اليوم السابق على الحلم . كان لدورا ابن عم شاب جاء يقضى الاجازة معهم ، وكان على دورا أن تطوف به لتريه معالم فيينا . صحيح أن هذا السبب كان بالنسبة اليها أمرا عديم الأهمية تماما . ولكن زيارة ابن عمها هذا قد ذكرتها بزيارتها

(١) حدث الحلم بعد بضعة أيام من عيد الميلاد . أنظر صفحة ١١٥ .
(٢) وفي الحلم قالت : « أين المحطة ؟ » . وقد حملني الشبه بين السؤالين على أن أخلص الى استنتاج سوف أعرض له بعد قليل .

هي الأولى والقصيرة الى درسدن • ففي تلك المناسبة كانت غريبة على المدينة ، وتجولت فيها ، ولم يفتها بطبيعة الحال أن ترور معرض الرسوم الشهير • وكان معهم ابن عم آخر لها يعرف درسدن ، رغب في أن يصحبها كمرشد ويطوف بها معرض الرسوم • ولكنها رفضت ومضت بمفردها ، وكانت تتوقف أمام اللوحات التي ترونها • ولقد ظلت ساعتين أمام لوحة « العذراء » (١) في نشوة حالة من الاعجاب الصامت • وعندما سألتها عن هذا الذي أعجبها الى هذا الحد في اللوحة ، لم تستطع أن تقدم اجابة واضحة • وأخيرا قالت : « العذراء » •

ما من شك في أن هذه التدايعات كانت تنتمي في الواقع الى المادة التي كونت الحلم • فهي تشتمل على أجزاء ظهرت من جديد في الحلم بغير تغيير (« رفضت ومضت بمفردها » و « ساعتان ») • ويمكنني أن ألاحظ عن الفور أن « الرسوم » كانت نقطة وصل في شبكة أفكار الحلم عندها (أترسوم في كتاب الصور ، والرسوم في درسدن) • وأحب أيضا أن أبرز على حدة ، بهدف بحث لاحق ، موضوع « المادونا » ، السيدة العذراء • ولكن أوضح شيء في هذا الجزء الأول من الحلم هو أنها كانت تتوحد مع شاب • هذا الشاب كان يتجول في مكان غريب عليه ، وكان يجاهد للوصول الى هدف ، ولكن الصعوبات كانت تعترضه وكان في حاجة الى الصبر ، وكان عليه أن ينتظر • فلو أنها كانت في هذا كله تفكر في المهندس الشاب ، لكان من الملائم أن يكون الهدف امتلاك امرأه ، امتلاكها هي • ولكن بدلا من ذلك كان الهدف هو محطة • ومع ذلك فان للعلاقة بين السؤال في الحلم وبين سؤال دورا في واقع الحياة يخلو لنا الحق في أن نضع « عليه » مكان « محطة » (٢) • علبة وأمراة : مفهومان يتواءمان فعلا بشكل أفضل •

(١) بالانجليزية Sistine Madonna بالفرنسية Madone Sixtine

— المترجمون •

(٢) أن الكلمة الالمانية Schachtêl التي استخدمتها دورا في سؤالها للدلالة على « العلبة » هي لفظ تحقير « للمرأة » — هامش الترجمة الانجليزية •

سألت نحو مائة مرة ••••• يؤدي هذا بنا الى سبب مباشر آخر للحلم ، وهو في هذه المرة سبب اكثر أهمية نسبيا من سابقة • ففي المساء السابق على الحلم ، كان لديهم بعض الاصدقاء ، وبعد انصرافهم طلب اليها أبوها أن تحضر له الكونياك : فلم يكن يستطيع النوم قبل أن يتناول شيئا من الكونياك • طلبت دورا من أمها مفتاح البوفية ، ولكن أمها كانت مستغرقة في الحديث ، فلم تجبها ، حتى أن دورا صاحت في مغالاة من نفاذ الصبر : « لقد سألتك مائة مرة أين المفتاح ! » ولكنها في واقع الأمر كانت قد كررت السؤال نحو خمس مرات فقط (١) •

« أين المفتاح ؟ » هو فيما يبدو لى المقابل المذكر للسؤال : « أين العلبة ؟ » (٢) فهما سؤالان يشيران الى الأعضاء التناسلية •

ومضت دورا تقول أنه أثناء هذا الاجتماع العائلي شرب أحد الحاضرين نخب أبيها ، متمنيا له أن يستمتع بأحسن صحة لسنوات كثيرة قادمة • الخ • وعندئذ سرت انتفاضة غريبة في الوجه المتعب لابيها ، وقد فهمت دورا أية أفكار كان عليه أن يكبحها • يالللرجل المريض المسكين! من يدري كم من سنوات العمر ماتزال باقية له ؟

وذلك يضعنا أمام مضمون الخطاب في الحلم • مات أبوها ، وهي قد تركت البيت من تلقاء نفسها • لقد سارعت ، بخصوص هذا الخطاب ، الى تذكير دورا بخطاب الوداع الذي كتبت له لابيها ، أو كتبت له على الاقل ليطلعا عليه • فهذا الخطاب كان يستهدف إثارة الرعب عند أبيها ، بحيث يتخلى عن مدام كـ ، أو على أية حال الانتقام منه اذا لم يبلغ به الى الحد.

(١) في الحلم يردد العدد «خمسة» ، في ذكر فترة الـ «خمسة دقائق» وفي كتابي عن تفسير الاحلام قدمت أمثلة عديدة ترينا الطريقة التي بها يتناول الحلم الاعداد التي ترد في أفكار الحلم • فكثيرا ما نجد هذه الاعداد مسلوخة من سياقاتها الواقعي وهي مقحمة في سياق جديد •

(٢) أنظر الحلم الاول ص ٧٥ (الهامش) •

التخلّى عنها • اننا هنا امام موضوع موتها وموت أبيها • (قارن : « المدافن » فى موضع لاحق من الحلم •) أترانا نخطىء ان نحن افترضنا أن الموقف الذى شكل واجهة الحلم كان أخيولة أنتقام موجهة ضد أبيها ؟ أن مشاعر الاشفق عليه ، التى أستشعرتها فى اليوم السابق على الحلم ، من شأنها أن تساير ذلك تماما • واليك الدلالة التى يمكن أن تكون لهذه الاخيلة : تركت البيت ، ومضت بين غرباء ، وانفطرت قلب ابوها من الحزن عليها ، ومن الشوق اليها ، وعندئذ يكون قد تحقق لها الانتقام • كانت تفهم بكل وضوح هذا الذى يحتاجه أبوها ، الذى غدا الآن لا يستطيع النوم بغير كأس من الكونياك (١) • ولتنتبه الى ما عند دورا من رغبة ملحة فى الانتقام كعنصر جديد ينبغى أن يحسب حسابه فى محاولتنا اللاحقة لبناء الأفكار الكامنة للحلم عندها •

ولكن محتويات الخطاب لابد وأن تكشف أيضا عن محددات أخرى • فما عساه أن يكون مصدر الكلمتين « فلو شئت » ؟ كان عند هذه النقطة أن خطر ببال دورا الأضافة الخاصة بوجود علامة استفهام يعد كلمة « شئت » ، ولم تلبث أن تعرفت على هاتين الكلمتين كنص من خطاب مدام ك — الذى تدعوها فيه الى بلدة ل — عند شاطيء البحيرة • ففى ذلك الخطاب كانت توجد علامة استفهام جاءت بطريقة غير مألوفة تماما فى منتصف الجملة بعد العبارة الاعترافية : « لو شئت أن تخبرى » •

فها نحن من جديد هنا بصدد المشهد عند البحيرة والمشكلات المتعلقة به • طلبت الى دورا أن تصف لى المشهد بكل تفصيلاته • فى البداية لم تقدم لى قليلا مما يمكن اعتباره جديدا • كان استهلال السيد ك — يتسم بشيء من الوقار ، ولكنها لم تدعه يكمل ما كان يريد أن يقوله •

(١) ليس من شك فى أن الاشباع الجنسى هو أفضل مفهوم ، تماما كما أن الارق هو دائما تقريبا نتيجة نقص الاشباع • لم يكن أبوها يستطيع النوم لانه كان محروما من الاتصال الجنسى مع المرأة التى يحبها • (قارن فى هذا الصدد العبارة التى سنعرض لها فيما بعد : « أن زوجتى لا تمثل شيئا بالنسبة لى ») •

فهي لم تكذ تستشف مرعى كلماته حتى صفعته على وجهه وهزلت مبتعدة •
سألته ماذا كانت كمانه على وجه الدقه • يم تستطع دورا أن تتذكر
شيئا غير هذه الذريعة : « أنت تعلمين أن زوجتى لاتمثل شيئا بالنسبة
لى » (١) • وكيفا تتجنب الالتقاء به من جديد اعترمت أن تعود الى بلدة
ل - سيرا على الأقدام ، بالدوران حول البحيرة ، والتقت برجل فسألته
عن الوقت الذى يلزمها للوصول الى بلدة ل - وعندما أجابها « ساعتان
ونصف » ، تخأت عن عزمها وقفأت راجعه فى النهاية الى السفينة ، التى
ام تلبث أن تحركت • كان السيد ك - فى السفينة هو الآخر ، فاقترب
منها وتوسل اليها أن تصفح عنه ، وأن لاتتحدث بشيء ، عما حدث •
ولكنها لم تجب بشيء • قالت : نعم • ان الغابة فى الحلم كانت تشبه
تماما تلك الغابة عند شاطئ البحيرة •

وتك الغابة هى التى جرى فيها المشهد الذى فرغت لتوها من وصفه
من جديد • ولكنها كانت قد رات فى اليوم السابق نفس الغابة الكثيفة
على وجه التحديد ، فى أحد الرسوم بمعرض النزعة الانفصالية (٢) فى
الفن • وكان فى خلفية الصورة حوريات (٣) •

عند هذه النقطة تخول أحد شكوكى الى يقين • فاستخدام الكلمة
الألمانية Bahnhof (منخطة ، وحرفيا : ساحة محطة) (٤) ، والكلمة
الألمانية Friedhof (مدافن ، وحرفيا : ساحة طمأنينة) للدلالة على

(١) هذه الكلمات سوف تمكننا من فهم إحدى مشكلاتنا •

(٢) بالانجليزية وبالفرنسية Secessionist Exhibition Exposition de
le Secession

(٣) هنا للمرة الثالثة نلتقى بكلمة « رسوم » (مناظر مدن ، معرض
درسدن) ، ولكنها هنا فى سياق أكثر دلالة بكثير فبسبب ما يظهر
فى النوحة (الثغبات ، والحوريات) تتحول الكلمة الألمانية Bitd
(صورة) الى Weibsbild (وتعنى حرفيا صورة امرأة - وهى
كلمة تحقير للمرأة) •

(٤) هذا الى أن كلمة « محطة » تستخدم لاغراض
(بمعنى ممارسات غير مشروعة ، واتصال جنسى) • مما يبيى البطاقة
التفيسية للكثير من قوبيئات السكك الحديدية

الأعضاء الجنسية الأنثوية كان بذاته لافتا بدرجة كافية ، ولكن هذا الاستخدام كان من شأنه أيضا أن يتجه باستلاعي المتحفز الى الكلمة المشابهة بينها Vestibulum Verhof دهليز ، وحرفيا : ساحة أمامية - وهو مصطلح تشريحي لجزء بعينه من العضو التناسلي الأنثوي . كان يمكن أن لا يكون ذلك أكثر من تلاعب بالألفاظ يؤدي الى التضليل . ولكن الآن ، اذ تتضاف « الحوريات » اللاتي يظهرن في خلفية « الغابة الكثيفة » ، لم يعد هناك مجال لإي شك . فأمامنا هنا جغرافية رمزية للجنس ! فالكلمة اللاتينية Nymphae (١) ، وهي معروفة عند الأطباء وان لم تكن معروفة عند غير الاخصائيين (بل هي عند الأطباء غير شائعة الاستعمال) ، هي المصطلح الذي يطلق على الشفرين الصغيرين « اللذين يقعان في خلفية « الغابة الكثيفة » لشعر المانه . ولكن غير الاخصائي حين يستخدم مصطلحات فنية من قبيل Nymphae الشفرين الصغيرين « Vestibulum » « ادهليز » فلا بد وأن يكون قد استمد هذه المعرفة من الكتب ، لا من هذه الكتب التي « للجميع » ، بل من الكتب العلمية للتشريح أو من دوائر المعارف - وهذه وتلك هي معين عام للشباب يلجأون اليه حين يكونون نهبا للاستطلاع الجنسي . فلو صح تفسيرى هذا ، فلا بد عندئذ وأنه تكمن خبيثة وراء الموقف الأول في الحلم أخيويلة فض بكاره أخيويلة رجل يجاهد ليخترق العضو التناسلي الأنثوي (٢) .

(١) كلمة Nymphae في الألمانية تعنى في نفس الوقت « حوريات » .
و « الشفرين الصغيرين » . - (هامش الترجمة الانجليزية) .
(٢) أن أخيويلة فض انبكاره هي العنصر الثانى من نفس هذا الموقف . فالالاح بالاهمية على صعوبة التقدم ، والقلق الذى اسنشعرته في الحلم ، يشيران الى مكان الصدوره الذى توليه الحاملة لبيكرتها - وتلت نقطة جرت أيضا الاشارة اليها في موضع آخر عن طريق « السيدة العذراء » هذه الافكار الجنسية تشكل نوعا من الخلفية اللاشعورية للرغبات (التي ربما كانت ماتزال بعد خبيثة تماما) المتصلة بخطيبتها الذى كان ينتظر في المانيا . وقد سبق أن تبينا أخيويلة الانتقام من حيث هي العنصر الاول لتفس هذا الموقف في الحلم . وهذان العنصران لايتراكان بشكل تام ، بشكل جزئى فقط . وسوف نلتقى فيما بعد بآثار سلسلة ثلاثة من الافكار هي أكثر أهمية -

أفضيت الى دورا بهذه النتائج التى توصلت اليها • ولا بد وأن الانطباع الذى أحدثه ذلك عندها كان ملزما اذا اثبتت فى ألتوقطة من الحلم كانت منسية : « ذهبت فى هدوء الى غرفتها ، وبدأت تقرأ فى كتاب كبير كان موضوعا على مكتبها » (١) • كان اللاحاح بالأهمية هنا ينصب على العنصرين « فى هدوء » و « كبير » ، فى ارتباطهما بـ « كتاب » • سألتها ما أن كان الكتاب فى حجم وشكل دائرة المعارف ، فقالت انه كذلك • والمعروف أن الصغار لا يكونون قط « فى هدوء » حين يقرأون الموضوعات المحرمة فى دوائر المعارف • فهم يقرأونها فى خوف وهم يرتعدون ، ونظراتهم زائغة تتطلع من فوق أكتافهم ليستوثقوا من أن أحدا لن يفجأهم • فالآباء يشكون صعوبة كبيرة أثناء ممارسة الصغار لمثل هذه القراءات • ولكن الحلم ، بفضل ماله من قدرة على تحقيق الرغبات ، قد بدل بصورة جذرية — عن طريق التعبير المجازى — هذا الموقف الأليم فأبوا دورا قد مات ، والآخرون أيضا ذهبوا الى المدافن • فبوسعها أن تقرأ « فى هدوء » ماشاءت لها رغبته • أفلا يعنى هذا أن أحد دوافعها الى الانتقام انما كان تمردا ضد القيود التى يمثّلها الأبوان ؟ فلو كان أبوها ميتا فسيكون بوسعها أن تقرأ أو أن تحب كما تشاء •

لم يكن بوسع دورا فى البداية أن تتذكر أن قد سبق لها قط أن قرأت شيئا فى دائرة معارف ، ولكنها تذكرت بعد ذلك أن شيئا من هذا القبيل قد وقع لها ، ولو أنه كان من طبيعة برئية الى حد بعيد • ففى الوقت

(١) فى مناسبة أخرى ، بدلا من أن تقول دورا « فى هدوء » ، قالت « دون أدنى حزن » • (أنظر هامش ص ١١٦) — بوسعى أن أستخدم هذا الحلم كدليل جديد على صحة الرأى الذى قدمته فى كتابى «تفسير الاحلام» (الطبعة السابعة الألمانية ص ٢٨٧ فى الترجمة العربية صفحة ٥١٢) • الذى ذهبت فيه الى أن هذه الاجزاء من الحلم التى تكون فى البداية منسية فلا يذكرها الحالم الا بعد ذلك ، هى دائما بالنسبة الى فهم الحلم أكثر أجزاءه أهمية • وفى نفس الموضع من كتابى خلصت الى النتيجة التى مؤداها أن نسيان الاحلام لا بد وأن نفهمه على أنه نتيجة للمقاومة النفسية الداخلية •

الذي كانت فيه عمتها ، التي كانت دوراً شديدة التعلق بها ، مريضة بشكل خطير ، وكان قد تقرر أن تسافر دوراً إليها في فينا ، جاء خطاب من عم آخر لدورا ينبئها أن ليس في استطاعتهم الذهاب الى فينا ، إذ أن أحد ابنائه ، أي ابن عمها ، قد وقع مريضاً بشكل خطير بالتهاب الزائدة الدودية . عندئذ نظرت دورا في دائرة المعارف حتى تتبين أعراض التهاب الزائدة الدودية . وما تزال نذكر مما قرأته الموضوع المميز لهذا الأثم في أسفل البطن .

وعندئذ تذكرت أن دورا ، بعد موت عمتها هذه بقليل ، أصابتها في فينا نوبة ، قيل أنها التهاب زائدة دودية . وحتى ذلك الحين لم أجتريء على أن اعتبر هذا المرض نتاجاً من بين نتائجها الهستيرية . قالت لي أنها في الأيام القليلة الأولى للنوبة عانت من حمى شديدة ، واستشعرت الألم في أسفل البطن ، على نحو ماقرأت في دائرة المعارف . وقد عملت لها كمادات باردة ، ولكنها لم تقو على احتمالها . وفي ثانی يوم جاءتها العادة الشهرية مصحوبة بالألم شديدة . (فمنذ اضطراب صحتها اضطربت مواعيد العادة عندها اضطراباً شديداً) وفي تلك الفترة كانت تعاني بصفة مستمرة من الامساك .

لم يكن من الممكن في الواقع اعتبار هذه الحالة حالة هستيرية صرفه . فانه وان كانت الحمى الهستيرية أمر يحدث بالتأكيد ، ألا أنه بدأ لي أسرافاً في التعميق ارجاع هذه الحمى المصاحبة لهذا المرض المشكوك في أمره الى الهستيريا ، بدلاً من ارجاعه الى عوامل عضوية كانت تعمل عملها في ذلك الوقت . وكنت أو شك أن أتخلى عن هذا الدرب ، عندما أعاننتي هي نفسها على أن أمضى فيه ، بتقديمها وإضافتها الأخيرة للحلم : « رأيت نفسها بوضوح تام تصعد السلم » .

وطبيعي أنني اقتنصت عاملاً محددًا خاصاً لهذه الواقعة . واعترضت دوراً بأنه كان عليها على أي نحو أن تصعد السلم أن كان لها أن تصل الى شقتها التي كانت في دور مرتفع . وكان من اليسير دحض هذا الاعتراض (الذي ربما لم تكن دوراً تعنيه بشكل جاد تماماً) بأن أبين لها أنها إذا كانت قد استطاعت في حملها أن تسافر من البلدة المجهولة

إلى فيينا دون ما سفر في القطار ، فلا بد وأنه كان بوسعها أيضا أن تعفى نفسها من صعود السلم . ومضت دورا تقول أنها يعد التهاب الزائدة الدودية لم تكن تستطيع المشى بشكل عادي ، فكانت تجر قدمها اليمنى واستمرت معها هذه الحائنة وقتا طويلا ، ولهذا السبب كان يسعدها بشكل خاص أن تتجنب صعود السلالم . وحتى الآن أحيانا ماتجر قدمها . ولقد غلبت الدهشة الأطباء ، الذين استشارتهم بقاء على رغبة أبيها ، ولهذا الظاهرة جد العجيبة التي تخلفت عن التهاب الزائدة الدودية ، خاصة وأن آلامها في أسفل البطن لم تعاودها ، ولم تصاحب بأي شكل جرهما لقدمها (١) .

وعليه فنحن أمام عرض هستيري بمعنى الكلمة . ربما كانت الحمى ترجع الى عامل بدني - وربما كان هو إحدى هذه الفوبات جد الشائعة للإنفلونزا التي لا تنصب على أى عضو محدد من البدن . ومع ذلك فقد ثبت الآن أن العصاب قد اقتتص هذه الفرصة السانحة واستغلها للتعبير عن نفسه . وهكذا فان دورا قد صنعت لنفسها مرضا كانت قد قرأت عنه في دائرة المعارف ، وعاقبت نفسها على أنها غاصت في صفحاتها ؛ ولكنها كانت مكرهة على أن تعترف أن العقوبة لا يمكن بحال أن تكون على قراءتها للموضوع البرى المذكور آنفا . فلا بد وأن تكون العقوبة قد وقعت نتيجة عملية نقل ، وذلك بعد ما ارتبطت بهذه القراءة البريئة مناسبة أخرى كانت القراءة فيها أمعن في الاثم ، ولا بد وأن كانت هذه القراءة الآثمة تكمن خبيثة في ذاكرتها وراء القراءة البريئة المساوقة لها (٢) . بلّ وربما يكون بوسعنا أن نكشف عن طبيعة الموضوعات التي

(١) ينبغي أن نفترض وجود ارتباط بدني بين الاحاسيس الاليمية في أسفل البطن ، والمعروفة « بالآلام العصبية للمبيض » وبين اضطرابات الحركة في الساق التي في نفس الجانب ، وينبغي أن نفترض أن هذا الارتباط البدني في حالة دورا قد اكتسب دلالة من نوع جد خاص ، بمعنى أنه قد تعبنا بدلالة نفسية خاصة وغدا يعمل في خدمتها . ويرجع القارئ الى ملاحظاتي الماثلة عن تحليل عرض السعال عند دورا ، وعن الارتباط بين الافرازات البيضاء وفقدان الشهية (الاثوركسيا) .

(٢) ذلك مثل نمطى للكيفية التي تتغلبها الامراض ابتداء من أسباب مباشرة تبدو في الظاهر وكأنها لا ترتبط على الاطلاق بالجنسية .

قرأت عنها في تلك المناسبة الأخرى *

فما عساها اذن أن تكون دلالة هذه الحالة ، التي تحاكي — على طريقة القروء — الالتهاب البريتونى حول الأعور ؟ أما بقية الأضطراب ، وهو جرس الساق ، فلم يكن ليساير على الاطلاق الالتهاب البريتونى حول الأعور . فلا بد بكل تأكيد وأنه يساير بشكل أفضل الدلالة الخبيثة — والتي يحتمل أن تكون جنسية — للوحة الكلينيكية . وهذه الدلالة الخبيثة لو أمكن الكشف عن مصدرها ، فربما يلقي ذلك بدوره الضوء على الدلالة التي تفتش عنها . أخذت أنقب عن وسيلة أدخل بها الى هذا اللغز . فتمه فترات من الوقت وردت في الطيم ، والوقت بالتأكيد لا يمكن يحال أن يكون عديم الأهمية في أي حدث بيولوجي . ومن هنا سألت دورا متى حدثت نوبة التهاب الزائدة الدورية ، وهل كانت قبل أو بعد مشهد البحيرة . وتبددت كل الصعوبات دفعة واحدة ، حين أجابت على الفور : « بعد المشهد بتسعة شهور » . هذه الفترة من الوقت هي بالتأكيد جد متميزة . فنوبة التهاب الزائدة الدورية المزعومة عند دورا قد مكنتها في حدود الوسائل المتواضعة التي تحت تصرفها (الآلام والنزف الطمئي) ، من تحقيق أخيهولة ولادة طفل (١) . وعت دورا بالطبع دلالة هذه الفترة من الوقت ، ولم تستطع أن تجادل في احتمال أن تكون — في المناسبة التي نحن بصدها — قد قرأت في دائرها المعارف عن الحمل والولادة . ولكن ماعلاقة هذا كله بجرها لساقها ؟ بوسعى الآن أن أجتريء على حدسه . تلك هي الطريقة التي يمشى بها الناس حين تلتوى قدمهم . واذن فقد زلت قدمها . الامر الذي يغدو صحيحا حقا لو أنها أنجبت طفلا بعد مشهد البحيرة بتسعة شهور . ولكن كان لابد من توفر شرط آخر أصرا على تحقيقه فإني مقتنع بأن عرضا من هذا القبيل لا يمكن أن ينشأ الا اذا توفر له نموذج أصلى في الطفولة . فكل خبرتى حتى الآن تحملنى على أن أتشبث برأىي في أن الذكريات الخاصة

(١) سبق أن ذكرت أن معظم الاعراض الهستيرية ، حين تبلغ ذروة تطورها ، تمثل موقفا متخيلا من الحياة الجنسية — من قبيل مشهد اتصال جنسى ، أو حمل ، أو ولادة طفل أو فترة نفاس الخ .

يخبرات السنوات الاكثر حداثة ليس لها من القوة الكافية مايمكنها من أن تتحول الى أعراض • لم أكن أكاد اجترىء على أن امل أن تزودنى دورا بالمعطيات التى أشدها من طفولتها ، وذلك لأننى لست بعد فى وضع يمكننى من أن أوكد — وبالدرجة التى اتمناها — الصحة المطلقة لهذه القاعدة • ولكن فى حالة دورا جاء على الفور مايؤكد هذه القاعدة • قالت دورا : نعم ، فقد حدث لها ذات مرة وهى طفلة أن التوت منها نفس القدم ، فقد انزلقت قدمها على إحدى الدرجات وهى تهبط السلم • وتلك القدم — وهى نفس القدم فى الواقع التى كانت تجربها فيما بعد — قد ورمت ، ولزيم ربطها بالأربطة ، واقتضى الأمر أن ترقد فى السرير لبضعة أسابيع • حدث ذلك قبيل نوبة الربو العصبى فى عامها الثامن •

وعلىنا الآن أن نستخلص النتائج التى تلزم عن هذه الأخيولة التى اثبتنا وجودها : « اذا صح أنك أتجبت طفلا بعد مشهد البحيرة بتسعة أشهر ، وأنت مضيت حتى ذلك اليوم تحملين النتائج التى ترتبت على ذلة قدمك ، فالنتيجة التى تلزم عن ذلك هو أنك ولا بد أن تكونى قد أسفت فى اللا شعور للنتيجة التى انتهت اليها هذا المشهد • ومعنى ذلك أنك قد عدلت من هذه النتيجة فى أفكارك اللا شعورية • فأخيولتك الخاصة بيانجاب طفل تستند الى فرض مؤداه أن شيئا قد حدث فى تلك المناسبة (١) وأنت قد عشت فى تلك المناسبة ومارست كل شىء مما وجدت نفسك منسافة فى الواقع الى انتهاله فيما بعد من دائرة المعارف • وهكذا فأنت ترين أن حبك للسيد ك — لم ينته بالمشهد ، بل انه (كما قلت لك) مايزال مستمرا حتى اليوم — وان كان صحيحا أنك لا تشعرين به » • — بعد ذلك لم تعد دورا تجادل فى الأمر (٢) •

(١) وهكذا تتكشف أخيولة فض البكارة مرتبطة بالسيد ك — ومن ثم يتضح لنا الآن علة اشتغال هذا الجزء من اللحم على مادة مأخوذة من مشهد البحيرة — الرفض ، ساعتان ونصف ، الغاية ، الدعوة الى بلدة ل — (٢) قد يحسن هنا أن أقدم بضعة تفسيرات اضافية فضلا عن التفسيرات التى سبق تقديمها : من الواضح أن «المادونا» (السيدة العذراء) =

= كانت هي دورا نفسها ، أولا يسبب « العاشق » الذي بعث اليها بالصور ،
وثانيا لانها حصنت على حب السيد ك - أساسا بفضل الامومة التي أبدتها
لطفه ، وأخيرا لانها أنجبت طفلا بينما كانت ماتزال عذراء (وفي ذلك
إشارة مباشرة الى أخيلة انجاب طفل) . هذا الى أن تصور « المادونا »
يمثل فكرة مضادة حبيبة الى نفوس العذارى اللاتي تعذبن مشاعر الاثم
الجنسى ، مما كان متحققا في حالة دورا . وقد اتجه ظني الى هذا الارتباط
لاول مرة عندما كنت أعمل كطبيب في عيادة الطب العقلي بالجامعة . وقعت
هناك على حالة حادة من جنون الخط مع هلوسات تكشفت فيه النبوة عن
انها رد فعل لتأنيب عانته المريضة من خطيئها - ولو كان تحليل دورا قد
استمر لكان من المحتمل أن ينكشف حنينها الامومي الى طفل كدافع غامض ،
وأن يكن عاتيا ، في تحديد سلوكها - فالاسئلة الكثيرة التي كانت تثيرها
أخيرا بدت وكأنها مشتقات أجلة للاسئلة المستمدة من فهم استطلاعها الجنسي ،
هذا الذي حاولت اشباعه في دائرة المعارف . ومن المحتمل أن تكون
الموضوعات التي قرأتها في دائرة المعارف هي الحمل ، والولادة ، والبكارة
وما الى ذلك . وفي تكرار سردها للحلم نسيت دورا واحدا من الاسئلة كان
ينبغي تضمينه في سياق الموقف الثاني من الحلم . وهذا السؤال كان
يمكن فقط أن يكون : « هل يسكن السيد - هنا ؟ » أو « أو أين يسكن
السيد ؟ » (أبوها - في الترجمة الفرنسية) ولا بد وأن يكون هناك سبب
ما لنسيانها هذا السؤال البريء في ظاهره ، بعد ما كانت قد ضمنته في
الحلم . يكمن السبب فيما يبدو لي ، في اسم عائلتها ذاته ، الذي كان
يعني في نفس الوقت شيئا بل أكثر من نوع الاشياء ، ومن ثم يمكن اعتباره
كلمة « ملتبسة » . ولأستطيع لسوء الحظ أن أذكر هذا الاسم لابن مدى
صلاحيته للدلالة على « اللبس » و « عدم اللياقة » . وهذا التفسير وجد ما
يدعمه في عثورنا على تلاعب بالالفاظ في جزء آخر من الحلم ، حيث المادة
مأخوذة من ذكريات دورا عن موت عمته « لقد ذهبوا الى المدافن » وحيث
حدث تلاعب مماثل حول اسم عمته . هذه الكلمات غير لائقة تشير فيما
يبدو الى مصدر ثان وشفوي للمعلومات ، اذا ما كان لدائرة المعارف أن
تشتمل عليها . وما كنت لادعش لو سمعت أن هذا المصدر كان هو مدام ك -
نفسها ، الواشية بدورا . في هذه الحالة تكون مدام ك - هي الشخص
الوحيد الذي أعفته دورا بسخاء ، بينما تعقبت الاخرين بانتمائها الماكر .
ووراء سلسلة عملية النقل التي لا يحصيها العد ، والتي كشف عنها التحليل
كان من اليسير أن نتبين فاعلية عامل واحد بسيط وبعبينه هو : حب دورا
المثلى الجنسية والعميق الجذور لمدام ك .

أن الجهود لاستيضاح الجلم الثاني قد استغرقت حتى الآن ساعتين
وفي نهاية الجلسة الثانية ، عندما عبرت لها عن سرورى بالنتيجة التى
توصلنا اليها ، أجابت دورا فى لهجة استهانة « علام ؟ هل تمخض الأمر
عن شيء رائع جدا الى هذا الحد ؟ » وقد هياتنى هذه الكلمات لمقدم
أفصاحات جديدة •

واستهلت الجلسة الثالثة بهذه الكلمات : « هل تعرف أننى هنا اليوم
للمرة الأخيرة ؟ »

— قلت : من أين لى أن أعرف مادمت لم تذكرى لى شيئا عن ذلك ؟

— قالت : نعم • كنت قد عقدت عزمى على أن انتظر حتى رأس
السنة (١) • ولكنى لن أنتظر أكثر من ذلك حتى أشفى •

— قلت : أنت تعرفين أنه من حقك فى أى وقت أن توقفى العلاج •
ولكن بالنسبة الى اليوم فسوف نمضى فى عملنا • متى اتخذت قرارك
هذا ؟

— قالت : منذ أسبوعين ، فيما أظن •

— قلت : ذلك يشبه تماما أسبوعى الانذار من جانب خادمة أو
مربية •

— قالت : كانت هناك مربية عند أسرة ك — أعطتهم انذارها عندما
كنت فى زيارتى لهم فى ذلك الوقت فى بلدة ل — عند شاطئ البحيرة •

— قلت : أحقا ؟ لم تحدثينى قط عنها • فحدثينى •

— قالت • حسنا • كانت هناك شابة في البيت تعمل مربية للطفلين، وكان سلوكها ازاء السيد ك — في غاية الغرابه • لم تكن قط توجه إليه تحية الصباح أو تجيب على تسؤلاته ، أو تناوله شيئاً على المائدة عندما يطلبه ، وباختصار كانت تعامله كأنه لا وجود له • ومن ناحيته لم يكن هو بالكاد أكثر أدبا في معاملته لها وقبل مشهد البحيرة بيوم أو يومين انتحت بي الفتاة جانبا ، وأخبرتني بأن لديها ماتقوله لى • وعندئذ أخبرتني بأن السيد ك — قد قام بمغازلتها ، عندما كانت زوجته متغيبه عن البيت لبضعة أسابيع ، أظهر لها حبا عنيفا ، ورجاها أن تستسلم لتوسلاته ، قائلا ان زوجته لاتمثل شيئاً بالنسبة إليه ، وما لى ذلك •

— قلت : ولكن هذه هي نفس الكلمات التي استخدمها بعد ذلك حين طارك حبه ، فصفعته على وجهه •

— قلت : نعم • لقد استسلمت له ، ولكنه بعد فتره قصيرة توقف عن أن يهتم بها ، ومنذ ذلك الحين كرهته •

— قلت : وهذه المربية هل أعطت انذار ؟

— قالت : لا • كانت تريد أن تعطى انذارا • قالت لى أنها بمجرد أن استشعرت انصرافه عنها أخبرت أبويها بكل ماحدث • كان أبواها أناساً طبيين يقيمون في مكان مامن ألمانيا • قال أبواها أن عليها أن تترك ذلك البيت على الفور ، وحين لم تفعل ذلك كتبوا اليها يقولان أن ليس لهما بعد ذلك شأن بها ، وأن ليس لها أن تعود إليهما على الاطلاق •

قلت : ولماذا لم تترك البيت ؟

— قائل : قالت انها كانت تريد أن تنتظر بعض الوقت لترى ما أن كان سيطرأ شيء من التغيير على السيدك — وقتلت أنها لم تكن تستطيع أن تحتمل الحياة على هذا النحو أكثر من ذلك ، وأنها لو رأت أن مامن تغير قد طرأ فستعطى انذارها وترحل .

— قلت : وماذا انتهى اليه أمر الفتاة ؟

— قالت : كل ما عرفه أنها رحلت .

— قلت : أو لم تنجب طفلا نتيجة لهذه المغامرة ؟

قالت : لا .

وعليه ، فهنا (وفي مسأيرة تماما للقواعد) تبرز إلى الضوء وسط التحليل بعض العطيات ، فتعينا على حل مشكلات سبقت آثارها .

— عندئذ استطعت أن أقول لدورا : الآن أعرف الدافع الذي حدا بك إلى صفح السيدك — على وجهه ، كاجابة على مطارحته لك بالحب . لم يكن أنك تأذيت مما دعاك اليه ، بل كانت تحرك الغيرة والانتقام . وعندما كانت المربية تقص عليك حكايتها ، كنت ماترا لىن قادرة على استخدام موهبتك فى أن تتحى جانبا كل ماهو غير سار لمشاعرك . ولكن فى اللحظة التى استخدم فيها السيدك — هذه الكلمات : « أن زرجتى لاتمثل شيئا بالنسبة لى » — وهى نفس الكلمات التى استخدمها مع المربية — انطلقت فيك انفعالات جديدة فأمالت كفة الميزان . قلت فى نفسك : « أيجترىء على أن يعاملنى كمربية ، كخادمة ؟ » واذا أذضاف الكبرياء الجريح الى الغيره والى الدوافع الشعورية المنطقية فاض الكيل (١) . وكىما أدلل لك على ما كان من تأثرك العميق بقصة المربية ،

(١) أنه ليس بالامر العديم الاهمية أن تكون دورا — فيما يحتمل — قد سمعت أباهما يردد نفس الشكوى من زوجته ، تماما كما سمعتها أنا من شفتيه . فقد كانت على وعى تماما بمغزى هذه الشكوى .

دعيني ألغت انتباهك التي المناسبات المتكررة التي تطابقت فيها معها ،
سواء في حملك أو في سلوكك • فقد أخبرت أبويك ؟ بما حدث — وتلك الواقعة
كنا حتى الآن غير قادرين على تفسيرها — تماما كما كتبت المربية فأخبرت
أبويها • وقد أعطيتني انذار اسبوعين ، تماما كالمربية • والخطاب في
حملك الذي سمح لك بالعودة الى البيت ، هو العنصر المقابل لذلك
الخطاب الذي وصل الى المربية من أبويها يحرم عليها العودة الى
البيت •

— قالت : ولكن لماذا لم أخبر أبوي على الفور •

— قلت : كم من الوقت سمحت له أن يمر ؟

— قالت : وقع المشهد في اليوم الأخير من يونيه ، وأخبرت أمي به
في الرابع عشر من يوليه •

— قلت : أسبوعان إذن مرة أخرى — وهي الفترة المميزة للانذار
الذي ينبغي أن تعطيه المربية قبل رحيلها ، والآن بوسعي أن أجيب على
سؤالك ، لقد كنت تفهمين الفتاة المسكينه تماما • لم تكن ترغب في الرحيل
على الفور ، لأنها كانت ماتزال تأمل ، كانت تتوقع أن يعود اليها حب
السيدك — من جديد • ذلك لا بد أيضا هو دافعك الى التأجيل • فقد
انتظرت تلك الفترة من الوقت لتري ماأن كان سيكرر مطارحته لك •
ولو أنه فعل ، لخلصت الى أنه يأخذك مأخذ الجد ، ولا يقصد الى أن
يعبث بك كما فعل مع المربية •

— قالت : بعد رحيلي ببضعة أيام بعث الى ببطاقة مصورة (١) •

— قلت : نعم ، ولكن عندما لم يصل اليك شيء بعد ذلك ،

(١) هنا نقطة الوصل مع المهندس الشاب • الذي كان يختبئ وراء
شخص دورا نفسها في الموقف الاول من الحلم •

أطلقت العنان لشارع الانتقام • بل بوسعى أن أتصور أنك كنت
ماتزالين. قادرة في ذلك الوقت على أن تضحى قصدا آخر ، إذ
تصورت أن اتهامك له يمكن أن يكون وسيلة تحمله على أن يسافر
الى حيث تقيمين •

— تفقتز دورا قائلة : كما عرض ذلك بالفعل في البداية •

— قلت : بهذه الطريقة كنت ستطعن من تلهك على رؤيتك—
(وهنا أومأت برأسها موافقة ، الامر الذي لم أتوقعه) ، وكان سيقدم
اليك ماترغبين فيه من ترضيات •

— قالت : أية ترضيات ؟

— قلت : الواقع أنني بدأت أعتقد أنك كنت تنظرين الى علاقتك
بالتسديدك — بجدية أكثر بكثير مما كنت على استعداد للتسليم به
حتى الآن • ألم يكن السيدك — وزوجته يتخذان كثيرا في أمر
طلاقهما ؟

— قالت : نعم بالتأكيد • كانت مدامك — في البداية لاترغب في
الطلاق بسبب الطفلين • أما الآن فهي التي تريد الطلاق ، ولكنه هو
ثم يعد يرغب فيه •

— قلت : ألم يدر بخاطرك أنه يريد الطلاق من زوجته ليتزوج
منك ؟ وأنه الآن لم يعد يريد الطلاق ، إذ ليس لديه من تأخذ مكانها ؟
صحيح أنك منذ عامين كنت جد صغيرة ، ولكنك أخبرتني أنت نفسك
أن أمك تمت خطبتها وهي في السابعة عشرة ، ثم انتظرت عامين
لتتزوج • والابنة عادة ماتتخذ قصة حب أمها أنموذجا لها • وكذلك
أنت أيضا أردت أن تنتظريه ، وفهمت الامر على أنه أما كان ينتظر

فحسب حتى تكبرى بحيث تصلحين لان تكونى زوجة له (١) • وأنى أتصور
 أن تلك كانت خطة جادة تماما للمستقبل كما تريته • وليس لديك حتى
 الحق في أن تستبعدي وجود مثل هذا القصد عند السيد ك — ، لقد
 حدثتني عنه بدرجة تكفى لأن تنفصح مباشرة عن وجود مثل هذا القصد
 عنده (٢) • بل ولم يكن سلوكه في بلدة ل — ليتعارض مع هذا الرأي •
 وفي نهاية الأمر ، فانك لم تدعى له مجالا ليكمل حديثه ، وأنت تعلمين
 ماكان يريد أن يقوله لك • وبالصدفة فان تلك الخطة لم تكن مستحيلة
 على التنفيذ الى هذا الحد • فعلاقة أبيك مع مدام ك — وربما لهذا
 السبب وحده أنك ساندت علاقتهما كل ذلك الوقت — كانت تجعل
 موافقتها على الطلاق أمرا مؤكدا ، أما عن أبيك ، فبوسعك أن تحصلي
 منه على أى شىء تريدين • والواقع ، لو أن غوايتك في بلدة ل —
 انتهت نهاية مختلفة ، لكان في ذلك الحل الوحيد الممكن لجميع الأطراف
 المعنيه • وأعتقد أن هذا هو السبب الذى جعلك تأسفين أسفا عميقا
 على موقع ، وحملك على تصحيحه بالأخيولة التى تجسدت في صورة
 التهاب الزائدة الدودية • ومن هنا فلا بد وأنها كانت خيبة أمل مريرة
 بالنسبة لك عندما تتمخض بدلا من ذلك عن انكارات وافتراءات من جانبه •
 وأنت توافقينى على أن ما من شىء يثير غضبك قدر الاعتقاد بأن
 مشهد البحيرة كان من محض خيالك • وانى أتتني الآن — وهذا هو
 ما لاتحبن أن يذكرك به أحد — أنك تصورت أن مطارحات السيد ك
 — كانت جادة ، وأنه لن يمل سعيا اليك حتى تتزوجيه •

كانت دورا تنصت لى دون أن تلجأ الى اعتراضاتها المألوفة

(١) ان موضوع الانتظار حتى يتم الوصول الى الهدف يقع في مضمون
 الموقف الاول من الحلم • وانى اتبين في هذه الاخيوالة ، أخيوالة انتظار
 الرجل لخطيبته ، جزءا من العنصر الثالث المكون لذلك الموقف وقد سبق أن
 اشرت بالفعل الى وجود هذا العنصر الثالث •
 (٢) وعلى وجه الخصوص ، بعض كلماته الى دورا وهو يهدى اليها
 كلمة للاخطابات في عيد الميلاد ، وذلك في العام الاخير من اقامتهما في بلدة ب

كان يبدو عليها التأثير ، وقالت لى وداعا ، بحرارة شديدة ، مع أطيب تمنياتها القلبية للسنة الجديدة ، و . . لم تعد مرة أخرى . ولكن أباه ، الذى حضر لزيارتي مرتين أو ثلاثة بعد ذلك ، أكد لى أنها ستعود ، قائلا أنه من السهل أن يتبين المرء تلفها على استمرار العلاج . بيد أنه ينبغى الاعتراف بأن أباه لم يكن يوما بحار سليم الطوية تماما . فقد كان يساند العلاج طالما كان يستطيع أن يأمل أننى سأنتنى دورا عن اعتقادها بأن هناك شيئا يزيد على الصداقة بينه وبين مدام ك — . وقد خبت حماسه عندما تبين أننى لم أكن أقصد ائى بلوغ هذه النتيجة . كنت أعرف أن دورا لن تعود . فإيقافها العلاج بهذه المفجائية ، فى هذه اللحظة بالذات التى بلغت فيها آملى فى نهاية ناجحة للعلاج أقصى مايمكن ، واحالتها بذلك لتلك الآمال الى لا شىء — إنما كان من جانبها ، وبشكل لا يخطؤه أحد ، عملا انتقاميا . كما أن دافعها الى إيذاء ذاتها قد وجد فى ذلك مايرضيه . ان الشخص الذى يبتعث من أعماق النفس البشرية كما أفعل ، أسوأ الشياطين نصف المروضة ، سعيا الى مصارعتها ، ليس له أن يتوقع ان يخرج سليما دائما من هذا الصراع .

أترانى كنت احتفظ بالفتاة تحت العلاج لو أننى أنا نفسى لعبت دورا ، لو أننى غاليت فى أهمية استمرارها فى العلاج بالنسبة لى ، وكشفت عن اهتمام شخصى حار بها — وهو دور كان من شأنه ، حتى على الرغم من انخفاض أثره الذى يمكن أن ينجم عن وضعى كطبيب ، أن يكفل أمدادها ببديل عن الحب الذى كانت تتوق اليه ؟ لست أدرى وحيث أن جانبا من العوامل التى تعترضنا فى صورة مقاومة يظل ، فى جميع الحالات ، مجهولا بالنسبة الينا ، فانى قد تحاشيت دائما أن ألبس دورا ، قانعا بدور السيكلوجى الأكثر تواضعا . وعلى الرغم من كل اهتماماتى النظرية ، وكل حرص من جانبى كطبيب على تقديم المعونة ، فانى أضع نصب عينى تلك الحقيقة التى مؤادها أنه لا بد وأن تكون هناك حدود تحدد نطاق استخدام التأثير السيكلوجى ،

وإني أحترم — كواخذ من هذه الحدود — ارادة المريض وعقله .

بل ولست أدري أيضا ما أن كان السيد ك — كان يمكن أن يبلغ الى شيء ، لو كشفنا له عن أن البضفة التي تلقاها من دورا لم تكن تعنى بحال « لا » بصورة نهائية من جانبها ، وإنما كنت تعبر عن الغيرة التي انبعثت فيها أخيرا ، بينما كانت أقوى مشاعرها ماتزال في جانبه . فلو أنه تغاضى عن « لا » الأولى هذه ، واستمر يلاحقها بعاطفة متأججة لاتدع لها مجالاً لأى شك ، فقد كان من الجائز جدا أن تكون النتيجة انتصارا لحب الفتاة له على كل صعوباتها الداخلية . ولكنى أعتقد أنه كان من الجائز أيضا وبنفس الدرجة أن يثير ذلك فيهِ الرغبة في أرضاء شهواتها للانتقام منه ، وان يستمر ذلك بنفس الدرجة من العنف . فليس من المستطاع قط أن نحسب في أى اتجاه يتجه القرار في صراع للدوافع : أفى اتجاه ازالة الكبت أم في اتجاه تعزيزه . أن العجز عن أرضاء المتطلبات الواقعية للحب هو واحد من أهم الخصائص الرئيسية للعصاب . فالعصابيون يحكمهم التعارض بين الواقع وبين أخابيلهم اللاشعورية . فما يتوقون اليه بأقصى شدة في أخابيلهم يهربون منه مع ذلك متى توفر لهم في الواقع ، وهم يستسلمون للأخابيلهم بأقصى طواعية عندما يثقون من استحاله تحققها في الواقع . ومع ذلك فإن الحاجز الذي يقيمه الكبت يمكن أن ينهار أمام اجتياح أثاره انفعالية عنيفة ناجمة عن سبب واقعي ، فالعصاب يمكن أن ينهزم أمام الواقع . ولكننا لانستطيع بصفة عامة أن نتنبأ : عن طريق أى شخص ، أو عن طريق أى حدث يمكن البلوغ الى مثل هذا الشفاء (١) .

(١) سوف أضيف بضع ملاحظات عن بناء هذا اللحم ، الذي لم يكتمل استيضاحه بدرجة تكفى لمحاولة اقامة وحدته الكلية . ثمة جزء بارز في اللحم هو منه بمثابة الواجهة الامامية ، هو أخبولة الانتقام من الاب : تركت البيت من تلقاء نفسها ، كان أبوها مريضا ، ثم مات . . . ثم عادت الى البيت ، وكان الآخرون جميعا بالفعل في الدافن . دخلت غرفتها . دون =

= أدنى حزن ، وبدأت في هدوء تقراء دائرة المعارف) . وهذا الجزء من مادة الحلم يشتمل أيضا على اشارتين الى فعلها الانتقامي الاخر ، الذى كانت قد نفذته في الواقع ، حين رتبتم الامر بحيث يقع أبواها على خطاب وداع منها : (الخطاب - وهو من أمها في الحلم - ، وذكر جنازة العمه التى كانت دائما أنموذجا لها) . ووراء هذه الاخيوالة تكمن خبيثة أفكارها الانتقامية ضد السيدك - وهى الافكار التى وجدت لها دورا منصرفا في سلوكها معى : (الخادمة ، الدعوة ، الغاية ، الساعتان ونصف - كل هذه العناصر مستمدة من المادة المرتبطة بالاحداث في بلدة ل -) . وذكرياتها عن المربية ، وعن الخطابات التى تبادلتها هذه المربية مع أبويها ترتبط بما لا يقل عن ارتباط خطاب وداعها بالخطاب في الحلم وهو الذى يسمح لها بالعودة الى المنزل ، ورفضها أن تدع الرجل يصاحبها وتصميمها على أن تمضى بمفردها ربما يمكن ترجمتها الى هذه الكلمات : «حيث أنك عاملتني كخادمة فلن أحفل بك بعد الان ، سوف أمضى في طريقي بمفردى ولا أتزوج » . ووراء هذه الافكار الانتقامية تتراءى عناصر من أخيبيل الاحنان المستمدة من حب دورا للسيدك - وهو الحب الذى استمر لاشعوريا عندها . . . : (كنت سأنتظرك حتى يكون من الممكن أن أصبح زوجة لك - فض البكارة - أنجاب طفل) . واخيرا يمكننا أن نتبين أثر المجموعة الرابعة من الافكار ، وهى الأعمق انطمارا ، الخاصة بحبها لمدامك - . وذلك في تصوير أخيوالة فض البكارة من وجهة نظر رجل (توحدتها مع عاشقها المهندس الشباب) الذى يعيش في الخارج من الحلم الى أقوال ملتبسة («هل السيد - يسكن هنا ؟») والى موضعين من الحلم أقوال ملتبسة («هل السيد - يسكن هنا ؟») والى ذلك المصدر غير الشفوى لمعارفها الجنسية (دائرة المعارف) . وثمة نزعات من القسوة والسادية نجد في هذا الحلم أشباعا .

تذیب

تذييل

صحيح أنني قدمت هذا المقال على أنه تحليل جزئي ، ولكن ربما يكون القارئ قد تبين أنه من عدم الاكتمال بدرجة أكبر بكثير مما أوحى به إليه هذا العنوان . وعليه يكون من واجبي أن أوضح أسباب هذه الاغفالات ، التي ليست بحال مسألة صدفة .

فبعض نتائج التحليل أغفلت ، اذ كانت في الوقت الذي توقف فيه التحليل أما أنها لم تتم اقامتها بدرجة كافية من اليقين ، أو أنها كانت تتطلب مزيداً من الدراسة قبل أن يكون من الممكن الوصول منها الى أية نتائج عامة . وفي مواضع أخرى ، حيث بدأ لي ذلك ممكناً ، نبهت الى الاتجاه الذي يمكن لو سلكناه أن نعثر فيه على حل معين . وقد أغفلت تماماً في هذا المقال فنيات التحليل ، وهي التي لا يمكن فهمها بدهاة ، والتي يمكن بفضلها فحسب مع ذلك استخلاص المعدن الصافي للأفكار اللاشعورية القيمة ، ابتداء من المادة الخام لتداعيات المريض . وينطوي هذا على حرمان القارئ — وهو يتابع عرضي لهذه الحالة — من أية فرصة للتحقق من صحة الاجراء الذي اتبعته . ومهما يكن من أمر ، فقد كان من غير العملي تماماً أن أعرض في نفس الوقت لفنيات التحليل وللبناء الداخلي لحالة هستيريا : فما كنت أستطيع بالكاد انجاز مثل هذا العمل ، ولو استطعته لكان النتاج شيئاً تكاد تستحيل قراءته . ففنيات التحليل تتطلب عرضاً مستقلاً تماماً ، حيث يتحتم أيضاًها بعدد من الأمثلة ، تنتقى من بين تشكيلة هائلة من الحالات ، وحيث تغفل النتائج التي تم الوصول إليها في كل حالة على حدة . كما أغفلت أيضاً في هذا المقال التأكيد على صحة المسلمات السيكولوجية التي تبرز قائمة وراء وصفي للظواهر النفسية . فالمحاولة السطحية في هذا الصدد ما كانت لتنتهي الى شيء ، أما المحاولة السقيصة فستكون بذاتها مجلداً . ويوسعي فحسب أن

أؤكد للقارىء أننى ، دون أن أكون مواليا لأى مذهب سيكولوجى معين ، قد قمت بدراسة الظواهر التى أمدتني بها ملاحظة الأعصاب النفسية وأنى أخذت بعد ذلك فى تعديل وجهات نظرى حتى بدت لى قدرة على أن نتيج فهما لجملة الوقائع التى تمت ملاحظتها • ولانى اذ تجنبت كل تأمل نظرى لم اتخذ من ذلك موضع فخر ، فمعطيات غروشى قد تم الحصول عليها بسلسلة من الملاحظات أقصى ماتكون اتساعا واقتضاء للجهد • وربما يتون من شأن اتجاهى الصارم من مسألة اللاشعور أن يثير الامتعاض بصفة خاصة ، إذ أنى أتناول الأفكار اللاشعورية ، وسلاسل الأفكار اللاشعورية ، والنزعات الانفعالية اللاشعورية ، على أنها وقائع سيكولوجية لاتقل صدقا وبقينا عن الوقائع الشعورية • ولكن فيما يتصل بذلك ، فانى على يقين من أن أى شخص يشرع فى دراسة نفس هذا المجال من الظواهر ، مستخدما نفس المنهج ، فسوف يجد نفسه مضطرا الى أن يتخذ نفس موقفى ، مهما كثرت اعتراضات الفلاسفة

ان بعض زملائى الأطباء قد اعتبروا نظريتى فى الهستيريا نظرية سيكولوجية خالصة ، واستنادا الى ذلك أصدروا حكمهم عليها يعجزها عن أن تحل مشكلة باثولوجية ، وسوف يتضح لهم ولا شك من هذا المقال أن اعتراضهم يرجع الى أنهم قد حولوا دون حق الى النظرية ذاتها ما يخص الفنيات • فننيات العلاج هى وحدها سيكولوجية خالصة ، أما النظرية فهى لاتغفل بحال التنبه الى أن للأعصاب دعامة عضوية - وأن كان من الصحيح أنها لاتتلقى هذه الدعامة ضمن نطاق التغيرات التشريحية الباثولوجية ، وأنها تضع بشكل مؤقت تصور الوظائف، العضوية بدلا من التغيرات الكيماية التى ينبغى أن نتوقع يوما الكشف عنها ، وأن كناما زلنا حتى الآن عاجزين عن الامسك بها • ما من أحد ، فيما أظن ، يميل الى أن ينكر على الوظيفة الجنسية خاصيتها كعامل عضوى ، وهذه الوظيفة الجنسية هى نفسها التى اعتبرها دعامة الهستيريا والأعصاب النفسية عامة • ومما من نظرية عن الحياة الجنسية تستطيع فيما أعقد ، أن تتجنب افتراض

وجود مولد جنسية محددة ذات أثر تهيجى • ومن بين جميع اللوحات الكلينيكية التى نلتقى بها فى الطب الكلينيكى فان ظواهر التسمم والامتناع فيما يتصل بالاستخدام الادمانى لبعض السموم هى التى تشبه أوثق الشبه فى الواقع ، الأعصبة للنفسية بمعنى الكلمة •

ومرة أخرى ، فاننى لم أعرض فى هذا المقال لكل مايمكن أن يقال لليوم عن « المهاودة البدنية » ، وعن البذور الطفلية للانحراف الجنسى ، وعن المناطق الثبتيية ، وعن استعدادد السابق للجنسية الثنائية ، فقد اقتصرت على أن ألفت الانتباه الى المواضع التى يلتقى فيها للتحليل بهذه الدعامات العضوية للأعراض • ولم يكن من الممكن أن أفعل أكثر من ذلك فى عرضى لحالة فردية • هذا أئى أن نفس الأسباب التى سبقت الاشارة اليها قد دفعتنى الى أن أتجنب العرض السطحي لهذه العوامل • وثمة فى هذا الصدد فرصة ثرية لأبحاث أخرى تستند الى دراسة عدد كبير من التحليلات •

ومع ذلك فانى اذ نشرت هذا المقال ، على ما هو عليه ، من عدم اكتمال ، استهدفت أمرين : اولا ، كنت أرغب فى أن أكمل كتابى « تفسير الأحلام » ، وذلك بأن أبين كيف يمكن استخدام هذا الفن (تفسير الأحلام) ، والالكان عديم الجدوى ، للكشف عن الأجزاء الخبيثة والمكبوتة من النفس البشرية • (وبالصدفة ، فانى أثناء تحليلى لحلمى دورا ، للذين يتناولهما هذا المقال ، قد عرضت لفتيات تحليل الأحلام ، وهى شبيهة بفتيات التحليل النفسى) • وثانيا ، كنت أرغب فى أن أثير الاهتمام بطائفة بأسرها من الظواهر ، مايزال تعلم حتى اليوم يجهلها جهلا تاما ، وذلك لأنها لايمكن أن تتكشف الا باستخدام هذا المنهج الخاص • فما من أحد ، فيما أعتقد ، كان يستطيع ، قبل هذا المنهج ، أن يبلغ الى تصور صحيح عن مدى تعقد الظواهر النفسية فى الهستيريا : تجاور لأكثر النزعات احتلاقا ، وتبعية متبادلة بين الأفكار المتضادة ، وعمليات الكبت والنقل ، الى

غير ذلك • فتأكد، جانيه Janet للأهمية « الفكرة الثابتة » Idée fixe التي تتحول في رؤية الى عرض ، أمر لايزيد عن أن يكون محاولة جـد هزيلة من جانبه لعمل مخطط أولى • وفضلا عن ذلك ، فإنه لايمكننا أن نتجنب الاعتقاد بأنه عندما تكون الأفكار - المرتبطة باثارات معينة - عاجزة عن أن تصبح شعورية ، فان تلك الاثارات لاابد وأن يؤثر بعضها على بعض بطريقة مبيانة ، ولاابد وأن تتبع مسارا مبيانا ، وتترجم عن نفسها على نحو مباين ، بالقياس الى تلك الاثارات الأخرى التي نصفها بأنها « سوية » والتي ترتبط بها أفكار تصبح شعورية عندنا • ومتى غدت الأمور واضحة بهذه الدرجة ، فليس من عقبة تعترض سبيل فهمنا لطريقة في العلاج تزيل الأعراض العصبية بتحويل أفكار من النوع الأول الى أفكار سوية •

وكنت أيضا تواقا الى أن أبين أن الجنسية لاتدخل ببساطة ، كعصا سحرية ، في مناسبة واحدة ، وفي نقطة مامن اعتمال العمليات التي تميز الهستيريا ، بل أنها مصدر القوة الدافعة لكل عرض من الأعراض ، ولكل مظهر من مظاهر العرض الواحد • فأعراض المرض ليست شيئا آخر غير النشاط الجنسي للمريض ، ويستحيل على حالة فردية واحدة أن تقدر على اثبات نظرية في عمومية مثل هذه النظرية ، ولكنى لايسعنى الا أن أعيد وأعيد القول - لأننى أبدا ماوجدت الأمر على غير ذلك - بأن الجنسية هي المفتاح اشكلة الاعصبة النفسية والأعصبة بعامة • وما من أحد يرفض المفتاح بمستطيع قط أن يفتح الباب • وما زلت انتظر أبناء عن أبحاث يكون بوسعها أن تدحض هذه النظرية ، أو أن تحد من مجالها • فما سمعته حتى الآن ضدها انما كان تعبيرا عن نفور شخصى أو ارتياب شخصى • على هؤلاء يكفى أن أجيب بكلمات شاركو : « هذا لايمنع من وجودها » •

وكذلك فان الحالة التي انشر هنا جانبا من تاريخها المرضى وعلاجها ، ليست من هذه الحالات التي تتيح لنا أن نثبن الأبعاد

الحقيقية لقيمة العلاج بالتحليل النفسى • فليس فقط قصر فترة العلاج (الذى استمر بالكاد ثلاثة أشهر) ، بل أيضا عامل آخر ينتسب الى طبيعة الحالة ، قد حال دون تحقيق تحسن كهذا الذى نبلغ الى تحقيقه فى حالات أخرى ، حيث يعترف المريض بالتحسن ويعترف به أقاربه ، وحيث يكون التحسن شديد القرب بدرجة أو أخرى من الشفاء الكامل • ولكن النتائج الباعثة على الرضا من هذا القبيل يكون البلوغ اليها عندما تكون الأعراض فى تكوينها وبقائها ، راجعة فحسب الى الصراع الداخلى بين النزاعات المتعلقة بالجنسية • فى مثل هذه الحالات تتحسن حالة المريض بقدر مانعينه على حل مشكلاته النفسية ، وذلك بتحول المادة المولدة للمرض الى مادة سوية ويكون مسار الأحداث مختلفا تماما اذا ما أصبحت الأعراض تعمل فى خدمة دوافع خارجية خاصة بحياة المريض ، على نحو ماحدث مع دورا خلال العامين الاخيرين • ومما يبعث على الدهش ، وهو مايمكن بسهولة أن يضلنا ، أن نجد أن حالة المريض لاكتشف عن أى تغير ملحوظ ، حتى وان كان قد تحقق تقدم كبير فى العمل التحليلي • ولكن الأشياء لا تكون فى واقع الأمر بالسوء الذى تبدو عليه • صحيح أن الأعراض لا تختفى أثناء سير العمل التحليلي ، ولكنها تختفى بعد ذلك بفترة وجيزة ، عندما تتلاشى العلاقات بين المريض والطبيب • فتأخر الشفاء أو التحسن يرجع فى الواقع فقط الى شخص الطبيب ذاته •

ويتحتم على أن أرجع قليلا الى الوراء ، حتى أجعل هذا الأمر مفهوما • يمكن القول بصفة عامة أن تكوين أعراض جديدة دائما مايتوقف أثناء العلاج التحليلي ولكن القدرة الانتاجية للعصاب لا تكون بحال منطفئة ، بل تنصرف الى استحداث حالات نفسية جد خاصة ، غالبا ما تكون لاشعورية ، وبوسعنا أن نسميها « تحويلات » •

فما عساها أن تكون التحويلات ؟ هى طبعات منكرة ، أو تسبغ طبق

الأصل ، للنزعات والاختلايل التي يتحتم أن تبتعث وتصبح شعورية أثناء تقدم التحليل ، ولكن التحويلات لها هذه الخاصية العجيبة التي تميز نوعيتها ، ونعني وضعها شخص الطبيب مكان شخص أكبر . وبتعبير آخر : فان سلسلة بأسرها من الخبرات النفسية تعاش من جديد ، لا على أنها تنتمي الى الماضي ، بل على أنها تنصب على شخص الطبيب في اللحظة الراهنة . وبعض هذه التحويلات لا يخفف مضمونها في شيء عن النموذج الأصلي الا من حيث ابدال الشخص فهذه التحويلات هي اذن — مستخدمين نفس الاستعارة — مجرد طبعات متكررة أو نسخ طبق الأصل . بينما هناك تحويلات أخرى أكثر براعة في بنائها ، فالمضمون فيها قد تعرض لتأثير ملطف — لتأثير الاعلاء كما أسميه — بل أنها قد تعدو شعورية استنادا الى استغلال بارع منها لخاصية واقعية في شخص الطبيب أو في ظروفه ، فتربط نفسها بها . هذه التحويلات لن تكون طبعات متكررة ، بل هي طبعات منقحة .

ولو مضينا ممعنين في فنيات التحليل فسوف يغدو واضحا أن التحويل ضرورة يستحيل تجنبها . فالخبرة العملية على الاقل تثبت بطريقة ملزمة أنه مامن وسيلة لتجنبه ، وأن هذا النتاج الأخير للمرض تتحتم محاربته تماما ككل نتاجاته الباكرة . ولكن هذا الجانب من العمل التحليلي هو بما لا يقاس أكثرها مشقة . فمن اليسير أن يتعلم المرء تفسير الأحلام ، وأن يستخلص من مستدعيات المريض أفكاره اللاشعورية ، وذاكرياته اللاشعورية ، وأن يمارس مثل هذه الفنون التأويلية . فالمادة اللازمة لذلك سوف يقدمها المريض بنفسه دائما . أما التحويل فهو الشيء الوحيد الذي يتحتم على المحلل أن يستشف وجوده دون مامعونة في الغالب من المريض ، وليس لديه الا أبهت الآثار ليقنتفيها ، بينما يتحتم عليه في الوقت أن يتجنب خطر الانزلاق الى استنتاجات تعسفية . ومع ذلك ، فالتحويل لا يمكن تجنبه ، اذا جرى استغلاله من جانب المريض لاقامة كلاً العقبات التي تجعل المادة

غير متاحة للعلاج ، واذ لا يبلغ المريض الى شعور بالاعتناع بصحة الارتباطات التي أعيد بناؤها أثناء التحليل الا بعد أن يكون التحويل قد تم تحليله .

وقد يستشعر البعض ميلا الى اعتبار التحويل عقبة خطيرة تنضاف الى طريقة هي على أية حال مضمية بدرجة كافية ، بحيث يكون من شأن هذا التحويل أن يزيد من عناء الطبيب باستحداثه أنواعا جديدة من النتائج النفسية الباثولوجية . بل وقد يجد هذا البعض اغراء في أن يتأدى من وجود التحويل الى أن المريض سوف يصيبه الضر من طريقة التحليل . وهذان الزعمان كلاهما خاطيء فجهود الطبيب لاتزيد بسبب التحويل . فلا يختلف الأمر بالنسبة اليه سيات كان عليه أن يتغلب على أية نزعة معينة يستشعرها المريض تجاهه هو (الطبيب) أو تجاه أى شخص آخر . وكذلك فان العلاج التحليلي لايفرض على المريض ، في صورة اثتحويل ، أية مهام جديدة ما كان بغير ذلك أن يظطلع بها . واذا كان صحيحا أن الأعصبة يمكن شفاؤها في مصحات تستبعد طريقة العلاج بالتحليل النفسى ، وكان صحيحا أن الهستيريا يكون شفاؤها لابلطريقة ولكن بالطبيب ، وكان صحيحا أن نوعا من التبعية العمياء ومن التعلق الدائم يكشف عنه المريض تجاه طبيبه الذى أزال له الأعراض بايحاء التتويم الغناطيسى، فان التفسير العلمى لكل هذه الوقائع يكمن في « التحويلات » التي يعيشها دائما المرضى تجاه أطبائهم . ان علاج التحليل النفسى لا يخلق التحويلات ، ولكنه فحسب يكشف عن وجودها ، كما يكشف عن وجود كثرة كثيرة من العوامل الأخرى الخبيثة . والاختلاف الوحيد بين العلاجات الأخرى والتحليل النفسى هو كما يلي : أن المريض خلال العلاجات الأخرى لا يستدعى — وذلك بشكل تلقائى — الا التحويلات الودودة والصدوقة خدمة لشفائه ، ولكن حين لاتأتى هذه التحويلات فان المريض يستشعر الطبيب ثقيل الظل بالنسبة اليه ، ويفصل عنه دون أن يتأثر به . والأمر على العكس في التحليل

النفسي ، فبالنظر الى أن عمل الدوافع مختلف ، فان كل نزعات المريض ، بما في ذلك النزعات العدائية ، تتبعث . وعندئذ يجري استخدامها لأغراض التحليل بجعلها شعورية ، وبهذه الطريقة يتتابع أولا بأول تحطيم التحويل . فالتحويل الذي وكأنه قد كتب له أن يكون أعتى العقاب في وجه التحليل النفسي يصيح أقوى حليف له ، اذا ما أمكننا أن نستشف وجوده في كل مرة ، وأن نكشف للمريض عن دلالاته (١) .

لقد وجدتني مضطرا الى أن أتحدث عن التحويل ، اذ بهذا العامل وحده أستطيع أن أوضح الخصائص الخاصة بتحليل دورا . أن أكبر ميزة في هذه الحالة من التحليل ، وهي على التحديد وضوحها غير العادي الذي يجعل منها حالة جد ملائمة لأن تكون أول عمل ينشر كمدخل للتحليل النفسي ، لهي جد وثيقة الارتباط بأكبر عيب لها ، والذي تأدى الى توقف التحليل قبل أوانه . ثم أنجح في السيطرة على التحويل في الوقت الملائم . فبالنظر الى ما كان من تلهف دورا على أن ترودني أثناء العلاج بجانب من المادة المولدة لمرضاها ، فقد فاتني أن أحرص على التفنيس عن البوادر الأولى للتحويل ، الذي كان يتولد عند دورا بفضل جانب آخر من نفس هذه المادة — وهو جانب ظلمات أجهله . كان من الواضح في البداية أنني كنت آخذ مكان أبيها في خيالها ، وهو أمر يسهل تصوره بالنظر الى فارق العمر بيني وبينها . بل أنها كانت شعوريا لاتقطع عن مقارنتي بأبيها ، وظلت في لهفة تحاول أن تستوثق مما أن كنت صريحا تماما معها ، اذ أن أياها — على حد قولها — كان « يفضل دائما عدم الصراحة والطرق المنتفه » . ولكن عندما جاء الحلم الأول ، وهو الذي أعطت فيه لنفسها انذارا بأنه من الأفضل لها أن تترك العلاج على يدي ، تماما كما سبق لها أن تركت بيت السيد ك — ، كان يتهم على أن أضغى أنا نفسي لهذا الانذار . كان ينبغي أن أقول

(١) (ملحوظة إضافية عام ١٩٢٣) — ان استرنا لا في هذه الملاحظات عن للتحويل يوجد في مقالتي الفني عن «عشق التحويل» ، ١٩١٥ (المقالات، المجموعة، المجلد الثاني).

لها حينذاك : « ان مشاعرك تجاه السيد ك — قد طرحتها الآن علي •
 فهل لاحظت شيئاً يجعلك تعتقدين في وجود مقاصد سيئة عندي شبيهة
 بمقاصد السيد ك — (سيان في صورة مكشوفة أو في صورة من صور
 الاعلاء) ؟ أو ترى هل راعك شيء من جانبي أو سمعت شيئاً عنى
 استولى على خيالك ، كما حدث لك من قبل مع السيد ك ؟ » عندئذ كان
 انتباهها سيئجه الهج واقعة جزئية ماتصل بعلاقتنا أو تتصل بشخصي أو
 بطروفي ، واقعة جزئية يكمن وراءها شيء مماثل — وان يكن أكثر أهمية
 بما لا يقاس — يتعلق بالسيد ك — ومضى تمت تصفية هذا التحويل ، يكون
 التحليل بذلك قد وجد طريقه الي ذكريات جديدة تتعلق أغلب الظن
 بأحداث واقعية • ولكنى أغفلت هذا الانذار الأول ، ظنا منى أنه مايزال
 أمامى متسع من الوقت ، اذ لم تظهر أطوار أخرى جديدة من التحويل ،
 ولم تكن مادة التحليل قد نضبت • وهكذا أخذنى التحويل على غرة ،
 وبسبب هذا القدر المجهول في شخصى الذى يذكر دورا بالسيد ك ،
 انتقمتم منى اذ أرادت أن تنتقم منه ، وتركتنى ، اذ كانت تعتقد أنها
 أخذت وانتزعت من السيد ك — • وهكذا « فعلت » جانبا أساسيا من
 ذكرياتها وأخايلها بدلا من أن تتكلم به في جلسات علاجها • فما عساه
 كان هذا « المجهول » ؟ أنبى بالطبع لا اعرف • انبى افترض أنه كان
 شيئاً يتصل بالمال ، أو بالغيرة من مريضة أخرى ظلت علي صلة بأسرتى
 بعد شفائها وعندما يكون من الممكن ادماج التحويل ضمن التحليل في
 مرحلة باكرة ، فان التحليل ينتابح أكثر بقاء وأقل وضوحا ، ولكنه
 بذلك يصبح أكثر حصانة ضد المقاومات الفجائية والعائنية •

• وفي الحلم الثانى لدورا توجد اشارات واضحة عديدة للتحويل •
 ففي الوقت الذى كانت تقص على هذا الحلم لم أكن أعرف بعد (ولم
 أعرف ذلك «لا بعد يومين) أن ليس أمامنا غير ساعتين من العمل •
 كانت هذه هى نفس الفترة من الوقت التى قضتها أمام صورة
 « المادونا » (العذراء) ، وكانت أيضا هى نفس الفترة (باجرائها
 تصحيحا ، ووضعها « ساعتين » بدلا من « ساعتين ونصف ») التى

اعتبرتها لازمة للدوران الذى لم تقم به حول الحيرة • ونضالها للوصول ، وانتظارها فى الحلم ، اللذان يرتبطان بالمهندس الشاب فى ألمانيا ، واللذان يرجع أصلهما الى انتظارها حتى يتمكن السيد ك — من أن يتزوجها ، قد تترجما كلاهما فى التحويل قبل ذلك بأيام قليلة • والعلاج ، فيما تصورت ، كان مسرف الطول بالنسبة لها ، ولم يكن فى وسعها بحال أن تنتظر كل هذا الوقت • ومع ذلك فإنها فى الأسابيع القليلة الأولى كانت منطقية بحيث أنصتت دون أى اعتراض عندما أخبرتها أن شفاءها الكامل ربما يتطلب عاما • ورفضها فى الحلم أن يصحبها الرجل ، وتفضيلها أن تمضى بمفردها ، إنما يرجعان أيضا بأصلهما الى زيارتها لمعرض الرسوم فى درسدن ، وكان على أنا نفسى أن أعانيهما فى اليوم المحدد • ان مايعنيانه كان ولاشك : « ان الرجال كلهم من الشناعة بحيث أفضل أن لاأتزوج ، ذلك هو انتقامى » (١) • أن حفزات القسوة ودوافع الانتقام ، التى سبق أستخدمها بالفعل فى تكوين الأعراض عند المريضة : اذا ماحولت على الطبيب أثناء

(١) (ملحوظة عام ١٩٢٣) : كلما طال الوقت الذى يفصلنى عن نهاية التحليل، ازداد اعتقادى فى أن خطئى فى الفنيات انما كان ينحصر فى هذا الاغفال : لقد فشلت فى أن اكتشف فى الوقت المناسب، وفى أن أخبر المريضة أن حبها المثلئ الجنسية (المولع بالنساء) لدام ك — كان أقوى النزعات اللاشعورية فى حياتها النفسية • كان ينبغي على أن استشف أن المصدر الرئيسى لمعارفها فى المسائل الجنسية لايمكن أن يكون أحدا غير مدام ك — وهى نفس السيدة التى اتهمت دورا فيما بعد بالولع بهذه المسائل نفسها • كانت معرفتها بكل شئ عن هذه المسائل، وفى نفس الوقت ادعاؤها دائما بأنها لاتعرف من أين أتت بمعارفها هذه ، من الامور جد اللافتة حقا • كان يتحتم على أن أبادر الى تناول هذا اللغز، فافتش عن الدافع الى هذا الكبت الفريد • ولو أتى فعلت ذلك لكان الحلم الثانى قد أعطانى الجواب • فشهوة الانتقام الجارفة التى عبر عنها هذا الحلم كانت — أكثر من أى شئ آخر — ملائمة لاختفاء النزعة المضادة : النسخاء الذى به غفرت خيانة الصديقة التى تحظى بحبها (أى بحب دورا) ، والذى به أخفت عن كل شخص حقيقة أن هذه الصديقة هم نفسها التى أطلعتها على المعارف التى غدت فيما بعد أساسا للاتهامات التى انصبت عليها (أى على دورا) • وقبل أن أتبين أهمية النزعة الثالثة الحسنة عند العصبيين النفسيين، كثيرا ما كانت أجدنى عاجزا عن التقدم فى علاج مرضاى ، أو أجدنى فى حيرة تامة •

العلاج ، قبل أن يكون لديه الوقت الكافي ليعدها عن نفسه بارجاعها الى أصولها ، فعندئذ ليس لنا أن ندهش اذا مابقيت حالة الريضة على ما هي عليه ، دون أن تتأثر بالجهود العلاجية للطبيب • فاية طريقة تتيح للمريضة أن تنتقم من طبييها أفضل من أن تجعله يتبين في شخصها مدى عجزه وانعدام حيلته ؟ ومع ذلك فليست أميل الى أن أغالى في التقليل من قيمة النتائج العلاجية حتى في حالة من التحليل الجزئى كحالة دورا هذه •

* * *

ثم تصلنى أية أخبار عن حالة مريضتى وعن نتائج علاجى لها . الا بعد مرور خمسة عشر شهرا من توقف العلاج وكتابتى لهذا المقال • ففى يوم لايمكن أن يكون تاريخه عديم الأهمية تماما ، وهو الأول من أبريل (فالأوقات والمتواريخ ، كما نعلم ، لم تكن بحال عديمة الدلالة بالنسبة لها) ، حضرت دورا الى من جديد : لتكلم قصتها وتطلب منى أن أساعدها من جديد • ومع ذلك فنظرة واحدة الى وجهها كانت كافية لتبين لى أنها لم تكن جادة فى طلبها • لقد ظلت — على حد قولها — طيلة أربعة أو خمسة أسابيع بعد توقف العلاج « مقلوبة الحال رأسا على عقب » • ثم بدأ بعد ذلك تحسن كبير ، تباعدت نوباتها وارتفعت معنوياتها • وفى مايو من ذلك العليم توفى أحد طفلى السيدك (وقد كان دائما معتلا) • وانتهزت فرصة مصابهم هذا لتذهب اليهم فى زيارة عزاء ، وقد استقبلها وكأن شيئا لم يحدث فى السنوات الثلاث السابقة • تصالحت معهما ، وانتقمت منهما ، وانتهت الى نتيجة تبعثها على الرضا • قالت للزوجة: « أنى أعرف أنك على علاقة بأبى » ، فلم تنكر الزوجة ذلك • أما عن الزوج فقد حصلت منه على اعتراف بمشهد البحيرة ، الذى كان قد جادل فى أمره • ثم حملت أنباء أنتقامها الى أبيها فى البيت • ومنذ ذلك الحين لم تستأنف علاقتها مع تلك الأسرة • واستمرت دورا بعد ذلك فى صحة جيدة حتى منتصف أكتوبر ، حين انتابتها نوبة جديدة من فقدان الصوت ، أستمرت معها ستة

أسابيع • دهشت لهذا النبأ ، وعندما سألتها ما أن كان هناك أى نسب مثير ، أجابتني بأن النبوة جاءت في أعقاب رعب عنيف • فقد رأت شخصا تدوسه عربة • وأخيرا خرجت بالحقيقة ، وهي أن الحادث لم يقع لشخص آخر غير السيد ك — نفسه • فذات يوم التقت به في الطريق ، وكان ذلك في مكان يزدحم بالمرور ، توقف أمامها في حالة من الارتباك ، وفي هذه اللحظة من شرود البال دهمته عربة (١) • وكان يوسعها مع ذلك أن تقنع نفسها بأنه قد خرج من الحادثة دون إصابة خطيرة • وكانت ماتزال تستشعر انفعالا هينا إذا سمعت أحدا يتحدث عن علاقة أبيها بمدام ك — ، ولكنها فيما عدا ذلك لم تكن تحثن بالأمر • كانت مستغرقة في دراستها ، ولم تكن تفكر في الزواج •

ومضت تخبرني بأنها جاءت تطلب مني أن أساعدها بخصوص ألم عصبى في النصف الأيمن من وجهها ، كنت تقاسي منه ليل نهار •

— سألتها : منذ متى بدأ هذا الألم ؟

— أجابت : منذ أسبوعين تماما (٢) •

لم أتمالك نفسي من الابتسام ، إذ استطعت أن أبين لها أنها لا بد وأن تكون منذ أسبوعين تماما قد قرأت نبأ خاصا بي في الصحف • (كان ذلك عام ١٩٠٢) • وقد أكدت لي ذلك (٣) •

وهكذا فان ألمها الوجهي الكاذب كان عقوبة ذاتية — تانييا لانها لکمت مرة السيد ك — على أذنه ، ولأنها طرحت مشاعرها الانتقامية

(١) نقدم تلك الحالة اسهاما طريفا في مشككة المحاولات غير المباشرة للانتحار ، وهي التي ناقشتها في كتابي : «سيكوباتولوجيا الحياة اليومية» •

(٢) فيما يتصل بدلالة هذه الفترة من الوقت ، وعلاقتها بموضوع الانتقام ، انظر تحليل الحلم الثاني •

(٣) لاشك أن هذا النبأ هو تعيين فرويد أستاذنا بالجامعة • عن الترجمة الانجليزية في • Stand. Ed.

على شخصى ، لم أكن أدرى أى نوع من المساعدة تريده منى ، ولكنى
وعدتها أن أغفر لها أنها حرمتنى من متعة تخليصها من مرضها بشكك
أكثر أكتمالا •

ومضت ألسنون بعد زيارتها تلك • وأثناء ذلك تزوجت الفتاة ،
وتزوجت فى الواقع — اللهم الا أن تكون كل الأمارات قد خدعتنى —
من ذلك المهندس أشاب الذى ورد فى تداعياتها فى بداية تحليل الحثم
الثانى • وكما ان الحلم الأول كان يمثل تحولها عن الرجل الذى تحبه
الى أبيها — أى هروبها من الحياة الى المرض — فكذا كان الحلم الثانى
يعلن أنها توشك أن تنفزع نفسها متحررة من أبيها لتسترددها الحياة من
جديدة •

ثبت مصطلحات

ثبت مصطلحات

displacement	نقل
déplacement	
character disorder (s)	اضطراب الشخصية
trouble (s) du caractère	
leucorrhoea	افرازات بيضاء ، لوكوريا
leucorrhée	
depression	اكتئاب
dépression	
perityphlitis	التهاب بريتونى حول الأعوز
pérityphlite	
appendicitis	التهاب الزائدة الدودية
appendicite	
catarrh	التهاب (الغشاء المخاطى)
	(كلمة وصل تشير الى الزكام كما تشير الى الافرازات البيضاء المهبلية)
catarrhe	
ovarian nevtalgia	ألم المبيض (العصبى)
ovarite	
gastralgia	ألم المعدة (العصبى)
gastralgie	

أمنيزيا (انظر : نسيان)
انقلاب الوجدان (ميكانيزم)

reversal of affect
Interversion de l'affect

بارامنيزيا ، ذكرى كاذبة

paramnesia
paramnésie

امثال يظهر خطأ على أنه ذكرى ، مما نلتقى به في « وهم رأيته من قبل » الخ .
(بيرون)

anamnesia
anamnésie

تاريخ المرض وماضى المريض

جملة المعلومات التي تحصل عليها باستخبار الشخص عن ماضيه وتاريخ مرضه
(بيرون)

conversion

تبدين • هستيريا التبدين

مرض نفسى يخصصه التعبير العضوى عن الصراعات اللاشعورية
أنظر : هستيريا •

ovner - determination
surdéterminisme

التحتيم بأكثر من سبب

reactive reinforcement
renforcement de réaction

تعزيز مضاد

coitus interruptus
coit interrompu

الجماع المقطوع

homosexuality
homosexualité

جنسية مثلية

- tabes خراع • تهزج المشية • اتاكسيا حركية (شرف)
- screen - memoir ذكري حاجبة
souvenir , écran
- housewife's psychosis ذهان الزوجة الخدّمة
psychose de la menagère
- neuro - psychosis ذهان عصبي
neuropsychose
- tussis nervosa سعال عصبي
nervous coughing
toux nerveuse
- hypnoid state شبه نوم مغناطيس (حالة)
état hypnolde
- حالة تشبه الحالات الهنية من النوم المغناطيسى ، ولكن يتم احداثها
بوسائل غير المستخدمة فى التنويم المغناطيسى (وارين)
- tabo - paralysis شلل الخراع
- general paralysis الشلل العام
paralyse générale
- مرض عقلى يرتبط باصابات المخ الراجعة الى الأزهرى ، ويتميز
بتضاؤل عقلى عام ، وباضطرابات هذيانية ، مع أوهام عظيمة فى الغالب ،
وارتعاش واضح فى اللسان والأصابع وملامح مختلفة عصبية ومزاجية
مميزة • كان مستحيلا على الشفاء فى الماضى ، ولكن يشيع الآن شفاؤه
بالعلاج الملائم فى مرحلة باكرة • (بيرون) •

idealisation	الصبغ بالمثالية • إسباغ المثالية
idéalisation	
hemicranis, hemicranial headache	صداع نصفي
migraine	
transference	تحويل
transfer	
dyspnea, dyspnoea	عسر التنفس
dyspnée, gêne respiratoire	
symptomatic act	فعل أعراضي
acte symptomatique	
aphonea	فقدان الصوت
aphonie	
medical discretion	الكتمان الطبي
discretion médicale	
paranosic gain, primary advantage	الكسب الأولي (من المرض)
profit primaire	
epinosic gain, secondary advantage	الكسب الثانوي (من المرض)
bénéfice secondaire	
self-reproach	لوم ذاتي • ندم
reproche à soi - même	
antiluetic, antisyphilitic	مضاد للزهري

hydrotherapy
hydrothérapie

المعالجة بالمياه

path of association
voie associative

ممر للتداعي

somatic compliance
complaisance somatique

المهاوده البدنية

amnesia
amnésie

نسيان ، فجوة ذاكرة

pathogenesis
pathogenie

نشوء المرض

confusional attack
accès de confusion mentale

نوبة خلط عقلي

اصابة عامة ، وغائبا وقتية ، للوظائف النفسية ، تتميز بحالة من العتامة الذهنية ، وبتضاؤل الوعي ، واضطراب الادراك الخ • ويترتب على ذلك عجز عن التوجه في الزمان والمكان ، واضطرابات غائرة في الذاكرة ، وغالبا مايصحبها قلق وهلوسات بصرية شبيهة بالحلم • وتتميز عن الجنون بوعي المريض النسبي باضطرابه وبالجهد الذي يبذله للتكيف مع انعائم الخارجى • ولا ترتباط الخلط العقلي غالبا بعدوى أو بتسمم فانه يقبل الشفاء بازالة السبب أو بالعلاج بالصدمات ، كما يمكن أن يصبح مزمنًا (صورة من الجنون الباكر) • (بيرون) •

dellricus state
état délirant

هذيان (حالة)

cachexia marasmus
cachexie

هزال (شرف)

هستيريا (هستيريا التبدلين)

hysteria

hystérie

مرض نفسى يتميز خاصة بالقابلية الشديدة للايحاء ، هذه التي تتجلى في القابلية المدهشة للتشكيل من جانب الشخصية . ومن هنا تبرز سلسلة بأكملها من الأعراض الوظيفية في صورة بدنية : الشلل ، والاضطرابات الحسية ، واثنوبات العصبية ، والنوم ، والتخشب (الكتاليسيا) الخ . ومن هنا أيضا تبرز كثرة من الاضطرابات النفسية جد المتميزة الموالع بالكذب (الميتومانيا) ، واليقظة الحاملة ، والاميزيا من نوع جد خاص ، والآلية النفسحركية الخ . والهستيريا ، من حيث هي التعبير العضوى عن الصراعات اللاشعورية ، تعرف في التحليل النفسى بعصاب التبدلين .

أما هستيريا القلق فهي في التحليل النفسى ، عصاب نفسى تستخدم الأنا فيه دفاعات لتجنب المواقف التي تثير بنوعيتها القلق ، اذ تمثل غوايات أو عقوبات أو الامرين معا . ففي الفوبيات يكون الموقف المرهوب مكافئا متحجبا لمصدر القلق الأسمى . (بيرون) .

(راجع الفصلين ١١ و ١٢ من كتاب أوتوفينخل : نظرية التحليل

النفسى في العصاب — مكتبة الأنجلو) .

stigma (pl. stigmata)

stigmaté

وسمة (ج . وسمات)

gynaecophilic feelings

sentiments gynécophiles

الولع بالنساء ، مشاعر (من جانب النساء)

تصديدين

بقلم

مصطفى زيور

ان « هانز الصغير » هو أول طفل يعالج بالتحليل النفسى من حالة فوبيا (أى خوف مرضى) من الجياد . وظهر هذا العصاب لديه فى أوائل شهر يناير من سنة ١٩٠٨ وكان عمره أربعة سنوات وثمانية أشهر وشفى منها بعد أربعة أشهر من العلاج . وكان أبوه من مريدى فرويد فى تلك الحقبة الباكرة من تاريخ التحليل النفسى ، وخاصة والده الذى كان دعوى فى الاستماع الى محاضرات فرويد . وقراءة مؤلفاته وكان فرويد ينهى الى تلامذته ومريديه أن كشفه عن الحياة النفسية الجنسية لدى الأطفال التى استخلصها من خلال تحليل مرضاه العصبيين الراشدين ، ينبغى أن توضع موضع الامتحان من خلال المشاهدات المباشرة للأطفال الأصحاء منهم والمرضى .

ومن أجل ذلك فان الصفحات الأولى من حالة هانز الصغير تسجل مشاهدات والده على سلوكه وما كان يفضى به الى والديه ابتداء من السنة الثالثة من عمره حتى ناهز الرابعة وثمانية أشهر من عمره وهو بعد سليم ، يتمتع بصحة جسمية ونفسية ، فضلا عن ذكاء ملحوظ ، وحرية فى التعبير نتيجة لسماحة والديه ازاءه ، وامتناعهم عن التضييق على تلقائيته فى الأمور التى جرى العرف على نهى الاطفال عن الافصاح عنها .

وبالرغم من أن والده هانز هو الذى قام بعلاجه فضلا عن أنه لم يكن محللا نفسيا مدريا وهو أمر يتناقى مع فنيات التحليل النفسى الا

أن انظروف أنذاك اقتضت ذلك ، كما أن العلاج سار بأسلوب الحوار وهو ماتبين بعد ذلك أنه أسلوب لايناسب علاج الأطفال ، بحيث أسفره البحث في علاج الأطفال عن ابتكار أسلوب النعب في العشرينات بفضل جهود السيدات د. هج هلموت (١) وميلانى كيلاين (٢) وأنا فرويد (٣) — أقول بالرغم من افتقار علاج هانز الصغير الى مكان يجعله أقرب الى الكمال ، الا أن معطيات هذا العلاج بالتحليل النفسى أقامت الدليل على صفة القضايا التى استخلصها فرويد من تحليل الراشدين وضمنها كتابه المعروف : « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » (٤) وخاصة ديناميات الفوبيا ، وعقدة أوديب ، وثنائية الوجدان ، وحصر الخصاء ، «نظريات» الأطفال عن الجنس ومايتصل به من أسرار الحمل واليلاد ، فضلا عن اتساع مفهوم الجنس بحيث يشمل مناطق غير منطقة أعضاء التناسل ، وقد كانت الهبات في هذا العلاج نتيجة الأسباب التى سبق ذكرها والتي جعلت حالة هانز الصغير ، تتسم « بالبدائية » اذا قورنت بحالة الرجل الذئب وهى الحالة الخامسة في هذا الكتاب — كان من شأن ذلك أن جعلها هدفا سهلا للنقد . وقد ترددت في التصدى لهذا النقد من حيث أن قضايا التحليل النفسى الأساسية لم تعد موضع مناقشة من أطباء النفس وعلمائه الذين أتيح لهم أن يختبروها اختبارا مباشرا ، ثم لأن هذا النقد جرت به أقلام بعض المشتغلين بعلم النفس أو ممن يزاولون مايقال له العلاج السلوكى ، دون أن يتزودوا بتدريب وخبرة بفننيات التحليل النفسى . ولما كان الحق في أبداء الرأى في قضايا علمية ليس حقا طبيعيا . وانما هو حق يكتسب بالتوفر على تلقى التدريب

Hug - Hellmuth. H. R., "Zur Technik der Kinderanalyse" (١)
Internationale Zeitschrift für Psychoanalyse, Bd. vii., 1921.

Kleine, Melanie. The Psychoanalysis of Children, The (٢)
Hogarth Press. 1932.

Freud, Anna. Einführung in die Technik der (٣)
Kinderanalyse. Viems, 1927.

(٤) أنظر الترجمة العربية : ثلاث مقالات في نظرية الجنس . دار المعارف بمصر .

في ميدان هذه القضايا خلال سنوات طويلة ، فقد جرى العرف بين المحللين النفسيين على الا يتصدوا لمناقشة النقد الذي يوجهه من لم يؤهل في التحليل النفسي .

على أن ذيوع نظريات البروفسور أيزنك في مصر وخاصة بعض ماكتبه من نقد لقضايا التحليل النفسي في عبارات نابية تتجاوز ماتقتضيه أخلاقيات المناقشة العلمية ، وتقديمه العلاج السلوكي بوصفه بديلا للعلاج بالتحليل النفسي ، دفعني الى مناقشة هذا النقد في أيجاز .



يكتب أيزنك في فصل بعنوان « الصغير هانز أو الصغير ألبرت » في كتابه « الحقيقة والوهم » . هناك سبب آخر يدفعنا لفحص الصغير هانز ببعض التفصيل ، وهو أن هناك نظرية بديلة لنظرية فرويد قد أقامها فأحكم بناءها ج . ب . واطسون ووضعها هو أيضا في شكل قصة تتعلق بصبي صغير اسمه في هذه المرة الصغير ألبرت . وانه لمن الصعب أن نتبين الاختلافات بين التحليل النفسي وعلم النفس الحديث ، بأفضل من المقارنة بين حالتى هانز الصغير وألبرت الصغير » : (ص ١٠٦) .

ويستند أيزنك فيما يقدمه من نقد الى ماكتبه فولبه وراخمان (١) ، وذلك لأنه على حد قوله لا اترك تجربتى الشخصية مع الناس مجالا للشك لدى في أن فولبه والآخرين ممن نتكلم عنهم لديهم مقدرة خاصة فائقة لانهم مصاعب ومشاكل العصبيين . . ولما كنت ممن تقتصم كلية هذه المقدرة ، فاننى غالبا ماأشعر بأنه على الرغم من أن معرفتى بنظرية التعلم ليست أقل كثيرا من معرفتهم فانها لايمكن أن تكفى وحدها لجعلى قادرا على أن أقوم بنفسى بالعمل الرائع الذى يقومون به »

(ص ١٥٧) • ونحن نحمد لأيزنك اعترافه هذا الذى كان ينبغي — مادام لم يخبر الأمر بنفسه عمليا من حيث أنه « ممن تنقصهم كلية هذه المقدرة » — أن يمتنع عن الادلاء برأية فى قوله : « نجد حين نتأمل الأدلة التى استندت لئها نظريات فرويد أنها ليست بالتى يمكن أن يقبلها أى عالم » (ص ١٠٥) • ومرة أخرى أن ابداء الرأى فى قضايا العلم ليس حقا طبيعيا وانما هو حق يكتسب •

يقتبس أيزنك من كتاب فولبه ودراخمان قولهما • « سوف نعيد فحص تاريخ هذه الحالة وتقييم الأدلة المقدمة ، مبيينين أنه بالرغم من وجود مظاهر للسلوك الجنسى من جانب هانز. فليس هناك دليل علمى مقبول يبين أى صلة بين هذا السلوك وبين مخاوف الطفل الرضية من الجياد ، وأن تأكيد مثل هذه الصلة انما هو مجرد ادعاء محض » ثم يذكر قولهما « يكفينا أن رأى فرويد فى هذه الحالة لاتسنده الوقائع لا فى الجزئيات ولا فى الحالة ككل • ولقد كانت النقاط الأساسية التى أعتبرها فرويد واضحة هى :

- ١ — أن هانز كانت لديه رغبة جنسية نحو أمه •
- ٢ — انه كره أباه وخاف منه ورغب فى قتله •
- ٣ — أن هياجه ورغبته الجنسية تجاه أمه قد تحولت الى حصر •
- ٤ — أن مخاوفه من الجياد كانت رمزا لمخاوفه من أبيه •
- ٥ — أن الغرض من مرضه كان أن يظل بالقرب من أمه •
- ٦ — أن مخاوفه المرضية قد اختفت لأن مركب أوديب عنده قد حل ، (ص ١١٨) •

ثم يقولان • « فلنفحص كلا من هذه النقاط •

- ١ — أن هانز يجد السعادة مع أمه ويستمتع بوجودها • وذلك ما لم نحاول أن نناقشه • ولكن لا يوجد أى دليل على رغبته فى أن

يجامعها • ولقد أشير إلى « الأباءات الغريزية » كما لو كانت حقيقة مادية رغم عدم قيام أى دليل على ذلك • والحادثة الوحيدة التى وصفت فيما يتعلق بالمضاجعة المحرمة تبين أنه فى هذه المناسبة على وجه التحديد (التخطيط فى الأصل) انتابت هانز رغبة ذات طابع جنسى فى الاتصال بأمه ، ولو أنه أتصال جنسى من نوع بسيط وبدائى • وليس هذا بالدليل الكافى الذى يمكن أن يقوم عليه الزعم بأن هانز كان يعانى من مركب أوديب مما أدى الى رغبة جنسية فى الأم وفى امتلاكها ، وفى الحثول محل الأب • وكل مايمكن أن يبنى على هذه المحاولة الاغرائية « هو أنها تقدم سندا ضعيفا على الافتراض القائل بأن هانز كانت لديه الرغبة لأن يستثر جنسيا من شخص آخر (ويجب أن نذكر أنه غالبا مااستمنى » (هكذا فى نص فولبه وراخمان) • وحتى لو فرضنا أن مصدر هذه الاثارة كان الام التى رغب فيها بالذات فان السمتين الأخيرتين لمركب أوديب (وهى الرغبة فى امتلاك الأم والحلول محل الأب) لاتظهرهما حقائق الحالة « (ص ١١٩) •

ولابد أن نلفت نظر القارئ بادية ذى بدء أن مايسلمونه هؤلاء المؤلفون باليمين لايلبثون أن يسحبوه باليسار ، فهم يسلمون بأنه « انتابت هانز رغبة ذات طابع جنسى فى الاتصال بأمه » ، ثم يعقبون بقولهم : « ولو أنه اتصال جنسى من نوع بسيط وبدائى • » ولسنا فى حاجة الى القول بأن التحليل النفسى لايزعم أن رغبة الطفل فى الاتصال الجنى بأمه رغبة تتسم بالنضج كما هو الحال لدى الرجل الراشد •

ولابد من تسجيل الفقرة التالية (ص ٢١٠ من النص الكامل لهائلة هانز) حتى يراجعها القارئ ونترك له استخلاص معناها • « وفى صباح اليوم الثالث استيقظ (هانز) فى السادسة تقريبا وهو فى حالة ارتعاب ، وعندما سئل ما الأمر ، قال : « وضعت أصبعى ولكن مجرد برهة قصيرة جدا ، عند حمامتى • عندئذ رأيت ماما عارية تماما فى قميصها ، وقد تركتني أرى حمامتها » •

وقد تعرض فولبه وراخمان الى تخييل الزرافتين (ص ٢٩ ، ٣٠ من النص الكامل) دون أن يسعهما أن يفندا معناه ، وهو أمر لا يدهشنا من حيث أن نشاط التخييل سواء في أحلام اليقظة أو أحلام الليل • مما يستعصى فهمه على أطباء النفس وعلماء النفس الذين يقصرون فحصرهم على نشاط الفكر المنطقي ، ويغفلون عن أن الثورة الكوبرنيقية التي أنجزها التحليل النفسى هى اكتشاف المعنى والدلالة فيما كان قبل ذلك يبدو عاطلا عن المعنى والدلالة ، وأن حجر الزاوية فى نظام التحليل النفسى هو « تفسير الأحلام » و « أن من قصر عن أن يبين منشأ صور الحلم ليجهد عبثا فى أن يفهم المخاوف المرضية والأفكار القهرية والهجاسية أو فى أن يؤثر فيها تأثيرا شافيا • » (١)

وعلى القارىء أن يراجع حلم الزرافتين (أو على الاصح أخبولة الزرافتين) صفحات ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ فسيتبين اذا كان مزودا بأصول تفسير الأحلام • أن هذه الاخبولة تعنى امتلاك أمه جنسيا على الرغم من اعتراض أبيه ، ففى ص ٢١٥ يقول وألد هانز • «فالجأنا هانز بخروجه من غراشة والظلام دامس وبقدومه الى فراشنا » • وباستجواب هانز قال : « فى الليل كانت فى العرفة زرافة كبيرة وزرافة مكموشة (مجمعة) ، وكانت الزرافة الكبيرة تصيح الأبنى أخذت منها الزرافة المكموشة • ثم توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح ، وعندئذ جلست على الزرافة المكموشة » •

وقد حيرت هذه الأخبولة أبا هانز فى بادىء الأمر ثم فطن بعد ذلك الى أن : « الامر كله هو استعادة لمشهد كان يجرى كل صباح تقريبا أثناء الأيام القليلة الاخيرة ، هانز يأتى دائما الينا فى الصباح الباكر ، وزوجتى لا تستطيع أن تقاوم أخذه معها لبضعة دقائق فى فراشها وعندئذ أبدا دائما فى أن أحذرها من أخذه معها فى فراشها

(١) فرويد : تفسير الاحلام • دار المعارف بمصر ص ٣١ •

(« ان الزرافة الكبيرة كانت تصيح لأننى كنت قد أخذت منها الزرافة الكموشة ») ، وتجيّب زوجتى بين حين وآخر ، وهى أدنى الى الاحتداد ، بأن هذا سخف ، وأن دقيقة واحدة لاخطر فيها فى نهاية الأمر ، وما الى ذلك وعندئذ يمكث هانز معها برهة قصيرة ر « ثم توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح ، وعندئذ جلست فوق الزرافة الكموشة ») •

أما اختيار الزرافة الكبيرة لتمثل الأب والزرافة الكموشة لتمثل الأم ، ثم « الجلوس على » كرمز لامتلاك ، فسيجد • القارىء مايفسر ذلك كله من قراءة النص والهوامش ثم من قراءة « تعليق » فرويد هامش ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

وجدير بالذكر أن هانز اثناء حوارهِ مع أبيهِ بصدد أخبولة الزرافتين (ص ٢١٧) قال له : « رجتنى ماما طويلا أن أخبرها عن سبب مجيئى اليكما اثناء الليل ولكنى لم أرغب فى أن أخبرها ، لأننى أولا شعرت بالخزى مع ماما • » وليس من العسير على القارىء أن يتبين معنى هذا الخزى الذى استشعره هانز ، وهو الذى عوده والده على الإفصاح دون تهيب عن كل مايدور بخلفه •

وما يصدق على أخبولة الزرافتين فى امتناعها عن الفهم لدى قوليه وراخمان ومعهما ابزنك ، يصدق أيضا على أخبولة التسلك من تحت الحبال وأخبولة تحطيم الزجاج (ص ٢٢٠) كما يصدق على أخبولتى السمكرى (ص ٢٤٩ وص ٢٨٦) وغير ذلك من الأخابيل الكثيرة التى كان يفصح عنها هانز •

ان عالم النفس الذى يجهل أو يتجاهل هذه الأخابيل بوصفها « أقوالا كيفما اتفق » • لابد أن تستغلق عليه سيكولوجية الأطفال ، وبالتالي سيكولوجية العصاب بوصفه ارتدادا ألى أخيلة الطفولة ، فضلا عن أن هذا التجاهل يتضمن تناقضا خطيرا يهدم علم النفس بوصفه علما • فواحدة من اثنتين : أما أن يكون علم النفس علما وبالتالي

لا بد أن يخضع النشاط النفسى لبدأ الحتمية ، بحيث يكون كل خاطر وكل أخبولة محتوما ، أى أنها تحمل معنى ودلالة ، مهما استغلق المعنى واستخفت الدلالة ، بحيث يدفعنا ذلك إلى البحث عن المعنى والكشف عن الدلالة ، واما أن تكون بعض الظواهر النفسية محتومة وبعضها الآخر غير محتوم (أى لا يحمل معنى ولا دلالة) وهو تناقض فى الحد يهدم مبدأ الحتمية فى ميدان النفس فيمنع قيام علم النفس بوصفه علما

بقى أن ننظر فى الشق الآخر من عقدة أوديب أعنى موقف الصبى من والده بوصفه منافسا له فى حب أمه مما يدفعه إلى كراهيته والرغبة فى استبعاده • وأول ما ينبغى ذكره أن غوايه وراخمان ومعهما أيزنك غفلوا أو تغافلوا عن أن عقدة أوديب كما يصوغها التحليل النفسى لا يقتصر الأمر فيها على كراهية الصبى لأبيه ، وإنما تتصارع هذه الكراهية مع حبه له وإكباره له • وهذا هو هانز (هامش ص ٢٢٢) كان يبدأ فيضرب أباه على يده ، ثم يقبل بعد ذلك فى حنان نفس هذه اليد • وأثناء الزيارة الوحيدة التى قام بها هانز ووالده لفرويد سأل ألاب ولده — فى سياق الحديث — ولكن لماذا تتصور أننى غاضب منك ؟ هل حدث قط أننى وبختك أو ضربتك ؟ « فأجاب الصبى الصغير : « هذا الصباح • « وتذكر أبوه أن هانز كان قد نطحه برأسه فى بطنه على حين فجأة تماما إلى حد أن الأب — فى صورة رد فعل — ضربه بيده • ولاشك كما يقول فرويد أن هذه الواقعة تعبير عن نزعة الصبى للصغير العدوانية ، وربما بوصفها أيضا تعبيراً عن حاجته إلى العقوبة على هذه العدوانية « (ص ٢٢٢) •

أما الدليل الحاسم على موقف هانز المشحون بالثنائية الوجدانية تجاه أبيه فانه يبين فى حوارهِ مع أبيه (ص ٢٢٣) • يقول الوالد :

« وفى صباح اليوم الثالث من إبريل دخل الفراش معى ، بينما كان فى الأيام القليلة الماضية قد توقف عن ذلك ••• وسألته : « لماذا جئت اليوم ؟ »

هانز — عندما يذهب عني الخوف لن أجيء أبدا .

وأنا — واذن فأنت تجيء الى اليوم لأنك خائف ؟

وهانز — عندما لا أكون معك أكون خائفا ، وعندما لا أكون معك في الفراش فعندئذ أكون خائفا . وعندما يذهب عني الخوف لن أجيء أبدا .

وأنا — وعلى ذلك فأنت مغريم بى وتشعره بالخوف حين تكون في فراشك في الصباح ؟ وهذا هو السبب فى أنك تجيء الى ؟

وهانز — نعم . لماذا اذن قلت ! أنتى مغريم بماما وأن هذا هو السبب فى خوفى . بينما أنا .. بك ؟

وفى صفحة ٢٢٤ نقرأ الحوار الآتى :

« أنا : والد هانز : — عندما تكون وحيدا تقلق على وتجيء الى غرفتى ؟

« هانز — عندما تكون غائبا فانى أخاف أن لاتعود الى البيت :

أن القارئ المزود بأوليات التحليل النفسى يدرك فى هذا الحوار الصراع القائم فى نفس الطفل نحو أبيه ، الصراع القائم ضد كراهيته لأبيه كمنافس مقتدر فيما يتصل بالأُم ، وكان يلوم أباه على أنه لم يتجه بانتباهه بعد الى صراع القوى هذا ، وهو الصراع الذى كان لابد وأن يتمخض عن حصر . » « هناك خوفه من أبيه ، وخوفه على أبيه . » أن هذا النوع من الصراع كان بين مكشفات التحليل النفسى الأولى . أن قلق هانز على أبيه فى قوله : « عندما تكون غائبا فانى أخاف أن لاتعود الى البيت » هو « عودة المكبوت » فى صورة قلق ،

وتعويض زائد بالحب في صراعه ضد الكراهية والرغبة في ألا يعود والده الى البيت •

ان عالم النفس الذى لا يستطيع أن يدرك هذا النوع من الصراع بين الحب والكراهية ، وانقلاب الكراهية قلقا على الشخص المكروه ليجهد عبثا في فهم أحوال الإنسان ، في فهم مايعانيه من مأساة الصراع بين الحب والكراهية ، وفي عبارة واحدة : في فهم سيكولوجية الإنسان وم يدور في أعماقه •

أما الأدلة على أن الجياد كانت رمزا للاب ، أى أن هانز نقل خوفه من أبيه الى الجياد — هذه الأدلة كثيرة نقتصر على ذكر بعضها •

وأول إشارة الى ذلك قوله وهو ييكي (ص ٢٠١) : « سوف يحضر الحصان في الغرفة » ولا أحسب أن القارىء يذهب به الظن الى أن هذا الطفل الذكى يعتقد حقا أن الحصان « سوف يحضر في الغرفة » • نتد قال هذه العبارة إذمه بعد اعترافه لها عن سبب خوفه الشديد عند خروجه الى الشارع في قوله « كنت أخاف من أن حصانا يعضنى • » أما في البيت فمن يكون الحصان الذى « سوف يحضر في الغرفة • »

والإشارة الثانية على أن الجياد رمز للاب نجدها في أعقاب حوارهم مع أبيه سالف الذكر الذى أفصح من خلاله عن خوفه أثناء غياب أبيه من ألا يعود الى البيت •

يقول والده (ص ٢٢٤) : « وعندما نهضت من المائدة بعد الإفطار قال هانز « بابا ، أنتظر ، لاتقمص مبتعدا عنى » • ويعقب والده « وأدهشنى أن يقول « تقمص ، بدلا من تجرى ، وأجبتة « أوه • وأذن فأنت تخاف من الحصان عندما يقمص مبتعدا عنك • » فضحك (هانز) على اثر ذلك • »

ويبدو أن فولته وراخمان ومعهما ابزنك لايعرفون سيكولوجية
فلنات اللسان أو أنهم يتجاهلونها •

والدليل الحاسم على أن الجياد رمز للاب نجده في حوار هانز مع
أبيه (ص ٢٧١) • ويقول والد هانز : « بعد الظهر أمام البيت ، جرى
هانز فجأة داخل البيت ، عندما أقبلت عربة بحصانين • • فسألته :
ماذا حدث ؟ قال : « الحصانان مزهوان جدا بحيث أخاف أن يقعا • »
(كان الحوذى يشد اليه بقوة لجام الحصانين ، بحيث كنا يتهديان
• • • ورأسها عاليا الى الموراء ، وكان منظرها في الحقيقة مزهرا)
« سألته : من هو في المواقع المزهو جدا •

هانز — أنت هو ، عندما أتى وأدخل في الفراش مع ماما •

أنا — واذن فأنت تريدني أن أتق ؟

هانز — نعم • كان ينبغي أن تكون عازيا (يقصد عاري القدمين ،
كما كان فرينزل (صبي من أصدقاء هانز حدث أن وقع وارتطم قدمه
بحجز فسأل دمه) وأن ترتطم بحجر ، وأن يسيل الدم • وعندئذ
استطيع على الأقل أن أبقى بعض الوقت بمفردي مع ماما • وعندما
تعود صاعدا الى مسكننا يكون بوسعي أن أهرب بسرعة ، حتى لا ترائني»

ونستطيع أن نفهم افصاح هانز الصريح في هذا الحوار ، اذا
قرأنا الفقرة الآتية (ص ٢٣٣) :

« كان هانز منذ فترة يلعب لعبة الأحصنة في الغرفة ، فهو يجرى
قفزا ويقع ويرفس بقدميه ، ويصهل • وذات مرة علق على رأسه
كيسا صغيرا بوصفه مخلاه ، وكان في مناسبات عديدة يجرى نحوى
(الأب) ويعضنى » • ويعلق فرويد قائلا : « وبهذه الطريقة كان
يعبر عن تقبله للتفسيرات الأخيرة بصورة أكثر قطعا مما كان يستطيعه
بالكلمات مع قلب للدوار بالطبع ، اذا كانت اللعبة في خدمة رغبة
أخيولية •

وهكذا كان هانز هو الحصان ، وكان يعض أباه وبهذه الطريقة
كان يتوحد بأبيه » .

وهناك أشارات وأدلة كثيرة أخرى على قضية كون الحصان رمزا
للأب سيبتينها القارىء أثناء قراءة النص الكامل فى ضوء ماقدمنا من
توضيح .

ولكن ماذا عن خوف هانز من أن يعض الحصان أصبعه ؟ هذا الخوف
يشير إلى حصر الخشاء اللاشعورى . ويقوم الدليل على ذلك فى أكثر
من موضع (ص ٢١٢) : « وحمامتى سوف تكبر عندما أكبر ، لأنها
ثابتة فى مكانها بكل تأكيد » . ثم أخيولتى السمكوى (ص ٢٤٩ وص
٢٨٦) .

يتضح من هذه المناقشة أن فوبيا الحصان لدى هانز إنما هي
الحل العصابى لمشكلته الاوديبية : خوفه من أبيه بناء على عدائته له
(متصارعا على حبه له) ممثلا فى حصر الخشاء اللاشعورى . ويتكوّن
فوبيا الحصان ينقل خوفه من أبيه إلى خوف من أن يعضه الحصان .
وبهذه الطريقة ينجح فى حصر نطاق خوفه فى حيوان فى الشارع ،
وبذلك يعفى نفسه من الحصر إذا ماتفادى الحصان فى الشارع ويهدأ
نفسا فى البيت بالرغم من وجوده مع غريمه الحقيقى والده . هذا
الضرب من الحل العصابى للصراع إنما هو نموذج لتكوين العصاب
بأنواعه ، مع اختلاف فى الحيل الدفاعية .

فإذا عدنا إلى فوليه وراخمان ومعها ايزنك فى زعمهم « أن نظريات
فرويد ليست بالتى يمكن أن يقبلها أى عالم » وأن هناك نظرية بديلة
لنظرية فرويد هي نظرية واطسون التى استخلصها من تجربته مع

الصغير ألبرت طبقا لقانون الفعل المنعكس الشرطى الذى اكتشفه يافلوف، نجدهم يقولون أن نظرية واطسون يتحقق لها من صفات (العلم) مالا يتحقق لنظريات التحليل النفسى ، ومن ثم فانهم يستوحونها فى اجراءات ما يطلقون عليه ألعلاج السلوكى .

أما تجربة واطسون مع الصغير ألبرت غيقدمها أيزنك فى كتابه سالف اذذكر فى الحبارات اللاتية : كان ألبرت الصغير (الذى يبلغ من العمر أحد عشر شهرا) مولعا جدا بالفئران البيضاء ، وقد اعتاد أن يلعب معها كثيرا ، ولم يظهر أى بادرة خوف من هذه الحيوانات وكانت وسيلة واطسون بسيطة ومباشرة وبلغة الامتياز . فلقد وقف خلف ألبرت الصغير وفى إحدى يديه قضيب معدنى ، وفى اليد الأخرى مطرقة ، وكلما مد ألبرت الصغير يده نحو الفئران محاولا أن يلعب بها كان واطسون يحدث بالمطرقة دويا عاليا وقد كانت الفئران فى هذه الحالة بمثابة المنبه الشرطى فى حين كانت الضجة العالية التى يحدثها القضيب المعدنى بمثابة المنبه غير الشرطى الذى يسبب استجابة الخوف فبعد تكرار هذه التجربة عددا من المرات أصبح الصغير ألبرت يخاف من الفئران ، ويرتعد ويحاول أن يزحف بعيدا عنها أى أنه باختصار قد تصرف بالدقة كما لو كان يعانى من مخاوف مرضية شديدة تجاه الفئران .

ويقول أيزنك أن واطسون قلد فى تجربته هذه أسلوب يافلوف الذى استطاع به أن يدرّب الكلاب على أن يسيل لعابها عند سماع صوت جرس بمجرد التجمع بين الجرس وتقديم الطعام عددا من المرات .

وبناء على ماتقدم فان تكوين فوبيا الحصان لدى هانز الصغير فى رأى أيزنك لا يعدو أن يكون نوعا من « التشريط » كما حدث لدى الصغير ألبرت ، أى أنه أصيب بهذه الفوبيا عندما رأى يوما حصانا يقع فى الشارع ، بحيث كانت هذه الحادثة « تشريطا » للخوف من الجياد ؛ أما

النشاط النفسى الثرى لدى هانز وخاصة ما كان يدور فى مستوى التخيل (أخيوولة الزرافتين وأخيوولته رؤيوة والدته أثناء استمنائه وأخيوولتى السمكرى وأخيوولة التسلل تحت الحبال ثم أخيوولة تحطيم اثزجاج وغيرها التى سيتبين للقارىء ما تحمل من معان لاشعورية) ثم استغراق هانز حتى قبل مرضه فى الاهتمام « بالحمامة » سواء كانت حمامته أو حمامة والده أو أمه أو أخته ، ثم نظرياته الطفلية عن الحمل والليلاذ وعلاقة ذلك بعمثيات الاخراج ، كل ذلك لاقيمة له ولا علاقة له بفوبيا هانز ، على حين أن هذه الاخييل الشعورى منها واللاشعورى ، وبحثه المطرد فى الغاز الحياة الجنسية وما يتصل بها ، كانت — كما هى الحال لدى كل الاطفال فى هذه السن تكاد لاتترك فضلا من الاهتمام بغيرها من الأنشطة النفسية • ومن ثم فان الموقف « العلمى » لدى هؤلاء المؤلفين يقتضى أن نهمل كل هذا الذى يشغل معظم الحياة النفسية لدى الطفل ، ونجتزىء بانتقاد حادثة وقوع الحصان فى الشارع بوصفها مصدر الفوفيا لديه •

وازاء ذلك أجدنى مضطرا أن أقرر البديهى المعروف لكن مشتغل بالعلم • ان عزل ظاهرة متشابكة مع العديد من الظواهر الاخرى وجعلها شيئا مستقلا قائما بذاته انما ينتافى مع أبسط قواعد البحث العلمى •

ويستطرد أيزنك ، رغبة منه فى أن يقيم الدليل للقارىء على امتياز « العلاج السلوكى » الذى يستند الى « التشريط » — امتيازه بصفات انتصور « العلمى » الحق ، فيقدم لنا أمثلة على حالات عصابية يشرها على أساس التشريط فهذه حالة « المرأة القطة » : ص ١٣٥ من كتابه سابق الذكر : وهى « امرأة متروجة فى السابعة واثلاثين من العمر تعاني من مخاوف مرضية يصحبها توتر ، وقلق ، واكتئاب فى بعض الأحيان • وكان أبوها صارما جدا مع أطفاله ••• وكانت تخافه وهى طفلة وتشعر أنها لاتكن له أى حب على الاطلاق ••

وقد تزوجت في الثانية والعشرين . . . وكانت تولع بكل الحيوانات الا القطة .

وقد استمر خوف المريضة من القطة فترة طويلة منذ أن بدأت تعي ، وربما بدأ الخوف — حسب ماتعي ذاكرتها — من سن الرابعة حين أغرق أبوها أمامها قطة صغيرة في جردل ماء وهي تذكر كيف كانت تجلس الى المائدة وتمد ساقها أمامها مباشرة خوفا من أن ترحف إحدى القطة على الأرض من حولها ، وكيف كانت تصرخ اذا ما لمحت قطة خارج الباب الأمامي . . . وازداد خوفها سوءا بعد زواجها وظل على هذه الحال حوالي عشر سنوات . ولكنه يزداد سوءا . . . حيث كانت المريضة تفرغ من مجرد التفكير في أن القطة يمكن أن تقفز عليها وتهاجمها . برغم أنها تعلم أن هذا الاحتمال بعيدا جدا وقد ويستولى عليها الهلع عند رؤية قطة وأحيانا قد يشلها الرعب تماما »

ومن سياق وصف هذا الحالة يتبين للقارئ أن مصدر هذا الخوف العصابي الشديد من القطة في رأي ايزبك انما يرجع الى عملية « التشريط » وهي في سن الرابعة ، حين أغرق أبوها أمامها قطة صغيرة في جردل ماء . ولا أخشى على القارئ أنني أخشى أن أضيع وقته في مناقشة هذا التفسير الساذج . ولكن لا بد مما ليس منه يد .

ان قانون التشريط في هذه الحالة كان يلزم عنه أن تخاف الطفلة ، لامن القطة الضحية المسكينة ، بل من والدها في سلوكه الوحشي . وكان ينبغي — طبقا لقانون التشريط — أن تخاف الآباء . فلم كان خوفها إذن من القطة . أتراها وحدت نفسها بالقطة التي أغرقها أبوها ؟ فاذا كان الأمر كذلك فإننا نعلم أن التوحيد ، وهو أحد العمليات النفسية التي اكتشفها التحليل النفسي ، لالعلاقة له بالتشريط ، وانما يصدر عن اتجاهات نفسية لاشعورية تحمل معنى ودلالة ويكتنفها صراع يبهظ كاهل المريض ، ويكون التوحيد عندئذ حيلة دفاعية لاشعورية ، شأنها

شأن عملية النقل لدى هانز الصغير عندما نقل خوفه من أبيه الى الحصان .
وفضلا عن ذلك فان قانون التشريط يلزم عنه أن تنطفيء نتائجه
بعد بضعة أيام وأسابيع ، مادام التشريط لم يتكرر ، على حين أن
« المرأة القطة » ظلت تعاني من فوبيا القطط زهاء ثلاثة وثلاثين عاما .

ان حالات فوبيا القطط تعد من الحالات المألوفة للمحطلين
النفسيين ولايسعني لا أن أحيل القارئ الى حالة فوبيا القطط التي
قامت بتحليلها د. هيلين دويتش وسجلته في كتابها المعروف « التحليل
النفسي للعصاب (١) فسيرى القارئ أن التحليل النفسى لهذه الحالة
لا يقتصر على سذاجة التشريط ، وانما يتبين من التحليل العميق أن
القطة تمثل من ناحية دفعات المريضة المحظورة والشريفة ومن ناحية
أخرى « الصورة الشريرة » لأمها .

ان التفسير « العلمي » للمخاوف المرضية على أساس قانون
التشريط ، انما يعنى أن الانسان مثله مثل كلاب ياغلاف . أما الانسان
بما هو انسان ، الانسان بما هو معنى ودلالة في صحته ومرضه النفسى
بما هو في فجر حياته مشروع وجود لا يتحقق انجازه الا من خلال حوار
ديالكتيكي في مواقف ينفرد فيها الانسان عن غيره من الكائنات بأن
طبيعتها التي بغيرها لا يكون كذلك هي التواصل الوجدانى بين ذات
وذوات أخرى ، تواصل مستقيم باستقامة المستوى المتخيل فيظهر
بالسعادة ، أو يضطرب فيضطرب وجدانه فيحصد الشقاء أى المرض
انفسى ، كل ذلك ، في رأى البروفسور أيزنك ، لاقيمة له ، ولاجدوى
من بحثه ، ولاعلاقة له بأحوال الانسان ومصيره .

Helene Deutsch : Psychoanalysis of the Neuroses (١)

London. 1932.

انظر أيضا : أوتو نينزل . نظرية التحليل النفسى فى العصاب .
ترجمة دكتور صلاح مخيمر والاستاذ عبده رزق ، ١٩٦٩ . مكتبة الانجلو
المصرية الجزء الثانى ، صفحة ٣٠١ وما بعدها .

١

تحليل فوبيا عند صبي في الخامسة

(هاترا الصغير)

تحليل فوبيا عند صبي في الخامسة (١)

(هانز الصغير)

١

تمهيد

في الصفحات التالية أقدم وصفا لمسار المرض والشفاء عند مريض جد صغير وتاريخ الحالة - إذا توخينا الدقة - ليس نتاجا خالصا لملاحظتي . صحيح أنني وضعت الخطوط العريضة للعلاج وأنبئ في مناسبة واحدة عندما تحدثت مع الصبي أسهمت بشكك مباشر فيه ، إلا أن العلاج ذاته قد اضطلع به أبو الصبي ، وأنى الأدين له بأصدق امتناني إذ سمح لي أن أنشر ملاحظاته عن الحالة . ولكن فضلا لا يقف عند هذا الحد . فما من أحد غيره في رأيي كان بوسعه أن يبلغ من التأثير على الصبي بحيث يدلي ما أدلى به من اعترافات . كما أن المعارف

(١) ظهر هذا المقال أول مرة في Jahrbuch für Psychoanalytische und Psychopathologesche Forschungen Bd. I. ثم أعيد طبعه في Sammlung Kehriften Zur Neurosen lehre Gesammelte werke ضمن المقال عام ١٩١٣ ثم في مجموعة مقالات قصيرة (الاعصاب) عام ١٩١٣ ثم في الأعمال الكاملة (مجلد ٧ . أما التذييل

الملاحق بتذييل هانز الصغير فقد ظهر عام ١٩٢٢ في

Internationale Zeitschrift für Psychoanalyse, Bd. vlil.

وقد تمت ترجمة هذا المقال الى عديد من اللغات . ترجمه الى الانجليزية اليكس وجيمس ستراشي (المقالات المجموعة ، سيجمون فرويد ، المجلد الثالث ثم نشرت هذه الترجمة بعد تنقيحها وإضافة هوامش شارحة في المجلد العاشر من

Standard Edition of the Complete Psychological Works of SIGMUN freud. La Revue

Francaise de Psychoanalyse أما الترجمة الفرنسية فقد ظهرت أول مرة في

وقد قامت بها ماري بونابارت بمفردها t. II. fasc. 3, 1928

نقلا عن النص الألماني Gesame. Schriften.

الفنية التي أتاحت له تأويل أقوال ابنه الذي في الخامسة من عمره لم يكن منها بد ، بل كان بغيرها يستحيل التغلب على الصعوبات الفنية التي تعترض التحليل في حالة صبي من صغر السن الى هذا الحد . وبفضل اجتماع سلطة الأب وسلطة الطبيب في شخص واحد ، وبفضل ما اجتمع لهذا الشخص الواحد من اهتمام عاطفي وحرص علمي ، بفضل هذا وحده كان من الممكن في هذه الحالة البلوغ بطريقة التحليل الى تطبيق واستخدام ما كان يمكن بغير هذه الظروف أن تصلح له .

ولكن القيمة الخاصة لهذه الحالة تنحصر في الاعتبارات التالية .
عندما يعالج الطبيب بالتحليل النفسي راشدا عصبيا ، فبن العملية التي يمضي فيها من كشف عن التكوينات النفسية ، طبقة اثر طبقة ، تمكنه آخر الأمر من صياغة فروض معينة عن الجنسية الطفلية للمريض ، وضمن العناصر المكونة لهذه الجنسية الطفلية يعتقد أنه قد وقع على الدوافع المحركة والحفزات المسؤولة عن كل الأعراض العصبية في الحياة اللاحقة . وقد عرضت هذه الفروض في كتابي « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » الذي ظهر عام ١٩٠٥ ، (١) . واني أعرف أن هذه الفروض تبدو غريبة للقارئ غير المختص بقدر ما تبدو لازمة ولا غنى عنها للمحلل النفسي . ولكن حتى المحلل النفسي قد يصرح برغبته في العثور على دليل أقل التواء ومباشرا بدرجة أمعن لهذه القضايا الأساسية .

وبالتأكيد لا بد وأن يكون من الممكن أن نلاحظ عند الطفل ، بشكل مباشر وفي كل نضارة الحياة ، هذه الحفزات الجنسية والميول النزوعية التي ننقب عنها ونستخرجها بكل هذا العناء من بين المتخلفات عند الراشد ، سيما وأننا نعتقد أن هذه الحفزات حظ مشاع عند جميع الناس

Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie, 1905.

(١)

أنظر الترجمة العربية : ثلاث مقالات في نظرية الجنس . دار المعارف.

بمصر . الطبعة الثامنة ، ١٩٠٦ .

وجانب من الجبل البشرية ، وكل ما هناك أنها تكون مسرفة أو محرقة عند العصاين •

وسعيا ورءاء هذا الهدفت كنت منذ سنوات عديدة استحث تلاميذى وأصدقائى على تجميع ملاحظات عن الحياة الجنسية للأطفال ، هذه التى كان وجودها — كقاعدة عامة — يلقى التغافل فى حذق أو الانكار عن عمد • وبين المعطيات التى حصلت عليها نتيجة لذلك ، لم تلبث التقارير التى كانت تصلنى على فترات منتظمة عن هانز الصغير أن أحتلت مكانة بارزة • كان أبواه كلاهما من أقرب المريدين بالنسبة الى ، وكنا قد اتفقا على أنهما فى تربيتهما لطفلها الأول لن يستخدمنا من أساليب الالتزام أكثر مما هو ضرورى للغاية ضمانا لسلوك حسن • وبقدر ما كان الطفل يستحيل بالنمو للى صبي صغير مرح لطيف يفيض حيوية ، فان تجربة تركه ينمو ويعبر عن نفسه بعيدا عن كل ارهاب قد مضت على نحو يبعث على الرضا • وسأشرع الآن فى سرد تقارير الأب عن هانز الصغير تماما كما وصلتني ، وسوف أحجم بالطبع عن أية محاولة يمكن أن تنال من أصالة وصدق هذه الطفولة باقحام أية تنقيحات يقتضيها العرف •

أن التقارير الأولى عن هانز ترجع بتاريخها الى فترة لم يكن قد اكتمل فيها تماما للطفل عامه الثالث • فى ذلك الوقت كان يكشف بالعديد من ملاحظاته وأسئلته عن اهتمام عارم بشكل خاص بهذا الجزء من بدنه الذى اعتاد أن يسميه « حمامته » (١) • ومن هنا فقد سألت أمه مرة هذا السؤال :

هانز — « ماما ، هل عندك أنت أيضا حمامة ؟ »

الأم — « بالطبع ، ولكن لماذا ؟ » •

(١) فى الألمانية ، Wiwimsoher ، وفى الترجمة الانجليزية Widdler
وفى الترجمة الفرنسية fait - pipi — المترجمون •

هنز — « كنت فقط أفكر في ذلك » •

وفي نفس تلك السن ذهب مرة إلى حظيرة الماشية ، ورأى بقرة تحنّب قال • : « أوه ، أنظري ! لبن يخرج من حمامتها ! »

وجتى استنادا إلى هذه الملاحظات الأولى ليس غير ، يكون بوسعنا أن نتوقع أن الكثير مما نراه عند هانز الصغير ، أن لم يكن أغلبه ، سوف يتكشف تدريجيا بالنسبة للنمو الجنسي عند الأطفال بصورة عامة • ولقد سبق لى في موضع آخر أن تقدمت برأى (١) من أنه ليس ثمة ما يدعوا إلى الارتياح الشديد، حين نلتقى عند امرأة بفكرة مص لتضبيب • فبذرة الحفزة المنفرة ترجع ، كما أوضحت ، إلى أصل أكثر ما يكون براءة إذ أنها مشتقة من مص ثدي الأم ، وقد أبتت في هذا الصدد أن ضرع البقرة يُعَب دورا ملائما كصورة وسيطة ، أذ هو بطبيعته ثدى ، وهو بشكله وموضعه قضيب • وكشف هانز الصغير يؤيد الجزء الأخير من وجهة نظرى •

وفي أثناء تلك الفترة لم يكن اهتمامه « بالحمامة » مجرد اهتمام نظرى خالص ، فكما يمكن أن نتوقع أرغمه اهتمامه هذا على أن يلمس عضوه • وفي الثالثة والنصف من عمره وجدته أمه يعبث بيده في قضيبه، فهددته بهذه الكلمات : « لو فعلت هذا فسوف أبعث في طلب الدكتور ! ليقطع لك حمامتك • فبأى شيء عندئذ « تطرطر » ؟

هانز — « بمؤخرتى » (٢) •

أجاب بذلك دون أن يكون لديه بعد، أى شعور ! ثم • ولكن تلك كانت المناسبة التى أكتسب فيها « عقدة الخشاء » ، هذه التى غالبا مانجدنا فى تحليلنا للعصابيين مضطربين إلى أن نستخلص وجودها

(١) جزء من تحليل لحالة هستيريا ، (دورا) ، ١٩٠٥ (الفصل الاول من هذا المجلد)

(٢) فى الترجمة الانجليزية bottom ، وفى الترجمة الفرنسية tutu

عندهم ، وان كانوا جميعا يناخلون في عنف ضد التعرف عليها • وهناك الكثير الهام مما ينبغي قوله عن دلالة هذا العنصر في حياة الطفل • ان «عقدة الخشاء» قد تركت آثارها البارزة في الأساطير (وليس فقط في الأساطير اليونانية) ، ولقد أشرت في فقرة من كتابي « تفسير الأحلام » (١) ، وفي غير ذلك ، الى الدور الذي تلعبه هذه العقدة (٢) • وفي نفس تلك السن تقريبا (ثلاثة أعوام ونصف) ، وهانز يقف أمام قنص ، الأسد في شونبرون ، صاح في صوت مهتاج : « رأيت حمامة الأسد » •

أن الحيوانات تدين بالكثير من أهميتها في الأساطير وحكايات أنجن للطريقة المكتسوفة التي تبدى بها أعضاءها التناسلية ووظائفها الجنسية

(١) الترجمة العربية تفسير الاحلام دار المعارف بمصر صفحة ١٠٠
Traumdeutung, 7th Ed. P 456

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) - منذ أن كتبت ذلك تعرضت للنظرية الخاصة بعقدة الخشاء لتطور جديد بفضل اسهامات لوأندرياس و أ • شتاركة وف • الكسندر وآخرين • فقد جرت المناقحة عن أنه في كل مرة يتم فيها سحب ثدى الام من رضيعها فانه لا بد وأن يستشعر ذلك خشاء بمعنى فقدان مايعتبره جزءا هاما من بدنه) ، وعن أنه ، أكثر من ذلك ، لا بد وأن يستشعر نفس الشيء من جراء فقدانه المنتظم لبرازه ، ثم أخيرا عن أن فعل الميلاد ذاته (وهو الذي ينحصر في الواقع في انفصال الطفل عن أمه ، هذه التي كان حتى ذلك الحين متحد معها) هو النموذج الاصلى لكل خشاء • واني وان اعترفت بكل هذه الاصول لعقدة الخشاء ، فاني مع ذلك قد أوضحت رأيي في أن مصطلح عقدة الخشاء ، ينبغي قصره على هذه الاستنارات والنتائج المرتبطة بفقدان القضيب • وكل محل بلغ من تحليله للراشدين الى الاقتناع بوجود عقدة الخشاء دائما وبانتظام سوف يجد من العسير بالطبع أن يرجع أصلها الى نوع من التهديد هو في نهاية الامر لا يتم حدوثه بالعمومية المطلقة ، وسوف يجد نفسه مضطرا الى أن يفترض أن الطفل يشير لنفسه هذا الخطر ابتداء من أبسط التلميحات ، هذه التي تهوذه قط ولقد كان أيضاً هو الدافع الذي استحثت البحث عن هذه الاصول الاكثر لي عمقا للعقدة ، والتي يتسم وجودها بالعمومية المطلقة • ويصدق هذا بالاحرى في حالة هانز الصغير بالنظر الى أن تهديد الخشاء قد أقرب به الابوان نفسهما ، وأنه أكثر من ذلك قد وقع في تاريخ سابق لم يكن فيه للفويبا وجود بعد •

أمام الطفل البشرى الصغير الذى تستبد به الاستطلاعية • وليس من شك ممكن فى وجود الاستطلاعية الجنسية عند هانز ، ولكنها أثارت فيه روح البحث ومكنته من أن يبلغ الئى معارف مجردة حقيقية •

فعندما كان مرة فى المحطة (تسعة أشهر بعد الثالثة) ، رأى بعض الماء ينساب من قاطرة ، فقال : « أوه ، أنظرى ، ان القاطرة تطرطر • أين اذن حمامتها ؟ »

وبعد لحظة استطرد بلهجة المستغرق فى التفكير : « الكلب والحصان لهما حمامة ، المكتب والكرسى ليس لهما • » بذلك يكون قد أمسك بخاصية أساسية للتمييز بين الأحياء والأشياء •

ان التعطش الى المعرفة ، على ما يبدو ، يستحيل أن ينفصم عن الاستطلاعية الجنسية • واستطلاعية هانز كانت تتجه بصفة خاصة الى أبويه •

هانز « (تسعة أشهر بعد الثالثة) — بابا ، هل لديك أنت أيضا حمامة ؟ »

الأب — « نعم بالطبع » •

هانز — « ولكنى لم أرها قط وأنت تخلع »

وفى مرة أخرى كان ينظر عن قصد الى أمه وهى تخلع قبل أن تذهب الى الفراش • سألته : « مالذى تحملق فيه هكذا ؟ »

هانز — « كنت قط أرى ماأن كان لك أيضا حمامة » •

الأم — « بالطبع • ألم تكن تعرف ذلك ؟ »

هانز — « كلا • كنت أفكر أنك مادمت كبيرة الى هذا الحد ، فينبغى أن تكون لك حمامة مثل الحصان • »

وهذا التوقع من هانز الصغير جديره بالملاحظة ، فسيغدو هاما فيما بعد .

ولكن الحدث العظيم في حياة هانز كان ميلاد أخته الصغيرة « هنه » ، عندما كان عمره على التحديد، ثلاثة أعوام ونصف (١) . وكان أبوه يدون على الفور سلوك هانز في هذه المناسبة . كتب يقول : « بدأ المخاض في الخامسة صباحا ، فنقلنا سرير هانز الى الغرفة المجاورة . وهناك استيقظ حوالى الساعة ، واذ سمع أمه تتأوه سألت : « لم تسعل ماما ؟ » وبعد برهة قال :

« ان طائر اللقلق سيأتى اليوم بالتأكيد (١) » .

« وطبعى أن هانز كثيرا ما قيل له ، أثناء الأيام القليلة الأخيرة ، أن طائر اللقلق سوف يحضر بنتا صغيرة أو صبيا صغيرا ، وكان محقا تماما في ربطه هذه الأصوات غير المألوفة من التأوهات بوصول طائر اللقلق .

« وفيما بعد أخذوه الى المطبخ ، فرأى حقيبة الطبيب في الردهة الأمامية وسأل : « ما هذا ؟ » ، وكانت الاجابة « حقيبة » . وعلى أثر ذلك أعلن في أقتناع : « طائر اللقلق سيأتى اليوم . » وبعد ولادة الوليد، حضرت الممرضة الى المطبخ وسمعتها هانز تأمر بأعداد قدح من الشاي . وعندئذ قال : « أنا عارف ! ماما تحتاج بعض الشاي لأنها تسعل » . ثم نودى بعد ذلك الى غرفة النوم . لم ينظر الى أمه ، ولكن الى الأوعية والأواني التى تمتلئ بالماء المترج بالدم ، والثى كانت ماتزال بالغرفة . واذ أشار الى وعاء به دم ، صاح ملاحظا فى دهشة : « ولكن الدم لا يخرج من حمامتى . »

(١) ولد هانز فى ابريل من عام ١٩٠٣ وولدت اخته فى أكتوبر من عام ١٩٠٦ .
(٢) يقال للأطفال . فى بلاد اللغة الالمانية أن طائر اللقلق هو الذى يحضر الوليد .

« كل شيء يقوله يكشف عن أنه يربط ما هو غريب في الموقف بوصول طائر اللقلق • وكل شيء يقع عليه بصره ، يتفحصه بنظرات متشككة وليس ثمة من شك في أن تشككاته الأولى عن طائر اللقلق قد بزعت عنده ، »
« أن هانز شديد الغيرة من الوافد الجديد ، وفي كل مرة يمتدحها أحد ، قائلاً انها طفلة جميلة وما الى ذلك ، يعلن على الفور في لهجة من التحقير :

« ولكن ليس لديها بعد أية أسنان • » (١) والواقع أنه عندما رآها لثمرة الأولى كان مندهشاً جداً من أنها لا تستطيع أن تتكلم ، وأعتقد أن سبب ذلك هو أن ليس لديها أسنان • وأثناء الأيام القليلة الأولى كان من الطبيعي أن يوضع هانز ، الى حد بعيد ، في خلفية المسرح • وفجأة وقع مريضاً بالتهاب في الحلق • وفي الحمى قال وهو يهذى :
« ولكنى لأريد أختاً صغيرة ! »

« وفي نهاية ستة أشهر تقريباً كان قد تغلب على غيرته ، وعطفه الأخوى على الطفلة لم يكن يعاوله غير أحساسه بتفوقه عليها (٢) • »

« وبعد أسبوع كان هانز يشهد أخته البالغة من العمر سبعة أيام أثناء حمامها ، فلاحظ قائلاً : ولكن حمامتها ماتزال صغيرة تماماً » ، ثم أردف ، كما لو كان من قبيل العزاء : « عندما تكبر سوف تكبر حمامتها كما ينبغي (٣) » •

(١) هذا أيضاً أسلوب نمطى من السلوك • وطفل صغير آخر ، لا يكبر أخته إلا بعامين ، كان من عادته أن يتفادى مثل هذه الامتداحات بصرخة غاضبة : « صغيرة جداً ! صغيرة جداً ! • »

(٢) طفل آخر يكبر هانز بتليل ، رحب بأخيه الأصغر قائلاً : « فليحمه طائر اللقلق من جديد ويرحل » • قارن ذلك بملاحظاتي عن أحلام موت الأحياء في تفسير الأحلام ، الطبعة السابعة الألمانية ص ١٧١ (الترجمة العربية ، دار المعارف ص ٢٦٥) •

(٣) صبيان آخران ، ممن وصلنى تقرير عنهما ، ارتأيا نفس الرأى ، وعبرا عنه بنفس الكلمات ، واتبعا بنفس التوقع ، وذلك عندما أتيج لها لأول مرة أن يشبعا الاستطلاعية عندهما بمشاهدة بدن الأخت الرضيعة • =

« وفي نفس تلك السن (تسعة أشهر بعد الثالثة) قام هانز بتقديم
السردي الأول لحلم : « اليوم وأنا نائم رأيت نفسي في جموندن مع
ماريدل » .

« وكانت ماريدل ، اثنتي تبليغ من العمر ثلاثة عشر عاما • ابنة
صاحب الفندق الذي نزل فيه ، وكان من عاداتها غالبا أن تلعب معه » •
وبينما كان أب هانز يقص على أمه الحلم في حضوره ، صحح له
هانز قائلا : « ليس مع ماريدل ، بل وحدي تماما مع ماريدل » •

وقد يستشعر المرء الارتياح من دلائل هذا التحريف الباكر لعقل الطفل •
فماذا لم يقرر هؤلاء المستطلعون الصغار ماراوه بالفعل ، وهو على التحديد
أنه لم تكن هناك حماسة ؟ وفيما يختص بهانز الصغير نستطيع على الأقل
تقديم تفسير كامل لادراكه الخاطيء • فاننا نعرف أنه ، بعملية من الاستقراء
الدقيق ، قد بلغ الي القضية العامة التي مؤداها أن كل الاحياء ، وفي كل
الاشياء ، لديها حماسة • وقد أيدته أمه في اعتقاده هذا إذ قدمت اليه معلومات
مؤيدة فيما يختص بالاشخاص غير المتاحين لملاحظته • لقد غدا الان غير قادر
تماما على أن يتنازل عما انجزه من أكتساب استنادا فقط الي ملاحظة
وحيدة لاخته الصغيرة • ومن هنا أرتأى أنه في هذه الحالة أيضا توجد
حماسة ، ولكنها فقط ماتزال صغيرة جدا ، وأنها سوف تكبر حتى تصبح
كبيرة مثل حماسة الحصان •

وبوسعنا أن نمضي خطوة أخرى في المنافحة تكريما لهانز الصغير •
فهو في واقع الامر لم يسلك على نحو أسوا من فلاسفة مدرسة «فونت»
ف عند هذه المدرسة ، الشعور خاصية لازمة لما هو نفسي ، تماما كما أن
الحماسة عند هانز معيار لاغنى عنه لما هو حي ، فاذا ماالتقى الفيلسوف
بعمليات نفسية يتحتم عليه أن يتأدى الي استخلاص وجودها ، ولكنه
لايستطيع أن يقع على أية دلائل شعورية لها - إذ أن المرء في الواقع لايعرف
شيئا عن هذه العمليات ، وان كان من المستحيل أن يتفادى التأدي التي
استخلاص وجودها - فعندئذ فانه بدلا من أن يقول أنها عمليات نفسية
لاشعورية ، يطلق عليها نصف شعورية والحماسة ماتزال صغيرة جدا ! وفي
هذه المقارنة ترجح كفة هانز • إذ كما هو غالبا الحال في التحريات الجنسية
للأطفال ، يمكن خبيثا وراء الخطأ جزء من المعرفة الحقيقية فالبنات الصغيرات
لهن حماسة صغيرة تطلق عليها البظر ، وأن كان هذا لايكبر بل يظل ضامرا
قارن دراستي المؤجزة (في النظريات الجنسية الطفلية ، مشكلات جنسية ،
١٩٠٨) ، المقالات المجموعة مجلد ٧ في النص الألماني (الترجمة الانجليزية ،
مجلد ٢) Ueber Infintile Sexusleheorien, Sexual Problem, 1908

وفي هذا الصدد نعرف مايلي : « في صيف عام ١٩٠٦ ، كان هانز في جموندن ، وكان من عادته أن يقضى طوال اليوم في الجري مع أطفال صاحب الفندق • وعندما رحلنا عن جموندن اعتقدنا أن الرحيل والعودة إلى المدينة سيكون بالنسبة إليه أمرا جد أليما • ولكن لدهشتنا لم يكن الأمر كذلك • فقد بدأ مسرورا من التغيير ، ولأسابيع عديدة لم يتحدث أقليلًا جدا عن جموندن • كانت أسابيع عديدة قد انقضت حين بدأت في البزوغ ذكريات — زاهية الألوان في الغالب — عن الفترة التي قضتها في جموندن • فخلال الأسابيع الأربعة الأخيرة تقريبا كان يصيح ذكرياته تلك في أخايبيل • فهو يتخيل نفسه يلعب مع الأطفال الآخرين ، مع برتا وأولجا وفريتزل ، وهو يتحدث إليهم كما لو كانوا معه في الواقع ، وبوسعه أن يمضى في تسلية نفسه بهذه الطريقة لساعات في المرة الواحدة • والآن — وقد غدا له أخت وتستحوذ عليه بشكل ظاهر مشكلة مصدر الأطفال — فانه دائما يسمى برتا وأولجا « طفليته » ، وقد أضاف مرة : « طفلتاي برتا وأولجا أتى بهما أيضا طائر اللقلق • » ومن الواضح أن الحطم الذي يقع الآن بعد ستة أشهر من الرحيل عن جموندن ينبغي فهمه علي أنه تعبير عن الحنين إلى العودة إلى هناك » •

إلى هذا الحد توصل الأبي • ويمكنني أن أضيف ، من قبيل التوقع ، أن هانز عندما أبدى ملاحظته الأخيرة عن طفليته هاتين اللتين أتى بهما طائر اللقلق ، كان يدحض بصوت عال شكًا يستقر في أعماقه •

ومن محاسن الصدق أن أباه قد دون كثرة من الأشياء تكشفت فيما بعد ، وعلى غير انتظار ، عظيمة الدلالة • « كنت أرسم زرافة لهانز الذي تردد كثيرا في الأيام الأخيرة علي حديقة الحيوان في شونبرون قال لي : « ارسم حمامتها أيضا » • أجيبته « ارسمها أنت بنفسك » • وعندئذ أضاف هذا الخط لرسمي يبدأ برسم خط قصير ، ثم أطاله بإضافة خط آخر إليه ، ملاحظا : « حمامتها أطول • »

« مررت وهانز بحصان كان يتبول فقال : « الحصان حمامته من

تحت مثلى » •

« وكان يشهد حمام أخته البالغة من العمر ثلاثة أشهر فقال في

لهجة أشفاق : « ان لها حمامة صغيرة جدا ، صغيرة جدا » •

« وأهديت الى هانز عروسة ليلعب بها فنزع عنها ملابسها ، وراح

يتنحصرها بعناية وقال : « لكن حمامتها صغيرة جدا صغيرة جدا » •

وكما سبق أن رأينا فان هذه الصيغة قد أتاحت له أن يواصل

أعتقاده في الكشف الذي كان قد بلغ اليه (أنظر ص ١٨٦) •

كل باحث يتعرض لخطر الوقوع في خطأ عارض • وهو يجد شيئا

من العزاء لو أنه كان — كهانز الصغير في المثال التالي — غير وحيد في

الخطأ ، بل واستطاع أن يدلل على ذلك بالاستخدام اللغوي الشائع •

ذلك أن هانز قد رأى يوما قردا في كتابه المصور ، فقال مشيرا الى ذيله

وهو مرفوع الى أعلى : « أنظر ، بابا ، حمامته ! »

أن اهتمام هانز « بالحمامة » قد تأدى به الى أن يبتدع لنفسه لعبة

خاصة به • « تؤدى الردهة الأمامية الى مرحاض والى غرفة معتمة

لتخزين الخشب • ومنذ فترة اعتاد هانز الذهاب الى غرفة الخشب

هذه وهو يقول : « انى ذاهب الى مرحاضى » • ونظرت مرة الى الداخل

لأرى ماكان يفعله في هذه الغرفة المعتمة • أرانى عضوه وقال : « أنى

أطرظ • « أى أنه كان « يلعب » ثعبان المرحاض • أما أن ذلك كان من

طبيعة اللعب فيتضح ليس قط من أنه كان يتظاهر فحسب بالتبول ،

دون أن يتبول في الواقع ، بل أيضا من أنه لا يذهب الى المرحاض ، وهو

ما كان يمكن أن يكون أكثر بساطة ، بل يفضل مخزن الخشب ويطلق عليه

« مرحاضى » •

ونحن لانوفى هانز حقته أن نحن قصرنا اهتمامنا على ملامح الشخصية الذاتية من حياته الجنسية • فلدى أبيه مايقدمه لنا من ملاحظات تفصيلية عن علاقاته الغرامية مع الأطفال الآخرين • ومن هذه الملاحظات نستطيع أن نتبين وجود « اختيار موضوعاتى » عنده ، تماما كما عند الراشد ، كما يتحتم الاعتراف بوجود درجة لافتة للغاية من النزواتية واستعداد لتعدد الزوجات •

وفي الشتاء صحبت هانز (وله تسعة أشهر بعد الثالثة) الى حلبة انزلاق على الجليد ، وقدمته الى ابنتى صديقى الصغيرين ، وكانتا فى حوالى العاشرة من العمر • وجلس هانز على مقربة منهما ، بينما البنتان بالنظر الى احساسهما بسنهما الأكثر نضجا ، راحتا بمنظران من عل وفى غير قليل من الازدراء الى الطفل الصغير ، كان يحملق فيهما فى اعجاب ، وان لم يترك ذلك عندهما انطبعا يذكر • وعلى الرغم من ذلك كان هانز يتحدث عنهما دائما فيما بعد قائلا « بنتاى الصغيرتان » « أى بنتاى الصغيرتان ؟ متى تحضر بنتاى الصغيرتان ؟ » وقد ظل لبضعة أسابيع يلاخقنى بالسؤال « متى أذهب من جديد لحلبة الترحلق لأرى بنتى الصغيرتين ؟ » •

سبى فى الخامسة من أبناء عمومته حضر فى زيارة الى هانز ، الذى كان فى ذلك الحين قد بلغ الرابعة • كان هانز يعانقه فى غير انقطاع ، وفى احدى المرات ، بينما كان يسبغ عليه احدى هذه العناقات قال ، « لكم أنا مغرم بك ! لكم أنا مغرم بك » •

تلك هى العلامة الأولى التى التفتينا بها عنده على الجنسية المثلية، ولكنها لن تكون الأخيرة • ان هانز الصغير يبدو حقا أنموذجا لكل الانحرافات الجنسية •

وعندما بلغ هانز الرابعة انتقلنا الى مسكن جديد • وكسان بالمطبخ باب يؤدى الى شرفة يستطيع المرء منها ان يرى داخل الشقة المواجهة

التي تقع في الجانب المقابل من الفناء • وفي هذه الشقة أكتشف هانز بنتا صغيرة في حوالى السابعة أو الثامنة من أعمارهم • كان يجلس على العتبة المؤديه إلى الشرفة ليتأملها في إعجاب وكان بوسعها أن يظل على هذه الحال ساعات • وفي الرابعة بعد الظهر خاصة ، عندما كانت البنت الصغيرة تعود من المدرسة إلى بيتها ، لم يكن من الممكن أن نبقية في الغرفة ، كما لم يكن لشيء أن يحمنه على مغادرة مركز المراقبة • وذات مرة ، عندما لم تظهر البنت الصغيرة في النافذة في الساعة المألوفة ، لم يستطع هانز أن يستقر في مكان ، وراح يضايق الجميع بأسئلته — « متى ستحضر البنت الصغيرة ؟ أين البنت الصغيرة ؟ » وما إلى ذلك • وعندما ظهرت البنت الصغيرة آخر الأمر ، غمرته السعادة ، ولم يحول بصره قط عن الشقة المواجهة • والعنف الذي تملكه به هذا « الحب من بعيد » (١) ينبغي إرجاعه إلى أن هانز لم يكن له رفاق لعب من أى من الجنسين • ففضاء وقت طويل مع الأطفال الآخرين هو ، بكل وضوح ، جانب من النمو السوي للطفل •

وقد أتاحت لهانز صحبة من هذا القبيل عندما رحلنا بعد ذلك بوقت قصير (وكان هانز عندئذ في الرابعة والنصف من عمره) إلى جموندن لقضاء عطلة الصيف • وفي مسكننا هناك ، كان رفاق لعبه هم أطفال صاحب الفندق : فرانزل (في الثانية عشرة) ، وفريتزل (في الثامنة) وأولجأ (في السابعة) وبرتا (في الخامسة) • وبالإضافة إلى هؤلاء كان هناك أطفال الجيران : أنا (في العاشرة) وبنتان صغيرتان أخريان في التاسعة وفي السابعة ، لاأذكر اسميهما • وكان فريتزل هو الذي يحظى من بينهم بتفضيل هانز ، فكثيرا ما كان هانز يعانقه ويؤكد له حبه • وذات يوم حين سئل : « من من الفتيات الصغيرات تحبها أكثر؟ »

'Und die Liebe Per Distanz

(١)

'Kurzgesagt, missfällt mir ganz, Wilhelm Busch.

(الحب من بعيد فيه ارهاق لا يلائم مزاجى على الأطلاق - فيلهلم بوش)

أجاب فريترز ! « وفي نفس الوقت كان يعامل الثبنات بطريقة رجالية ، عدوانية ، مزهوة ، يعانقهن ويقبلهن بحرارة — الأمر الذى لم يلق عند برتا بنصفه خاصة أى اعتراض • وعندما كانت برتاتهم بالخروج من الغرفة ذات مساء ، طوق عنقها بذراعيه ، وقال فى لهجة أشد ماتكون غراما : « برتا ، يانك من حبيبة ! » ولكن هذا لم يمنعه مع ذلك من تقبيل الأخرى أيضا ، ومن تأكيد حبه لهن • فقد كان مغرما أيضا بماريدل ائتى تبلغ الرابعة عشرة ، وهى واحدة أخرى من بنات صاحب الفندق اعتادت أن تلعب معه • وذات مساء وهو يوضع فى فراشة قال : « أريد أن تنام ماريدل معى • » وعندما قيل له أن هذا غير مسكن . قال : « ينبغي اذن أن تنام ماريدل مع ماما أو بابا • » فقيل له أن هذا غير ممكن أيضا ، فماريدل ينبغي أن تنام مع أبويها • وعندئذ نتابع الحوار التالى :

« هانز — أوه ، عندئذ سأنزل أنا لانام مع ماريدل • »

« الأيم — أتريد حقا أن تترك ماما وتذهب لتنام تحت ؟ »

« هانز — أوه ، سوف أصعد من جديد فى الصباح لأتناول طعام الاغطار ولأذهب الى التواليت • »

« الأيم — حسنا ، ان كنت تريد حقا أن تترك بابا وماما وتذهب نخذ اذن سترتك وسروالك و — وداعا ! »

« وقد أخذ هانز بانفعل ملايسه واتجه الى السلم ليذهب وينام مع ماريدل ولكننا بالطبع أعدناه • »

« ووراء رغبته : « أريد أن تنام ماريدل معنا » تكمن رغبة أخرى : « أريد أن تصبح ماريدل (التى يحب جدا أن يكون معها) واحدة من أسرتنا • » ولكن أباه وأمه كانا يأخذانه فى فراشهما ، وأن كان ذلك فقط بين حين وحين ، وليس ثمة شك فى أن رقادهم هذا بجانبهما كان

يستثير عنده أحاسيس شبقية ، ومن ثم فإن رغبته في أن ينام مع ما زيد لها أيضا دلالتها الشبقية • فالرقاد في الفراش مع أبيه وأمه كان مصدرا للأحاسيس الشبقية عند هانز ، تماما كما هو الحال عند أى طفل آخر • «

وعلى الرغم من نوباته من الجنسية المثلية ، فإن هانز الصغير قد تصرف كرجل بمعنى الكلمة في مواجهته لتحدى أمه •

وفي المثال التالي أيضا قال هانز لأمه : « أتعرفين ، لكم أود جدا أن أنام مع البنت الصغيرة • » هذه الواقعة أتاحت لنا كثيرا من التسلية ، إذ أن هانز قد تصرف في الواقع كراشد متميم • ففي المطعم الذى نتناول فيه طعام الغذاء ، اعتادت أن تحضر ، في الأيام القليلة الأخيرة ، بنت صغيرة أنيقة في الثامنة من العمر • وطبيعى أن هانز قد وقع في حبها على الفور • انه لا يتوقف عن الدوران في مقعده ، يختلس النظرات إليها ، وما أن يفرغ من تناول الطعام حتى يذهب ليجلس على مقربة منها كيما يغازلها ، ولكنه اذا تبين أن أحدا يرقبه وهو يفعل ذلك استحال قرمزيا من الخجل • واذا استجابت البنت الصغيرة لانظراته بنظرات منها فانه يتحول بعينيه عنها على الفور الى الناحية الأخرى ، وقد غلبه الارتباك • وسلوكه هذا هو بهجة كبيرة بالطبع لكل الذين يتناولون غذاهم بالمطعم • وكل يوم ، وهو في طريقه الى المطعم يسأل : « هل تعتقد أن البنت الصغيرة ستكون هناك اليوم ؟ » وعندما تظهر آخر الأمر يحمر وجهه تماما ، شأنه تماما شأن الراشد في مثل هذا الموقف • وذات يوم أقبل على متهل الوجه ، وهمس في أذنى : « بابا أنى أعرف اين تسكن ابنت الصغيرة • فقط رأيته تصعد الدرج في المكان الفلانى • » وبينما هو يعامل البنات الصغيريات في البيت بطريقة عدوانية ، فانه في هذه الحالة الرامنة يبدو بالحرى عاشقا عذريا يرضيه الوجد • وربما يرجع ذلك الى أن البنات الصغيريات في انبيت ريفيات ، بينما البنات الصغيريات في المطعم فتاة مجتمع راق • وكما سبق أن ذكرت ، قال ذات مرة أنه يود جدا أن ينام معها •

ولما كنت لأرغب في أن يظل هانز نهبا لهذا التوتر النفسى الذى عاناه حتى الآن من جراء حبه لهذه البنت الصغيرة ، فقد رتب الأمر بحيث تعرفا ، ودعوت البنت الصغيرة أن تحضر لتراه فى الحديقة بعد أن يكون قد ستيقظ من قبيلوته • كان هانز فى انتظاره للبنت الصغيرة من التأثر والانشغال بحيث لم يستطع لأول مرة أن ينام بعد الظهر ، بل راح ينتقلب وينقلب فى فراشه دون انقطاع • وعندما سألته أمه : « لماذا لا ننام ؟ اتفكر فى البنت الصغيرة ؟ » ، أجاب وهو يفتح بالبشر : « نعم » • وعندما عاد من المطعم قال لكل واحد فى البيت : « هل تعرف ، اليوم سوف تحضر بنتى الصغيرة لترانى • » وقد ذكرت ما زيد البالغة من العمر أربعة عشر عاما أن هانز ظل يسألها بلا انقطاع : « هل تعتقدين أنت أنها ستكون لطيفة معى ؟ هل تعتقدين أنها ستكون لطيفة معى ؟ هل تعتقدين أنها سوف تقوم بتقبيلى عندما أقبليها ؟ » وما الى ذلك •

ولكن السماء أمطرت بعد الظهر ، وبذلك لم تتحقق الزيارة • وراح هانز يعزى نفسه مع برتا وأولجا •

وثمة ملاحظات أخرى تمت أيضا أثناء عطلة الصيف ، توحى بأن تطورات جديدة كانت تعتمل داخل الصبى الصغير •

وهانز ، ثلاثة أشهر بعد الرابعة فى هذا اليوم كانت الأم تعطى هانز حمامه اليومى ثم قامت بعد ذلك بتجفيفه وتبديره • وبينما كانت أمه تقوم بتبدير المنطقة حول قضيبه ، فى حرص منها أن لا تلمس القضيب ، قال هانز : « لم لاتضعى أصبعك عليه ؟ »

الأم — لان هذا أمر قذر •

هانز — ما هذا ؟ قذر ؟ لم ؟

الأم — لأن هذا لاينبغى عمله •

هانز (ضاحكا) — ولكنه يبعث بهجة عظيمة (١) .

وفي نفس تلك السن تقريبا رأى هانز حتما يستلفت الانتباه بتعارضه مع الجرأة التي كشف عنها تجاه أمه . وكان هذا أول حلم للصبى استغلق بفعل التحريف . ومع ذلك فان الذكاء النافذ لأبيه استطاع أن ينفذ الى دلالاته .

هانز ، ثلاثة أشهر بعد الرابعة . حلم هذا الصباح استيقظ هانز وقال : « هل تعرف ، هذه الليلة فكرت : واحد قال : من يريد أن يأتي معي ؟ قال آخر : أنا آتى ؟ وعندئذ كان علي هذا الآخر أن يجعل الأول يطرطر . »

ولقد كشفت أسئلة أخرى بوضوح عن عدم وجود أى عنصر بصري في هذا الحلم ، وعن أنه ينتمى الى نمط الأحلام السمعية الصرفة . كان هانز في الايام القليلة الأخيرة يلعب ألعاب «الصالون» و «المرأهنة» مع أطفال صاحب الفندق ، ومن بينهم صديقتاه : أولجا « في السابعة » وبرتا (الخامسة) . (ولعبة « المرأهنة » تجرى علي هذا النحو : ا : « رهان من هذا الذى فى يدي ؟ » ب : « رهانى » . وعندئذ يكون البت فيما ينبغى علي ب أن يفعله .) وينبنى الحلم على غرار هذه اللعبة ، غير أن هانز يرغب فى أن الشخص الذى يقع عليه الرهان يحكم عليه ، لا أن يعطى القبلة المألوفة ، لا ولا أن يتلقى اللكمة المألوفة فى الأذن ، بل أن يطرطر ، أو على وجه أكثر دقة أن يجعل الآخر يطرطر .

(١) أم أخرى ، وكانت عصابية ، ولم تكن تعتقد فى وجود الاستمناء الطفلى ، أخبرتنى عن محاولة مماثلة للاغواء من جانب ابنتها البالغة من العمر ثلاث سنوات ونصف . كانت قد حاكت لابنتها سروالا صغيرا ، وكانت تقوم بقياسه عليها لترى ما أن من الضيق بحيث يعوقها عن المشى . وكيفا تتبين ذلك مرتت يدها الى أعلى بطول السطح الداخلى . دن فخذ ابنتها . وفجأة أطبقت ابنت الصغيرة بفخذيها على يد أمها قائلة . « أوه ، ماما ، اتركى يدك هنا ، ماأطى ذلك ! » .

طلبت اليه أن يعيد الحلم • فيسرده بنفس الكلمات ، باستثناء أنه بدلا من أن ينطق : « ثم قال آخر » نطق في هذه المرة « ثم قالت هي » • « هي » هذه من الواضح أنها برتا أو أولجا ، واحدة من البنات اللاتي كان يلعب معهن • وبترجمة الحلم يكون كما يلي : «كنت أَلعب المراهنة مع البنات الصغيرات ، : وسألت من تريد أن تأتي معي ؟ فأجبت هي (برتا أو أولجا) : أنا آتى • وعندئذ كان عليها أن تجعلني أطرطر • (بمعنى أنه كان عليها أن تعينه على التبول ، وهو أمر من الواضح أنه لاذ لهانز) •

ومن الواضح أن عملية جعله يطرطر — بفك أزرار بنطلونه واخراج قضيبه — عملية لاذة لهانز • وفي النزعات ، غالبا ما يكون الأب هو الذي يعين هانز على هذا النحو ، ويتيح هذا الطفل فرصة تثبيت نزعاته الجنسية المثلية على أبيه •

ومنذ يومين كما سبق أن ذكرت بينما كانت أمه تقوم على تنظيف وتبديل منطقتة الانسالية ، سألها : لم تضعي أصبعك عليه : « وامس عندما كنت أعين هانز على التبول ، طالب الي للمرة الأولى أن أذهب به الي ماوراء البيت حتى لا يراه أحد • أضاف « في العام الماضي عندما كنت أطرطر كانت برتا وأولجا ترقباني » • وهذا يعني ، على ما اعتقد ، أنه في العام الماضي كان يستمتع بمراقبة البنيتين له ، ولكن الآن لم يعد الأمر كذلك • فاستعراضيته أصبحت الآن واقعة تحت الكبت • وكون رغبته في أن ترقبة برتا وأولجا وهو يطرطر (أو وهي تجعله يطرطر) قد عدت الآن مكبوتة في الحياة الواقعية ، فذلك ما يفسر ظهور هذه الرغبة في الحلم حيث أتيح لها أن تنتكر بشكل بارع في لعبة المراهنة • ومنذ ذلك لاحظت في مناسبات عديدة أنه لا يرغب في أن يراه أحد وهو يطرطر •

وحسبى هنا أن أنبه الي أن هذا الحلم يتبع القاعدة التي قدمتها

في كتابي « تفسير الأحلام (١) » ، والتي مؤداها أن الأقوال المنطوقة أو المسموعة في الحلم مستمدة من أقوال نطق بها الحالم أو سمعها في الأيام السابقة على الحلم .

وقد دون أبو هانز ملاحظة أخرى ، ترجع بتاريخها الى الفترة التالية مباشرة لعودتهم الى فينا : كان هانز (في الرابعة والنصف) يشهد من جديد حمام أخته الصغيرة ، عندما راح يضحك . وحين قيل له : « لم تضحك ؟ » أجاب : « اني أضحك من حمامة هنة » . « لم ؟ » « لأن حمامتها حلوة جدا » .

وكانت اجابته بالطبع مخادعة . فحمامتها بدت له في الحقيقة الأمر عجيبة مضحكة ، أضف الى ذلك أن هذه هي المرة الأولى التي تبين فيها ، على هذا النحو ، الاختلاف بين عضو التناسل الذكر وعضو التناسل المؤنث بدلا من أن كان ينكر هذا الاختلاف .

(١) الطبعة السابعة الالمانية ، ص ٢٨٣ وما بعدها .

تاريخ الحالة والتحليل

تاريخ الحالة والتحليل

« استاذى العزيز ، أنى أبعث اليك بمزيد من المعطيات عن هانز الصغير — ولكنها معطيات يؤسفى فى هذه المرة أن أقول أنها تشكل مادة لتاريخ حالة • فكما سترى ، ظهرت لديه فى الأيام الأخيرة اضطرابات عصبية أهلكتنا ، زوجتى وأنا لأننا لم نستطع العثور على أية وسيلة لازالتها • وسوف استبيح لنفسي فى الغد أن أتوجه للقائك ••• ولكنى فى انتظار ذلك ••• أبعث اليك بتقرير عن المعطيات التى أتيح لى أن أحصل عليها •

وليس من شك أن التربية قد تهيأت لديه من جراء الاستثارة الجنسية الزائدة الناجمة عن حنان أمه ، ولكنى لاستطيع تخصيص السبب المباشر لاضطراباته تلك فهو يخاف من أن حصانا يعضه فى الطريق ، وهذا الخوف يبدو مرتبطا على نحو مابارتعابه من قضيب كبير • فهو قد تنبه منذ سن باكرا جدا ، كما تعلم من تقرير سابق ، الى ما للحصان من قضيب كبير ، وتآدى فى ذلك الوقت الى أن أمه مادامت كبيرة الى هذا الحد ، فلا بد وأن تكون لها حمامة مثل الحصان

ولكنى لا أستطيع أن أتبين مايمكن استخلاصه من ذلك • أترأه رأى فى مكان ماشخصا استعراضيا : أم ترى أن الأمر كله يرتبط بأمه: فما لايسرنا كثيرا أن يبدأ فى مثل هذه السن الباكرا فى اثاره المتاعب • وفيما عدا خوفه من الخروج الى الطريق ، وأكتتابه فى المساء ، ظل هانز كما كان مرحا ومبتهجا كعادته دائما • »

وسوف لانتبع أبا هانز ، لا فى أحاسيسه القلقة التى يسهل فهمها ولا فى محاولاته الأولى للعثور على تفسير ، بل سوف نبدأ بتفحص

المعطيات التي أمامنا فليست مهمتنا بحال أن « نفهم » الحالة دفعة واحدة وفي التو ، إذ أن ذلك الفهم لا يمكن البلوغ إليه الا في مرحلة لاحقة ، عندما تتوفر لدينا عن الحالة انطباعات كافية . ففي الآونة الحالية سوف نعاق حكمتنا ، مولين نفس الاهتمام لكل شيء متاح للملاحظة .

أنا أبكر التقارير ، التي يرجع تاريخها الى الأيام الأولى من شهر يناير من عامنا هذا (١٩٠٨) بتتابع كما يلي :

- هانز (تسعة أشهر بعد الرابعة) يستيقظ ذات صباح وهو يبكي . وتسأله أمه عن سبب بكائه فيجيب : عندما كنت نائما اعتقدت أنك قد رحلت وأنى لم يعد لى أم « اتدلج » معها .
- أذن هو حلیم حصير (قلق مرضى) .

« سبق لى أن لاحظت شيئا مماثلا لذلك فى جموندى أثناء الصيف . وفى المساء ، وهو فى سريريه ، كان غالبا ما يكون عاطفيا جدا . وذات مرة قال ملاحظة منادها : « لو أننى كنت بغير ماما . » أو « لو أنك رحلت من هنا » أو شيء من هذا القبيل ، فانى لأذكر على وجه الدقة نص كلماته . وكان من عادة أمه دائما ، ولسوء الحظ ، اذا ما استولى عليه مثل هذا المزاج الحزين ، أن تأخذه معها الى فراشها .

« وفى الخامس تقريبا من شهر يناير ، سعى الى سرير أمه فى ساعة مبكرة ، وقال : « هل تعرفين ماقلته طنط م — ؟ لقد قالت له تباع (١) صغير لطيف ، . » (كانت طنط م — تنزل عندنا منذ أربعة

(١) فى الالمانية Pisehl بمعنى قضيب . ومن أكثر الأمور

شيوعا — وحالات التحليل النفسى مليئة بذلك — أن تلقى الاعضاء التناسلية للاطفال الملائفة ، ليس فقط بالكلمات ، بل وأيضا بالحركات ، وذلك من جانب الاقارب العطفين ، ومن بينهم الأبوان نفسها .

أسابيع • وذات مرة اذ كانت ترقب زوجتي وهي تعطي الصبي حمامه
قللت لها في الواقع هذه الكلمات ولكن بصوت منخفض • سمع هانز
هذه الكلمات وهو الآن يحاول أن يستغلها لصالحه •)

وفي السابع من شهر يناير ذهب انى ستادبارك (١) مع الخادمة ،
تالعادة • وفي الطريق بدأ يبكي ، وطلب أن يعود الى البيت ، فهو يريد
أن « يتدلج » مع ماما • وعندما سئل في البيت عن سبب رفضه المضي
في المنزهة وبكائه ، لم يرغب في أن يقول ، وظل حتى المساء مرحا كعادته
ولكن في المساء بدأ يستولى عليه الرعب بشكل ظاهر ، وأصبح من غير
الممكن ابعاده عن أمه ، ورغب في أن « يتدلج » معها من جديد • ثم بدأ
يعود مرة ثانية الى مرحة ونام نوما هادئا •

وفي الثامن من شهر يناير ، صممت زوجتي على أن تخرج معه
بنفسها لتتبين حقيقة الأمر ، وذلك في نزهة الى شونبرون حيث كان
يحلو له أن يذهب دائما • بدأ يبكي من جديد ، غير راغب في مغادرة
البيت ، واستولى عليه الرعب • وفي نهاية الأمر قبل الذهاب ، ولكن
كان يبدو عليه الرعب بشكل ظاهر في الطريق • وفي طريق عودتهما من
شونبرون ، قال لأمه ، بعد صراع شديد : « كنت أخاف من أن حصانا
يعضنى • » (كانت في الواقع قد بدت عليه علامات الارتباك في
شونبرون عندما رأى حصانا •) وفي المساء كان من الممكن ، على ما بدا ،
أن يعانى نوبة أخرى مماثلة لتلك التي عاناها في المساء السابق • فيرغب
في أن « يتدلج » • ولكن أمكن تهدئته • قال وهو يبكي : « أنا عارف ،
سيكون على غدا أن اذهب من جديد للمنزهة • » وقال بعد ذلك : « سوف
يحضر الحصان في الغرفة ،

وفي نفس اليوم سألته أمه : « هل تضع يدك عند حمامتك ؟ »
فأجاب : « نعم ، كل مساء وأنا في الفراش • »

(١) Stadtpark حدائق عامة وسط مدينة فيينا - الترجمة الانجليزية

وفي اليوم التالي ، وهو التاسع من شهر يناير ، تلقى هانز قبل أن يبدأ قيولته تحذيرا بالأبيض يده عند حمامته • وعندما استيقظ وسئل عما تم ، قال أنه قد وضعها مع ذلك عنوها لفترة وجيزة • ،

هاهي اذن بداية الحصر (القلق) عند هانز وبداية الفوبيا (الرهاب) أيضا عنده • وثمة أسباب وجيهة لدينا ، كما هو واضح ، لفصلهما الواحد عن الآخر • اصف ألى ذلك أن المادة المتاحة تبدو لنا كافية تماما لتوجه خطانا ، وما من فترة من الوقت تكون مواتية لفهم حالة من الحالات بقدر ما تكونه مرحلتها الاستهلاكية ، على نحو ما لدينا هنا ، وان كانت هذه المرحلة كقاعدة عامة ، تتعرض لسوء الحظ للاغفال أو التغافل عنها • بدأ الاضطراب العصبى بافكار هي عاطفية وقلقة معا ، ثم أعقب ذلك حلم حصر مضمونه هو : هانز يفقد أمه ، الأمر الذى يجعله غير قادر بعد على أن « يتدلع » معها • فعاطفة هانز تجاه أمه لا بد اذن وأن تكون قد زادت بشكل هائل • تلك هي الظاهرة الأساسية التى تشكل أساس حالته •

وتأييدا لذلك ، فلنتذكر هاتين المحاولتين من الاغواء اللتين قام بهما هانز تجاه أمه ، احدهما ترجع بتاريخها الى الصيف ، بينما الأخرى (وتنحصر ببساطة فى امتداحه قضيه) تأتى مباشرة قبل تفجر فوبيا الطريق عنده • كانت تلك العاطفة التى ازدادت تجاه أمه هى التى أستحالت فجأة الى حصر ، هى التى — كما نقول — عانت الكبت •

ونحن لانعرف بعد من أين يكون قد أتى ذلك الدافع للكبت • ربما حدث الكبت ببساطة نتيجة لازدياد انفعالات الطفل زيادة تفوق ما لديه من قدرة على السيطرة عليها ، وربما تكون هناك قوى أخرى لم نتعرف عليها بعد ، قد عملت عملها أيضا • ذلك ماسوف نتبينه فيما بعد • فقلق هانز هذا ، وهو الذى يناظر صبابة شبقية مكبوتة ، هو أولا ، ككل حصر طفلى ، بغير موضوع : مجرد حصر ، لم يصبح بعد خوفا • فالطفل لا يستدعي أن يتبين من أى شىء هو خائف ، وعندما يرغب

هانز ، بعد نزهته الأولى مع الخادمة ، في أن يقول من أى شيء هو خائف فذلك ببساطة لأنه لم يتبين بعد هذا الشيء • لقد قال كل مايعرفه، وهو أنه يفتقد ، في الطريق ، ماما التى يستطيع أن « يتدلح » معها ، وأنه لايرغب في أن يكون بعيدا عنها • وبقوله هذا يكتشف في صراحة تامة عن الدلالة الأولى لنفوره من الطريق أضف الى ذلك أن الحالة التى كان عليها هانز أثناء أمسيتين متتاليتين قبل ذهابه الى فراشه ، والتى كانت تتميز بالحصر الذى مايزال بعد مختلطا بصباة واضحة • هذه الحالة ترينا أنه في بداية مرضه لم تكن هنالك بعد أى فوبيا من أى نوع ، لا من الطريق ، ولا من النزهة ، لا ولا حتى من الأحصنة • فلو كانت هناك فوبيا لاستحالت الحالة التى تعترية في المساء على التفسير، فمن ذا الذى يزعج نفسه وقت النوم بالتفكير في الطريق أو في النزهة ؟ وعلى العكس فان تفسير هذه الحالة المسائية يغدو واضحا تماما اذا ما وضعنا في اعتبارنا أن هانز كانت تغمره عندما تحين ساعة النوم ، زيادة في الليبيدو — هذا الذى كان موضعه الأيم ، وكان هدفه فيما يتحمل أن ينام معها • فقد تعلم في الواقع ، من الخبرة التى عاشها في جموندن أن أمه يمكن حملها ، عندما تستولى عليه مثل هذه الحالة ، على أن تأخذها معها في فراشها ، وهنا في فينا كان يريد أن يبلغ نفس هذا الهدف • وليس لنا أيضا أن ننسى أن هانز كان لبعض الوقت في جموندن بمفرده مع أمه ، اذ لم يكن بوسع أبيه أن يقضى عطلة بأكملها هناك ، وأن عاطفته في الريف كان يتقاسمها عدد من رفاق اللعب والأصدقاء من الجنسين ، بينما في فينا لم يكن له منهم أحد ، ومن ثم كان الليبيدو عنده في وضع يحتم عليه أن يعود متجها بكليته تماما الى أمه •

وهكذا فان الحصر عنده كان يناظر صباة لبييدية مكبوتة ولكن هذا الحصر ليس هو نفس هذه الصباة : فالكتب ينبغي وضعه في الاعتبار أيضا • فالصباة يمكن أن تتحول بتمامها الى اشباع اذا ما أتيح لها الموضوع الذى تصبو اليه • والعلاج من هذا النوع لا تكون

له فاعليته في التعامل مع المحصر فالحصر يبقى حتى عندما نقوهر
الإمكانية لاشباع الصبابة . فلم يعد من الممكن تحويل الحصر من
جديد وبتمامه إلى لبيدو ، فثمة شيء يبقى على اللبيدو بعيدا تحت
الكبت (١) . وقد تبين أن ذلك هو الأمر في حالة هانز عندما صحبتته
أمه في النزعة التالية . فقد كان في هذه المرة مع أمه ، ومع ذلك ظل
يعانى من الحصر — أى من صبابة غير مشبعة إليها . صحيح أن الحصر
كان أقل ، إذ سمح لنفسه أن ينساق ذاهبا إلى النزعة ، بينما كان
قد أرغم الخادمة على أن تعود به إلى البيت . هذا إلى أن الطريق
ليس بالمكان الملائم تماما لكى « يتدلج » ، أو لأى شيء آخر يكون هذا
العاشق الصغير تواقا إلى فعله . ولكن الحصر سعد للتجربة ، وكان
الشيء الذى يتختم عليه بعد ذلك هو أن يعثر على موضوع . لقد
كان أثناء تلك النزعة أن عبر لأول مرة عن خوفه من أن حصانا يعضه
فمن أين أتت مادة هذه الفوبيا : ربما من تلك العقد التى ما تزال بعد
نجلها ، والتى أسهمت في عملية الكبت ، وأبقت تحت الكبت مشاعر
اللبيدية تجاه أمه . تلك مشكلة لم يتضح بعد حلها ، ويتحدثم علينا
الآن أن نمضى مع تطور الحالم حتى نبلغ إلى حلها . ولقد سبق أن
قدم لنا بالفعل أبو هانز بعض العلامات الدالة التى قد يمكن الركون
إليها في ثقة ، وذلك من قبيل أن هانز كان دائما يلاحظ الأحصنة
باهتمام بسبب ماها من حمامة كبيرة ، وأنه افترض أن أمه لابد وأن
تكون لها حمامة مثل الحصان ، وما إلى ذلك . وهكذا يمكن أن نتأدى
إلى الاعتقاد بأن الحصان كان ببساطة مجرد بديل عن أمه . ولكن إن
كان الأمر كذلك ، فما عساه أن تكون دلالة خوفه في المساء من أن
حصانا يدخل في الغرفة ؟ مخاوف سخيفة لصبي صغير ، ذلك ما قد
يقال . ولكن العصاب ، وهو في ذلك لا يختلف عن الحلم ، لا يقول قط
أشياء سخيفه فنحن عندما نعجز عن فهم شيء نرميه دائما بالسيف.

(١) في صراحة تامة ، ذلك بالفعل هو المعيار الذى يحسبه نبت فيما
إذا كانت مثل هذه المشاعر التى تمتزج فيها الرهبة والصبابة سوية أو
لا سوية . فنحن نعتبرها « قلقا مرضيا » منذ اللحظة التى لم يعد فيها
دمكنا التفريغ عن هذه المشاعر بالحصول على الموضوع المصبو إليه .

أشياء سخيقة فنحن عندما نعجز عن فهم شيء نرمية دائما بالسخيف
فيالها من وسيلة ممتازة نيسر بها المهمة على أنفسنا •

وثمة نقطة أخرى ينبغي بذرائها أن نتجنب الاستسلام لهذه
الغواية • فهانز قد صرح بأنه في كل ليلة قبل النوم كان يتسلى باللعب
في قضييه • عندئذ يصيح طبيب العائلة قائلا : « آه : لقد اتضح الآن
كان شيء • الطفل يستمنى ، ومن هنا قلقه المرضى » • ولكن رويدك !
نأما أن الطفل يمنح نفسه أحاسيس شهوية لاذة بالاستمناء ، فذلك
لايسر لنا في شيء قلقه ، بل يجعله بالحرى أكثر استغلاقا على الفهم
فحالات الحصر لا تنتج من الاستمناء ، لا ولا من الحصول على
اشباع من أى نوع • أضف الى ذلك أنه قد يكون لنا أن نفترض أن
هانز وقد تخطى الآن الرابعة بتسعة أشهر ، كان يمنح نفسه هذه
الذاه كل مساء منذ سنة على الأقل (أنظر ص ١٨٢) • وسوف نتبين
أن هانز في هذا الوقت بالذات كان بالفعل مشتبكا في صراع ليخلص
نفسه من تلك العادة — الأمر الذى يتفق على نحو أفضل مع الكبت
وتكوين الحصر •

وينبغي أن نقول كلمة أيضا ، انصافا للأم هانز الممتازة المخلصة
فأبوه يتهمها ، وان لم يكن ذلك بغير مظهر من الحق ، بأنها كانت
السبب في تفجر عصاب الطفل ، بما كانت تبديه من عطف مسرف نحوه ،
وبمسارعتها جد المتواترة الى أن تأخذها الى فراشها • وكان من
الممكن أيضا بنفس أيسر أن نتهمها بأنها قد عملت عملية الكبت بصددها
العنيف لعروضه العشقية (« لأن هذا أمر قذر ») (ص ١٩٣) ولكن
لقد كان عليها أن تضطلع بدور رسخته الأثدار من قبل ، وكان موقفها
عسيرا •

اتنقت مع أب هانز على أن يقول للصبي أن كل هذه الحكاية عن
الأحصنة لم تكن غير « حماقة » لا أكثر • وكان على أبيه أن يقول له

أن الحقيقة هي أنه مغرم جدا بأمه ، ويرغب في أن تأخذه الى فراشها أما خوفه الآن من الأحصنة فسببه أنه قد اهتم كل هذا الاهتمام الكبير بحماماتها • لقد لاحظ هو نفسه (هانز) أنه ليس من الصواب الانشغال بدرجة زائدة الى هذا الحد بالحمامات حتى بحمامته هو ، وقد كان صائبا حين فكر على هذا النحو • وقد ألمحت الى أبيه بالاضافة الى ذلك بأن عليه يبدأ في تبصير هانز بعض الشيء بالمعارف الجنسية • أن سلوك الطفل في الماضي قد حولنا الحق في أن نفترض أن الليبيدو عنده ينتشبت برغبة في أن يرى حمامة أمه ، ومن هنا فقد اقترحت على أبيه أن يزيل عن هذه الرغبة عند هانز هدفها ، وذلك بأن يجعله يعرف أن أمه وكل الكائنات الأنثوية الأخرى (كما يمكنه أن يتبين ذلك استنادا الى هنة) ليس لها حمامة على الإطلاق ، وهذا العنصر الأخير من التبصير يتحتم تقديمه الى هانز في فرصة مناسبة يكون أنتأدى اليها ابتداء من سؤال أو ملاحظة عارضة تصدر عنه •

ان الملاحظات التالية عن هانز تغطي الفترة من أول مارس الى السابع عشر من نفس الشهر • أما الفترة الفاصلة ، والتي تزيد عن الشهر ، فسوف نتبين في التو أمرها •

وان تبصير (١) هانز قد أعقبته فترة من الهدوء النسبي ، كان من الممكن خلالها الخروج به دون صعوبة كبيرة في نزته اليومية الى شتاربارك • وخوفه من الاحصنة تحول أكثر فأكثر الى قهر قوامه النظر الى الاحصنة • قال : « يتحتم على أن أنظر ألي الاحصنة ، وعندئذ أرتعب » •

وبعد نوبة من الأنفلونزا ألزمته الفراش أسبوعين ، ازدادت

(١) فيما يتصل بدلالة حصره ، وليس فيما يتصل بأن النساء ليست لهن حمامة •

الفوبيا عنده من جديد إلى درجة عن الشدة بحيث لم يعد من الممكن حمله على الخروج ، وفي خير الحالات يخرج إلى الشرفة • في كل يوم من أيام الآحاد كان يذهب معي إلى لاينتس (١) ، ففي يوم الأحد لا تكون العربات كثيرة في الطرقات ، والمسافة قصيرة إلى المحطة وفي لاينتس كان يرفض الخروج إلى النزهة خارج الحديقة ، لأن عربة كانت تقف أمام الحديقة • وبعد أسبوع آخر ، كان عليه فيه أن يلزم البيت بسبب عملية استئصال اللوزتين ، أصبحت الفوبيا من جديد أكثر سوءا بكثير • صحيح أنه كان يخرج إلى الشرفة ، ولكنه لم يكن يخرج إلى النزهة • فهو لا يكاد يبلغ باب الطريق حتى يستدير عائدا في سرعة •

وفي يوم الأحد ، الأول من مارس ، جرت المحادثة التالية في طريقنا إلى المحطة • كنت من جديد أحاول أن أبين له أن الأحصنة لاتعض • هو « ولكن الأحصنة البيضاء تعض • ففي جموندن حصان أبيض يعض • لو تضع اصبعك عنده يعض • » (أدهشني أن يقول « اصبع » بدلا من « يد » •)

ثم روى لي الحكاية التالية التي أوردتها هنا في صورة مترابطة : « عندما كان علي ليتزي Lizzi أن ترحل ، كانت هناك عربة بحصان أبيض أمام البيت لتحمل امتعتها إلى المحطة • » (قال لي أن ليتزي بنت صغيرة تسكن في بيت مجاور) • « كان أبوها يقف إلى جانب الحصان عندما أدار الحصان رأسه (ليلمسه) فقال لليتزي : لاتضعي اصبعك عند الحصان الأبيض والايعضك (٢) (وعندئذ قلت) « هل

(١) ضاحية من ضواحي فينا (لاتقع بعيدة عن شونبرون) حيث كان يعيش جد هانز وجدته •

(٢) قارن كلمات - سؤاله الام Gibst du vielleicht die Hand Zum Wessen Pferd ؟ (هل تضع يدك عند حمامتك ؟) مع كلمات التحذير Wiwimacher (Gieb nichte die Finger Zum Wessen Pferd التي قالها أبو ليتزي (لاتضعي اصبعك عند الحصان الابيض) - هامش الترجمة الفرنسية •

تعرف ، ان ما يبدو لى هو أنك تتحدث بلا عن خصان بل عن حمامة
لا ينبغي وضع اليد عندها . »

- هو — ولكن الحمامة لاتعض .
- أنا — ربما تعض مع ذلك .

ثم راح فى حماسة يحاول أن يدلل لى على أن الأمر كان يتعلق فعلا
بخصان أبيض (١) .

وفى الثانى من شهر مارس ، اذ كشف من جديد عن علامات تدل
على أنه خائف ، قلت له : « هل تعرف ؟ أن الحمامة » (فكذلك كان
يسمى الفوبيا التى عنده) « سوف تتحسن لو أنك خرجت أكثر للنزهة
ففى الآن فى هذه الحالة من السوء لأنك لم تكن قادرا على أن تخرج
اذ كنت مريضا » .

هو — أو ، كلا ففى فى هذه الحالة من السوء لأنى ما زلت أضع
يذى عند حمامتى فى كل ليلة .

فالطبيب والمريض ، الأب والأبن ، يتفقان اذن فى نسبة الدور
الرئيسى ، من بين العوامل المولدة للمرض فى الحالة الراهنة
لهانز ، الى عادة الاستمنا . ومع ذلك فقد كانت هناك أيضا — علامات
تدل على وجود عوامل أخرى لها أهميتها .

وفى الثالث من شهر مارس جاءتنا خادمة جديدة ، سر لها هانز بصفة
خاصة . أنها تتركه يعتنى ظهرها وهى تعكف على تنظيف الأرضية ،

(١) لم يكن هناك من سبب يحمل أبا هانز على يشك فى واقعية
الحدث الذى كان يصنفه الصبى — ويمكننى أن أضيف أن أحاسيس «الأكلان»
فى حشفة التخصيب والتى تحمل الاطفال على لمسه ، عادة ما يصفونها
فى الالمانية Es beisst mich أنه يعضنى) . وفى العربية (بياكلنى)
— المترجمون .

ومن هنا فإنه يناديها دائما « حصانى » ، ويشدها من ملابسها وهو يصبح « شى ! » وفى العاشر من شهر مارس تقريبا قال لهذه الخادمة: « لو فعلت هذا الشيء أو ذاك فسيكون عليك أن تنزعى كل ملابسك ، بل وأن تنزعى ملابسك الداخلية أيضا » • (كان يفهم ذلك على أنه عقوبة ، ولكن من اليسير أن نتبين الرغبة التى تكمن وراء ذلك •)

هى — وفيم يضايقنى ذلك ؟ سأقول فقط لنفسى ليس لدى أية نقود لأشتري ملابس •

هو — ولكن سيكون هذا مجحلا ! اذ يرى الناس عندئذ حمامتك ؟

وهنا نجدنا من جديد أمام نفس الاستطلاعية ، وقد اتجهت الى موضوع جديد وقد تنكرت (بما يلائم فترة الكبت) فى ثياب مهذبة •

وفى صباح الثالث عشر من شهر مارس قلت لهانز : « هل تعرف لو أنك لاتضع يدك بعد الآن عند حمامتك فان الحماسة التى عندك سوف تتحسن بسرعة » •

هانز — ولكنى لم أعد أضع يدي أبدا عند حمامتى •

أنا — ولكنك مازلت ترغب فى ذلك •

هانز — نعم ، انى أرغب • ولكن الرغبة غير الفعل ، والفعل غير الرغبة (!) •

أنا — حسنا ولكن لكى تمنع رغبتك فى ذلك فسيكون لديك هذا المساء كيس لتنام فيه •

وبعد ذلك خرجنا أمام المنزل • كان هانز مايزال خائفا ، ولكن معنويته كانت قد ارتفعت بشكل واضح بثصل مايتوقع من المساندة

التي يلقاها في صراعة ، وقال : « أوه ، لأن لدى هذا المساء كيسا لانام فيه فان الحماسة ستكون قد اختفت مع الغد » . وفي الواقع فان خوفه من الأحصنة كان أقل بكثير ، وكان هادئا بدرجة كافية والعربات تضى من أمامه .

كان هانز قد وعدنى بالذهاب معى الى لاينتس فى الأحد القادم ، الخامس عشر من شهر مارس . قاوم فى البداية ، ولكنه فى نهاية الأمر ذهب معى . كان من الواضح أنه على مايرام فى الطريق ، اذ لم تكن هناك عربات كثيرة ، وقال «يالفطنة الله ! لقد أقصى الآن كل الاحصنة » . وفى الطريق أخذت أشرح له أن أخته ليس لها حمامة مثل حمامته . قلت له أن البنات الصغيرات والنساء ليس لهن حمامة : فما ما ليس لها ، وهنه ليس لها ، وهكذا .

هانز — وأنت هل لك حمامة ؟

أنا — طبعا . ماذا كنت تعتقد أدن ؟

هانز (بعد برهة) — ولكن البنات الصغيرات كيف تطرطن ان لم يكن لها حمامة ؟

أنا — البنات ليس لهن حمامة مثل حمامتك . ألم تلاحظ ذلك من قبل عندما كانت ماما تعطى هنه حمامها ؟

كان طوال النهار يتمتع بمعنوية عالية جدا ، فكان يتزلق وما الى ذلك . ولكن قرب المساء فقط عاوده الاكتئاب وبدأ عليه الخوف من الأحصنة .

فى ذلك المساء كانت نوبته العصبية وحاجته الى أن « يتدلح » أقل بيروزا بالقياس الى الأيام السابقة . وفى اليوم التالى أخذته أمه معها فى المدينة ، وكان شديد الارتعاب فى الطرقات . وفى اليوم التالى

بقي في المنزل ، وكان شديد المرح • وفي صباح اليوم الثالث استيقظ في السادسة تقريبا وهو في حالة ارتعاب • وعندما سئل ما الأمر ، قال : « وضعت اصبعي ، ولكن مجرد برهة قصيرة جدا ، عند حمامتي عندئذ رأيت ماما عارية تماما في قميصها ، وقد تركتني أرى حمامتها • وقد رأيت جريتا (١) ، جرتيتي ، ما كانت تفعله ماما ، وأريتها حمامتي ثم أبعدت يدي بعد ذلك بسرعة عن حمامتي • » وعندما اعترضت بأنه يعني فقط « في قميصها » أو « عارية تماما » ، قال هانز : « كانت في قميصها ، ولكن القميص كان من القصر بحيث رأيت حمامتها • »

لم يكن ذلك على الاطلاق حلما ، بل أخيلة استثنائية ، كانت مع ذلك مكافئة للحلم • فان هذا الذي جعل أمه تفعله كان يستهدف من ورائه بكل وضوح تبريرا لنفسه : « مادامت ماما تعرض حمامتها ، فمن حقي أنا أيضا أن أفعل ذلك • »

وبوسعنا أن نتبين أمرين من هذه الأخيلة • اولهما أن توبنجات أمه كان لها ، في الوقت الذي تمت فيه ، أثرها البالغ على هانز ، وثانيهما أن التبصير الذي أتيح له من أن النساء ليس لهن حمامة ، لم يتقبله هانز في البداية • فقد أحزنه أن يكون الأمر كذلك وتشبث في أخيلوته برأيه السابق • وربما كانت لديه أيضا من الأسباب ما يجعله يرفض في البداية تصديق أبيه •

* * *

تقرير أسبوعي من أبي هانز : « استاذي العزيز ، أبعث اليك طيه بما تلا من قصة هانز — انها حلقة عظيمة الأهمية • وربما استبيح لنفسى أن أقوم بزيارتك في العيادة يوم الاثنين القادم وأن أحضر معى — ان استطعت ذلك — هانز ، شريطة أن يرغب حقا في أن

(١) جريتا هي احدى البنات الصغيرات في جموندن ، وحولها تدور الآن أخايبيل هانز فهو يتحدث إليها ويلعب معها •

يحضر • قلت له اليوم : « هل ترغب في أن تذهب معي يوم الاثنين الى الأستاذ الذى يستطيع أن يخلصك من « الحماقة » ، التى لديك ؟ »

هو - لا

أنا - ولكن لديه بنتا صغيرة جميلة جدا • (وعندئذ وافق هانز فى الذو وهو مسرور •)

الأحد ، الثانى والعشرون من مارس • ورغبة منى فى أن يمتد برنامج الأحد اقترحت على هانز أن نذهب أولا الى شونبرون ، ومن هناك نذهب فى منتصف النهار الى لاينتس • ومن ثم يكون عليه أن يسير ليس فقط من بيتنا الى محطة الجمارك المركزية فى شتادبان (١) ، بل أيضا من محطة هيتزنج الى شونبرون ، ثم من هناك من جديد الى محطة الترام البخارى فى هيزنج • وقد استطاع أن ينجز هذا كله ، محولا عينيه بعيدا فى سرعة كلما مرت به أحصنة اذ كان يستشعر بالطبع الخوف • وهو فى تحويله عينيه بعيدا كان يتبع نصيحة زودته بها أمه •

وفى شونبرون استشعر الخوف من بعض الحيوانات التى كان يشهدها من قبل دون أدنى خوف - ومن ثم فقد رفض بشكل قاطع أن يذهب الى بيت الزراعة ، كما رفض أيضا أن يذهب الى الفيل الذى اعتاد من قبل أن يجد عنده تسلية كبيرة • كان يستشعر الخوف من كل الحيوانات الكبيرة ، بينما كان يجد تسلية عظيمة فى الحيوانات الصغيرة • ومن بين الطيور استشعر فى هذه المرة الخوف من البجع - الأمر الذى لم يحدث قط من قبل - وذلك بالطبع بسبب حجمها أيضا

(١) محطة الجمارك المركزية لسكك حديد فينا ، المحلية والخاصة بالصواحي وهيتزنج ضاحيه مجاورة لقصر شونبرون - هامش الترجمة الانجليزية •

عندئذ قلت له : « هل تعرف لم تخاف من الحيوانات الكبيرة »
أن الحيوانات الكبيرة لها حمامة كبيرة • فأنت في الواقع تخاف من
الحمامة الكبيرة •

هانز — ولكنى لم أر حتى الآن حمامة الحيوانات الكبيرة (١) •

أنا — ولكنك رأيت حمامة الحصان والحصان بالطبع حيوان كبير •

هانز — أوه ، حمامة الحصان كثيرا • مرة في جموندن عندما
كانت العربدة تقف أمام الباب ، ومرة أخرى أمام محطة الجمارك
المركزية •

أنا — عندما كنت صغيرا ، يغلب أن تكون قد ذهبت الى اسطبل في
جموندن •••

هانز (مقاطعا) — نعم ، كنت أذهب الى الاسطبل يوميا في
جموندن عندما تعود الأحصنة •

أنا — ••• ويغلب أن تكون قد ارتعيت ذات مرة عندما رأيت
حمامة الحصان الكبيرة • ولكن ليس لك أن تخاف منها • الحيوانات
الكبيرة لها حمامة كبيرة ، والحيوانات الصغيرة لها حمامة صغيرة •

هانز — وكل واحد له حمامه • وحمامتى سوف تكبر عندما أكبر ،
لأنها ثابتة في مكانها بكل تأكيد •

وهنا بلغ الحديث نهايته • وخلال الأيام القليلة التالية ، بدت
مخاوفه وكأنها ازدادت من جديد بعض الشيء • كان يجترىء بتأكيد

(١) لم يكن ذلك صحيحا • أنظر تعجبه أمام قفص الاسيد (ص ١٨٣) •
وربما كان ذلك بداية الامنيزيا (النسيان) الناجمة عن الكبت •

على الخروج أمام الباب الأمامي ، وهو الذي كان يؤخذ إليه بعد الغداء .

أن الكلمات الأخيرة من العزاء التي يوجهها هانز الى نفسه تلقى ضوءا على الموقف ، ونتيح لنا أن نجرى في تأكيدات أبيه بعض التصحيحات . صحيح أن هانز كان يخاف من الحيوانات الكبيرة أذ كان يتحتم عليه أن يفكر في حمامتها الكبيرة . ولكن لا يمكن القول في الواقع أنه كان يخاف من الحمامة الكبيرة في ذاتها . ففكرة الحمامة الكبيرة كانت فيما مضى بالنسبة اليه فكرة سارة بلا جدال ، وكان من عادته أن يبذل كل جهده ليقتاح له أن يلمح واحدة . ومنذ ذلك الوقت ضاعت هذه المتعة بالنسبة اليه ، بسبب الانقلاب العام للذة ألى ألم ، الذي اجتاح كل تقصياته الجنسية — بطريقة لم يتم بعد تفسيرها — وأيضا بسبب شيء نعرفه بشكل أوضح ، هو على التحديد خبرات وأفكار معينة كانت قد انتهت الى نتائج اليمة . وبوسعنا أن نستخلص من كلمات العزاء التي وجهها لنفسه (« حمامتى سوف تكبر عندما أكبر ») أنه كان دائما أثناء مشاهداته يعقد المقارنة ، وأنه استمر بعيدا كل البعد عن أن يرضى عن حجم حمامته . كانت الحيوانات الكبيرة تذكره بهذا القصور ، وكانت من أجل هذا السبب كريمة بالنسبة اليه . ولكن بالنظر الى أن هذه السلسلة الكلية للأفكار لم تكن تستطيع ، فيما يحتمل ، أن تصبح شعورية تماما ، فان هذا الشعور الأليم هو الآخر قد تحول الى حصر ، بحيث يكون الحصر الحالي عند هانز قد تشيد على الأمرين كليهما : لذاته السابقة وأله الحالي ، فمتى قامت مرة حالة حصر ، فان الحصر يبتلع كل المشاعر الأخرى ، فكلما تقدم الكبت ، وكلما ازدادت هذه الأفكار المشحونة بالوجدانات ، والتي كانت شعورية ، انزلاقا في اللاشعور ، يكون بوسع جميع الوجدانات أن تتحول الى حصر .

وملاحظة هانز الفريدة : « لأنها ثابتة في مكانها » نتيح لنا بالرجوع الى جملة ماقاله على سبيل العزاء ، أن نحدث كثرة من الأشياء التي

لم يكن بوسعه أن يعبر عنها في كلمات ، بل التي لم يعبر عنها خلال هذا التحليل . وسوف أسد هذه الثغرة بعض الشيء ، استنادا إلى الخبرة التي حصلت عليها من تحليلي للراشدين ، ولكني أأمل أن لا يعتبر تأويلي هذا من قبيل الاتحام أو التعتسف . فإذا كان المدافع إلى هذه الفكرة : « لأنها ثابتة في مكانها » هو العزاء والتجدي ، فإننا نذكر ذلك التهديد الذي تلقاه هانز من أمه ، عندما قالت له أنها سوف تبعث في طلب من يقطع له « حمامته » ان هو استمر في العبث بها . وفي الوقت الذي وقع فيه هذا التهديد ، عندما كان هانز في الثالثة والنصف ، لم يتمخض التهديد عن شيء . فقد أجابها في هدوء أنه عندئذ سوف يطرطر « بمؤخرته » (ص ١٨٢) فإذا كان تهديد الخشاء يفعل فعله الآن بشكل آجل ، وإذا كان هانز الآن ، بعد عام وثلاثة أشهر فريسة الحصر من أن يفقد هذا الجزء الثمين من أنثاه ، فتلك ظاهرة نمطية بأكملها ماتكون النمطية . وفي حالات مرضية أخرى نستطيع أن نلاحظ مثل هذا التأثير الآجل لتهديدات وأوامر من عهد الطفولة ، حيث تمتد الفترة الزمنية الفاصلة عشرات من السنين أو أكثر ، بل أنني أعرف حالات كانت فيها « الطاعة الآجلة » بتأثير الكبت تضطلع بدور أساسي في تحديد أعراض المرض .

والتبصر الذي زود به هانز أخيرا ، من أن النساء ليس لهن حمامة ، لا يمكن إلا أن يكون قد زرع ثقته في نفسه وأيقظ عنده عقدة خصائه . لهذا السبب كان تمرده على هذا التبصير ، ولهذا ولهذا السبب لم يتمخض التبصير عن شيء . أمن الممكن أن توجد حقا في الواقع كائنات حية ليس لها حمامة ؟ لو كان الامن كذلك فلن يكون بعدد بعيد على التصديق أن يستطيعوا انتزاع حمامته ، وتحويله ان جاز القول إلى امرأة ! (١) .

(١) ليس لي أن أقطع هنا تتابع الوقائع لابين الطابع النمطي لهذه السلسلة من الأفكار اللاشعورية التي أعتقد أن ثمة ما يبرر هنا نسبتها إلى =

وخلال ليلة السابع والعشرين إلى الثامن والعشرين فجأنا هانز بخروجه من فراشه والظلام دامس وبقدومه إلى فراشنا • ثمّة غرفة صغيرة تفصل غرفته عن غرفتنا • سألتناه عن الشبب : ربما يكون قد شعر بالخوف • قال : « كلا ، سأخبركما غدا » ومضى ينام في فراشنا ، ثم حملناه بعد نك إلى فراشه •

وفي اليوم التالي قمت باستجوابه بشكل دقيق لاثبتين سبب قدومه إلينا أثناء الليل ، وبعد شيء من التردد جرى الحوار التالي الذي قمت على الفور بتدوينه بالاختزال :

هو — في الليل كانت في الغرفة زرافة كبيرة وزرافة مكموشة ، وكانت الزرافة الكبيرة تصيح لأننى أخذت منها الزرافة المكموشة • ثم توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح : وعندئذ جلست فوق الزرافة المكموشة •

أنا (متحيراً) — ماذا ؟ زرافة مكموشة ؟ كيف كان ذلك ؟

هو — نعم • (وبسرعة فتش عن قطعة ورق وكمشها وقال :) كانت مكموشة هكذا •

أنا — وأنت جلست فوق الزرافة المكموشة ؟ كيف ؟

هانز • أن عقدة الخصاء هي أعمق أصل لاشعورى للعداء ضد التنامية ، فحتى الحضانة يسمع الصبية الصغار أن هناك شيئاً مقطوعاً عند اليهودى من قضيبه — قطعة من القضيب كما تظنون — وذلك يخولهم الحق في احتقار اليهود • وليس هناك من أصل لاشعورى آخر أقوى من ذلك للاحساس بالتفوق على النساء • لقد عامل فاينجر (وهو الفيلسوف الشاب ، ذو المواهب الرفيعة وأن تكن جنسيته مختلفة ، والذي انتحر بعد أن فرغ من كتابه « الجنس والخلق ») ، في فصل حظى باهتمام شديد ، اليهود والنساء بنفس الكراهية ، وصب على الفريقين نفس اللعنات ، كان فاينجر كعصابى تحكمه عقدة الطفلية ، ومن وجهة النظر هذه يكون المشترك بين اليهود والنساء هو العلاقة التي تربطهم بعقدة الخصاء •

ومن جديد أوضح لى الأمر بأن جلس على الأرض •

« أنا — ولماذا جئت الى غرفتنا ،

هو — أنا لأعرف أنا نفسى •

أنا — هل كنت تشعر بالخوف ؟

هو — لا ، بالتأكيد لا • ،

أنا — هل كنت تحلم بالزرافة ؟

هو — أنا لم أحلم • أنا تخيلت ذلك • أنا تخيلت ذلك كله • كنت قد استيقظت قبل ذلك •

أنا — ماذا يمكن أن تعنى : زرافة مكموشة ؟ فأنت تعرف مع ذلك أنك لاتستطيع أن تكمش فى قبضة اليد، زرافة كما تفعل بقطعة من الورق •

هو — أنا أعرف ذلك بالطبع • ولكنى فقط تخيلتها • فليس لها بالطبع من وجود فى الواقع (١) • كانت الزرافة المكموشة راقدة تماما على الأرض ، وأنا أخذتها بعيدا — قبضت عليها بيدي •

أنا — ماذا ؟ أنتستطيع أن تقبض على زرافة كبيرة بهذا الشكل بيديك ؟

هو — قبضت على الزرافة المكموشة بيدي •

أنا — أين كانت الزرافة الكبيرة فى تلك الأثناء ؟

(١) بلغته الخاصة ، كان هانز يقول بشكل قاطع أن الامر كان أخيويلة •

هو — ان الزرافة الكبيرة وقفت ببساطة بعيدا •

أنا — وماذا فعلت بالزرافة المكموشة ؟

هو — أمسكت بها في يدي برهة ، الى أن توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح • وعندما توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح ، جلست فوق الزرافة المكموشة •

أنا — ولماذا كانت الزرافة الكبيرة تصيح ؟

هو — لأنني كنت قد أخذت منها الزرافة الصغيرة • (وتنبه الى أنني أدون كل شيء فسأل :) لماذا تدون ذلك ؟

أنا — لأنني سوف أبعث به الى أستاذ يستطيع أن يخلصك من الحماسة ، التي لديك •

هو — أوه ! وعلى ذلك فقد دونت أيضا أن ماما خلعت قميصها ، وسوف تبعث بذلك أيضا الى الأستاذ •

أنا — نعم • ولكنه لن يفهم كيف يمكنك أن تتخيل أن الزرافة يمكن كمشها •

هو — قل له ببساطة انني لأعرف أنا نفسي ، وعندئذ فلن يسأل • فاذا تساءل مع ذلك عن الزرافة المكموشة ماهي ، فبوسعه عندئذ أن يكتب لنا ، ونستطيع أن نرد عليه ، أو فلنكتب اليه الآن على الفور : بأنني لأعرف أنا نفسي •

أنا — ولكن لماذا جئت الينا أثناء الليل ؟

هو — أنا لا أعرف •

أنا — قل لي بسرعة في أى شيء تفكر •

هو (يمارتحا) — في شراب التوت •

أنا — وفي أى شيء آخر •

• رغبتان لديه •

هو — وفي بندقية لأقتل بها الناس (١)

أنا — هل أنت متأكد أنك لم تحلم بذلك ؟

هو — بالتأكيد لا • اننى متأكد تماما من ذلك • (واستطرد :)
• رجعتنى ماما طويلا أن أخبرها عن سبب مجيئى اليكما أثناء الليل •
• ولكنى لم أرغب فى أن أخبرها ، لأننى أولا شعرت بالخزى مع ماما •

أنا — لماذا ؟

هو — أنا لأعرف •

والواقع أن زوجتى استجوبته طوال الصباح حتى أخبرها بقصة
• الزراف

• وفى نفس ذلك اليوم اكتشف الأب حل أخيوالة الزراف •

الزرافة الكبيرة هى أنا نفسى ، أو بالحجرى قضيبى الكبير
(الرقبة الطويلة) ، والزرافة المكوشة هى زوجتى ، أو بالحجرى عضوها
• التناسلى • ومن هنا فالأخيوالة هى نتيجة التبصير الذى حصل عليه •

الزرافة : أرجع الى ألنزهة فى شونبرون • أضف الى ذلك أنه كانت
لديه صورة لزرافة وفيل معلقة فوق فراشه •

(١) عند هذه النقطة كان ابوه ، فى حيرته ، يحاول أن يمارس الفنيات
«الكلاسيكية للتليل النفسى • ذلك لم يتمخض عن شيء كثير ، ولكن النتائج
على نحو ماكان عليه ، يمكن أن نتبين دلالتة فى ضوء الكشوف اللاحقة •

والأمر كله هو استعادة. لمشهد كان يجري صباحاً تقريباً أثناء الأيام القليلة الأخيرة • هانز يأتي دائماً إلينا في الصباح الباكر ، وزوجتي لا تستطيع أن تقاوم أخذه معها لبضعة دقائق في فراشها • وعندئذ أبدأ دائماً في أن أحذرهما من أخذه معها في فراشها (« ان الزرافة الكبيرة كانت تصيح لأنني كنت قد أخذت منها الزرافة المكموشة • ») ، وتجيب زوجتي بين حين وآخر ، وهي أدنى إلى الاحتداد بأن هذا سخف ، وأن دقيقة واحدة لاخطر منها في نهاية الأمر ، وما إلى ذلك • وعندئذ يمكث هانز معها برهة قصيرة • (« ثم توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح ، وعندئذ جلست فوق الزرافة المكموشة • »)

وهكذا فان تفسير هذا المشهد الزواجي ، منقولا إلى حياة الزراف ، هي كما يلي : استبد به أثناء الليل حنين إلى أمه ، إلى تربيتها ، إلى عضوها التناسلي ، فحضر إلى غرفة نومها بسبب ذلك • والأمر كله استمرار لخوفه من الأمومة •

وليس لدى ماأضيفه إلى تفسير أبيه النفاذ غير هذا : ان « الجلوس فوق » ربما كان تصور هانز للامتلاك (١) • ولكن الأمر كله كان أخويله من التحدي تتعلق باغبطاه لانتصاره على مقاومة أبيه • « فلتمض في الصياح ماشئت ! فان ماما مع ذلك تأخذني في فراشها ، وماما ملكي أنا ! » ومن هنا يكون من المعقول أن يتجه ظننا ، كما اتجه ظن أبيه ، إلى أن الأخيولة يكن وراءها خوف من أن لاتحبه أمه ، لان حمايته لم تكن تضاهي حماة أبيه •

وفي الصباح التالي استطاع أبوه أن يحصل على ما يؤكد صحة تفسيره •

(١) قارن الاشتقاق في الكلمتين الالمانيتين hesitzen أن يمتلك sitzens أن يجلس ، أن الكلمة الالمانية للامتلاك Besitz تكشف عن ارتباطها من حيث الأصل الاشتقاقي بالعبارة التي استخدمها هانز الصغير : tich draufsetzen قارن في العربية بداية الملك بجلوس الملك على العرش ، وفي الرئيف الجلوس على الأرض امتلاكها

في يوم الأحد ، التاسع والعشرين من مارس ، ذهبت مع هانز الى لاينتس . وعند الباب استأذنت زوجتي في الانصراف مداعبا بهذه الكلمات : « الى اللقاء ، أيتها الزرافة الكبيرة ! » وتساءل هانز : « زرافة ! لماذا ؟ » فأجبت : « ماما هي الزرافة الكبيرة » ، وعندئذ أضاف هانز : « أوه حقا ! وانه هي الزرافة المكموثة ، أليست كذلك ؟ »

وفي القطار قمت بتفسير أخبولة الزراف لهانز ، وعندئذ قال : « نعم ، هذا صحيح . » وعندما قلت له ان الزرافة الكبيرة هي أنا نفسي ، وأن رقبتها الطويلة ذكرته بحمامة ، قال : ماما لها رقبة كالزرافة أيضا . فقد رأيت وهي تستحم رقبتها البيضاء (١) .»

وفي صباح يوم الاثنين ، الثلاثين من مارس ، جاعني هانز وقال : « هل تعرف ؟ لقد تخيلت أمرين هذا الصباح ! » « ماذا كان الأمر الأول ؟ » « كنت معك في شونبرون في منطقته الخرف ، وعندئذ تسللنا الى الداخل من تحت الحبال ، وبعدئذ أخبرنا بذلك رجل البوليس الذي يوجد عند نهاية الحديقة ، فقبض علينا ومضى بنا » ونسى هانز الأمر الثاني .

وانى أضيف الى ذلك الملاحظة التالية . عندما أردنا يوم الأحد التفرج على الخراف ، وجدنا تلك المنطقة من الحديقة مقفلة بالحبال . بحيث استحال علينا الوصول الى الخراف . وكان هانز شديد الدهشة جدا من أن المنطقة ليست مقفلة الا بحاجز من الحبال ، يسهل تماما التسلسل من تحته . فقلت له ان الناس المحترمين لا يتسللون من تحت الحبال . فقال أن التسلسل سهل تماما ، وكان ردى على ذلك أن رجل البوليس يمكن أن يمر وعندئذ يقبض على الشخص ويمضى به . وعند

(١) اقتصر هانز فقط على تأييد تفسير الزرافتين بوصفهما أباه وأمه ، دون تأييد الرمزية الجنسية ، التي يحسبها تمثل الزرافة نفسها القضيبي . وهذه الرمزية هي ولاشك صحيحة . ولكننا في الواقع ليس لنا أن نقتضى من هانز أكثر من ذلك .

مدخل شونبرون يقف رجل بوليس من الحرس ، وكنت قد أخبرت هانز مرة أن هذا الرجل يقبض على الاطفال الاشقياء .

وبعد أن عدنا من زيارتنا تلك ، وهى التى قمنا بها فى نفس ذلك اليوم ، اعترف هانز أيضا برغبة لدية فى عمل شىء ممنوع : « هل تعرف ؟ لقد تخيلت من جديد شيئا آخر هذا الصباح . » « ماهو ؟ » « ذهبت معك فى القطار ، وحطمتنا زجاج نافذة ، فقبض علينا رجل البوليس ومضى بنا . »

وها هو تواصل ، أعظم مايكون مساييرة لأخيولة الزراف ، كان عند هانز ظن بأن امتلاك المرء لأمه ممنوع ، فقد اصطدم بحاجز المحارم . ولكنه كان ينظر الى الامر بوصفه ممنوعا فى حد ذاته . ومن هنا كان أبوه معه دائما فى المغامرات الممنوعة التى يعيشها فى أخاييله ، وكان يقبض عليه معه . فقد كان أبوه فى تصوره يرتكب هو الآخر مع ماما ذلك الشىء الممنوع الغامض ، الذى أحل محله أفعال العنف ، من قبيل تحطيم زجاج نافذة أو شق الطريق عنوة داخل منطقة مغلقة .

فى عصر ذلك اليوم زارنى الأب وأبنه أثناء عملى بالعيادة . كنت أعرف من قبل هذا الفتى الصغير العجيب ، الذى كان رغم كل اعتراضه بنفسه لطيفا الى حد أننى كنت أسعد فى كل مرة برؤيته . لمست أدري ماأن يذكرنى ، ولكنه كان يسلك سلوكا لاغبار عليه . تماما كما يسلك عضو مكتمل العقل من أعضاء الجماعة البشرية . كانت الجلسة قصيرة . استهلها أبوه بأن قال أنه على الرغم من كل التبصيرات التى زودنا بها هانز ، فان خوفه من الأحصنة لم يتضاءل بعد . وكان علينا أيضا أن نعترف بأن العلاقات لم تكن الا جد ضئيلة بين الأحصنة التى يخافها ومشاعره العاطفية التى تكشفت تجاه أمه . وثمة تفاصيل معينة عرفتھا الآن — من أنه كان يتضايق بنوع خاص من هذا الذى تحمله الأحصنة حول عيونها ومن هذا الأسود حول أفواهما — لم يكن من الممكن بالتأكيد تفسيرها استنادا الى ماكتنا

نعرفه • ولكنى بينما كنت أنظر إليهما وهما يجلسان أمامى ، واستمع فى نفس الوقت الى وصف هانز لأحصنه حصره ، قفزت الى رأسى قطعة أخرى من الحل ، وهى قطعة استطيع جيدا أن أفهم كيف يمكن أن نقلت من أبيه • سألت هانز مداعبا ما أن كانت أحصنته تلبس نظارات ، وقد أجابنى على ذلك بأن لا • وعندئذ سألته ما أن كان أبوه يلبس نظارات ، وقد أجابنى على ذلك أيضا ، على الرغم من كل الواقع الساطع ، بأن لا • وأخيرا سألته ما أن كان « بالأسود حول الأفواه » يعنى شاربيا ، ثم أبنت له أنه يخاف من أبيه لأنه (أى هانز) على وجه الدقة جد مغرم بأمه • وأخبرته أنه لا بد وأن يكون قد تصور أن أباه غاضب منه لهذا السبب ، وبوسعه (أى هانز) دون أى خوف أن يفضى اليه بأى شئ ، ومضيت أقول أنه قبل أن يولد بوقت طويل ، كنت أعرف أن هانز صغيرا سوف يولد ، ويكون جد مغرم بأمه الى حد أنه يجد نفسه مرغما على أن يستشعر الخوف من أبيه بسبب هذا الغرام ، وقد أخبرت أباه بذلك • وعند هذه النقطة قاطعنى أبوه قائلا : « ولكن لماذا تتصور أننى غاضب منك ؟ هل حدث قط أننى وبختك أو ضربتك ؟ » فأجاب الصغير : « هذا الصباح • » ، وتذكر أبوه أن هانز كان قد نطحه برأسه فى بطنه على حين فجأة تماما الى حد أن الأب — فى صورة رد فعل — ضربه بيده • ومما تجدر الإشارة اليه أن الأب قد فاته أن يسجل هذه الواقعة ضمن الوحدة الكلية للعصاب ، ولكنه الآن قد تبينها بوصفها تعبيرا عن نزعة الصبى الصغير العدوانية تجاهه ، وربما بوصفها أيضا تعبيرا عن حاجته الى العقوبة على هذه العدوانية (١) •

وفى طريقنا الى البيت سأل هانز أباه : « هل يتحدث الأستاذ مع الله بحيث يستطيع أن يعرف كل هذا قبل وقوعه » ، وكنت أكون جد

(١) وفيما بعد كرر الصبى هذا السلوك تجاه أبيه ، وأن يكن فى صورة أوضح واكمل ، ذلك أنه كان يبدأ فيضرب أباه على يده ، ثم يقبل بعد ذلك فى حنان نفس هذه اليد

فخور بهذه الشهادة التي تجيء على لسان طفل ، لو لم يكن قد استثمرتها أنا نفسي بتفخري في دعاية •

ومنذ تاريخ هذه الزيارة كنت أتلقى في العادة تقارير يومية عن التغييرات التي تطرأ على حالة المريض الصغير • لم يكن لنا أن نتوقع أن يتخلص هانز من قلقه دفعة واحدة بفعل التبصيرات التي زودته بها ، ولكن غدا من الواضح أن الامكانية قد انفتحت أمامه الآن كيما يخرج الى النور نتاجاته اللاشعورية ، وكما يصفى الفوبيا التي لديه • ومنذ ذلك التاريخ وصاعدا مضى في برنامج أمكننى أن أفصح عنه مقدما لأبيه •

اليوم الثانى من ابريل • أول تحسن حقيقى يتم تسجيله بينما كان من غير الممكن من قبل حمله على أن يخرج من الباب الخارجى ويبقى أمامه لبعض الوقت ، وكان كلما اقتربت الأحصنة يجرى دائما عائدا الى داخل البيت ، وقد ارتسمت عليه كل علامات الرعب ، فانه فى هذه المرة بقى أمام الباب الخارجى مدة ساعة — حتى أثناء مرور العربات من أمامه ، الأمر الذى يحدث كثيرا فى شارعنا • وبين حين وحين كان يجرى الى داخل البيت عندما يرى عربة تقترب من بعيد ، ولكنه كان يدور فجأة على عقبه وكأنه قد عدل عن رأيه • ومهما يكن من أمر ، لم يعد هناك غير بقية حصر ، والتقدم الذى طرأ منذ التبصيرات يستحيل تجاهله •

وفى المساء قال هانز : « مادسنا نذهب الآن الى أمام الباب الخارجى ، فسوف نذهب أيضا الى شتادبارك »

وفى صباح اليوم الثالث من ابريل دخل الفراش معى ، بينما كان فى الأيام القليلة الماضية قد توقف عن ذلك ، قد كان يبدو عليه أنه فخور بعدم فعله ذلك • وسألته : « ولماذا جئت اليوم ؟ »

هانز — عندما يذهب غنى الخوف لن أجىء أبدا •

أنا — واذن فأنت تجيء الى الأتك خائف !

هانز — عندما لا أكون معك أكون خائفا ، وعندما لا أكون معك في الفراش فعندئذ أكون خائفا • وعندما يذهب عنى الخوف لن أجيء أبدا •

أنا — وعلى ذلك فأنت مغرم بى وتتسعر بالخوف حين تكون فى فراشك فى الصباح ! وهذا هو السبب فى أنك تجيء ألى ؟

هانز — نعم لماذا اذن قلت لى أنى مغرم بماما وأن هذا هو السبب فى خوفى ، بينما أنا مغرم بك ؟

هنا يكشف الصبى الصغير عن درجة من الوضوح غير مألوفة حقا • فهو يتيح لنا أن ننتبين كيف أن حبه لأبيه كان يتصارع مع كراهيته لأبيه كمنافس مقتدر فيما يتصل بالأم ، وكان يلوم أباه على أنه لم يتجه بانتباهه بعد الى صراع القوى هذا ، وهو الصراع الذى كان لابد وأن يتمخض عن حصر • لم يكن أبوه قد بلغ بعد الى أن يفهمه فهما تاما ، ذلك أنه أثناء هذا الحوار لم يبلغ الا الى أن يقنع نفسه بعدائية الصبى الصغير تجاهه ، وهى العدائية التى قمت بتأكيد وجودها أثناء زيارتهما لى والحوار التالى ، الذى أقدمه مع ذلك دون أى تغيير ، هو فى الواقع بالنسبة الى تقديم التبصر عند الأب ، أكثر أهمية منه بالنسبة الى المريض الصغير •

ومن سوء الحظ أننى لم انتبه فى التو لمغزى هذا اللوم • فمادام هانز جد مغرم بألمه فقد كان من الواضح أنه يريد أن يقصينى عن طريقه ، وبذلك يأخذ مكان أبيه • هذه الرغبة العدائية المكبوحة تتحول الى حصر على أبيه ، وهو يجيء الى فى الصباح ليزى ما أن كنت قد رحلت • ولكن من سوء الحظ أننى لم أفهم ذلك وقتها وقلت له :

أنا — عندما تكون وحيدا تقلق على وتجيء الى غرفتى •

هانز — عندما تكون غائبا فانى أخاف أن لاتعود الى البيت •

أنا — هل سبق لى قط أننى هددتك بأنى لن أعود الى البيت ؟

« — أنت لا ، بل ماما • فقد قالت لى ماما انها لن تعود الى البيت • (ربما بسبب شقاوته هددته بأن ترحل •)

« أنا — قالت ذلك بسبب ماكان من شقاوتك •

« هانز — نعم •

« أنا — وعلى ذلك فأنت خائف من أن أرحل بسبب ماكان من شقاوتك : وهذا هو السبب فى مجيئك الى غرفتى ،

« وعندما نهضت من المائدة بعد الافطار قال هانز : « بابا ، انتظر ، لاتقمص ، (١) مبتعدا عنى ! » وأدهشنى أن يقول تقمص بدلا من تجرى ، وأجبتة : « أوه ، واذن فأنت تخاف من الحصان عندما يقمص مبتعدا عنك • « فضحك على أثر ذلك • »

نحن نعلم أن هذا الجانب من القلق المرضى عند هانز ينطوى على عنصرين مكونين : فهناك خوفه من أبيه ، وخوفه على أبيه • الخوف الأول يرجع الى عدائيته تجاه أبيه ، والخوف الثانى يرجع الى الصراع بين حبه — الذى تعرض عند هذه النقطة للمعالجة من قبيل التعويض — وكراهيته •

واسترسل الأب : « تلك ولاشك بداية مرحلة هامة • فهو اذن يجترىء — فى أحسن الحالات — على الخروج من البيت دون أن يبتعد

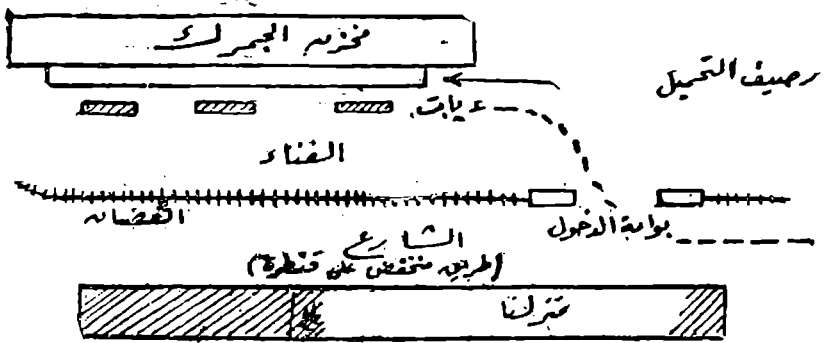
(١) القمص هو ما يخص جرى الخيل فى الانجليزية ، وفى الفرنسية ، (المترجمون) •

عنه ، وأنى أن يدور على عقبه من منتصف الطريق عندما ترحف عليه-
نوبه الحصر فدافعه الى ذلك كله هو خوفه من أن لا يجد ابويه في
البيت لانهما رجلا بعيدا • فهو يبقى لصيقا بابيت بسبب حبه لأمه ،
وهو يخاف من أن ارحل عن البيت بسبب النزعات العدوانية التي
يذكيها ضدى ، وذلك لانه بارتحالى يغدو هو الأب •

وأثناء الصيف اعتدت أن اتغيب بصفة مستمرة عن جمونـدن
مرتحلا الى قينا بسبب أعمالى ، وكان هانز عندئذ هو الأب • وأنت
تذكر أن خوفه من الأحصنة يرتبط بواقعة فى جموندن ، عندما كان
على حصان أن يحمل أمتعة ليتزى Lizzi الى المحطة • فالرغبة
المكبوتة فى أن أتحرك بالعربة الى المحطة ، كما يبقى منفردا بأمه
(هذه الرغبة فى أن « يتحرك الحصان ») قد تحولت الى خوف من
أن يتحرك الحصان ، والواقع أن ما من شئ يثير فيه الرعب أكثر من
أن تهتم بالتحرك عربة من فناء محطة الجمارك المركزية (التى تقع تماما
فى مواجهة منزلنا) وتبدأ الأحصنة فى التحرك •

هذه المرحلة الجديدة (مشاعر العدائية تجاه أبيه) ما كان من
الممكن أن تظهر إلا بعد أن عرف أننى لست بغاضب من كونه جد مغرم
بأمه •

وبعد الظهر خرجت معه من جديد أمام الباب الخارجى ، ومن
جديد خرج هانز امام البيت وبقي أمامه حين كانت العربات تمر من
أمامه • ولكنه بالنسبة الى عربات قليلة فحسب كان يخاف ، ويجرى
الى ردة المدخل • وقال لى أيضا من قبيل الايضاح : « ليست كل
الأحصنة البيضاء تعض • » ومعنى ذلك : أن بعض الأحصنة البيضاء
تكسفت ، بفضل التحليل ، على أنها « بابا » ، فلم تعد بعد تعض ،
ولكن ما يزال هناك بعض آخر باقيا يعض •



(شكل ٢)

« وخريطة الأماكن أمام الباب الخارجى هي كما يلي . في المواجهة مخزن الجمرات الذى يزودنا بالمواد الغذائية . وله رصيف للتحميل تتجه اليه العربات طوال النهار لتحمل صناديق وطرودا وما الى ذلك . وهذا الغناء تفصله عن الشارع قضبان ، أما بوابة الدخول الى هذا الغناء فتقع في مواجهة منزلنا (شكل ٢) . وقد لاحظت منذ بضعة أيام أن هاتر كان يرتعب بصفة خاصة لحظة دخول العربات الى الغناء أو خروجها منه ، وهو الأمر الذى كان يضطرها الى أن تدور . وسألته في ذلك الحين عن سبب ارتعابه الى هذا الحد فأجاب : « أخاف من أن تقع الأحصنة حين تدور العربة (ا) . » وهو يخاف أيضا حين تبدأ في التحرك العربات الواقفة أمام رصيف التحميل لتمضى راحلة (ب) . أضف الى ذلك (ج) انه يرتعب من الأحصنة الكبيرة الخاصة « بالكارو » أكثر مما يرتعب من الأحصنة الصغيرة ، ومن الأحصنة النفضة الخاصة بالمزارع . أكثر من الأحصنة الرشيقة (كهذه التى يجز الاثنان منها عربة الحنطور) . وهو أيضا يرتعب حين تمر العربة أمامه بسرعة (د) أكثر مما يرتعب حين تتهادى الأحصنة على مهل . هذه التمييزات لم تتضح بالطبع في جلاء الا خلال الأيام القليلة الأخيرة .

وأنى لأميل الى القول بأنه كان من نتيجة التحليل أن ليس المريض فقط بل وايضا فوبياه قد استجمعا الشجاعة واجتروا على التعبير بشكل أصرح .

« وفي اليوم الخامس من ابريل جاء هانز من جديد الى غرفة نومنا ، فأعدناه ثانية الى فراشة • قلت له : « طالما تجيء الى غرفتنا في الصباح فان خوفك من الأحصنة لن يتحسن • » ولكنه أجاب في لهجة من التحدى : «سوف أحضر مع ذلك لو كان لدى خوف» • وعلى ذلك فهو لايرضخ لمنعه من زيارة أمه •

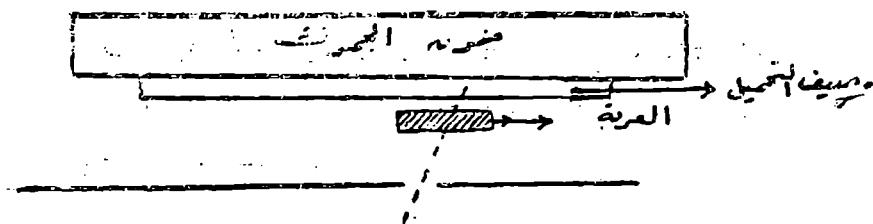
« وبعد الافطار هبطنا الدرج الى خارج البيت • وكان هانز جد مغتبط ، ورسم خطته بحيث أنه بدلا من أن يقف أمام الباب الخارجى كعادته ، يعبر الشارع ويدخل في الفناء ، حيث كثيرا ما رأى أطفال الشارع يلعبون • قلت له اننى أكون جد مسرور لو أنه عبر الشارع الى الفناء • وانتهزت الفرصة لأسأله عن السبب في ارتعابه الشديد عندما تبدأ في التحرك العربات المحملة من أمام رصيف التحميل (ب)

« هانز — انى أخاف ان كنت فوق العربة من أن تنطلق العربة بسرعة ، فأبقى فوقها وأنا أريد أن أنزل الى الرصيف (رصيف التحميل) ، فأمضى بذلك مع العربة •

« أنا — واذا كانت العربة تقف ساكنة ؟ ألا تكون خائفا عندئذ ؟ ولم لا ؟

« هانز — اذا كانت العربة تقف ساكنة فعندئذ أستطيع بسرعة الصعود فوقها وأقفز منها الى الرصيف •

« (ومن ثم فقد كانت خطة هانز أن يتسلق فوق عربة ، ومنها يقفز الى رصيف التحميل ، ويخاف من أن تمضى به العربة بعيدا وهو مايزال فوقها •)



الطريق الذي كان يتولى هانز في خطته أن يقبض

(شكل ٣)

« أنا — ربما تخاف من أن لا تعود ثانية الى البيت أبداً اذا مضت بك العربة بعيداً ؟

هانز — أوه كلا ! أننى استطيع دائماً أن اعود الى ماما بنشس العربة أو « بحنطور » • وأستطيع أيضاً أن اخبره برقم المنزل •

« أنا — فمن أى شيء اذن تخاف ؟

« هانز — أنا لأعرف • ولكن الأستاذ سوف يعرف هل تعتقد أنه سيعرف ؟

« أنا — فلماذا تريد اذن أن تنزل الى الرصيف ؟

« هانز — الأننى لم أذهب هنالك غط ، وبودى جدا أن اذهب الى هناك ، وهل تعرف لماذا أود أن اذهب الى هناك ؟ لأننى أود تحميل وتفريغ الطرود ، وأود أن أتسلق فوق الطرود هناك • أود جدا أتسلق فوق الطرود هناك ! هل تعرف من علمنى التسلق ؟ بعض الصبية كانوا يتسلقون فوق الطرود ، وبودى أيضاً أن أفعل ذلك •

« ولكن رغبته لم تتحقق • لان هانز عندما اجترأ من جديد أمام الباب الخارجى ، فان الخطوات القليلة التى خطاها عبر الشارع وفى

الغناء امتعت عنده مقاومات عاتية ، إذ كانت العربيات لا تنقطع عن
الدخول في الغناء والخروج منه . »

وكذلك ما يعرفه الأستاذ هو أن اللعبة التي كان في خطة هانز أن
يُعربها بالعربيات المحمّلة لأبد وأنها كانت بمثابة بديل زمني لرغبة
أخرى ، رغبة لم يتموه حتى الآن بكلمة عنها . ولكن — إذا لم يبد
الأمر اسرافاً في الاجترار — فإن هذه الرغبة يمكن بالفعل ، حتى في
هذه المرحلة ، تبينها .

وبعد الظهر خرجنا مرة أخرى من جديد أمام الباب الخارجى ،
وعندما عدنا سألت هانز : « من أى الأحصنة تخاف أشد الخوف ؟ »

« هانز — منها جميعاً . »

« أنا — هذا غير صحيح . »

« هانز — أخاف أشد الخوف من الأحصنة التي لها شيء على
أفواهاها . »

« أنا — ماذا تعنى ؟ أقطعة الحديد التي في أفواهاها ؟ »

« هانز — كلا . ان لها شيئاً أسود فوق أفواهاها . (وغطى فمه
بيده .) »

« أنا — ماذا ؟ ربما شارب ؟ »

« هانز (ضاحكاً) أوه كلا . »

« أنا — هل كل الأحصنة لها ذلك الشيء ؟ »

« هانز — كلا قليلاً منها فقط . »

« أنا — ماهذا الذى لها فوق أفواهاها ؟ »

« هانز — شيء أسود • (أعتقد في الواقع أنه لابد وأن يكون هذا الجزء السميك من الجلد الذي تحمله الأحصنة الكارو ، حول أفواهها • وأخاف أشد الخوف أيضا من عربات الأثاث •

« أنا — لماذا ؟

« هانز — عندما تجر أحصنة الأثاث •

عربة ثقيلة ، يخيل لى أنها يستمتع •

« أنا — وعلى ذلك فأنت لاتخاف من عربة صغيرة ؟

« هانز — كلا ، فأنا لأخاف من عربة صغيرة ، ولا من عربة

البريد ولكننى أخاف أشد الخوف حين تمر عربة أمنيوس •

« أنا — لماذا ؟ لأنها ضخمة جدا ؟

« هانز — كلا • لأن حصانا فى عربة أومنيوس وقع ذات مرة •

« أنا — متى ؟

« هانز — ذات مرة حين خرجت مع ماما على الرغم من « الحماسة»

التي عندى ، وذلك عندما اشتريت الصدرية (الجليليه) ، (تأكد ذلك فيما بعد من جانبي أمه)

« أنا — فى أى شيء فكرت عندما وقع الحصان ؟

« هانز — أن الأمر سيكون كذلك دائما • كل الأحصنة فى

الأومنيوسات سوف تقع •

« أنا — في كل الأومنيوسات ؟ »

« هانز — نعم • وفي عربات الاثاث أيضا • ولكن في عربات الاثاث كثيرا • »

« أنا — هل كانت لديك الحماسة بالفعل في ذلك الوقت ؟ »

« هانز — كلا • لقد أصبت بها عندئذ • فعندما وقع حصان الأومنيوس أحدث ذلك عندي رعبا شديدا حقا ! في تلك اللحظة أصبت بالحماسة • »

« أنا — ولكن الحماسة كانت أنك تخاف من أن حصانا سيعضك ، وتقول الآن أنك تخاف من أن حصانا سيقع • »

« هانز — يقم ويعض (١) • »

« أنا — لماذا أحدث ذلك عندك مثل هذا الرعب ؟ »

« هانز — لأن الحصان فعل هكذا بأقدامه • (رقد هانز على الأرض وأراني كيف كان الحصان يرفس بأقدامه •) لقد أحدث عندي رعبا لأنه أحدث صخبا شديدا بأقدامه • »

« أنا — أين ذهبت مع ماما في ذلك اليوم ؟ »

« هانز — أولا الى حلبة التزلق ، ثم الى المقهى ، ثم الى شراء الصدرية (الجليه) ، ثم الى بائع الفطائر ، ثم الى البيت في المساء • »

(١) كان هانز على حق ، مهما بدأ من عدم معقولية هذا التقريب بين الامرين • فسلسلة أفكاره ، كما سنرى ، كانت أن الحصان (أباه) سوف يعضه بسبب رغبته (أي هانز) في أن الحصان (أباه) يقم •

وقد عدنا عبر اشتادبارك • (كل ذلك أكدته زوجتي ، كما أكدت أيضا)
• أن الحصر تفجر على الفور بعد ذلك)

« أنا — هل مات الحصان عندما وقع ؟

« هانز — نعم !

« أنا — وكيف عرفت ذلك ؟

هانز — لأنني رأيته (وضحك) كلا لم يمت يحال •
« أنا — ربما تخيلت أنه قد مات ؟

« هانز — كلا ، أبدا بالتأكيد • لقد قلت ذلك فقط كدعاية •

« هانز — كلا ، أبدا بالتأكيد • لقد قلت ذلك فقط كدعاية •

(وكانت تعبيرات وجهه في تلك اللحظة مع ذلك جادة •)

« وحيث أنه كان متعبا فقد تركته يذهب • وكل ماقاله لي
بالإضافة الى ذلك أنه كان في البداية يخاف من أحصنة الأومنيبوسات ،
ثم من جميع الأحصنة ، وأخيرا فقط من أحصنة عربات الأثاث •

« وفي طريق عودتنا من لاينتس كانت بضعة أسئلة أخرى :

« أنا — عندما وقع حصان الأومنيبوس ماذا كان لونه ؟ أبيض ،
أحمر ، بنيا ، رماديا ؟

« هانز — أسود • كلا الحصانين كان أسود •

« أنا — هل كان ضخما أم ضئيلا ؟

« هانز — ضخما •

« أنا — ممتلئا أو نحيفا ؟ »

« هانز — ممتلئا ضخما جدا وممتلئا جدا »

« أنا — وعندما وقع الحصان هل فكرت في بابا ؟ »

« هانز — ربما • نعم ، هذا ممكن • »

ربما كانت استقصاءات أبيه قد جانبها التوفيق في كثير من النقاط، ولكن ليس هناك من ضرر في التعرف عن كثب على فوبيا من هذا القبيل — وهي التي قد تنزع الي تسميتها بحسب موضوعاتها الجديدة • فبهذه الطريقة يمكننا أن نتبين مدى ماهى عليه من انتشار في الواقع • فهي تنصب على أحصنة وعلى عربات ، وعلى كون الأحصنة تقع وعلى كون الأحصنة تعض ، وعلى أحصنة من طراز خاص ، وعلى عربات محملة تحميلا ثقيلا وبوسعنا على الفور أن نوضح أن كل هذه الخصائص ترجع الي أن الحصر في أصلة ليست له أية صلة بالأحصنة ، بل أنه انزاح اليها بشكل ثانوى ، وأصبح الآن مثبتا على هذه العناصر من « الحصان — كموقف — كلي » ، وهي العناصر التي تكشفت جد ملائمة لتحويلات بعينها ، ويتحتم علينا أن نشئ بصفة خاصة على نتيجة من اهم نتائج هذه الدراسة للصبى من جانب أبيه • فلقد تبينا السبب المباشر الذى تنجرت الفوبيا في اثره • كان ذلك عندما رأى الصبى حصانا كبيرا ثقيلا يقع وواحد على الأقل من التفسيرات لهذا الانطباع القوى هو ، هذا الذى أبرزه الأب ، من أن هانز قد استشعر عندئذ الرغبة في أن أباه يقع بنفس هذه الطريقة — ويموت • وتعبيرات وجهة الجادة وهو يسرد هذه الحكاية كانت ترجع ولاشك الى هذه الدلالة اللاشعورية • ولكن أليس من الممكن مع ذلك أن تكون هناك دلالة أخرى خبيثة وراء هذا كله ؟ وماذا يمكن أن تكون دلالة احداث الصخب الشديد بالأرجل ؟

« كان هانز منذ فترة يلعب لعبة الأحصنة في الغرفة ، فهو يجرى

قفزا ويقع • ويرفس بقدميه ، ويصهل • وذات مرة علق في رأسه
كيسا صغيرا بوصفه مخللة : وكان في مناسبات عديدة يجرى نحوى
ويعضى • »

بهذه الطريقة كان يعبر عن تقبله للتفسيرات الأخيرة بصورة أكثر
قطع. مما كان يستطيعه بالكلمات ، مع قلب للدوار بالطبع ، إذ كانت
اللعبة في خدمة رغبة أخيلية • وهكذا كان هانز هو الحصان ، وكان
يعض أباه ، وبهذه الطريقة كان يتوحد بأبيه •

« لاحظت في اليومين الأخيرين أن هانز كان يتحداني بشكل أشد
ما يكون جسما ، لا في قحة ، ولكن في أسلوب من الدعاية • أكان سببه
ذلك أنه لم يعد يخافنى — أنا الحصان ؟

« اليوم السادس من ابريل • بعد الظهر خرجت مع هانز أمام
البيت ولما مر حصان كنت أسأله ما ان كان يرى « هذا الشيء الأسود
حول فمه » ، وكان في كل مرة يجيب « لا » • سألته ماذا كان يشبه
في الواقع ذلك الشيء الأسود ، قال حديدا أسود • وعليه لم يتأيد
تصوري السابق من أنه كان يعنى قطع الجلد السمكية التي هي جزء
من طاقم أحصنة الكارو » • وسألته ما ان كان هذا « الأسود » يذكره
بشارب : فقال « فقط من حيث لونه • وعلى ذلك فأنا لا أعرف بعد
ما هو في الواقع هذا الشيء •

« تناقض الخوف ، ففي هذه المرة اجترأ على الابتعاد حتى باب
البيت المجاور ، ولكنه قفل راجعا بسرعة عندما سمع صوت حوافر
الأحصنة من بعيد • وعندما اقتربت عربة من بابنا وتوقفت ، ارتعب
وجرى الى داخل البيت ، لأن الحصان بدأ يضرب الأرض بحافره •
سألته لماذا هو خائف ، وما ان كان عصيبا لأن الحصان قد فعل
هكذا (وضربت الأرض بقدمى) • قال : « لا تفعل مثل هذا الصخب
الشديد بقدميك ! » قارن ملاحظته على الحصان الامنيوس حين
وقع •

« وقد ارتعب بصفة خاصة من عربة أثاث وهي تمر • فعندئذ جرى مباشرة الى البيت • سألته في غير مبالاه : « ألا تبدو عربة الأثاث في الواقع شبيهة بالامنيوس ؟ » لم يقل شيئا • وكررت السؤال ، وعندئذ قال : « بالتأكيد ! والا لما كنت أخاف الى هذا الحد من عربة الأثاث • »

اليوم السابع من ابريل • سألت اليوم من جديد ماذا يشبهه « هذا الشيء الأسود حول أفواه الاحصنة » قال هانز : « يشبه الكمامة » • وأغرب ما في الأمر أن ما من حصان واحد مر منذ ثلاثة أيام وعليه هذه « الكمامة » ، حتى يكون بوسع هانز أن يشير اليها وانا نفسى لم أر حصانا من هذا القبيل في تجولاتى ، وعلى الرغم من أن هانز يؤكد وجود مثل هذه الاحصنة • وأعتقد أن بعض أنواع الجمرة الاحصنة — وربما الجزء السميك من الجلد حول أفواهما — قد ذكرته بالفعل بشارب ، وأننى بعد ما المحت الى ذلك تلاشى ذلك الخوف هو الآخر •

« تحسن هانز مستمر • ودائرة نشاطه ، اذا اعتبرنا باب البيت مركزها ، تتسع يوما بعد يوم • بل أنه أنجز هذا العمل البطولى الذى كان حتى ذلك الوقت مستحيلا عليه ، ألا وهو عبور الشارع الى الرصيف المقابل وكل ما تبقى من خوف انما يرتبط بمشهد الاومنيوس ، هذا الذى لم تتضح عندى دلالاته بعد •

« اليوم التاسع من ابريل • فى هذا الصباح جاءنى هانز وأنا أغتسل ونصفى الأعلى عار حتى الوسط •

« هانز — بابا ، كم أنت جميل ! كم أنت أبيض !

« أنا — نعم • كحصان أبيض •

« هانز — الشيء الأسود الوحيد هو شاربك • (واستمر) أو ربما الكمامة السوداء •

« قلت له عندئذ اننى ذهبت فى مساء البارحة لرؤية الأستاذ ،
وقلت : « هناك شىء واحد يريد أن يعرفه • » قال هانز : « انى
شغوف بمعرفة ذلك • »

« قلت لهانز اننى أعرف تلك المناسبات التى كان فيها يحدث
صخبا شديدة شديدا بقدميه بقدميه فقاطعنى قائلا : « آه نعم ! حين أكون
غاضبا ، أو عندما يكون على أن أعمل لومف (١) بينما أريد بالحصى
أن ألعب • » (كان من عادته حقا أن يحدث صخبا شديدا بقدميه ،
بمعنى أن يضرب الأرض بقدميه عندما يكون غاضبا ويعمل
لومف « معناه يتبرز • فعندما كان هانز صغيرا قال ذات يوم ، وهو
ينهض من فوق وعاء — البراز : « أنظر اللومف Lumpf » وكان
يعنى « الجورب Strumpt » • كان يعنى الجورب بالنظر الى شكل
البراز ولونه • وهذه التسمية ظلت باقية الى اليوم • — وعندما كان
هانز جد صغير ، ويتحتم عليه أن يوضع على وعاء — البراز ، بينما
يرفض أن يترك اللعب ، كان من عادته أن يضرب الأرض بقدميه فى
صورة الغضب ، ويرفس فى كل اتجاه ، بل ويلقى بنفسه على الأرض) •

« أنا — وانت ترفس بقدميك فى كل اتجاه أيضا حين يتحتم
عليك أن تطرطر بينما لاتريد أن تذهب ، اذ كنت تفضل بالحصى أن
تستمر فى اللعب •

« هانز — أوه • ينبغى أن أطرطر • (وخرج من الغرفة — وكان
ذلك من قبيل التوكيد ولاشك •)

كان أبوه قد سالنى خلال زيارته لى عما يمكن أن يكون هذا الذى
تذكره هانز حين رأى الحصان يقع ويرفس بأقدامه فى كل اتجاه •
وأشرت الى أن ذلك يمكن أن يكون استجابته الخاصة حين كان يحتجز
بوله • وهاهو هانز يؤكد ذلك الآن عن طريق الظهور من جديد — أثناء

(١) Lumpf كلمة خاصة بهانز للدلالة على برازه — هامش الترجمة
الفرنسية •

الحوار — لرغبته في التبول ، كما أضاف بعض الدلالات الأخرى لعملية أحداث الصخب الشديد بالقدمين •

« وبعد ذلك خرجنا أمام الباب الخارجى • وعندما مرت عربة فحم قال لى : « بابا ، اننى أخاف خوفا شديدا من عربات الفحم أيضا » •

« أنا — ربما لأنها كبيرة في حجم الأومنيوسات أيضا •

« هانز — نعم • ولأنها محملة تحميلا ثقيلًا الى هذا الحد ، وعلى الأحصنة أن تجر هذا الحمل الثقيل ويمكن أن تقع بسهولة • حين تكون العربة فارغة فأنى لا أخاف منها (وتلك حقيقة) سبق أن اشرت اليها والعربات الثقيلة وحدها هى التى تلقى به في حالة من الحصر • (

ومع ذلك فقد، كان الموقف بشكل قاطع غامضا • كان التحليل قليل التقدم ، واخشى أن القارىء لن يلبث حتى يجد هذا الوصف مضجرا • ومع ذلك فكل تحليل ينطوى على فترات مظلمة من هذا القبيل • ولكن هانز كان الآن على وشك أن يتأدى بنا الى منطقة غير متوقعة

« عدت الى البيت وكنت أتحدث مع زوجتى ، التى كانت قد أشرت أشياء مختلفة وكانت ترينا اياها • وكان من بين هذه الأشياء « كيلوت » نسائى أصفر • قال هانز متعجبا : « اخ ! » مرتين أو ثلاثا ، وألقى بنفسه على الأرض ، وبصق • وقالت زوجتى انه كان قد فعل ذلك من قبل ، مرتين أو ثلاثا ، عند رؤية الكيلوت • سألته : « لماذا تقول اخ ؟ »

« هانز — بسبب الكيلوت

« أنا — لماذا ؟ أيسبب لونه ؟ لأنه أصفر ، ويذكرك « باللومف »
أو بالبول ؟

« هانز — اللومف ليس أصفر • أنه أبيض أو أسود • (وبعد ذلك مباشرة : « قل لى ، هل يكون من السهل عمل « لومف » اذا كنت تأكل جبنا ؟ (كنت قد قلت له ذلك مرة ، حين سألتنى لماذا آكل جبنا •)

« أنا — نعم •

« هانز — هذا هو السبب فى أنك تذهب دائما منذ الصباح وتعمل لومف ؟ انى أحب كثيرا أن آكل جبنا مع خبزى المدهون بالزبد •

« وكان قد سألتنى بالأمس وهو يقفز من حولى فى الشارع : « قل لى ، حين يقفز المرء هكذا يكون من السهل عليه أن يعمل لومف ، « أليس كذلك ؟ » كان هانز يعانى صعوبة فى التبرز منذ البداية وكثيرا ماكانت المليينات والحقن الشرجية امرا ضروريا • وفى وقت مابلغ أمساكه المعتاد من الشدة بحيث استدعت زوجتى الدكتور ل — كان من رآية أن هانز يعانى من زيادة التغذية ، وكان ذلك فى الواقع صحيحا ، فنصح له بتغذية أكثر اعتدالا — واختفت الظاهرة على الفور • • وفى الفترة الأخيرة عاد الامساك الى الظهور بشكل أكثر توترا •

وبعد الغذاء قلت له : « سنكتب من جديد للأستاذ • فألمى على « عندما رأيت الكيلوت الأصفر قلت اخ ! ذلك يجعلنى أبصق ! والقيت بنفسى على الأرض واغمضت عيني ولم انظر • «

« أنا — لماذا ؟

« هانز — لأنى رأيت الكيلوت الأصفر ؟ وقد فعلت نفس الشيء

مع الكيلوت الأسود أيضا (١) • والكيلوت الأسود هو من نفس النوع،
ولكنه فقط أسود • (ثم قاطع نفسه قائلا :) هل تعرف انى مسرور •
انى دائما جد مسرور عندما أستطيع الكتابة الى الأستاذ •

أنا — « — لماذا قلت اخ ؟ هل كنت مسمئرا ؟

هانز — نعم ، لأنى رأيت ذلك • تصورت أنه كان يتحتم على أن
أعمل لومف •

« أنا — لماذا ؟ •

هانز — لا أدرى •

أنا — متى رأيت الكيلوت الأسود ؟

هانز — ذات يوم ، بينما كانت أنا (خادمتنا) لفترة طويلة هنا
مع ماما ، أحضرتة الى البيت بعد أن اشترته مباشرة • (هذه الحقيقة
أكدتها زوجتى) •

أنا — هل أثار ذلك اسمئزازك أيضا ؟

هانز — نعم •

أنا — هل رأيت ماما فى كيلوت كهذا ؟

هانز — كلا •

(١) منذ أسابيع قليلة ائقنتت زوجتى بئطولونا أسود لئلبسه فى نزهاتها
على الدراجة •

هانز - عندما اشترت الكيلوت الأصفر كنت قد رأيتته مرة قبل ذلك • (هذا متناقض • فقد رأى الكيلوت الأصفر لأول مرة عندما اشترته أمه) وقد لبست الكيلوت الأسود اليوم أيضا (وهذا صحيح) لأنى رأيتها تخلعه فى الصباح •

أنا - ماذا ؟ هل خلعت الكيلوت الأسود فى الصباح ؟

هانز - فى الصباح عندما خرجت خلعت الكيلوت الأسود • وعندما رجعت الى البيت لبست الكيلوت الأسود من جديد •

سألت زوجتى عن ذلك ، اذ بدا لى هذا الامر غير معقول • فقالت ان ذلك غير صحيح بالمره • فىمى بالطبع لم تبدل كيلوتها عندما خرجت •

وعلى الفور سألت هانز عن ذلك : « قلت لى أن ماما لبست كيلوت أسود ، وأنها عندما خرجت خلعتة ، وأنها عندما عادت الى البيت لبسته من جديد • ولكن ماما تقول أن هذا غير صحيح • »

« هانز - اعتقد اننى ربما أكون قد نسيت ، وأنها لم تخلع الكيلوت (بنفاذ صبر) أوه ! دعنى وشأنى • »

لدى هنا بضعة تعليقات على مسألة الكيلوت • كان من الواضح أنه مجرد نفاق من جانب هانز أن يدعى أنه جد مسرور أن أتيت له الفرصة ليقدم ايضاها عن المسألة • وقد ألقى فى النهاية بالقناع جانبا فكان فظا مع أبيه • كان الأمر يتعلق بأشياء زودته يوما بقدر كبير من اللذة ، ولكنه الآن ، وقد أسنقر لديه الكبت ، غدا شديد الخزى منها • ويعترف أنه مسمئز منها : وقد أدلى ببعض الأكاذيب الصريحة كيما يموه على الظروف التى رأى فيها أمه تبدل كيلوتها • والواقع أن خلع

كيلوتها ولبسه ينتميان إلى سياق « اللومف » • وكان أبوه على وعي تام
بالأمر كله ، وبما كان هانز يحاول أن يخفيه •

وسألت زوجتي ما أن كان هانز يصحبها في أغلب الأحيان عندما
تذهب إلى المرحاض • قالت : « نعم ، في أغلب الأحيان • فهو لا يفتأ
بضايقتي حتى أسمح له ذلك هو حال كل الأطفال » •

ومع ذلك : فمما ينبغي أن نتذكره بعناية هو هذه الرغبة ، التي
كبتها هانز بالفعل في أن يرى أمه تعمل « لومف » •

خرجنا أمام البيت • وكان هانز جد مرح ، وكان يطفر من حولي
طول الوقت كالحصان • وعلى ذلك قلت له : « والآن من منا • حصان
الأومنيبوس ؟ أنا أم أنت أم ماما » •

هانز (دون تردد) — أنا هو • أنا حصان صغير •

وخلال الفترة التي كان الحصر فيها عنده في الذروة ، وكان
يرتعب عندما يرى الأحصنة وهي تطفر ، سألتني لماذا تفعل ذلك ، وكيفا
أطمئنه قلت له : « تلك هي أحصنة صغيرة كما ترى ، وهي تطفر هنا
وهناك كالصبية الصغار • وأنت تطفر هنا وهناك أنت الآخر ، وأنت
صبي صغير » • ومنذ ذلك الحين كان كلما رأى أحصنة تطفر قال :
هذا صحيح ، فتلك أحصنة صغيرة ! » •

وبينما كنا نصعد الدرج سألته دون تفكير تقريبا : « هل كان من
عادتك أن تلعب لعبة الأحصنة مع الاطفال في جموندن ؟ »

هانز — نعم • (وهو يفكر) أعتقد أن هذا هو الذي أصابني
بالحماسة •

أنا — من كان الحصان ؟

هانز — كنت أنا ، وكانت برتا هي الحوذي :

أنا — هل وقعت أية مناسبة عندما كنت حصانا ؟

هانز — كلا • عندما كانت برتا تقول « شى » كنت أجرى

سريعا جدا ، كنت أجرى بأقصى سرعته (١) •

أنا — ألم تلعب قط لعبة الأومنيوس ؟

هانز — كلا • كنا نلعب العربات العادية ، ولعبة الأحصنة

بغير عربات ، فعندما تكون للحصان عربة فانه يستطيع أيضا أن

يمضى بغير عربة ، وتبقى العربة في البيت •

أنا — هل كان من عادتك كثيرا أن تلعب لعبة الأحصنة ؟

هانز — كثيرا جدا • ذات مرة كان فرتنزل (٢) هو الحصان

وفرانزل الحوذي ، وجرى فريتنزل سريعا جدا ، وفجأة ارتطمت

قدمه بحجر وأخذت تنزف •

أنا — ربما يكون قد وقع ؟

هانز — كلا • فقد وضع قدمه في الماء ثم لفها بضمادة (٣) •

أنا — هل كثيرا ما كنت الحصان ؟

هانز — أوه ، نعم •

(١) كان عند هانز لعبة هي طاتم حصان بأجراس •

(٢) هو ، كما نعلم ، أحد أطفال صاحب الفندق •

(٣) أنظر فيما بعد • كان أبوه على حق تماما حين ظن أن فريتنزل قد

وقع عندئذ •

ء أنا — وكان هذا هو السبب في اصابتك بالحماقة ؟

ء هانز — لأنهم ظلوا يقولون لى طول الوقت : « بسبب الحصان »
« بسبب الحصان » (وكان يضغط على كلمة « بسبب ») ، وعلى
ذلك فربما أكون قد أصبت بالحماقة لانهم تكلموا هكذا : بسبب
الحصان « (١) » .

ولقد تابع أبو هانز لبعض الوقت استقصاءاته في دروب أخرى دون
طائل .

ء أنا — هل قالوا لك أى شىء عن الاحصنة ؟

ء هانز — نعم .

ء أنا — ماذا ؟

ء هانز — لقد نسيت .

ء أنا — ربما حدثوك عن حمامتها :

ء هانز — أوه ، كلا .

(١) ينبغي ان أوضح أن هانز لم يكن يقصد انه أصيب بالحماقة في ذلك الوقت ، بل أن ذلك له علاقة بالحماقة . ولا بد في الواقع من أن الامر كان كذلك ، فالاعتبارات النظرية تقضى بأن ما هو اليوم موضوع فوبيا لا بد وأنه كان يوما في الماضى مصدر لسذة هائلة . وبوسعى في نفس الوقت أن أكمل ما عجز الصبى عن الافصاح عنه ، فاضيف أن كلمة *wegen* (= بسبب) كانت الأداة التى مكنت الفوبيا من أن تمتد من الاحصنة الى *wegen* (= العربات) ، أو كما اعتاد هانز أن ينطق الكلمة ويسمها تنطق (فكلمة *wagen* (بسبب) تنطق تماما مثل *wegen* (عربات) . ولا ينبغي أن ننسى قط أن الاطفال ينفثون الى الكلمات بصورة أكثر عناية بالقياس الى الكبار ، وهن ثم فان التشابه الصوتى بين الكلمات ينطوى بالنسبة اليهم على أهمية أكثر بكثير .

، أنا — هل كنت تخاف بالفعل من الإحصنة في ذلك الوقت ؟

، هانز — أوه ، كلا . لم أكن أخافها على الإطلاق .

، أنا — ربما قالت لك برتا ان الإحصنة .

، هانز (مقاطعا) — تطرطر ؟ كلا .

في اليوم العاشر من ابريل استأنفت حوارنا الذي كان بالأمس ، وحاولت أن أستكشف ماذا يعنى قوله « بسبب الحصان » . لم يستطع هانز أن يتذكر . كل ما كان يعرفه أن بعض الاطفال وقفوا خارج الباب الامامي ذات صباح وقالوا : « بسبب الحصان ، بسبب الحصان ! » كان هناك بنفسه . وحين ضيقت عليه الخناق أعلن أنهم لم يقولوا على الإطلاق : « بسبب الحصان » ، ولكن الذاكرة خائفة .

أنا — ولكنك كثيرا ما كنت مع الآخرين في الاسطبل . وبكل تأكيد لابد وأنكم تكلمتم عن الأحصنة . — لم نتكلم . — عن أى شيء تكلمتم ؟ — لا شيء — كل هذا العدد من الاطفال ولا نتكلمون عن شيء ؟ — تكلمنا عن شيء ولكن لم نتكلم عن الأحصنة . — حسنا ، ماذا كان ؟ — لم أعد أذكر شيئا .

، تركت الامر بالنظر الى ما كان واضحا من أن المقاومات بالغة الشدة (١) ، ومضيت الى السؤال التالي : « هل كنت تحب اللعب مع برتا ؟ »

هانز — نعم ، كثيرا جدا ، ولكن ليس مع أولجا . هل تعرف ما فعلته أولجا ؟ أعطتني جريتا مرة كرة من الورق هناك في جموندين ،

(١) في واقع الامر لم يكن هنالك من شيء ، يمكن استخلاصه من ذلك القول أكثر من تداعيات هانز اللفظية ، وهو الامر الذى غاب عن أبيه . ذلك مثال طيب للظروف التى فى ظلها تضيع جهود المحلل .

فمزقتها أولجا اربا • وبرتا ما كان يمكن أبدا أن تمزق كرتي • كنت أحب كثيرا جدا أن ألعب مع برتا •

، أنا — هل رأيت حمامة برتا ؟ ما شكلها ؟

، هانز — كلا • لكنى رأيت حمامة الأحصنة ، إلبى كنت دائما في الاسطبل ، وهكذا رأيت حمامة الاحصنة •

، أنا — ومن ثم كنت شغوفا وكنت ترغب في أن تعرف حمامة برتا وحمامة ماما ما شكلها ؟

، هانز — نعم •

ذكرته كيف شكالى مرة من أن الفتيات الصغيريات كن يرغبن دائما في النظر اليه وهو يطرطر •

، هانز — كانت برتا هى الأخرى تنظر الى • (قال ذلك فى رضى بالغ ، بعيدا كل البعد عن الضيق) ، وكثيراً جدا ما فعلت ذلك • فقد كان من عادتي أن أطرطر فى الحديقة الصغيرة حيث كان الفجل ، وكانت هى تقف خارج الباب الامامى وتتنظر الى •

، أنا — وحين كانت تطرطر هل كنت تنظر اليها ؟

، هانز — كان من عادتها أن تذهب الى المراض •

، أنا — وكنت تريد أن ترى ؟

، هانز — كنت أكون داخل المراض عندما تكون هى فيه •

، (تلك حقيقة أخبرنا بها الخدم ذات مرة ، وأذكر أننا نهينا هانز عن فعل ذلك) •

، أنا — هل كنت تخبرها أنك ترغب الدخول ؟

، هانز — كنت أدخل بنفسى ، ولان برتا كانت تسمح لى ، ليس فى هذا ما يدعو الى أى خزي •

، أنا — وهل كنت ترغب فى أن ترى حمامتها ؟

، هانز — نعم ، ولكنى لم أرها •

، وعندئذ ذكرته بحلمه عن لعبة الرهان ، وهو
الحلم الذى رآه فى جموندن وقتلته :

« عندما كنت فى جموندن هل كنت ترغب من برتا فى أن تجعلك
تطرط ؟ » •

، هانز — لم أقل لها ذلك قط ؟

، أنا — لماذا لم تقل لها ذلك ؟

، هانز — لأننى لم أفكر فى الأمر • (ومقاطعا نفسه) لو أننى كتبت
كل شيء للأستاذ ، تنتهى الحماسة التى عندى على الفور ، أليس كذلك ؟

، أنا — لماذا كنت تريد من برتا أن تجعلك تطرط ؟

، هانز — لأدري • لأنها كانت تنتظر الى •

، أنا — هل فكرت فى نفسك أنها ينبغى أن تضع يدها على حمامتك ؟

، « هانز — نعم • (ثم غير الموضوع) فى جموندن كان الأمر مسليا
جدا • فى الحديقة الصغيرة ، حيث الفجل ، كانت هناك كومة صغيرة من
من الرمل ، وكان من عادتى أن ألعب هناك بمجرافى •

، « تلك هي الحديقة التي كان من عادته أن يطرطر فيها • »

، « أنا — هل كنت تضع يدك على حمامتك في جموندن وأنت في الفرائس ؟

، هانز — لا • لم أكن قد بدأت في ذلك ، كنت أنام نوما عميقا في جموندن بحيث لم أفكر قط في ذلك • فقد فعلت ذلك فقط في شارع (١) — وهنا •

، أنا — ولكن برتا لم تضع يدها قط عند حمامتك ؟

، هانز — كلا ، لم تفعل ذلك قط • لأنني لم اطلب اليها ذلك قط ؟

، أنا — حسنا ، ومتى رغبت في ان تفعل لك ذلك ؟

، هانز — اوه ، مرة في جموندن •

، أنا — مرة فقط ؟

، هانز — حسنا ، بين حين وحين •

، أنا — أكان من عادتها ان تنظر اليك دائما وأنت تطرطر ؟ ربما كانت تريد أن ترى كيف تطرطر ؟

، هانز — ربما كانت تريد ان ترى حمامتي ماشكلها ؟

، أنا — ولكنك انت ايضا كنت تريد ان ترى • برتا فقط ؟

، هانز — برتا واولجا •

، أنا — ومن ايضا ؟

(١) المسكن الذي كانوا يقضون فيه قبل انتقالهم •

، هانز — لا احد آخر •

، أنا — انت تعرف ان هذا غير صحيح • فماما ايضا •

، هانز — نعم ، ماما ايضا •

، أنا — ولكنك الآن لم تعد تريد أن ترى • فأنت تعرف شكل حمامة
هذه ، أليس كذلك ؟

، هانز — ولكنها مع ذلك سوف تكبر ، أليس كذلك ؟ (١)

، أنا — نعم بالطبع • ولكن حمامتها عندما تكبر فلن يكون شكلها
شكل حمامتك •

، هانز — أنا أعرف ذلك • سوف تكون كما هي (أي كما هي الآن) ،
فقط أكبر •

، أنا — عندما كنا في جموندين ، هل كنت تريد أن ترى حينما كانت
ماما تخلع ملابسها ؟

، هانز — نعم • وفي ذلك الحين عندما كانت هنة تأخذ حمامها رأيت
حمامتها •

، أنا — وحمامة ماما أيضا ؟

، هانز — كلا •

، أنا — أشعرت بأشمئزاز عندما رأيت كيلوت ماما ؟

، هانز — فقط حين رأيت الكيلوت الأسود — عندما اشتترته — عندئذ
بصقت • ولكنى لأبصق عندما تلبس الكيلوت أو تخلعه • انى أبصق

(١) يرغب هانز في أن يطمئن أن حمامته هو سوف تكبر •

لأن الكيلوت أسود • هو أسود مثل اللومف • والكيلوت الأصفر مثل
الطرطرة (البول) ، وعندئذ اتصور ان على أن اطرطر •

أنا — وعندما تخلع ملابسها ؟

هانز — انى لأبصق عندئذ أيضا • ولكن عندما يكون كيلوتها جديدا
يكون شكاه مثل اللومف • وعندما يصبح قديما يبهت لونه ويتسخ •
عندما تشتريه يكون نظيفا تماما ، ولكنه في البيت يتسخ • عندما تشتريه
يكون جديدا ، وعندما لا تشتريه يكون قديما •

، أنا — وعلى ذلك فأنت لا تشمئز من الكيلوت القديم ؟

، هانز — عندما يكون قديما أكثر سوادا بكثير من اللومف ، اليس
كذلك ؟ أنه يكون أكثر سوادا بعض الشيء (١) •

، أنا — هل كثيرا ما كنت مع ماما في المرحاض ؟

، هانز — كثيرا جدا •

، أنا — وهل شعرت باشمئزاز ؟

، هانز — نعم ... لا •

، أنا — هل تحب ان تكون هناك عندما تطرطر ماما أو تعمل لومف ؟

، هانز — نعم ، احب جدا •

، أنا — لماذا تحب ذلك كثيرا جدا ؟

، هانز — لأأدرى •

(١) رجلنا الصغير يتصارع هنا مع موضوع ليس في مقدوره أن يعبر
عنه في وضوح ، بحيث يعسر علينا فهمه • فربما كان يعنى أن الكيلوت
لا يثير عنده شعور اشمئزاز الا اذا رآه منفصلا ، فما أن ترتديه أمه حتى
يتوقف عن أن يرتبط عنده باللومف أو الطرطرة (البول) ، ولكنه عندئذ يثير
اهتمامه من زوايا أخرى •

، أنا — لأنك تتصور انك سترى حمامتها ؟

، هانز — نعم ، انى اتصور ذلك •

، أنا — ولكن لماذا لم تكن تريد قط أن تذهب الى المرحاض فى لاينتس •

، (كان فى لاينتس يرجونى دائما أن لا اذهب به الى المرحاض ، فقد

أرتعب مرة من التصيب الذى يحدثه التدفق المفاجئ للماء) •

، هانز — ربما لأن ذلك يحدث صخبا شديدا عند شد السيوفون •

، أنا — وعندئذ تخاف •

، هانز — نعم •

، أنا — وماذا عن مرحاضنا هنا ؟

، هانز — هنا لا اخاف • فى لاينتس ينتابنى الرعب عندما نشد

السيوفون • وعندما أكون فى المرحاض ويتدفق الماء بشدة فعندئذ ينتابنى

الرعب أيضا •

، وكيفا يرينى أنه لا يرتعب هنا فى مسكننا ، جعلنى أذهب الى المرحاض

واشد السلسلة التى تسبب تدفق الماء • وعندئذ اخذ يوضح لى :

هانز — يحدث فى البداية صخب عنيف ، ثم بعد ذلك صخب هين •

(ذلك عندما مايتدفق الماء) وعندما ما يحدث صخب عنيف فانى أفضل

أن أبتى فى الداخل ، وعندما يحدث الصخب الهين أفضل بالحرى أن

أخرج •

، أنا — لأنك خائف ؟

، هانز — لأنه عندما يكون هناك صخب شديدا فانى دائما أحب جدا

أن أراه — (ثم يصحح نفسه) ان اسمعه ، ومن هنا افضل ان ابقى فى

الداخل حتى اسمعه جيدا •

، أنا — ما الذى يذكرك به الصخب الشديد ؟

، هانز — ان على ان اعمل لومف فى المرحاض •

، (اذن نفس الشئ الذى يذكر به الكيلوت الأسود •)

، أنا — لماذا ؟

، هانز — لأدرى • ان الصخب الشديد يدوى كما لو كنت تعمل لومف • فالصخب الكبير يذكرنى باللومف ، والصخب الصغير يذكرنى بالطرطرة (البول) • (قارن الكيلوت الأسود والكيلوت الأصفر)

، أنا — قل لى ، ألم يكن حصان الأومنيبوس فى نفس لون اللومف ؟
(فبحسب روايته كان أسود اللون) •

، هانز (جد مندهش) — نعم •

يتحتم على عند هذه النقطة أن أقحم بضع كلمات • كان أبو هانز يسأل أسئلة كثيرة أكثر مما ينبغى ، ويدفع استقصاءه فى خط يتبع أفكاراً قبلية لديه ، بدلاً من أن يدع الصبى الصغير يعبر عن أفكاره الخاصة • ولهذا السبب بدأ يغلب على التحليل الغموض والتشكك • وكان هانز يمضى فى طريقة الخاص ، فلا يقدم شيئاً متى كانت هناك محاولات لجره بعيداً عنه • فاهتمامه فى الوقت الراهن يتركز بكل وضوح فى اللومف والطرطرة (التبول) ، ولا نستطيع أن نعرف لماذا • ومسألة الصخب الشديد هى فى ضالة حظها من الوضوح كمسألة الكيلوت الأسود والكيلوت الأصفر • وانى اعتقد أن ارهاف السمع عند الصبى قد مكنه من أن يتبين بوضوح الاختلاف بين الصخب الشديد الذى يحدثه الرجل وهو يتبول والصخب الهين الذى تحدثه المرأة • فالتحليل ، بطريقة اصطناعية واکراهية بعض الشئ ، قد أرغم المعطيات التى قدمها هانز على التبين عن الاختلاف ما بين الحاجتين الطبيعيتين • ولا يسعنى الا أن أنصح قرأئى؛

الذين لم يمارسوا التحليل حتى الآن ، أن لا يحاولوا فهم كل شيء دفعة واحدة ، بل أن يوجهوا نوعا من الانتباه الحيادي لكل نقطة تبرز ، وان ينتظروا ماسوف يأتي بعد ذلك •

* * *

، اليوم الحادى عشر من ابريل • فى الصباح جاء هانز مرة أخرى الى غرفتنا ، وبعثنا به الى غرفته ، على نحو ماكننا نفعل دائما فى الأيام القليلة الماضية •

وفىما بعد بدأ يتحدث : « بابا ، لقد تخيلت شيئا : كنت فى البانيو(١) ، وعندئذ جاء السمكرى وفكه (٢) ، ثم أمسك بمثقاب كبير وعرزه فى بطنى »

هذه الأخيولة ترجمها أب هانز كما يلى

، كنت فى الفراش مع ماما • وعندئذ جاء بابا وطرمنى بعيدا •
• وبفضييه الكبير دفعنى بعيدا عن مكانى بجوار ماما •

نعلق فى الوقت الحاضر حكمنا على ذلك •

ومضى هانز يسرد فكرة ثانية تخيلها : « كنا فى القطار مسافرين الى جموندى وفى المحطة أخذنا فى ارتداء ملابسنا ، ولكننا لم نستطيع أن نفرغ من ذلك فى الوقت الملائم ، فأخذنا القطار ومضى بنا » •

، وفىما بعد سألته : « هل رأيت قط حصانا يعمل لومف ؟ »

، هانز — نعم ، كثيرا جدا •

• (١) أم هانز هى التى تعطيه حمامه

• (٢) ليحمله معه بغية اصلاحه

« أنا — هل يحدث صخبا شديدا وهو يغمل لومف ؟

، هانز — نعم .

، أنا — بمذا يذكرك هذا الصخب الشديد ؟

، هانز — باللومف حين يسقط في وعاء التبرز .

، ان حسان الأومنييوس الذى يقع ويحدث صخبا شديدا بأقدامه هو بالتأكيد لومف يسقط فيحدث صخبا . فخوفه من التبرز ، وخوفه من العريات المحملة تحميلا ثقيلًا ، يكافىء خوفه من بطن محملة تحميلا ثقيلًا .

، بهذا الطريق المتف بدأ يتراءى لأبى هانز الوضع الحقيقى للامور

* * *

، اليوم الحادى عشر من ابريل . آثناء الغداء قال هانز . « لو كان عندنا فقط بانيو فى جموندن ، بحيث ماكان يكون على أن أذهب الى الحمامات العمومية ! » الواقع أننا فى جموندن كنا نذهب به دائما الى الحمامات العمومية المجاورة ، لياخذ حمامه الساخن — وهو اجراء كان من عادته أن يحتج عليه بدموع ساخنة : وفى فينا أيضا يصرخ دائما اذا ما جعلناه يجلس أو يتمدد فى البانيو الكبير . فهو لياخذ حمامه الا وهو راكع أو واقف .

لقد بدأ هانز الآن يغذى التحليل باداءاته التلقائية . فهذه الملحوظة التى أدلى بها تقييم الصلة مابين أخيوولتية الأخيرتين — أخيوولة السمكرى الذى فك البانيو وأخيوولة الرحلة الفاشلة الى جموندن . كان أبوه على صواب حين استخلص من الأخيوولة الأخيرة أن هانز لديه شىء من النفور من جموندن . وهذه مناسبة أخرى جد ملائمة تذكرنا بهذه الحقيقة :

أن ما ينبثق من اللاشعور ينبغى فهمه ، لافى ضوء ما يسبقه ، بل فى ضوء ما يتبعه •

، سألته ما أن كان خائفا ، وان كان كذلك فمن أى شىء •

، هانز — من أن أسقط فى البانيو •

، أنا — ولكن لماذا لم تكن قط خائفا عندما كنت تأخذ حمامك فى البانيو الصغير ؟ •

، هانز — لأبى كنت أجلس فيه ، ولاستطيع أن أتمدد ، • فقد كان لا يتسع لذلك •

، أنا — وحين كنت تتركب القارب فى جموندن ، ألم تكن تخاف من أن تقع فى الماء ؟

، هانز — كلا ، لأبى كنت ثابتا ، ومن ثم لم يكن من الممكن أن أقع •
فى البانيو الكبير وحده يكون خوفا من أن أقع •

، أنا — ولكن ماما هى التى تعطيك حمامك فيه • فهل أنت تخاف من أن تتركك ماما تقع فى الماء ؟

، هانز — أخاف من أن ترخى يدها ففتقع رأسى فى الماء •

، أنا — ولكنك تعرف أن ماما تحبك جدا ، ولا يمكن أن تتركك تقع •

، هانز — أنا فقط تخيلت ذلك •

، أنا — لماذا ؟

، هانز — لأدرى على الاطلاق •

، أنا — ربما لأنك كنت « شقيا » ، فتصورت أنها لم تعد تحبك ؟

، هانز — نعم •

، أنا — حينما كنت تشهد ماما وهي تعطي هنة حمامها ، ربما تكون

قد رغبت في ان ماما ترخى يديها بحيث تقع هنة في الماء ؟

، هانز — نعم • ،

ولايسعنا الا أن نعترف أن أبا هانز قد أصاب هنا تماما في حدسه •

* * *

، اليوم الثاني عشر من ابريل • بينما كنا عائدين من لاينتس في عربة من عربات الدرجة الثانية ، التفت هانز الى الجلد الأسود الذي يكسو المقاعد وقال : « أخ ! هذا يجعلني أبصق ! الكيلوات سوداء والأحصنة السوداء تجعلني أبصق أيضا ! لأنه يكون على أن أعمل لومف » •

، أنا — ربما أنك رأيت عند ماما شيئا أسود فارتعبت منه ؟

، هانز — نعم •

، أنا — حسنا ماذا كان ؟

، هانز — لاأدرى — بلوزة سوداء ، أو جورب أسود •

، أنا — ربما كان شعرا أسود عند حمامتها ، عندما كنت تريد أن

تعرف ونظرت •

، هانز (مدافعا عن نفسه) — ولكنني لم أر حمامتها •

، وفي مرة أخرى ارتعب من جديد وهو يرى عربة تنطلق خارجة من

بوابة الفناء المواجهة لبينتنا • فسألته : « أليست البوابة على شكل

مؤخرة ؟ » •

، هانز — والأحصنة هي اللومف ! •

، ومنذ ذلك الوقت كان كلما رأى عربة تتطلق خارجة يقول :

، أنظر ، ها هو لومفى ، يخرج ! » ونطق الكلمة على هذا النحو
« لومفى » هو جديد، بالنسبة إليه تمامًا ، فله زنين كلمة تدليل • فأختى
بالنسب دائما تنادى طفلها « فومفى » Wumfy

• وفى اليوم الثالث عشر من شهر أبريل رأى قطعة كبد فى الحساء
فصاح متعجبا : « اخ ! لومف ! » كذلك فان كذبة اللحمه يأكلها على مضض
ظاهر هي الأخرى ، لأن شكلها ولونها يذكره باللومف •

، وفى المساء أخبرتنى زوجتى بأن هانز كان فى الشرفة وأنه قال :
« تخيلت فى نفسى أن هنه كانت فى الشرفة ووقعت منها » •

، كنت قد قلت له مرة أو مرتين أن ينتبه حتى لا تقترب منه كثيرا من
أعمدة السور عندما تكون فى الشرفة ، لأن السور كان غير عملى على
الاطلاق فى تصميمه (على يد أحد الحرفيين من أتباع المذهب الانفصالى
فى الفن) • كان يشتمل على فتحات كبيرة بحيث تحتم على أن أغلقها
بشمعة من الشمع • كانت رغبة هانز المكبوتة جدا شفافة • سألته أمه ما أن
لأ تكون هنه معنا ، فأجاب : « نعم » •

• عشر من أبريل • • موضوع هنه فى المقام الأول •
فكما نذكر من ساريرى الباكرا ، كان هانز يشعر بنفور شديد من الوليدة
الجديدة التى سلبتة جانبا من حب أبويه له • وهذه الكراهية لم تختفي •

بعد كلية ، ولكنها تعرضت جزئياً لتعويض زائد في حب مسرف (١) . كان قد عبر من قبل مرارا عن رغبته في أن طائر اللقلق لا ينبغي أن يأتي بأى مزيد من الاطفال ، وفي أننا ينبغي أن ندفع له نقودا حتى لا يحضر أى أطفال آخرين من الصندوق الكبير حيث يوجد الأطفال . (قارن خوفه من عربات الأثاث . ألا يبدو الاومنيبوس في شكل صندوق كبير ؟) . وهو يقول أن هنه تصرخ كثيرا جدا وأن هذا يضايقه .

، وذات مرة قال على حين فجأة : « هل تستطيع أن تتذكر متى جاءت منه ؟ كانت ترقد الى جوار ماما في الفراش ، غاية في اللطف والهدوء . (كان مديحه هذا يقطر زيفا !) .

، ونحن تحت . أمام البيت ، يمكننا أن نتبين تقديما كبيرا . فحتى عربات الكارو تثير عنده خوفا أقل . صاح مرة ، وهو أدنى ما يكون الى الفرح : « ها هو حصان يأتى بشيء أسود على فمه ! » وأخيرا كان بوسعى أن أتبين أنه كان حصانا بكمامة من الجند . ولكن ما زال لم يكن بحال خائفا من هذا الحصان .

، وذات مرة ضرب الرصيف بعصاه وقال : « قل لى ، هل يوجد رجل تحت ، هنا ؟ — واحد مدفون ؟ — أو أن هذا فقط في المدافن ؟ » وعلى ذلك فقد كان هانز مشغولا ليس فقط بلغز الحياة بل أيضا بلغز الموت .

، وعندما دخلنا الى البيت من جديد ، رأيت صندوقا في الردهة الأمامية ، وقال هانز : « هنه سافرت معنا الى جموندن في صندوق كهذا في كل مرة سافرنا الى جموندن سافرت معنا في الصندوق . ألا تصدقنى بعد ؟ هذا صحيح يابابا . صدقنى كان معنا صندوق كبير ، وكان مليئا بالأطفال ، كانوا يجلسون في البانيو الصغير » . (كان هناك بانيو صغير

(١) موضوع « هنه » أتى مباشرة في أعقاب موضوع « اللومف » ، وتفسير ذلك في نهاية الامر يبدأ يلوح لنا : فهنه كانت هي نفسها لومفا — والاطفال كانوا لومفا .

داخل الصندوق) • « وضعتهم أنا في داخله • حقا وصدقا • انى أتذكر ذلك جيدا (١) » •

، أنا — ما الذى تتذكره ؟ •

، هانز — ان هنه سافرت في الصندوق ، لأتنى لم أنسى ذلك •
وشرفى ا •

، أنا — ولكن في العام الماضى سافرت هنه معنا في عربة القطار •

، هانز — ولكن قبل ذلك كانت دائما تسافر معنا في الصندوق •

، أنا — ألم تكن ماما هى التى عندها الصندوق ؟ •

، هانز — نعم كان عند ماما •

، أنا — أين ؟ •

، هانز — في البيت ، في مخزن السطح •

، أنا — ربما كانت تحمله معها ؟ (٢) •

(١) كان هانز في تلك اللحظة ينسج أخبولة ونحن نرى أن الصندوق والبانير لهما نفس المعنى بالنسبة اليه ، فكلاهما يمثل المكان الذى يوجد فيه الاطفال • وينبغى أن ننتبه جيدا الى توكيدات هانز المتكررة في هذا الموضوع •

(٢) الصندوق بالطبع هو الرحم — كان ابو هانز يحاول أن يجعله يتبين أنه يفهم ذلك • ويصدق ذلك على التواييت حيث كان الكثيرون من أبطال الاساطير يعرضون منذ الملك ساحون الاجادى •

(ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) قارن دراسة رأنك : « اسطورة مولد

البطل » ١٩٠٩

Der Natus von der Geburt der Helden. Eny. Trau. The Myth of the Birth of the Hero. New York 1952.

، هانز — كلا ! وعندما تسافر الى جموندين في المرة التالية ، فسوف
تسافر هنه في الصندوق من جديد •

، أنا فكيف خرجت من الصندوق اذن ؟

، هانز — جرى اخراجها •

، أنا — على يد ماما ؟ •

، هانز — ماما وأنا • ثم ركبتا العربية • وركبت هنه على الحصان ،
وقال الحوذى : « شى ! • كان الحوذى يجلس في المقدمة • هل كنت هناك
أنت أيضا ؟ ماما تعرف كل شىء عن ذلك • ماما لاتعرف ، فقد نسيت كل
شىء عن ذلك الآن ، ولكن لاتخبرها بشىء ! •

، جعلته يكرر كل ذلك •

، هانز — وعندئذ خرجت هنه •

، أنا — ولكنها لم تكن تستطيع حينذاك المشى على الاطلاق •

، هانز — حسنا ، حملناها وأنزلناها •

، أنا — ولكن كيف استطاعت أن تجلس على الحصان ؟ انها لم تكن
تستطيع الجلوس على الاطلاق في العام الماضى ! •

، هانز — أوه ، نعم ! لقد كانت تجلس جيذا ، وصاحت : « شى ! » ،
وضربت بسوطها — « شى ! شى ! » — وهو السوط الذى كان لى عادة •
ثم يكن للحصان ركاب ، ولكن هنه ركبته مع ذلك • اننى لأمزح ، أنت
تعرف يابابا •

ماذا يمكن أن تكون دلالة هذا التشبث العنيد من جانب انصبي بكل هذا الهراء؟ أوه، كلا! لم يكن هذا هراء • كان محاكاة تستهدف السخرية، كان انتقام هانز من أبيه • كان ذلك وكأنه يقول: لو أنك توقعت منى حقاً أن أصدق أن طائر اللقلق قد أحضره في أكتوبر، بعدما كان من رؤيتي — وكنا مانزال في الصيف، أثناء وجودنا في جموندن — كيف • كانت بطن ماما كبيرة فعندئذ أتوقع منك أن تصدق أكاذيبي • فماذا يمكن أن تكون دلالة توكيده بأن هنه، في الصيف الماضي، قد سافرت معهم إلى جموندن في الصندوق، اللهم إلا أنه كان على معرفة بأن أمه حبلى؟ وكان هانز يتوقع أن تحدد هذه الرحلة في الصندوق، في كل عام من الأعوام التالية، فتلك واقعة تترجم عن طريقة مألوفة تبرز بها إلى الشعور أفكار لاشعورية من الماضي، أو ربما ترجع هذه الواقعة إلى أسباب خاصة، وتعبر عن خوف هانز من أن يرى تجدد مثل هذا الحمل في أجازة الصيف القادم • أضف إلى ذلك، أننا نتبين الآن طبيعة هذه الظروف الخاصة التي أفسدت عليه حبه الذهاب إلى جموندن، على نحو ما تكشف عن ذلك أخيلوته الثانية •

، وفيما بعد سألته كيف حدث أن أتت هنه — بعد ميلادها — إلى فراش أمه •

مكن ذلك هانز من أن ينطلق — مستمتعا من كل قلبه — في السخرية من أبيه •

، هانز — أنت هنه ببساطة • وضعتها مدام كراوس (القابلة) في الفراش • لم تكن تستطيع أن تمشى بالطبع • ولكن طائر اللقلق حملها في منقاره • لم تكن تستطيع أن تمشى بالطبع • (وأسترسل دون توقف) صعد طائر اللقلق الدرج حتى السطح، ثم طرق الباب، وكان الكلب نياما، وكان لديه المفتاح الصحيح، ففتح الباب، ووضع هنه في فراشك أنت (١)، وكانت ماما نائمة — كلا، فقد وضعها طائر اللقلق في فراشها

(١) ذلك من قبيل السخرية بالطبع • تماما كمطلبه اللاحق بأن لاينكشف شيء من هذا السر لأمه •

هى • كان ذلك فى منتصف الليل ، وعندئذ وضعها طائر اللقلق فى الفراش بكل هدوء ، لم يحدث أى صوت بقدميه ، وبعدئذ أخذ قبعته وانصرف • كلالم تكن لديه قبعة •

، أنا — من أخذ قبعته ؟ ربما الطبيب ؟

، هانز — وبعد ذلك انصرف طائر اللقلق ، رجع الى بيته ، ثم دق جرس الباب • فتوقف كل من البيت عن النوم • ولكن لاتخبر بذلك ماما أوتينى (الطاهية) • ذلك سر •

، أنا — هل تحب هنه ؟

، هانز — أوه ، نعم • أحبها جدا •

، أنا — هل كنت تفضل أن هنه تكون على قيد الحياة ؟ أو تكون ؟ •

، هانز — كنت أفضل بالحرى أن لا تكون على قيد الحياة •

، أنا — لماذا ؟

، هانز — على الأقل ماكانت تصرخ هكذا ، وأنا لاأستطيع أن أتحمل صراخها •

، أنا — لماذا ؟ أنت نفسك تصرخ •

، هانز — ولكن هنه تصرخ أيضا •

، أنا — لماذا لاأستطيع أن نتحمل صراخها ؟ •

، هانز — لأنها تصرخ عاليا جدا •

، أنا — ولكنها لاتصرخ أبدا •

، هانز — عندما نضربها ، بام بام ، على مؤخرتها العارية عندئذ
• تصرخ •

، أنا — هل حدث قط أنك ضربتها ، بام بام ، ؟ •

، هانز — عندما تضربها • ماما ، بام بام ، على مؤخرتها ، عندئذ
• تصرخ •

، أنا — وهذا يضايقك ؟ •

، هانز — كلا • • لماذا ؟ فقط لأنها تحدث صخباً شديداً بصرخاتها •

، أنا — مادمت تفضل أنها لاتكون على قيد الحياة ، فمعنى ذلك أنك
لاتحبها على الاطلاق •

، هانز (موافقا) — هيم ! حسنا •

، أنا — ذلك هو السبب في أنك تخبئت ، عندما كانت ماما تعطى منه
حمامها ، لو أنها أرخت يدها وتركتها • وعندئذ تقع منه في الماء •

، هانز (مكملا عبارتي) — • • ، وتموت •

، أنا — وعندئذ تنفرد وحدك بماما • والولد الطيب لاينبغي أن
يتمنى مثل هذا الشيء •

هانز — ولكنه يستطيع أن يتخيل ذلك •

، أنا — ولكن ذلك ليس شيئاً طيباً •

« هانزا — لو تخيل ذلك فهذا أمر طيب مع ذلك ، بحيث يمكن أن
تكتب به للأستاذ (١) . »

« وفيما بعد قلت له : « هل تعرف ، عندما تكبر هنة ، وتستطيع أن
تتكلم ، فسوف تحبها أكثر . »

« هانزا — أوه ، كلا : فأنت أحبها بالفعل . ففى الخريف عندما تكبر
سوف أذهب معها الى شتادبارك بمفردنا فقط ، وأشرح لها كل شيء . »

وبينما كنت أقدم اليه مزيدا من التبصيرات ، قاطعنى ، ربما بغرض
أن يوضح لى أن الأمر لم يكن من جانبه سيئا الى هذا الحد ، أن يتمنى
موت هنة .

« هانزا — أنت تعرف مع ذلك أنها كانت على قيد الحياة منذ زمن
طويل قبل أن تأتى هنا . فعندما كانت مع طائر اللقلق كانت على قيد
الحياة أيضا . »

« أنا — كلا . ربما لم تكن فى نهاية الأمر عند طائر اللقلق . »

« هانزا — فمن الذى أتى بها اذن ؟ ان طائر اللقلق أتى بها . »

« أنا — من أين أتى بها اذن ؟ »

« هانزا — أوه ، من عنده . »

« أنا — أين كان يحتفظ بها اذن ؟ »

« هانزا — فى الصندوق . فى صندوق طائر اللقلق . »

(١) أحسنت أيها الصغير هانزا ، ليس لى أن أمل من أى راشد فى فهم
أفضل من ذلك للتحليل النفسى .

، أنا — حسنا ، ولكن هذا الصندوق ماشكله ؟

، هانز — أحمر • مدهون أحمر • (ديم ؟)

، أنا — من أخبرك بذلك ؟

، هانز — ماما • • تخيلت ذلك في نفسي • • • ذلك في الكتاب •

، أنا — في أى كتاب ؟

، هانز — في كتاب الصور • (جعلته يحضر كتاب الصور الأول الذى عنده • وكانت فيه صورة عش طائر اللقلق ، مع طيور لقلق على مدخنة حمراء • كان ذلك هو الصندوق • ومن الغريب انه كانت هناك على نفس الصفحة أيضا صورة حصان يجرى تركيب حدوة له (١) • قاييم هانز بازاحة الأطفال الى الصندوق ، لأنه لم يرههم في العش •)

، أنا — وماذا صنع طائر اللقلق بهنه ؟

، هانز — عندئذ أتى بها طائر اللقلق الى هنا • في منقاره • أنت تعرف طائر اللقلق في شونبرون ، الذى عض المظلة • (ذكرى واقعة في شونبرون) •

، أنا — هل تعرف كيف أتى طائر اللقلق بهنه ؟

، هانز — أنت تعرف أنني كنت ماأزال نائما • ان طائر اللقلق لايستطيع أبدا أن يأتى بيبت صغيرة أو بصبي صغير في الصباح •

(١) في استباق لما سوف يأتى ، تجدر الاشارة الى أن beschlagen الكلمة الالمانية (يجرى تركيب حدوه له) لاتختلف الا في حرف واحد عن beschlagen

الكلمة الالمانية (يجرى ضربه) - هامش الترجمتين الانجليزية والفرنسية •

، أنا — لماذا ؟

هانز — انه لا يستطيع ، أن طائر الملقق لا يستطيع أن يفعل ذلك .
هل تعرف لماذا ؟ حتى لا يبراه الناس . وعندئذ ، فجأة في الصباح ، نجد
بنتا صغيرة عندنا (١) .

، أنا — ولكنك مع ذلك كنت شديد الرغبة في ذلك الوقت في أن تعرف
كيف فعل طائر الملقق ذلك ؟

، هانز — أوه ، نعم .

، أنا — كيف كان شكله عندما أتت ؟

، هانز (في نفاق) بيضاء جدا ولطيفة . غاية في الجمال .

، أنا — ولكنك عندما رأيتها أول مرة لم تعجبك .

، هانز — أوه ، أعجبتني ، كثيرا جدا .

، أنا — ولكنك أندهشت من أنها كانت صغيرة جدا .

، هانز — نعم .

، أنا — كانت صغيرة مثل ماذا ؟

، هانز — مثل فرخ طائر الملقق .

(١) ليس ثمه ما يدعو الى التوقف لتفحص لامنتظية هانز . ففي حوار
السابق برز من عنده عدم تصديقه لحكاية طائر الملقق وذلك بمناسبة
ما استشعره من ضيق بأبيه لاسرافه في الالغاز . ولكن هانز قد
استعاد الان هدوءه ، فراح يجيب على أسئلة أبيه بالتصورات الشكلية ،
حيث ابتدع تفسيرات يتغلب بها على الصعوبات الكثيرة التي تنطوى عليها
حكاية الملقق .

، أنا — ومثل ماذا أيضا ؟ ربما مثل لومف ؟

، هانز — أوه ، كلا . اللومف أكبر بكثير في الحقيقة أصغر قليلا

من هنة .

كنت قد تنبأت لأبيه بأنه من الممكن ارجاع فوبيا هانز الى أفكار ورغبات تتصل بمولد شقيقته الصغيرة . ولكن كان قد فاتني أن أنبهه الى أنه ، بحسب النظرية الجنسية عند الأطفال ، يكون الطفل الوليد هو « لومف » ، بحيث يتحتم على الطريق الذى يتبعه هانز أن يمضى عبر العقدة الاخرافية . ولقد كان بسبب هذا الأهمال من جابى أن تقدم التحليل قد أعتراه الغموض بشكل مؤقت . أما الآن ، وقد اتضح الأمر ، فقد حاول الأب مرة ثانية تفحص هانز حول هذه النقطة الهامة .

، وفي اليوم التالى جعلت هانز يكرر ماقاله لى فى اليوم السابق . قال : « سافرت هنة الى جموندن فى الصندوق الكبير ، وسافرت ماما فى عربة القطار ، وسافرت هنة فى قطار البضاعة مع الصندوق ، ثم عندما وصلنا الى جموندن قمت مع ماما بحمل هنة خارج الصندوق ، ووضعناها على الحصان . كان الحوذى يجلس فى المقدمة ، وكان مع هنة السوط القديم » (السوط الذى كان لديه فى العام الماضى) « وضرت به الحصان وراحت تصيح شئ ! ، وكان ذلك مسليا جدا ، وكان الحوذى أيضا يضرب بالسوط : — أن الحوذى لم يضرب أبدا بالسوط ، لأن السوط كان مع هنة . كان الحوذى يمسك باللجام — وكانت هنة تمسك باللجام أيضا . » (فى كل مرة كنا نستقل عربة من المحطة الى البيت . وهانز هنا يحاول أن يصلح بين الواقع والأخيولة .) « وفى جموندن حملنا هنة وأزلناها من فوق الحصان ، وصعدت بنفسها درجات السلم . » (فى العام الماضى عندما كانت هنة فى جموندن ، كانت فى الشهر الثامن من عمرها . وفى العام السابق على ذلك — وأخيولة هانز تشير بوضوح الى ذلك التاريخ — كانت أمه عندما وصلت الى جموندن حبلى فى الشهر الخامس .)

، أنا — فى العام الماضى كانت هنة بالفعل معنا .

... هانز — في العام الماضي كانت معنا تركب العربة ، ولكن في العام السابق على ذلك عندما كانت تعيش معنا ...

، أنا — هل كانت معنا بالفعل في ذلك الوقت ؟

، — نعم • أنت كنت دائما معنا ، وكان من عادتك دائما أن تركب معي القارب ، وكانت هنه خادمتنا •

، أنا — ولكن ذلك لم يكن في العام الماضي • فلم تكن هنه بعد على قيد الحياة •

، هانز — بلا ، لقد كانت على قيد الحياة حينذاك • وحتى حين كانت ماتزال في الصندوق أثناء السفر كانت تستطيع أن تجرى ، وكانت تستطيع أن تقول أنا ، • (لم تستطع أن تقول ذلك الا منذ أربعة أشهر)

، أنا — ولكنها لم تكن معنا على الاطلاق في ذلك الوقت •

، هانز — أوه ، بلا • فقدت كانت ، كانت مع طائر اللقلق •

، أنا — ماعمرها اذن الآن ؟

، هانز — سيكون عمرها سنتين في الخريف • كانت هنه بالتأكيد على قيد الحياة ، وأنت تعرف أنها كانت على قيد الحياة •

، أنا — ومتى كانت مع طائر اللقلق في صندوق طائر اللقلق ؟

، هانز — قبل أن تسافر في الصندوق بزمن طويل جدا •

، أنا — اذن منذكم من الزمن استطاعت هنه أن تمشي ؟ فانها عندما كانت في جموندن لم تكن تستطيع بعد أن تمشي •

، هانز — في العام الماضي لم تكن تستطيع ، أما فيما عدا ذلك فكانت تستطيع •

، أنا — ولكن هنه لم تكن في جموندن الا مرة واحدة •

، هانز — كلا ! كانت هناك مرتين • نعم ، هو كذلك • بوسعى أن أتذكر تماما • سل ماما ، وسوف تخبرك بذلك في التو •

« أنا — ليس هذا صحيحا ، مع ذلك •

» هانز — بلا ! هذا صحيح • عندما كانت في جموندن أول مرة كانت تستطيع أن تمشى وأن تركب الحصان ، وفيما بعد كان يتحتم حملها • — كلا • فانها لم تركب الحصان الا في وقت لاحق ، وفي العام الالاضى كان يتحتم حملها •

، أنا — ولكنها منذ وقت قصير فقط استطاعت أن تمشى • وفي جموندن لم تكن تستطيع أن تمشى •

، هانز — بلا • فقط أكتب ذلك • فانى أستطيع أن أتذكر ذلك تماما • لماذا تضحك ؟

، أنا — الأئلك مخادع ، لأنك تعرف تماما أن هنه لم تكن في جموندن غير مرة واحدة •

هانز — كلا • هذا غير صحيح • ففى المرة الأولى ركبت هى على الحصان ••• وفى المرة الثانية ••• (بدأت عليه علامات الشك الواضح) •

، أنا — ربما كان الحصان هو ماما •

، هانز — كلا • حصان حقيقى بعربة وكارتا •

ء أنا — ولكن كان من عادتنا دائما أن نركب عربة بحصانين •

ء هانز — حسنا اذن ، كانت عربة بحصانين •

ء أنا — ماذا كانت تأكل ههه داخل الصندوق ؟

ء هانز — وضعوا لها داخل الصندوق خبزا وزبدا ورنجة وفجلا
(نفس الأتشياء التي كنا نتناولها في العشاء في جموندن) ، وأثناء السفر
كانت ههه تدهن خبزها بالزبد وأكلت خمسين وجبة •

ء أنا — ألم تكن ههه تصرخ ؟

ء هانز — كلا •

ء أنا — ماذا كانت تفعل اذن ؟

ء هانز — كانت تجلس هادئة تماما في الداخل •

ء أنا — ألم تكن تتحرك في الداخل ؟

ء هانز — كلا ، كانت تأكل دائما طوال الوقت دون توقف ، ولم تتحرك
مرة واحدة • شربت ههه فنجانين كبيرين من القهوة — وفي الصباح كان
كل شيء قد انتهى ، وتركت وراءها بقايا الطعام في الصندوق ، أوراق
الفجلتين وسكيننا لقطع الفجل • لقد التهمت كل شيء • كأرنب برى : دقيقة
واحدة وكان كل شيء قد انتهى • كان ذلك مضحكا حقا • ههه وأنا سافرنا
معا في الواقع في الصندوق ، نمت طول الليل في الصندوق • (سافرنا في
الواقع منذ عامين الى جموندن أثناء الليل •) وسافرت ماما في عربة
القطار • وظللنا نأكل طول الوقت عندما كنا نركب العربة أيضا ، كان ذلك
رائعا • لم تكن على الاطلاق فوق الحصان •• (غدا الآن مترددا ، لأنه
عرف أننا كنا قد ركبنا عربة بحصانين) ••• جلست في العربة • نعم

هكذا كانت ، ولكن هنه وأنا كنا في العربية وحدنا وماما ركبت على الحصان ، وركبت كارولين (خادمتنا في العام الماضي) على الحصان الآخر . . . هل تعرف ، ان ما أقوله لك ليس صحيحا على الاطلاق .

، أنا — ما هذا الذي ليس بصحيح ؟

، هانز — لاشيء منه صحيح . ضعني أنا وهنه في الصندوق (١) ، وسوف أطرطر في الصندوق . سوف أطرطر ببساطة في بنطلوني ، فأنا لأهتم بذلك على الاطلاق فليس فيه على الاطلاق ما يبعث على الخجل . هل تعرف ، هذا ليس بتهريج ، ولكنه أمر يبعث على التسلية جدا .

، وبعد ذلك حكى لي كيف أتى طائر اللقلق — تماما كما حكى ذلك بالأمس ، فيما عدا أنه حذف الجزء الخاص بأن طائر اللقلق أخذ قبعته وهو ينصرف .

، أنا — أين كان طائر اللقلق يحتفظ بمفتاح الباب ؟

، هانز — في جيبه .

، أنا — وأين يوجد جيب طائر اللقلق ؟

، هانز — في منقاره .

، أنا — في منقاره ! اننى لم أرقط حتى الآن طائر لقلق بمفتاح في منقاره .

(١) الصندوق الذي يوجد في الردهة الامامية والذي أخذناه ضمن متاعنا في جموندن .

، هانز — كيف بغير ذلك استطاع أن يدخل وكيف اذن يدخل طائر اللقلق من الباب ؟ كلا ، هذا غير صحيح • اننى أخطأت ببساطة • ان طائر اللقلق دق الباب الخارجى ، ففتح له واحد الباب •

، أنا — وكيف دق الباب ؟

، هانز — دق الجرس •

، أنا — وكيف فعل ذلك ؟

، هانز — استخدم منقاره ، فضغط به على الجرس •

، أنا — وهل أغلق طائر اللقلق الباب من ورائه ؟

، هانز — كلا ، اغلقته خادمة • كانت يقظة ، ففتحت الباب لطائر اللقلق ، ثم أغلقته من جديد •

، أنا — أين يعيش طائر اللقلق ؟

، هانز — أين ؟ فى الصندوق الذى يحفظ فيه البنات الصغيرات • ربما فى شونبرون •

، أنا — اننى لم أر قط صندوقا فى شونبرون •

، هانز — لا بد وأنه كان بعيدا • هل تعرف كيف يفتح طائر اللقلق الصندوق ؟ يستخدم منقاره — وللصندوق أيضا مفتاح — يستخدم منقاره برفع نصفه الأعلى ، فيفتح الصندوق هكذا • (ويوضح العمليه بتمثيلها على كالون المكتب •) وهذا مقبض أيضا •

، أنا — وبنيت صغيرة هكذا ألا تكون أثقل مما يحتمل طائر اللقلق ؟

، هانز — أوه ، كلا •

، أنا — قل لى ، أليس الأمنيوس فى شكله كصندوق طائر اللقلق ؟

، هانز — بلا .

، أنا — وعربة الأثاث ؟

، هانز — وأيضا عربة « البعع » التى تجمع الأطفال الأتقياء

* * *

، اليوم السابع عشر من ابريل. بالأمس نفذ هانز مشروعه الذى كان يحلم به منذ وقت طويل ، فى أن يعبر الطريق الى داخل الفناء المواجه لمنزلنا . ولكنه اليوم لا يريد تنفيذه ، اذ كانت هناك عربة تقف عند رصيف التحميل تماما فى مواجهة بوابة الدخول . قال لى : « عندما تقف عربة هناك فانى أخاف من أن اعاكس الأحصنة فتقع وتحدث صخبا شديدا بأقدامها . »

، أنا — كيف تكون معاكسة الأحصنة ؟

، هانز — عندما تكون غاضبا منها تعاكسها ، وعندما تصيح :
(شى) ! ، . (١)

، أنا — هل عاكست قط أحصنة ؟

، هانز — نعم ، كثيرا جدا . أخاف من أننى أفعل ذلك ، ولكنى لأفعله فى الواقع .

، أنا — هل عاكست قط أحصنة فى جموندى ؟

(١) كثيرا ما كان هانز يرتعب بشدة حين يرى الحوزى يضرب حصانه ويسبح « شى ! » .

، هانز — كلا •

، أنا — ولكنك تحب أن تعاكسها ؟

، هانز — أوه ، نعم • كثيرا جدا •

، أنا — هل تحب أن تضربها بالسوط ؟

، هانز — نعم •

، أنا — هل تحب أن تضرب الأحصنة كما تضرب ماما منه ؟ فأنت تحب ذلك أيضا ، أليس كذلك ؟

، هانز — ليس هناك من ضرر على الأحصنة عندما تضرب : (قلت له ذلك مرة الأخفف من خوفه عندما يرى الأحصنة تضرب بالسياط •)
فعلت ذلك مرة في الواقع • فقد كان معي السوط مرة فضربت به الحصان ،
فوقع وأحدث صخبا شديدا بأقدامه •

، أنا — متى ؟

، هانز — في جموندن •

، أنا — حصان حقيقي ؟ مشدود إلى عربة ؟

، هانز — لم يكن مشدودا إلى عربة •

، أنا — أين كان أذن ؟

، هانز — كنت فقط أمسك به حتى لايجرى بعيدا • (كان ذلك كله بالطبع أبعد مايكون عن التصديق)

، أنا — أين كان ذلك ؟

- ، هانز — قرب المزود •
- ، أنا — من سمح لك ؟ هل ترك الحوذى الحصان واقفا هناك ؟
- ، هانز — كان ببساطة حصانا من الأسطبل •
- ، أنا — كيف وصل الى المزود ؟
- ، هانز — أخذته الى هناك •
- ، أنا — من أى مكان ؟ أخرجته من الاسطبل ؟
- ، هانز — أخرجته لأننى كنت أريد أن أضربه •
- ، أنا — ألم تخرج قط حصانا فى الاسطبل ؟
- ، هانز — أوه ، نعم لويزل (الحوذى فى جموندى •)
- ، أنا — هل سمح لك ؟
- ، هانز — تحدثت اليه فى لطف ، فقال ان بوسعى أن أفعل ذلك •
- ، أنا — ماذا قلت له ؟
- ، هانز — هل يمكننى أن آخذ الحصان ، وأضربه بالسوط ، وأصيح فيه • وقد قال • « نعم » •
- ، أنا — هل ضربته بالسوط كثيرا ؟
- ، هانز — ماقلته لك ليس فيه شىء من الصحة •
- ، أنا — مامقدار الصحيح فيه ؟
- ، هانز — لاشىء منه صحيح ، انى فقط قلت لك على سبيل المزاح •
- ، أنا — ألم تخرج قط حصانا من الأسطبل ؟
- ، هانز — أوه ، كلا •

، أنا — ولكنك كنت ترغب في ذلك •

، هانز — أوه ، نعم كنت أرغب في ذلك •

، أنا — في جموندن ؟

، هانز — كلا ، هنا فقط • تخيلت ذلك الصباح عندما كنت عاريا

تماما ، كلا ، في الصباح وأنا في الفراش •

، أنا — لماذا لم تخبرني قط بذلك •

، هانز — لم أفكر في ذلك •

، أنا — تخيلت ذلك في نفسك لأنك رأيتَه في الطريق ؟

، هانز — نعم •

، أنا — من الذي ترغب حقا في أن تضربه ؟ ماما ، هنه ، أو أنا ؟

، هانز — ماما •

، أنا — لماذا ؟

، هانز — لأنني ببساطة أحب أن اضربها •

، أنا — متى رأيت قط أحدا يضرب أمه ؟

، هانز — لم أر قط أحدا يفعل ذلك ، لم أر قط ذلك في حياتي كلها •

، أنا — وهذا مع ذلك هو ماتريد أن تفعله • كيف كنت تريد أن

تنجز ذلك ؟

، هانز — بمضرب السجاد • (كثيرا ما تهدده أمه بأن تضربه بمضرب

السجاد) •

، كنت مضطرا الى أن أوقف الحوار عند هذا الحد اليوم •

، وفي الطريق أوضح لى هانز أن الأومنيبوسات ، وعربات الأثاث ،
وعربات الفحم هي كلها عربات — صناديق لطائر اللقلق •
، ومعنى هذا نساء حبيبات • ونوبة السادية عند هانز ، وهي السابقة
مباشرة على ذلك ، لا يمكن أن تكون منفصلة عن الموضوع الخالي •

، اليوم الحادى والعشرين من ابريل • هذا الصباح قال هانز أنه
تخيل مايلى : « كان هناك قطار في لاينتس ، وسافرت من لاينتس ، حيث
جدتى ، الى محطة الجمارك المركزية • لم تكن أنت قد فرغت بعد من هبوط
درجات المعبر ، عندما كان القطار الثانى قد بلغ فعلا الى سانت فايت (١)
وعندما نزلت أنت ، كان هناك قطار بالفعل ، فركبنا فيه » •

(كان هانز في لاينتس بالأمس • وللوصول الى رصيف السفر لابد
من عبور معبر • ومن ذلك الرصيف يمكن للعين أن ترى على امتداد
القضبان محطة سانت فايت والأمر كله غامض بعض الشيء • كانت فكرة
هانز في الأصل هي بالتأكيد أنه قد رحل في قطار أول ، هذا الذى فاتنى ،
وأنه بعد ذلك أتى قطار ثان من سانت فايت فرحلت فيه من بعده ولكنه
قام بتحريف جانب من أخبولة الهروب هذه ، بحيث قال في نهايتها : كلانا
لم يرحل الا في القطار الثانى •

، هذه الأخبولة ترتبط بالأخبوط الاخيرة ، التى لم نقم بتفسيرها ،
والتي بحسبها استغرقنا وقتا أكثر مما ينبغى في ارتداء ملابسنا عند محطة
جموندن ، بحيث مضى بنا القطار قبل أن نستطيع النزول) •

، بعد الظهر ، أمام ألبيت جرى هانز فجأة داخل البيت ، عندما
أقبلت عربة بحصانين • لم يكن بوسعى أن أرى في العربة والحصانين

(١) محطة أونترسانت فايت Unter St. Veit هي المحطة التالية
للاينتس بعد مفادرة نينا - هامش الترجمتين الانجليزية والفرنسية :

شيئا غير عادى • فسألته ماذا حدث • قال : « الحصانان مزهوان جدا ، بحيث أخاف أن يقعا • » (كان الحودى يشد اليه يقوة لجأهم الحصانين ، بحيث كانا يتهاديان فى خطوات قصيرة ، ورأسهما عاليا الى الوراء ، وكان منظرهما فى الحقيقة مزهوا) •

، سألته من هو ، فى الواقع المزهو جدا •

هانز — أنت هو ، عندما أتى وادخل فى الفراش مع ماما •

، أنا — واذن فأنت تريدنى أن أقع ؟

، هانز — نعم • كان ينبغى أن تكون عاريا (يقصد عارى القدمين ، كما كان فرييتزل) وأن ترتطم بحجر ، وأن يسيل الدم ، وعندئذ أستطيع على الأقل أن أبقى بعض الوقت بمفردى مع ماما • وعندما تعود صاعدا مسكنا يكون بوسعى أن أهرب بسرعة ، وحتى لاترانى •

، أنا — هل — تذكر من الذى ارتطم بالحجر ؟

، هانز — نعم ، فرييتزل •

، أنا — عندما وقع فرييتزل ، ما الشئ الذى خطر ببالك (١) •

، هانز — أنه كان ينبغى أن ترتطم أنت بالحجر وتقع •

، أنا — وعلى ذلك فأنت تريد أن تبقى بمفردك مع ماما •

، هانز — نعم

، أنا — على أى شئ كنت قد وبختك فى الواقع ؟

، هانز — لأدرى (!!!)

(١) وهكذا فان فرييتزل قد وقع بالفعل — وهو الامر الذى انكره من

، لماذا ؟

، هانز — لأنك كنت تغضب •

، هانز — ولكن هذا غير صحيح •

، هانز — بلا • أنه صحيح • كنت تغضب ، أنا أعرف ذلك • هذا لا بد
وأن يكون صحيحا •

، ومن الواضح أن هانز لم يتأثر بشكل بتفسيرى : أن صغار
الصبيان وحدهم يأتون ويدخلون فى الفراش مع أمهم ، بينما كبار الصبيان
ينامون فى فراشهم •

وأغلب ظنى أن رغبته فى « معاكسة » الحصان ، بمعنى أن يضربه
ويصيح به لاتتجه الى أمه ، كما زعم ذلك ، بل تتجه الى أنا • وليس من
شك فى أنه فقط وضع أمه فى الصدارة لأنه لم يكن يرغب فى أن يصرح لى
بحقيقة الأمر • فقد كان فى الأيام القليلة الاخيرة ودودا معى بصفة خاصة

وإذا ما تحدثنا بروح التفوق الذى مأسهل أن يحققه المرء بعد أن
تنقضى الواقعة ، فانه يكون بوسعنا أن نصحح التفسير الذى قدمه أبو
هانز ، قائلين بأن رغبة الصبى فى « معاكسة » الحصان تنطوى على
عنصرين مكونين : فهى تتكون من رغبة سادية غامضة تجاه أمه ، ومن
نزعة واضحة للانتقام من أبيه • ولم يكن للنزعة الأخيرة أن تبرز قبل أن
يأتى دور الرغبة الأولى فتظهر فى صلتها بعقدة الحمل ففى عملية تكون
الفوبيا ، ابتداء من الأفكار اللاشعورية التى تكمن وراءها يحدث تكثيف ،
ولهذا السبب فان مسار التحليل لايمكن بحال أن يتبع مسار تكون العصاب

* * *

واليوم الثانى والعشرون من ابريل • وفى هذا الصباح أيضا تخيل
هانز شيئا بينه وبين نفسه : « صبى شوارع يركب عربة نقل كبيرة ، ثم
يأتى الحارس ويجرده من ملابسه ويتركه عاريا تماما ، ويجعله يقف هناك

حتى صباح اليوم التالي ، وفي الصباح يعطى الصبي للحارس خمسين
الف فلورين حتى يستطيع أن يستأنف ركوبه على العربة .

(ان سكة حديد الشمال (١) تمتد في مواجهة بيتنا تماما . وعلى خط
قضبان جانبي هناك تقف عربة صغيرة (تروللي) ، رأى هانز يوما صبي
شوارع يركب عليها . فأراد هو أن يفعل نفس الشيء ، ولكنني أخبرته
بأن ذلك غير مسموح به ، وأنه لو فعل فسيلاخقه الحارس . ثمة عنصر
ثان في هذه الأخبولة هي الرغبة المكبوتة عند هانز في أن يكون عاريا .)

استطعنا أن نلاحظ ، منذ بعض الوقت ، أن خيال هانز يعمل بأخيلة
مستمدة من وسائل المواصلات (٢) ، ويمضى بشكل منهجي من الأحصنة
التي تجر العربات الى السكك الحديدية . وهكذا فان كل فوبيا من الشوارع
ترتبط بهامع الوقت فوبيا من السكك الحديدية .

« وفي وقت الغداء أخبروني أن هانز كان يلعب طوال الصباح بعروسة
من الكاوتشوك كان يسميها جريتا Grete . أدخل مطواة صغيرة في الفتحة
التي كان مثبتا فيها في الأصل ألفصارة الصغيرة المسطحة من القصدير ،
ثم مزق ما بين رجل العروسة بحيث يمكن لسلاح المطواة أن يخرج من
ذلك الموضع . وقال للخادمة ، وهو يشير الى ما بين رجلى العروسة :
« أنظري ، هنا حمامتها ! »

« أنا — ماللعبه التي لعبتها مع عروستك اليوم ؟

هانز — مزقتها ما بين الرجلين . هل تعرف لماذا ؟ لأنه كانت توجد
مطواة في داخلها هي مطواة ماما . كنت قد أدخلتها من الفتحة التي

(١) في الاصل Nordbahn — المترجمون .

تستخدم لغرض Verkehr ، بمعنى « الممارسة غير المشروعة » و
(٢) أنظر هامش ٣ من ص ٧٤ من حالة دورا ، حيث كلمة « محطة ،
و الاتصال » و « الاتصال الجنسي » ، فتهىء بطانة نفسية لكثير من فوبيات
السكك الحديدية .

تصرخ منها رأستها ، وعندئذ مزقت مابين رجليها ، فخرجت المطواة من هذا الموضع .

« أنا — لماذا مزقت مابين رجليها ؟ حتى تستطيع أن ترى حمامتها ؟

« هانز — كانت حمامتها موجودة من قبل ، وكنت أستطيع أن أراها على أى حال .

، أنا — لماذا أدخلت المطواة فيها ؟

، هانز — لأدرى .

، أنا — حسنا ، المطواة تشبه أى شيء .

، أحضر هانز المطواة لى .

، أنا — ربما تكون قد تخيلت أنها طفل صغير ؟

، هانز — كلا ، أنا لا أتخيل أى شيء على الاطلاق ، ولكن يبدو أن

ظائر اللقلق كان لديه مرة طفل صغير — أو أحد ما .

، أنا — متى ؟

هانز — ذات مرة . سمعت بذلك — أو ربما لم أسمع بذلك على

الاطلاق ؟ أو ربما أكون قد قلت ذلك خطأ ؟

، أنا — ماذا تقصد بقولك : خطأ ؟

، هانز — أن ذلك غير صحيح .

، أنا — كل شيء يقوله المرء هو صحيح الى حد ما .

، هانز — أوه ! نعم ، الى حد ما .

، أنا (بعد أن غيرت موضوع الحديث) — كيف تولد الفراخ في
تصورك •

، هانز — ان طائر اللقلق يجعلها ببساطة تكبر ، ان طائر اللقلق يجعل
الفراخ تكبر — كلا الله يفعل ذلك •

« أوضحت له أن الفراخ بيضا ، وأنه من البيض تخرج فراخ أخرى •

» ضحك هانز •

« أنا — لماذا تضحك ؟

هانز — لأن هذا الذى تقوله لى يسرنى •

قال لى بانه قد سبق له أن رأى ذلك بالفعل •

، أنا — أين ؟ •

، هانز — أنت فعلت ذلك •

، أنا — أين بضت أنا بيضة ؟

، هانز — فى جيموندن ، بضت أنت بيضة فى الحشائش ، وخرجت
منها فى التو فرخة تقفز • أنت بضت مرة بيضة ، أعرف أنك فعلت ذلك ،

أعرف ذلك بالتأكيد • لأن ماما قالت ذلك •

، أنا — سوف أسأل ماما ما أن كان ذلك صحيحا •

، هانز — هذا غير صحيح على الاطلاق ، ولكنى أنا بضت مرة بيضة،
وخرجت منها فرخة تقفز •

، أنا — أين ؟

هانز — في جموندين ، رقدت في الحشائش ، كلا ، ركعت على ركبتى ، ولم يرنى الأطفال على الاطلاق ، وفجأة في الصباح قلت : « ابحثوا أيها الأطفال ، فبالأمس بضت بيضه ! » وفجأة كلهم بحثوا ، وفجأة كلهم رأوا بيضة ، وخرج منها هانز صغير • حسنا ، لماذا تضحك ؟ ماما لاتعرف ذلك ، وكارولين لاتعرف ذلك ، لأن ما من أحد كان يرانى ، وفجأة بضت بيضة ، وفجأة كانت البيضة موجودة حقا وفعلا • بابا ، متى تخرج فرخة من البيضة ، عندما نترك البيضة وحدها ؟ هل ينبغى أن نأكلها ؟

، وضحت له الأمر :

هانز — حسنا ، فلنترك البيضة للفرخة ، وعندئذ سوف تخرج فرخة • ولنضعها داخل الصندوق ، ونأخذها الى جموندين •

ان هانز الصغير قد أمسك بجرأة في يديه بعنان تحليله ، بالنظر الى تردد أبويه في تزويده بالتبصيرات التي كان عليهما أن يزوداه بها منذ وقت طويل • فمن خلال فعل أعراضى صارخ ، قال لهما : « أنظرا ذلك هو تصورى عن الميلاد كيف يحدث • » وما قاله للمخادمة عن دلالة اللعبة التي كان يقوم بها على العروسة لم يكن صادقا ، فقد أنكر صراحة في حديثه مع أبيه أن رغبته كانت تقتصر على رؤيته حمامتها • وبعدما أخبره أبوه ، وكأنه يسدد قسطا من دينه ، كيف تخرج الفراخ من البيض ، فان عدم رضاه وعدم ثقته ومعرفته المتفوقه بالمسألة قد اثتلفت كلها في سخرية ساحرة ، تصاعدت في أقواله الأخيرة الى حد التلميح جد الواضح الى ميلاد أخته •

، أنا — أى لعبة كنت تلعب بعروستك ؟

، هانز — كنت أناديها : جريتا •

، أنا — لماذا ؟

، هانز — لأنى كنت أناديها جريتا •

، أنا — كيف كنت تلعب ؟

، هانز — كنت ببساطة أرهاها كطفل صغير حقيقي •

، أنا — هل تحب أن تكون لك بنت صغيرة ؟

، هانز — أوه ، نعم ، لم لا ؟ انى أحب أن تكون لى بنت صغيرة

ولكن ماما لاينبغى أن تكون لها بنت صغيرة ، فانى لأحب ذلك •

، (كثيرا ما عبر عن هذا الرأى من قبل • فهو مايزال يخاف من أن

يفقد مزيدا من مكانته بميلاد طفل ثالث •)

، أنا — ولكن النساء وحدهن يكون لهن أطفال •

، هانز — سوف تكون لى بنت صغيرة •

، أنا — من أين ستأتى بها اذن ؟

، هانز — حسنا ، من طائر اللقلق • فطائر اللقلق يخرج البنت

الصغيرة ، وفجأة تبيض البنت الصغيرة بيضة ، ومن البيضة تخرج منه

أخرى منه أخرى ومن منه تخرج منه أخرى • كلا ، تخرج منه واحدة •

، أنا — أنت ترغب فى أن تكون لك بنت صغيرة •

، هانز — نعم ، فى العام القادم ستكون لى بنت صغيرة ، وسوف

يكون اسمها منه أيضا •

، أنا — ولكن ماما لماذا لاينبغى أن تكون لها بنت صغيرة ؟

، هانز — لأننى أنا أريد أن تكون لى مرة بنت صغيرة •

، أنا — ولكنك لايمكن أن تكون لك بنت صغيرة •

، هانز — أوه ،بلى ، فالصبيان يكون لهم بنات ، والبنات يكون لهن
حبيبان (١) •

انا — الصبيان لا يكون لهم اطفال ولكن النساء فقط المامات (الأمهات)
فقط لهن أطفال •

، هانز — ولكن لما لا يكون لى ؟
، انا — لأن الله رتب الأمور هكذا •

، هانز — ولكن لماذا لا تكون لك أنت بنت صغيرة • أوه ، نعم ، فسوف
تكون لك واحدة بالتأكيد ، ماعليك الا أن تنتظر •

، انا — استطيع ان انتظر طويلا !

، هانز — ولكنى مع ذلك لك •

، انا — لكن ماما هى التى اتت بك الى العالم • وعلى ذلك فأنت
لماما ولى •

، هانز — هل هنه لى أو لماما •

، انا — هى لماما •

، هانز — كلا ، هى لى • لم لا تكون لى ولماما ؟

، انا — هنه هى لى ولماما ولك •

، هانز — ذلك هو رأييت ! •

طلما كان الطفل يجهل العضو التناسلى الأثنوى ، فان عنصرا اساسيا
ينقصه بالطبع لفهم العلاقات الجنسية •

، فى اليوم الرابع والعشرين من ابريل تلقى هانز من زوجهتى ومنى

(١) هذا جزء صغير آخر من النظرية الجنسية الطفلية ذات دلالة غير
متوقعة •

تبصيرات الى حد معين : اخبرناه ان الأطفال يكبرون داخل أمهاتهم ،
ثم ينضغون فيخرجون الى العالم مثل « لومف » ، وان ذلك ينطوى على
قدر كبير من الألم •

، وبعد الظهر خرجنا امام البيت • كان هناك تحسن ظاهر في حالته •
كان يجرى وراء العربات • والشئ الوحيد الذى كان ينم عن وجود بقية
من حصره كان ينحصر في انه لم يكن يجترى على الابتعاد عن المنطقة
المجاورة للباب الخارجى ، ولم يكن من الممكن حمله على الخروج في اية
نزهة طويلة •

... ، وفي اليوم الخامس والعشرين من ابريل نطحني هانز براسه في
بطنى ، على نحو ما فعل ذلك مرة من قبل • سألته ما أن كان عنزه • قال:
« نعم ، كبش • » فسألته اين رأى كيشا •

، هانز — في جموندن : كان عند فريتزل كيش • (كان عند فريتزل
خروف حقيقى صغير يلعب به •)

، أنا — ينبغي أن تحدثنى عن الخروف الصغير • ماذا كان يفعل ؟

هانز — أنت تعرف أن الأنسة ميتسى (معلمة مدرسة كانت تسكن
في البيت) كان من عاداتها دائما أن تضع هنة على الخروف الصغير ؟
ولكنه لم يكن يستطيع عندئذ أن ينهض ، ولم يكن يستطيع أن ينطح •
ولكنك اذا اقتربت منه فعادة ما ينطح ، لأن له قرنين ، كان من عادة
فريتزل أن يجره بحبل ، وأن يربطه الى شجرة • كان دائما يربطه الى
شجرة •

، أنا — هل نطحك الخروف الصغير ؟

هانز — لقد وثب نحوى ، أخذنى فريتزل مرة على مقربة منه

وأقتربت منه مرة ، ولم أكن أعرف ، وفجأة وثت نحوي • وقد كان ذلك مسليا جدا — ولم أكن خائفا •

، كان ذلك بالتأكيد غير صحيح •

، أنا — هل تعجب بابا ؟

، هانزا — أوه نعم •

، أنا — أو ربما لا •

، كان هانزا يلعب بلعبة هي حصان صغير • وفي تلك اللحظة وقع الحصان ، فصاح هانزا : « وقع الحصان ! أنظر، أى صنخب شديدا يحدثه ! »

، أنا — أنت متضايق بعض الشيء من بابا لأن ماما تحبه •
هانزا — كلا •

، أنا — واذن ، لماذا تبكي دائما عندما تعطيني ماما قبلة ؟ أليس
غيران ؟

، هانزا — غيران ، نعم •

، أنا — كنت تحب أن تكون أنت بابا •

، هانزا — هانز أوه ، نعم •

، أنا — ماذا كنت تحب أن تفعله لو أنك كنت بابا ؟

، هانزا — وكنت أنت هانزا ؟ كنت أحب عندئذ أن أضعك التي لا ينتس كل أيام الأحاد — كلا ، كل أيام الاسبوع أيضا • لو كنت أنا بابا كنت أكون دائما لطيفا وطيبا •

ء أنا — ولكن ما الذى كنت تحب أن تفعله مع ماما ؟

ء هانز — اخذها التى لا ينتس أيضا •

ء أنا — وماذا أيضا •

ء هانز — لا شىء •

ء أنا اذن لماذا كنت غيران ؟

ء هانز — لا ادرى •

ء — وهل كنت فى جموندن أيضا غيران ؟

ء هانز — ليس فى جموندن • (هذا غير صحيح •) ففى جموندن كانت لى أشياءى الخاصة • وكان عندى حديقة فى جموندن وأيضا أطفال •

ء أنا — هل تستطيع أن تتذكر البقرة كيف كان لها عجل صغير ؟

ء هانز — أوه نعم • أتى العجل الصغير فى عربة • (قيل له ذلك ولا شك جموندن ، تلك نقطة أخرى ثانية ضد نظرية طائر اللقلق •) وبقرة أخرى ضغطته فخرج من مؤخرتها • (كان ذلك بالفعل نتاج تبصيره ، هذا الذى كان يحاول أن يناعمه مع نظرية السرية) •

ء أنا — ليس بصحيح أن العجل الصغير أتى فى عربة ، فقد خرج من البقرة فى الزريبة •

ء وجداد هانز فى ذلك ، قائلًا انه رأى فى العربة فى الصباح • ونبهته الى أنه ربما قد قيل له ذلك عن العجل من أنه أتى فى عربة • وفى النهاية ، سلم بذلك وقال :

« أغلب الظن أن برتا أخبرتني بذلك — أولاً — أو ربما كان صاحب الفندق ، إذا كان هناك ، وكان الوقت ليلاً • وعلى ذلك فصحيح في النهاية ما كنت أقوله لك — أو يبدو لى أن ما من أحد أخبرنى بذلك ، »

، ان لم أكن مخطئًا فان العجل الصغير قد حملوه بعيداً في عربة ،
ومن هنا كان الخلط •

، أنا — لماذا لم تتصور أن طائر اللقلق هو الذى أتى به ؟

، هانز — لم أكن أريد أن أتصور ذلك •

، أنا — ولكنك تصورت أن طائر اللقلق أتى بهنه ؟

، هانز — فى الصباح (يوم الولادة) تصورت ذلك • — قل لى يا بابا ، هل كان السيد رايتسنجلر (صاحب الفندق) هناك عندما خرج العجل الصغير من البقرة ؟ (١) •

، أنا — لا أدرى • هل تعتقد أنه كان هناك •

، هانز — أعتقد ذلك • • بابا ، هل لاحظت بين حين وآخر أن الأحصنة لها شيء أسود على أفواهاها ؟

، أنا — لاحظت ذلك بين حين وآخر فى الطريق فى جموندن (٢) •

، أنا — هل كثيراً ماكنت تدخل الى الفرائش مع ماما فى جموندن ؟

(١) كان هانز — ولديه من الاسباب القوية مايجعله عديم الثقة فى المعلومات التى يقدمها الكبار — يتساءل مان كان صاحب الفندق أجدر بالتصديق من ابيه •

(٢) كان تسلسل الافكار كما يلى : خلال فترة طويلة رفض أبوه أن يصدق ما كان يقوله من وجود شيء أسود على أفواه الاحصنة ، لكن تثبت صحة ذلك فى نهاية الامر •

، هانز — نعم •

، أنا — وكنت تتصور في نفسك أنك بابا ؟

، هانز — نعم •

، أنا — وعندئذ شعرت أنك خائف من بابا ؟

، هانز — أنت تعرف كل شيء ، لم أكن أعرف شيئا •

، أنا — عندما وقع فريتزل تخيلت : فقط لو أن بابا وقع هكذا ؛ هل تستطيع أن تتذكر الجنازة في جموندن ؟ (كانت الجنازة الأولى التي شهدتها هانز • وكثيرا ما يسترجعها ، وهي ولا شك ذكرى حاجبة) •

، أنا — عندئذ تخيلات فقط لو أن بابا يموت وتصبح أنت بابا •
، هانز — نعم : وماذا عن ذلك ؟

، هانز : نعم •

، أنا — أي العربات ما تزال تخاف منها ؟

، هانز — كلها •

، أنا — أنت تعرف أن هذا غير صحيح •

، هانز — لست أخاف من العربات ذات الحصانين ، ولا من العربات ذات الحصان الواحد • انى أخاف من الأومنيبوسات ومن عربات الأثاث ، ولكن فقط عندما تكون محملة ، وليس عندما تكون

فارغة • وعندما يكون هناك حصان واحد ، وتكون العربة محملة الى اخرها ، عندئذ أخاف ، ولكن عندما يكون هناك حصانان وتكون العربة محملة الى آخرها ، فعندئذ لا أخاف •

، أنا — هل تخاف من الأومنيبوسات لانه يوجد بداخلها اناس كثيرون ؟

، هانز — لأنه توجد امتعة كثيرة على ظهرها •

، أنا — وعندما كانت ماما على وشك ان تكون لها منه (١) ، هل كانت هي ايضا محملة الى آخرها •

، هانز — ماما ستكون محملة الى آخرها مرة اخرى عندما يكون لها طفل آخر ، عندما يبدأ طفل آخر يكبر ، عندما يكون طفل آخر بداخلها •

، أنا — وانت تحب ذلك •

، هانز — نعم •

، أنا — أنت قلت أنك لا تحب أن يكون لماما طفل اخر •

، هانز — حسنا ، فلن تكون محملة مرة أخرى • قالت ماما بأنها اذا كانت لاتريد طفلا ، فان الله لايريد طفلا هو الآخر • اذا كانت ماما لاتريد طفلا فلن يكون لها طفل • (بالأمس سأل هانز بالطبع ما اذا كان هناك أى أطفال آخرين فى داخل ماما • وقالت له لا،وقلت له أنه اذا كان الله لايريد ذلك فما من طفل سينمو فى داخلها) •

(١) (حينما نلتقى بالتعبير « يكون له طفل ، أو يكون لها طفل ، فالمقصود هو الانجاب - المترجمون) •

، هانز — ولكن ماما قالت لى انها اذا لم ترد هى فلن ينمو أى طفل ، وأنت تقول لى أن الله اذا لم يرد •

، أجبته ان الأمر هو كما قلت له ، وهو معلق عليه قائلاً : لقد كنت أنت هناك ، أليس كذلك ؟ فأنت بالتأكيد تعرف الأمر على نحو أفضل » •

عندئذ بادر الى استجواب أمه ، فصالحت ما بين القولين بأن قالت بأنها اذا لم ترد هى ذلك فان الله ايضا لا يريد (١) •

، أنا — يبدو لى ، على أى حال ، أنك ترغب أن يكون لى لى لى •

، هانز — ولكننى لا أريد أن يحدث ذلك •

، أنا — ولكنك ترغب فيه •

، هانز — أوه ، نعم • أرغب •

، أنا — هل تعرف لماذا ترغب فى ذلك ؟ ذلك لأنك تريد أن تكون

بابا •

، هانز — نعم ••• كيف يستقيم الأمر ؟

، أنا — أى أمر ؟

، هانز — أنت تقول أن الآباء لا يمكن أن يكون لهم أطفال ، فكيف يستقيم الأمر مع رغبتى فى أن أكون بابا ؟

(١) Ce qui femme veut Dieu veut. (بالفرنسية فى الاصل الانسانى)

• ماتريده المرأة يريد الله ، • ولكن هانز بظننه المعهودة قد وضع هنا مرة أخرى من جديد اصبعه على مشكلة بالغة الاهمية •

، أنا — أنت ترغب في أن تكون بابا وان تتزوج ماما ، أنت ترغب في أن تكون كبيرا مثلى ، وأن يكون لك شارب ، وترغب في أن يكون لماما طفلا .

، هانز — بابا ، عندما أتزوج لن يكون لى طفل الا اذا اردت ذلك عندما أتزوج ماما ، واذا لم أرد طفلا ، فان الله أيضا لن يريد ذلك ، عندما أتزوج .

، أنا — هل ترغب في أن تتزوج ماما ؟

، هانز — أو ، نعم .

من اليسير ان نتبين أن استمتتاع هانز بهذه الأخيولة يتعكر صفوه بسبب عدم تيقنه من الدور الذى يضطلع به الآباء وتشككه فيما أن كان انجاب الأطفال أمرا يخضع لتحكمه .

وفي مساء اليوم نفسه ، عندما وضعنا هانز في فراشه ، قال لى: « هل تعرف يا بابا ما سأفعله الان سوف أتحدث مع جريتا حتى العاشرة ، انها في الفراش معى . وأطفالى هم دائما في الفراش معى . هل تستطيع ان تخبرنى كيف ان الأمر كذلك ؟ » — ولما كان هانز يغلبه النعاس ، وعدته بأننا سوف ندون ذلك في اليوم التالى ، فمضى في نومه .

، لقد سبق أن أشرت في تقارير سابقة الى أن هانز منذ عودته من جموندن كانت لديه بلا انقطاع أخاويل تدور حول اطفاله ، وكان يجرى أحاديث معهم ، الى غير ذلك (١) .

(١) ليس من الضرورى في هذا الصدد أن نفترض عند هانز وجود رغبة من طبيعة انثوية لانجاب الاطفال . لقد كان مع أمه أن عاش هانز ، كطفل ، أمتع خبراته ، وأنه الان يكرر هذه الخبرات ، ويضطلع بنفسه فيها بالدور الايجابى ، الذى كان بالضرورة من ثم دورا أمه .

، ومن ثم ففى اليوم السادس والعشرين من أبريل سأله لماذا يفكر دائما فى أطفاله •

، هانز — لماذا ؟ لأننى أرغب جدا فى أن يكون لى أطفال ، ولكنى لا أريد أبدا أن يحدث ذلك ، فانى لأرغب فى أن يكون لى أطفال (١) •

، أنا — هل كنت تتخيل دائما أن برثا وأولجا والباقيين كانوا أطفالك ؟

، هانز — نعم • وأيضا فرتزل وفريتون وبول (رفاق لعبه فى لاينتس) ولودى •

، وهذا الاخير اسم بنت ابتدعه لطفلته المفضلة التى يتحدث عنها كثيرا جدا •

— وقد يكون لى ان أئبه هنا الى أن شخصية لودى ليست من ابتداء الأيام القليلة الأخيرة ، بل كانت موجودة فى تاريخ سابق على تلقيه للتبصيرات الأخيرة (فى اليوم الرابع والعشرين من أبريل) •

» أنا — من هى لودى ؟ هل هى فى جموندن ؟

، هانز — كلا •

، أنا — هل هناك لودى ؟

، هانز — نعم ، انى أعرفها •

(١) هذا التناقض الواضح كان تناقضا بين الخيال والواقع ، بين الرغبة وتحقق الوجود كان هانز يعرف أنه فى الواقع طفل ، وأن أطفالا آخرين يستطيع أن يكرز معهم ضروب الحنان التى تسبق له أن استمتع بها •

، أنا — من هي اذن ؟

، هانز — الطفلة التي كانت لي (انجبتها) هنا •

، أنا — ماشكلها ؟ •

، هانز — شكلها ؟ عيان سوداوان ، شعر أسود ... قابلتها
مرة مع ماريدل (جموندن) بينما كنت انتزه في المدينة •

، وعندما أردت أن أتعلم الأمر تبين لي أن الأمر محض ابتداءع (١)

، أنا — وهكذا تخيلت أنك أما لهم ؟

، هانز — وكنت أيضا في المواقع أهمهم •

، أنا — ماذا كنت تفعل مع أطفالك ؟

، هانز — كنت اجعلهم ينامون معي ، البنات والصبيان

، أنا — كل يوم ؟

، هانز — نعم ، بالتأكيد •

، أنا — هل كنت تتحدث اليهم ؟

، هانز — عندما لااستطيع أن أضع كل الاطفال في اثفراش ،
فانني أضع بعض الأطفال على الأريكة ، وبعضهم الآخر في عربة
الأطفال ، فاذا كان هناك بعض آخر مايزال بافيا • فانني اصعد بهم
الى طابق السطوح ، وأضعهم في الصندوق ، فلو تبقى بعض آخر
أضعهم في الصندوق الآخر •

(١) ومن الممكن مع ذلك أن يكون هانز قد التقى صدفه في جموندن
بشخص ما ، فانزله من نفسه منزلة أعلى • هذا الى أن لون العينين والشعر
في مثله الاعلى نسخة من أمه •

، أنا — وعلى ذلك فان صناديق أطفال طائر اللقلق كانت في طابق السطوح ؟

، هانز — نعم •

، أنا — متى كان لك أطفال ؟ هل كانت هنه وقتها على قيد الحياة ؟

، هانز — نعم ، كانت على قيد الحياة منذ وقت طويل •

، أنا — ولكن ممن كان لك الأطفال فيما تصورت ؟

، هانز — متى انا (١) •

، أنا — ولكنك في ذلك الوقت لم تكن لديك أية فكرة عن أن الأطفال يأتون من شخص ما •

، هانز — تصورت ان طائر اللقلق قد اتى بهم • (كذب وهروب بكل وضوح (٢)) •

، أنا — كانت جريتا معك في الفراش بالأمس ، ولكنك تعرف جيدا ان الصبيان لا يمكن ان يكون لهم أطفال •

، هانز — نعم ، نعم • ولكنني أعتقد ذلك على الرغم من كل شيء •

، أنا — كيف عثرت على اسم لودي ؟ فما من بنت لها هذا الاسم ربما لوتى ؟

(١) لم يكن يوسع هانز أن يجيب من وجهة نظر أخرى غير الشبكية الذاتية •

(٢) كانوا اطفال خياله ، أى اطفال استمنائه •

، هانز — أوه ، كلا ، لودي • لا أدري ، ولكنه مع ذلك اسم
• جميل

، أنا (مازحا) — ربما تقصد شو كولودي ؟ (١)

، هانز (على الفور) — كلا ، سافالودي Saffalodi
•••• لانى أحب جدا أن آكل السجق والسلامى (٢) أيضا •

، أنا — قل لى ، اليس السافالودي شكله مثل « اللومف » ؟
، هانز — بلى •

، أنا — حسنا ، واللومف ما شكله ؟

، هانز — أسود • أنت تعرف ، مشيرا الى حاجبى وشاربى ()
• كهذا وكهذا »

، أنا — وماذا أيضا ؟ ومستدير كالسجق المتبل (السافالادى) (٣) ؟
، هانز — نعم •

، أنا — عندما كنت تجلس على وعاء التبرز ، ويأتى لومف
من كنت تتصور فى نفسك أنك بسبيل انجاب طفل ؟

، هانز (ضاحكا) — « نعم • حتى فى شارع — ، وهنأ
أيضا » •

Schokolade (١) هي الكلمة الالمانية للشكولاته — هامش
الترجمة الانجليزية •)

(٢) Zervelatwurst Saffalodi (سجق متبل) ويطيب لزوجتى
أن تحكى كيف أن خالتها دائما ماتسمى ذلك Sofflodi وفيلودى •
• وربما يكون هانز قد سمع ذلك •

(٣) نوع آخر من السجق — هامش الانجليزية •

، أنا — هل تعرف ، عندما وقعت أحصنة الأُمْنِيوس ؟ كان الأُمْنِيوس يشبه في شكله صندوق الاطفال ، وعندما وقع الحصان الاسود كان يشبه تماما . . .

هانز — (مكملًا) . . — يشبه تماما انجاب طفل .

، أنا — وماذا تصورت عندما أحدث بأقدامه صخبا شديدا ؟

، هانز — أوه ، عندما لا أريد أن أجلس على وعاء التبرز ، وأفضل بالحرى أن ألعب ، عندئذ فأنى أحدث بقدمى صخبا شديدا كهذا . (وضرب الارض بقدميه .)

، ذلك كان سبب اهتمامه بمسألة ما ان كان الناس يرغبون أو لا يرغبون في أن يكون لهم اطفال .

، وطوال النهار اليوم كان هانز يلعب لعبة تحميل وتفريغ صناديق الطرود ، وقال انه يرغب في الحصول على عربة — لعبة ، وعلى صناديق من هذا النوع ، ليلعب بها . وما كان يثير عنده أعظم الاهتمام في فناء الجمارك المواجه لنا انما كان تحميل وتفريغ العربات وكان من عادته أن يرتعب أشد الرعب عندما تبدأ في التحرك عربة تم تحميلها . كان من عادته ان يقول : « الاحصنة ستوف تنقع (١) » وكان من عادته أن يسمى أبواب سقيفة مبنى الجمارك « خروم » . (ومن ثم الخرم الاول ، الخرم الثانى ، الخرم الثالث الخ .) ولكنه الآن بدلا من « خرم » يقول « خرم مؤخرة » .

(١) السننا نقول في العادة nider Kommen . وتعنى حرفيا (ينزل الى أسفل) عندما تلد امرأة ؟

(وفى الفرنسية أيضا يقال mettre bas (تضع الى أسفل) ، عندما تلد اناث الماشية — هامش الترجمة الفرنسية .)

، اختفى القلق تماما تقريبا ، فيما عدا أنه يفضل البقاء في المنطقة
المجاورة للبيت ، حتى يحتفظ بخط رجعة لنفسه ان هو ارتعب . ولكنه
الآن لا يهرب أبدا منتجئا الى البيت ، بل يبقى في الطريق طول الوقت .
وكما نعلم ، فقد بدأ مرضه بعودته باكيا على أثر نزهة خارج البيت ،
وعندما وجد نفسه مكرها على الخروج لنزهة ثانية ، لم يذهب الا الى
محطة الجمارك المركزية في شتادبان ، حيث ما تزال رؤية بيتنا ممكنة .
وفي فترة ولادة زوجتي أبعدها عنها بالطبع ، وقلقه الحالى ، الذى يمنعه
من أن يبتعد عن المنطقة المجاورة للبيت ، ليس في الحقيقة غير ذلك .
الحين الذى استشعره اليها في تلك الفترة .

* * *

، اليوم الثلاثون من شهر ابريل رأيت هانز يلعب من جديد مع
أطفاله الخياليين

فقلت له : هالو ، أما يزال اطفالك أحياء ؟ أنت تعرف تماما أن
الصبى لا يمكن أن يكون له أطفال » .

« هانز : » انا أعرف ذلك . كنت أهمهم فيما قبل ، أما الآن
« فانى أبوهم »

« أنا : » ومن هى أم الأطفال ؟

« هانز : » حسنا ، أنها ماما ، وأنت جدتهم »

« أنا : » وأذن فأنت تريد أن تكون كبيرا مثلى ، وأن تتزوج
ماما ، ومن ثم ترغب فى أن يكون لها أطفال » .

« هانز : » نعم ، ذلك ما أرب فيه ، وعندئذ سوف تكون جدتى
التي فى لاينزر أمى (« هى جدتهم ») .

كانت الامور تمضى الى نتيجة تبعث على الرضا ، فأوديب الصغير قد عثر على حل يفضل ذلك الذى سطره القدر • فبدلاً من أن ينحى أباه بعيداً عن الطريق ، منحه نفس السعادة التى كان يرغب فيها هو نفسه ، رقاها الى مرتبة الجد ، وجعله هو الآخر يتزوج أمه •

وقال : « هل تعرف ؟ دعنا ندون شيئاً للاستاذ » •

« وفي اليوم الاول من شهر مايو جئنى هانز وقت الغداء

« أنا — حسناً ، وماذا يكون هذا الشيء ؟

« هانز : — فى هذا الصباح كنت فى المرحاض مع كل أطفالى •

فى البداية عملت لومف وعملت ميه ، وكانوا ينظرون الى • ثم وضعتهم بعد على المرحاض ، فعملوا ميه وعملوا لومف ، ثم مسحت لهم بالورق مؤخراتهم • هل تعرف لماذا ؟ لاني أحب جداً أن يكون لى أطفال ، وعندئذ سوف أقوم بعمل كل شيء لهم — أصحابهم الى المرحاض ، انظف مؤخراتهم ، وأعمل لهم كل ما يعمل للأطفال » •

بعد الاعتراف الذى تضمنته هذه الاخيولة ، يكون من العسير

أن نجادل فى وجود اذة عند هانز ترتبط بالوظائف الخراجية •

، وبعد الظهر اجترأ للمرة الاولى على الذهاب الى شتادبارك •

ولما كان ذلك هو يوم أول مايو ، فقد كانت حركة المرور بالطبع أقل من المعتاد ، ولكنها كانت مع ذلك كافية تماماً — حتى ذلك الوقت — لاثارة رعبه • كان مزهواً جداً بما أنجزه ويعد تناول الشاي وجددتى مضطراً لان أصحابه الى شتادبارك مرة أخرى • فى الطريق التقينا بأومنيبوس ، نبهنى اليه هانز قائلاً : « انظر ! عربة بصندوق طائر اللقلق ! » فاذا ذهب معى الى شتادبارك مرة أخرى غداً ، على نحو ما اتفقنا ، فسوف يكون بوسعنا حقاً أن نعتبر أنه قد شفى من مرضه •

وفى اليوم الثانى من شهر مايو جئنى هانز فى الصباح ، وقال :

« هل تعرف ؟ لقد تخيلت شيئاً هذا الصباح • » فى البداية نسى هانز

هذا الشيء ، ولكنه فيما بعدو خكى لى مايلنى » وأن بذت عليه علامات مقاومة شديدة : « حضر السمكرى ، وفى البداية أقتلع مؤخرتى بالكماشية ، ثم أعطانى مؤخرة أخرى ، ثم فعل نفس الشيء بتناع الميه بتاعى • لقد قال لى : ، دعنى أرى مؤخرتك ، وكان على أن استدير ، فاقنتلها ، ثم قال ، دعنى أرى بتناع الميه بتاعك ! » .

لقد أمسك أبو هانز بدلالة أخيوالة الرغبة هذه ، ولم يتردد لحظة فيما يتصل بالتفسير الوحيد الذى يمكن أن تتطوى عليه .
• أنا - « لقد أعطاك بتناع ميه أكبر ومؤخرة أكبر » .
• هانز - « نعم » .

• أنا - مثل ما لبابا • لانك ترغب فى أن تكون بابا .
• هانز - نعم ، وأحب أن يكون لى ثراب كشاربك ، وشعر فى البدن كشارك • (وأثار الى الشعر على صدرى) •
وفى ضوء ذلك ينبغى أن نعيد النظر فى تفسير أخيوالة هانز السابقة على تلك ، والتي فيها حضر السمكرى ، وفك البانيو ، وعرز مثقابا فى بطنه • كان البانيو الكبير يعنى مؤخرة ، وكان المثقاب أو المفك أو (كما فسرنا ذلك فى حينه) يعنى بتناع ميه (١) • فالأخيولتان متطابقتان •

(١) ربما يكون لنا أن نضيف أن كلمة « مثقاب » Rchrer لم يتم اختيارها بغير اعتبار لارتباطها بكلمتى « مولود » و « ميلاد » فان صح ذلك (geboren, Gebunt) فان هانز لم يميز بين « يينثقب » و « يتولد » geboren, gebchrt ونبنى ائقبل هذا الرأى الذى صدر عن محلل خبير - من الزملاء ، ولكنى لست فى وضع يمكننى من أن أقطع أن كنا هنا ازاء رابطة تتسم بالعمق والعمومية بين الفكرتين ، أو كنا فقط ازاء مجرى تشابه لفظى خاص باللغة الالمانية • ان برومبنيوس Paramantha ، خالق البشر ، هو أيضا من ناحية الاشتقاق اللغوى أو (الثاقب) • قارن ابراهام : « الحلم والاسطورة » ، ١٩٠٨ ، Abraham, Traum und Mhns.

« هذا الذى أن خوف هانز من البانيو الكبير قد أتيج له بذلك ضوء جديد (وهذا الخوف قد تناقص بالفعل) • فما يكدره أن تكون « مؤخرته » صغيرة بدرجة لا تليق بالبانيو الكبير » •

وخلال الايام القليلة التالية كتبت لى أم هانز عدة مرات لتعبير عن سرورها بشفاء حبيبها الصغير •

* * *

وبعد أسبوع وصلنى من أبى هانز التذييل التالى :

، أستاذى العزيز ،

يسرنى أن أقدم الاضافات التالية الى تاريخ حالة هانز :

١ - أن استحسن ، بعد تزويده بالجزء الاول من التحيزات ، لم يكن من الاكتمال على نحو مايمكن أن يكون قد صورته عليه • صحيح أن هانز كان يخرج فى نزعات ، ولكن كان ذلك فقط تحت الارغام ، وفى حالة من القلق الشديد • ذهب معى مرة الى حد محطة الجمارك المركزية ، حيث ما يزال يمكن رؤية بيتنا ، ولكن لم يكن من الممكن حمله على أن يمضى الى أبعد من ذلك •

٢ ، - فيما يتصل بـ « شراب التوت » و « بندقية القتل » : كنا نعطى هانز شراب التوت حين يعانى الامساك • وهو غالبا ما يخلط بين Schiessen (يقتل) و Scheissen الكلمة الألمانية الدارجة للتبرز (تخرى) •

٣ - كان هانز فى جوالى الرابعة من عمره عندما أبعدها من غرفة نومنا الى غرفة خاصة به •

٤ ، - ثمة متخلف من اضطرابه ما يزال باقيا ، وان لم يعد بعد فى شكل خوف ، ولكن فقط فى شكل غريزة سوية لتوجيه الأسئلة • ومعظم الاسئلة ينصب على الاشياء : « مم تصنع ؟ » (انترموايات

والآلات الخ ، والاشياء « من يصنعها ؟ » ، الى غير ذلك • وتتميز غالبية أسئلة هانز بأنه يوجهها وان يكن قد أجاب عليها بالفعل بنفسه • وكل ما يريده هو أن يتأكد • وعندما أرهقنى مرة بأسئلته وقلت له : « هل تعتقد أننى أستطيع الاجابة على كل سؤال توجهه ؟ » ، أجاب : « حسنا ، كنت أعتقد أنك كما عرفت مسألة الحصان فستعرف ذلك أيضا • • »

٥ ، — ان هانز لا يشير الآن الى مرضه الا على أنه واقعة تاريخيه « وقتما كانت عندي الحماسة • • » :

٦ ، — وثمة متخلف بقى بغير حل : فهانز ما يزال يعصر ذهنه كيماا يتبين ما يمكن أن تكون عليه علاقة الأب بطفله ، ما دامت الام هي التى تخرجه الى العالم • ذلك ما يتضح من أسئلته من قبيل : « انى أنتمى اليك أنت أيضا ، أليس كذلك ؟ » (وهو يقصد أنه لا ينتمى فصسب الى أمه) فليس من الواضح بالنسبة له على أى نحو هو ينتمى الى • ومن ناحية أخرى ، وليس لدى أى دليل مباشر على أنه ، كما تفترض ، قد أستمع صدمة الى أبويه أثناء الجماع •

٧ ، — وربما يتحتم فى عرض الحالة أن نلح على ما يميز به ثقفه من شدة عاتية ، والا لكان من الممكن أن يقال بأن الصبى كان سيخرج الى النزعات على الفور لو أنه تلقى « علقه ساخنة » •

وفى الختام أضيف هذه الكلمات : ان الحصر المنبعث عن عقدة الخشاء عند هانز قد تم ، فى أخيلوته الاخيرة ، المتغلب عليه أيضا ، وتحولت توقعاته الفئقة الاليمية الى توقعات سعيدة • نعم ، فان الدكتور (السمكرى) قد حضر ، واقتلع قضيبه - ولكن فقط ليعطيه قضيبا أكبر بدلا منه • وفيما عدا ذلك ، فان باحثنا الصغير قد اكتشف ببساطة ، فى وقت باكر الحقيقة التى مؤداها ان كل معرفة ناقصة ، وان كل خطأ يخطوها الى الامام فى طريق المعرفة تترك وراءها متخلفا بغير حل •

تعليق

سوف أشرع الآن في تفحص معطيات هذه الحالة المرضية الخاصة بتطور غوبيا (زهاب) وانفصاضها عند الصبى دون الخامسة من العمر ، وسوف اضطلع بذلك من ثلاث زوايا • أولا ، سوف أتقصى الى حد تقدم معطيات هذه الحالة تأييدا للآراء التى عرضتها فى كتابى « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس (Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie) الذى نشرته عام ١٩٠٥ • وثانيا ، سوف أتقصى الى أى حد تعين معطيات هذه الحالة على فهم هذا الشكل جد الشائع من الاضطراب • وثالثا ، سوف أتقصى ما أن كان يمكن الافادة منها بحيث تلقى ضوءا على الحالة النفسية للاطفال ، أو بحيث تمدنا بنقد لأهداغنا التربوية •

(١)

أن أنطباعى هو أن لوحة الحالة الجنسية للطفل التى تقدمها معطيات هذه الحالة عن هانز الصغير تتفق تماما مع الآراء التى سبق أن قدمتها فى نظريتى عن الحياة الجنسية للاطفال (استنادا الى فحوص التحليل النفسى التى أجريتها على الراشدين) فى الكتاب المذكور • ولكن قبل أن أتناول هذا الاتفاق فى تفصيلاته ، يتحتم على أن أرد على اعتراضين سوف يرتفعان ضد استخدامى لهذا التحليل من أجل هذا الغرض • الاعتراض الاول ينحصر فى أن هانز ليس بطفل عادى ، بل لديه — كما أثبتت الوقائع ، ونعنى مرضه — استعداد سابق للعصاب ، وأنه « فاسد الجبلة » (١) ، ومن هنا لا يكون من المشروع

أن نسحب على الاطفال الآخرين الأسوياء نتائج ربما كانت صحيحة بالنسبة اليه . وسأرجى النظر في هذا الاعتراض بالنظر الى أنه يقتصر على الحد من قيمة معطيات حالة هانز ، دون أن يلغيها تماما .

أما الاعتراض الثانى ، وهو الاكثر استعصاء على المصالحه ، فينحصر فى أن التحليل النفسى لطفل على يد أب شرع فى العمل وهو مشبع بأرائى النظرية ، وملوث بأحكامى القبلية ، يتحتم أن يكون مجردا تماما من أية قيمة موضوعية . فالطفل ، كما سيقال ، هو بالضرورة شديد القابلية للإيحاء ، وربما ليس تجاه أى شخص بقدر ما هو تجاه أبيه ، وسوف يستسلم لاي إيحاء كان من جانب أبيه ، عرفانا منه بكل هذا الاهتمام الذى يوجهه اليه ، فما من شئ مما يقوله يمكن أن ينطوى على امكانية الاقتناع ، فكل مستدعياته ، وكل أخيبه وأحلامه ، سوف تتبع بانطباع هذا الطريق الذى سيقب اليه بكل وسيلة ممكنة . ومرة أخرى باختصار ، فالأمر كله هو مجرد « إيحاء » وكل ما هنا لك من اختلاف هو أن الإيحاء فى حالة الطفل يكون من الأيسر تبينه بالقياس الى حالة الراشد .

وثمة شئ فريد ، مازلت أذكره ، عندما دخلت الى معترك الآراء العنمية منذ اثنين وعشرين عاما ، هو تلك السخرية التى استقبل بها الجيل السالف من أطباء الأعصاب وأطباء الأمراض العقلية فى تلك الأيام التوكيدات الخاصة بالإيحاء وتأثيراته . ولكن منذ ذلك الحين تبدل الموقف بصورة أساسية . فالنفور السابق قد انقلب الى تقبل مسرف الترحيب ، وقد حدث ذلك ليس فقط نتيجة للانطباع الذى كان لأبد وأن تحدته أبحاث لييبو Lièbault وبرنهيم Bernheim وتلاميذهما خلال هذه الاعوام العشرين ، بل أيضا لأنه قد اتضح منذ ذلك الحين عظم مايمكن أن يتحقق من اقتصاد فى الجهد الفكرى باستخدام هذه الكلمة التريدية (إيحاء) . مامن أحد يعرف ، ومامن أحد يهتم بأن يعرف ماهو الإيحاء ، ومن اين يأتى ، ومتى يحدث ، — فيكفى أن كل ماهو مربك فى مجال علم النفس يمكن وضعه تحت لافتة « الإيحاء » .

ولست اتفق مع وجهة النظر الشائعة اليوم من أن أقوال الأطفال هي دائما أبدا كيفما اتفق ، وغير جديرة بالتصديق . فالـ « كيفما اتفق » ليس له من وجود في الحياة النفسية . ويكون أقوال الأطفال غير جديرة بالتصديق فذلك يرجع الى غلبة الخيال عندهم ، تماما كما أن تكون أقوال الراشدين غير جديرة بالتصديق يرجع الى غلبة الأحكام القبلية عندهم . وفيما عدا ذلك ، فان الأطفال هم الآخرون لا يكذبون بغير سبب ، ولديهم على وجه الجملة من الميل الى حب الحقيقة بأكثر مما لدى الذين يكبرونهم . فلو أننا رفضنا أقوال هانز الصغير جملة وتفصيلا فإننا بكل تأكيد، نظلمه أشد الظلم . فبوسعنا على العكس أن نميز بوضوح بين المناسبات التي كان فيها ، تحت تأثير القوة القهارة للمقاومة ، يزيّف الوقائع أو يحتجزها ، والمناسبات التي كان فيها ، بسبب عدم تيقنه هو نفسه ، يجارى أباه (بحيث لا ينبغي أن نضع مايقوله موضع الاعتبار) ، والمناسبات التي كان فيها ، بعيدا عن أى ضغط يتفجر في فيض من المعلومات عما يجري ، حقا في داخله ، وعن أمور لم يكن أحد، سواه حتى ذلك الحين يعلم عنها شيئا . ان أقوال الكبار لاتنطوى على يقين أكبر ومما يبعث على الاسف أن مامن تقرير عن تحليل نفسى يمكن أن يقدم صورة صحيحة عن الانطباعات التي تلقاها المحلل أثناء قيامه بالتحليل ، وأن مامن احساس نهائى بالافتقار يمكن الحصول عليه من قراءة مثل هذا التقرير ، فذلك لا يتأتى الا بأن يعيش المرء التجربة الحية وهو يقوم بالتحليل . ولكن هذا القصور وهو بنفس الدرجة لصيق بتحليلات الكبار .

أن هانز الصغير يصفه أبوه بأنه طفل مرح وصريح ، وهكذا كان ينبغي أن يكون ، بالنظر الى التربية التي تلقاها على يدى أبويه ، والتي كانت تنحصر بصفه أساسية في استبعاد خطايانا التربوية المألوفة ، فظلالا كان بوسعه أن يمضى في تقصيياته في سذاجة سعيدة ، دون أن تخطر بباله تلك الصراغات التي كان يتحتم عما قليل أن تنشأ عن هذه التقصييات ، كان يفضى بكلّ شئ ، والملاحظات التي ترجع الى تاريخ سابق على الفوبيا ترتفع على كل شك أو تردد ، لقد كان مع تفجر المرض.

وأثناء التحليل أن بدأت تتضح التفارقات بين ما كان يقوله وما كان يفكر فيه ، وكان ذلك من ناحية لأن المادة اللاشعورية ، التي كان يعجز عن السيطرة عليها دفعة واحدة ، كانت تجتاحه على الرغم منه ، ومن ناحية أخرى لأن محتوى أفكاره كان من شأنه ، بالنظر الى علاقته بأبويه ، أن يستثير التحفظات • واني أعتقد ، بعيدا عن الانجياز ، أن هذه الصعوبات هي الأخرى لم تكن هنا بأعظم مما هي عليه في كثير من تحاليل الكبار •

صحيح أنه أثناء التحليل كان يتحتم اخبار هانز بكثير من الأشياء التي لم يكن يستطيع أن يقولها بنفسه ، وأنه كان يتحتم تقديم أفكار اليه وما من شيء يعد قد كشف عن وجودها لديه ، وأنه كان يتحتم توجيه انتباهه في ذلك الاتجاه الذي كان ابوه يتوقع مقدما شيء منه ، وذلك يقلل من القيمة الاقناعية لهذا التحليل، ولكن هذا الاجراء هو ما يحدث في كل تحليل • فالتحليل النفسى ليس يبحث علمى محايد ، ولكنه اجراء علاجى • فماهيته ليست هي اثبات شيء بل مجرد تعديل شيء ، فأثناء التحليل النفسى يقدم المحلل دائما لمريضه (أن كثيراً أو قليلا بحسب الحالة) الصور الشعورية المتوقعة ، التي بفضلها يصبح في وضع يمكنه من أن يتعرف على المادة اللاشعورية ويمسك بها • فهناك بعض من المرضى الذين يحتاجون الى هذه المعونة بدرجة أكبر ، بينما يحتاج اليها بعض آخر بدرجة أقل ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يستغنى كلية عن هذه المعونة ، ان كان له أن يمضى في العلاج • ان الاضطرابات الهيئية ربما يمكن التخلص منها بجهود ذاتية من الفرد ، ولكن هذا مستحيل في حالة العصاب — وهو شيء انبثق ضد الأنا كعنصر غريب عليها • وكما يمكن مواجهة هذا العنصر على خير نحو ، لا بد من معونة شخص آخر ، ويقدر ماتكون معونة هذا الشخص الآخر ممكنة ينفتح العصاب للعلاج • فاذا كان أى عصاب بطبيعته ذاتها يزور عن هذا « الشخص الآخر » — وتلك فيما يبدو خاصية من خصائص تلك الحالات التي تدخل تحت اسم الجفون المبكر — فعندئذ تكون هذه الحالة لنفس هذا السبب مستحيلة على العلاج بأى جهد من جانبنا

وعليه فمن المسلم به أن الطفل ، بسبب قصور تطور أجهزته العقلية ، يحتاج الى معونة كبيرة بصفة خاصة • ولكن المعاومات التي يزود بها المحلل مرضاه هي في نهاية الأمر مستمدة بدورها من خبراته التحليلية ، ويكون اقتناعا قائما على أسس متينة حقا أن نحن ، بهذا التدخل من جانب المحلل ، تمكنا من الكشف عن بنية المادة المولدة للمرض ، ومن القضاء على المرض في نفس الوقت •

ومع ذلك ، فان مريضنا الصغير ، حتى في أثناء تحليله ، قد كشف عن قدر كاف من الاستقلالية يسمح بتبرئته من تهمة « الايحاء » وهو ككل الأطفال الآخرين قد قام بتطبيق نظرياته الجنسية الطفلية على المادة التي أمامه ، دون أن يتلقى أى تشجيع حتى يقوم بذلك • وهذه النظريات بعيدة الى أقصى حد عن عقلية الراشدين • والواقع أنني في هذه الحالة قد فانتى أن أنبه أبا هانز الى أن الطريق الذى سوف يتأدى بهانز الى مشكلة ولادة الأطفال يتحتم أن يمر بالعتدة الاخراجية وهذا التقصير من جانبى ، وأن تمخض عن مرحلة غامضة في التحليل الا أنه كان مع ذلك وسيلة زودتنا بدليل رائع على أصالة واستقلالية العمليات النفسية عند هانز فقد غدا فجأة ينشغل « باللومف » ، دون أن يكون لدى أبيه — وهو الذى كان بحسب زعم الزاعمين يمارس الايحاء عليه — أدنى فكرة عن الكيفية التي تأدى بها الى ذلك ، أو عما يمكن أن يتمخض عنه ذلك • كذلك لا يمكن تحميل أبيه أية مسئولية ايحائية عن الأخيولتين الخاصتين بالسمكرى ، واللتين انبعثتا عن «عقدة الخضاء» الباكرة التكوين عند هانز • ويتحتم هنا أن أعترف أنني ، بدافع من اعتبارات نظرية ، قد أخفيت تماما عن أبى هانز ما كنت أتوقعه من أن الأمر سوف يتكشف عن وجود مثل هذه العلاقة ، وذلك حتى لاأفسد القيمة الاقناعية لدليل من نوع نادرا مايقع في قبضة أيدينا •

ولو أنني مضيت أتعلمق في تفصيلات التحليل ، لكان بوسعى ان أقدم كثرة من الادلة على تحرر هانز من « الايحاء » ، ولكنى سوف

أتوقف الآن عن المضي في مناقشة الاعتراض الأول (١) . فانى على وعى من اننى حتى بهذا التحليل المعن ، لن انجح فى اقناع أى شخص لايريد، أن يفتح للاقتناع ، ومن هنا سوف أمضى فى مناقشة الحالة من أجل أولئك القراء المقتنعين بالفعل بالواقعي الموضوعية للمادة اللاشعورية المولدة للمرض . وأنى لأفعل ذلك فى يقين ييمث على السرور من أن هؤلاء القراء يتزايد عددهم بشكل مطرد .

* * *

ان السمة الأولى التى يمكن اعتبارها عند هانز الصغير جزءا من حياته الجنسية هى اهتمامه العارم بصفة جد خاصة بحمامته — وهو عضو يشير اسمه الى احدى وظيفتيه، التى هى بالكاد أقلهما أهمية، وهى وظيفة لايمكن تجاهلها فى فترة الحضانة . وهذا الاهتمام قد اثار عنده روج البحث والتقصي ، ومن ثم اكتشف أن وجوده أو عدم وجود حمامة يمكن من التفرقة بين الأحياء وغير الأحياء من الأشياء . لقد اعتقد أن كل الأحياء هم على شاكلته ، فلديهم هذا العضو الهام من أعضاء البدن ، لاحظ وجوده عند الحيوانات الكبيرة ، وتوقع أن كون الأمر كذلك عند أبويه كليهما ، بل أنه لم يتراجع عن اعتقاده ، حتى أمام شهادة عينييه ، فقرر وجود هذا العصفور عند اخته الحديثة الولادة . ويمكن القول بأنها كانت تكون هزة مروعة « لفلسفته عن العالم » لو أنه كان عليه أن يتنازل عن اعتقاده فى وجود هذا العضو عند كائن مماثل له ، كان ذلك يكون بمثابة اقتلاع لهذا العضو منه هو نفسه . وربما كان بسبب ذلك أن توريد أمه له ، الذى كان ينصب بالتحديد على فقدانه لحمامته ، سرعان ما انطرد من بين أفكاره ، بحيث لم تتكشف تأثيراته الا فى وقت لاحق . وكان هذا التدخل من جانب الأم يرجع الى أن هانز كان يهوى فى العادة أن يتيح لنفسه أحاسيس اللذة باللعب فى عضوه : كان الصبى الصغير قد شرع يمارس

(١) (الأول من حيث المناقشة ، والثانى من حيث الترتيب — المترجمون)

هذا النشاط الأكثر شيوعا وسوية من الانثيطة الجنسية للشبقية الذاتية .

أن اللذة التي يحصل عليها الفرد في عضوه الجنسي يمكن أن ترتبط بالنظرية (١) في شكلينهما الايجابي والسلبي ، وذلك على نحو وصفه الفريد أدلر أدق وصف تحت ياسم « تشابك الغرائز » (٢) . ومن ثم بدأ هانز الصغير يتلمس الفرص لرؤية حمامات الآخرين ، ازدهرت استطلاعيته الجنسية ، وفي نفس الوقت كان يحب أن يستعرض حمامته . كان أحد أحلامه ، الذي يرجع بتاريخه الى بداية فترة الكبت ، يعبر عن رغبته في أن احدى صديقاته الصغيرات تعينه على أن يطرطر ، بمعنى أن تشارك في رؤية المشهد ، ، وعليه فان الحلم يكشف عن أن هذه الرغبة كانت الى ذلك الحين قائمة لم تنكبت ، وقد أيدت المعلومات اللاحقة أنه كان من عادة هانز أن يشبع تلك الرغبة .

وسرعان ما ارتبط الجانب الايجابي من النظرية الجنسية عنده بدافع محدد . فلطاما كرر لأبيه ولأمه تعبيره عن أسفه على أنه لم يشهد قط حتى الآن حمامتيهما ، وربما كانت حاجته الى المتارنة هي التي اضطرت له لذلك . ان الأناهي دائما المعيار الذي يقيس به الفرد العائم الخارجي ، فالفرد يأخذ في تفهم العالم عن طريق مقارنته المتصلة مع نفسه . فقد لاحظ هانز أن الحيوانات الكبيرة لها حمامة أكبر نسبيا من حمامته ، ومن ثم توقع أن نفس الأمر يصدق على أبويه ، وكان شغوفاً بأن يتحقق من ذلك . تصور أن أمه أن تكون لها حمامة « مثل الحصان » . وعندئذ تسلح بالعزاء الريح : ان حمامته ستكبر معه . يبدو الأمر وكأن رغبة الطفل في أن يكبر قد تركزت في عضوه الانسالي .

(١) (السكوبتوفيليا ، أى اللذة الجنسية للنظر - المترجمون)

(٢) Der Aggressionsbetrieb in Leben und in der Neurose, 1969

(غريزة العدوان في الحياة وفي العصاب)

وهكذا ففي الجبلية الجنسية عند هانز الصغير كانت المنطقة الاسالية منذ ابدائه هي تلك المنطقة التي تزوده - من بين المناطق الشبقية عنده - بأعظم قدر من اللذة • واللذة الأخرى الوحيدة الماثمة التي تكشفت عنده كانت اللذة الاخراجية ، ونعنى اللذة المرتبطة بفتحى الاخراج ، اللتين يتم عبرهما التبوك والتبرز وفي أخيوولته الأخيرة الخاصة بالنعيم ، والتي بها تغلب على مرضه ، تخيل هانز أن لدية أطفالا ، يأخذهم الى المرحاض ، ويجعلهم يطرطرون ، ويمسح لهم مؤخراتهم • ويعمل لهم باختصار « كل مايمكن عمله مع الأطفال » ، ومن هنا يبدو من المستحيل تجنب الاعتقاد بأن نفس هذه العمليات ، أثناء الفترة التي كان فيها هانز موضع العناية كطفل صغير ، كانت بالنسبة اليه مصدرا لأحاسيس لاذة • كان يحصل على هذه اللذة من مناطقه الشبقية بمعونة الشخص الذى كان يعتنى به - ونعنى فى الواقع أمه ، وهكذا فان هذه اللذة كانت بالفعل قد حددت الطريق لاختيار الموضوع • ولكن من الممكن أيضا أنه فى تاريخ أبكر كان من عادته أن يتيح لنفسه هذه اللذة فى صورة شبقية ذاتية - أى أنه كان واحدا من أولئك الأطفال الذين يحبون احتجاز مخرجاتهم ، بحيث أزيد على القول بأن ذلك « من الممكن » لان الامر لم يتم الاكشف عنه بوضوح فى التحليل ، « فعمل صخب شديد بالارجل » (الترفيس) ، يكون فى اخراجها مايتيح لهم الحصول على احاسيس شهويه • ولن وهو الامر الذى أصبح هانز فيما بعد يرتعب منه اتسد الرعب ، يؤيد هذه الامكانية • ولكن ، مهما يكن من أمر ، فان هذين المصدرين للذة لم يكن لهما عند هانز من أهمية تستلقت الانتباه بشكل خاص ، على نحو ما يكون ذلك غالبا عند أطفال اخرين • فقد اعتاد هانز النظافة فى وقت باكر ، فلم يكن للتبول اللا ارادى أثناء النهار أو أثناء الليل من دور فى سنواته الأولى ومامن أثر لديه ، كشفت عنه الملاحظة ، لنزعة عنده الى اللعب ببرازه ، وهى نزعة جد منفرة بالنسبة للراشدين ، وكثيرا ماتعاود الظهور فى نهاية عمليات النكوص النفسى •

وعند هذه النقطة ينبغى أيضا أن ننبه على الفور الى أنه أثناء

القويبا كان هناك ، بشكل لا يمكن تجاهله ، كبت لهذين العنصرين جيد
المزدهرن من نشاطه الجنسي . كان يخجل من التبول أمام الآخرين
ويتهم نفسه بأنه قد وضع يده على حمامته ، ويبدل جهوداً للتخلص
من الاستمناء ، ويبدى اشمئزازه من « اللومف » و « البول » ومن
كل شيء يذكره بهما . وفي الاخيولة التي يرعى فيها أطفاله تخلص
هانز من هذا الكبت الاخير .

ان جبلة جنسية كهذه التي عند هانز لا يبدو أنها تتطوى على
استعداد سابق لنشأة الانحرافات أو صورها السالبة (وسنقتصر
هنا - من هذه الصور - على تناول الهستيريا) فبقدرما تبلغ اليه
خبرتي (فما تزال هناك حتى الآن حاجة حقيقية الى التحدث بتحفظ
في هذه النقطة) تتميز الجبلة الفطرية للهستيريين بكون المنطقة الانسالية
أقل هيمنة بالقياس الى المناطق الشيقية الاخرى . وأما أن ذلك
يصدق أيضا على المنحرفين جنسيا ، فأمر يكاد أن يكون غنيا عن البيان
ولكن يتحتم علينا أن نستثنى بشكل صريح من هذه القاعدة شكلا
بعينه من الاشكال التي يتخذها « الانحراف الجنسي » . فعند أولئك
الذين سيصبحون فيما بعد مثليي الجنسية ، نلتقي في الطفولة بنفس
هذه الهيمنة للمنطقة الانسالية (وخاصة بهيمة القضيب) التي نلتقي
بها عند الانسوياء (١) . ان ما يستشعره مثلي الجنسية من تقدير كبير
لعضوه الذكري ، هو في الواقع ما يحدد مصيرة ففى طفولته يختار
النساء موضوعا جنسيا ، طالما أعتقد أنهم أيضا لهم أيضا مايعتبره
جزءا من البدن لاغنى عنه ، وعندما يبلغ الى الاقتناع بأنهم قد
خدعته في هذه النقطة ، فأنهم يتوقفن عن أن يكن موضع تقبل منه
كموضوعات جنسية . فمثلي الجنسية لا يستطيع أن يتنازل عن وجود

(وكما تأدت بي توقعاتي الى أن أفترض ، وكما كشفت عن ذلك ملاحظاتي
ساجر Sadger فإن جميع مثليي الجنسية يمرون في طفولتهم
بمرحلة من النمو للناحيتين amphigenic حيث تتجه (الرغبة بدون
تعميم الى الأفراد من الجنسين كموسوعات جنسية - هامش الترجمة
الفرنسية .

القضيب عند أى كائن يمكن أن يجتذبه الى الأتصال الجُنسى وإذا كانت الظروف موافقة فسوف يثبت اللبيدوكليه على « امرأة ذات قضيب » على شاب أنتوى المظهر . وعليه فمثليوا الجنسية هم أشخاص لا يستطيعون ، بالنظر الى الاهمية الشبقية الذاتية للعضو الانسالى عندهم ، أن يتنازلوا عن وجود خاصية مماثلة في موضوعهم الجنسى . انهم في مسار ارتقائهم من الشبقية الذاتية الى حب الموضوع قد توقفوا عند نقطة تثبيت هي أدنى الى المستوى الأول منها الى الثانى .

ليس من مبرر على الاطلاق للقول بعريزة خاصة من الجنسية المثلية . فان مايجعل الشخص مثلى الجنسية ليس خاصية في حياته العريزية بل خاصية في اختياره للموضوع . واهى أرجع القارئ هنا انى باقدمته في كتابى « نظرية الجنس » ، والذي مؤداه أننا قد توهمنا خطأ قيام اتحاد بين العريزة والموضوع في الحياة الجنسية هو من المتانة بأكثر مما عليه الأمر في الواقع . فمثلى الجنسية يمكن أن تكون لديه غرائز سوية ، ولكنه عاجز عن تحرير هذه الغرائز من صنف من الموضوعات التى تتميز بخاصية معينة . وأثناء الطفولة ، حيث يبدو من المسلم لديه عمومية هذه الخاصية المعينة ، يكون يوسعه أن يسلك مثل هانز الصغير ، الذى كان مغرما في غير تمييز بصغار البنات ، بحيث وصف مرة صديقه فريتزل على أنه « البنت التى يهاها أكثر من سائر البنات » . كان هانز مثلى الجنسية (كما يمكن أن يكونه كل الأطفال) ، مما يتفق تماما مع الحقيقة التى لاينبغى أن تغيب عنا أبدا ، من أنه لم يكن يعرف الا عضوا انساليا من نسوع وأحد عضوا انساليا مثل عضوه (١) .

(١) (ملحوظة أضافية عام ١٩٢٣ .) - لقد وجهت النظر فيما بعد (١٩٢٢) الى أن مرحلة النمو الجنسى التى كان يمر بها مريضنا الصغير تتميز دائما بمعرفة نوع واحد ليس غير للعضو الانسالى ، هو على التحديد العضو الذكرى . وفي تعارض مع مرحلة النضج اللاحقة تتميز هذه المرحلة لا بهيمنه العضو الانسالى ، بل بهيمنه العضو الذكرى (قضيبا كان أم بظرا ، المترجم)

وفي نموه الملاحق ، على أى حال ، لم يتجه داعرنا الصغير الى الجنسية المثلية بل ذكورة عازمة نزاعة التي تعدد الزوجات (البوليجميا) ، وكان يعرف أيضا كيف يتنوع من سلوكه بتنوع موضوعاته الأنثوية — متهور العدوانية في حالة ، مترددا وخجولا في حالة أخرى . لقد تحول حبه من أمه الى موضوعات حب أخرى ، ولكن في الوقت الذي ندرت فيه هذه الموضوعات عاد حبه اليها ، لينفجر عصابا . وعندئذ فقط اتضح الي أي حد من الشدة بلغ حبه لأمه ، وعبر أية تقلبات مضى هذا الحب . ان الهدف الجنسي الذي كان يستهدفه مع رفيقات لعبه ، من النوم معهن ، انما نشأ في الأصل في علاقته بأمه . وقد عبر عن هدفه هذا في كلمات يمكن أن تكون ملائمة في فم راشد ، وان كان مضمونها في الحالة الأخيرة أكثر ثراء (١) . لقد وجد الصبي طريقه الى حب الموضوعات بالطريقة المألوفة من خلال العناية التي نالها حين كان طفلا صغيرا ، ولكن نوعا جديدا من اللذة قد غدا الآن عنده أعظم اللذات على الإطلاق — ونعني لذة النوم مع أمه . وننبه هنا الى أهمية اللذة النابعة من الملامسة الجلدية كعنصر مكون لهذا الهدف الجديد عند هانز ، والذي بحسب التسمية — المفتعلة كما رأينا — عند مول Moll يمكن وصفه على أنه أشباع لغريزة التحسيس (٢) .

وهانز في اتجاهه من أبيه وأمّه يؤيد ، بأقصى مايكون عيانية وحسما ، ما سبق لي أن قدمته في كتابي « تفسير الأحلام » ، وفي كتابي « نظرية الجنس » عن العلاقات الجنسية للطفل بأبويه . كان هانز بحق أوديبا صغيرا يرغب في « تنحية » أبيه عن طريقه ، وفي التخلص منه ، حتى ينفرد بأمه الجميلة وينام معها . هذه الرغبة نشأت في الأصل أثناء

(١) والتعبير الالمانى bai jemandem Schalifen ، ويعنى حرفيا « ينام مع » يستخدم أيضا (على نحو ما يستخدم في الانجليزية التعبير to lie with « يرقد مع ») بمعنى يضاجع ، هامش الترجمة الانجليزية ، « ويصدق هذا أيضا في العربية وفي الفرنسية — المترجمون . »
 (٢) « Gontrectation » ، هي الحفرة الى لس أفراد الجنس الآخر بغير تمييز (هافلوك اليس ، ١٩١٠) — معجم هاريمان — المترجمون .

عظلة الصيف ، عندما عمل تتابو حضور الأب وغيابه على تنبيه هانز الى الشرط الضرورى اللازم لعلاقته الحميمة بأمة ، هذه التى كان يصبو اليها . فى ذلك الوقت ، كانت الصورة التى اتخذتها الرغبة هى ببساطة أن أباه ينبغى أن « يرحل » ، وفى مرحلة لاحقة أصبح من الممكن لخوفه من أن يعضه حسان أبيض ، أن يربط نفسه مباشرة بتلك الصورة الاولى التى اتخذتها الرغبة ، وذلك بفعل انطباع أتفق أن استشعره لحظة رحيل شخص آخر ولكن فيما بعد (ربما لم يكن ذلك قبل عودتهم الى فينا ، حيث لم يعد من الممكن التعويل على غيابات أبيه) اتخذت الرغبة صورة أخرى ، هى أن الأب ينبغى أن يرحل الى الابد - ينبغى أن يموت . والخوف الذى انبعث من رغبة هانز هذه فى موت أبيه ، والذى بذلك يمكن القول بأنه كان يرجع الى دافع سوى ، كان يشكل العقبة الرئيسية فى وجه التحليل ، حتى تمت ازالته أثناء الحديث الذى جرى فى عيادتي (١) .

ولكن هانز لم يكن بأى حال شريرا صغيرا . فهو لم يكن حتى واحدا من أولئك الاطفال الذين فى سنه ماتزال تتطلق عندهم فى حرية تلك النزعة الى القسوة والعنف التى هى جانب من الطبيعة البشرية . بل على العكس من ذلك كانت لديه بشكل غير عادى نزعة الى الحنان والطيبة ، فقد قرر أبوه أن تحول النزعات العدوانية الى مشاعر الاشفاق قد تحقق عنده فى سن جد باكرة . فقبل المفويا بوقت طويل كان قد أصبح ينزعج عند رؤيته لأحصنة الارجيح وهى تنضرب ، ولم يكن بوسعه دون انفعال أن يرى أحدا يبكي فى حضوره . صحيح أنه فى مرحلة من التحليل ظهر جانب من ساديته المكبوحه ، فى سياق بعينه (٢) :

(١) من المؤكد تماما أن هاتين المستدعيتين عند هانز : شراب التوت ، و « بندقية القتل » ، لابد وأنهما ترجعان الى أكثر من مجموعة من المحددات . فهما ، فيما يحتمل ، فى علاقة مع كراهية لابييه بقدر ما هما عقدة الامسك عنده . والاب ، الذى استطاع بنفسه أن يمسك بهذه العلاقة الاخيرة ، قد أشار أيضا الى ما « لشراب التوت » من علاقة « بالدم » .
(٢) رغبته فى أن يضرب . ويعاكس الاحصنة .

ولكنه كان سادية مكبوحة ، وسيكون علينا الآن أن نتقصى من السياق هذا الذي ظهرت تلك السادية في مكانه ، وما الذي ترمز اليه • كان هانز يحب في عوق نفس هذا الأب الذي كان ضده يغذى تلك الرغبات في موته ، وبينما كان ذكائمه لا يتقبل هذا التناقض (١) ، كان يكيف في واقع الأمر عن وجود هذا التناقض عندما كان ينطح أباه ثم يسارع في التوالى تقبيل الموضع الذي نطحه • ويتحتم علينا نحن أنفسنا أن نحترز من عدم تقبل هذا التناقض • فالحياة الانفعالية للانسان تتكون على وجه الجملة من أزواج من المتناقضات من هذا القبيل (٢) • ولو يكن الأمر كذلك ، لما كانت هناك فيما يحتمل كموتات أو أعصبة • وعند الراشد ، كقاعدة عامة ، لا يصبح أى زوج من أزواج المتناقضات هذه شعوريا في جانبية في آن واحد ، اللهم ألا في ذروة الحب المشبوب ، أما فيما عدا ذلك فعادة ما يمشى الجانبان بحيث يكبح أحدهما الآخر ، حتى ينجح أحدهما في مواراة الآخر تماما ، وحجبه عن الأنتظار • ولكنهما عند الأطفال يستطيعان أن يتعايشا في سلام جنباً الى جنب خلال فترة طويبة من الوقت •

كان أعظم التأثيرات أهمية في مسار النمو النفسجنسى عند هانز هو ميلاد أخت صغيرة عندما كان في الثالثة والنصف من عمره • فهذا الحدث قد أبرز علاقاته مع أبويه ، وفرض على تفكيره مشكلات لا حل لها • وبعد ذلك ، فان رؤيته للعناية ، وهى تغدق على أخته الصغيرة ، قد بعثت في نفسه ذكريات أبكر تجاريب اللذة التى عاشها • وتأثير ذلك الحدث هو أيضا نمطى : ففى عدد يفوق كل توقع من تواريخ الحالات السوية والمرضية على السواء ، نجدنا مضطربين الى أن نتخذ نقطة بدايتنا من تفجر لذة جنسية واستطلاعية جنسية ترتبط — كما هو الشأن في هذه الحالة — بميلاد الطفل التالى • كان سلوك هانز تجاه الطارىء

(١) أنظر السؤال الحرج الذى وجهه الى أبيه (ص ٢٢٤) •

(٢) Das macht, ich binkein ausgcklligelt Buch, Ich bin ein

Menseh mit seinem Widerspruch C.F.M. yer, Huftens lerzte Tage

(انى لست في الواقع اسطورة عبودية بل انسان بكل التناقضات البشرية) •

الجديد هو على التحديد ما وضعته في كتابي « تفسير الأحلام (١) » وبعد أيام قليلة ، وهو يعانى الحمى ، فضح هانز مدى ضآلة ترحييه بالإضافة التي طرأت على الأسرة . فهنا تظهر العدائية أولا ، ثم يأتى الحب غيما يعد (٢) . ومنذ ذلك الحين فصاعدا فان الخوف من أن يجيء طفل جديد أيضا قد وجد مكانا بين أفكاره الشعورية . وفي العصاب ، فان عدائيته ، انتى كان قد تم بالفعل كبحها ، تمثلت في خوف نوعى — هو الخوف من البانيو . وفي التحليل عبر هانز بشكل صريح عن رغبته في موت أخته ، ولم يقنع بتلميحات يتحتم على أبيه أن يقوم بتنميتها . لم يكن ضميره ينظر الى هذه الرغبة على أنها من السوء مثل مثلتها من الرغبة في موت أبيه . ولكن من الواضح أنه كان في لا شعوره لا يفرق بينهما ، فكل منهما قد انتزع هائلا منه ، وحال دون انفراوه بها .

أصف الى ذلك أن هذا الحدث ، والمشاعر التي ابتعثها ، قد وجهت رغباته وجهة جديدة . ففي أخيلوته الاخيرة والمظفرة جمع معا كل رغباته الشبقية ، سواء منها ما يرجع الى مرحلة الشبقية الذاتية أو ما يرتبط بحب الموضوع . في تلك الأخيولة تزوج أمه الجميلة ، وكان له أطفال لا حصر لهم ، يعنى بهم على طريقته الخاصة .



ذات يوم ، بينما كان هانز في الطريق ، استولت عليه نوبة من الحصر (القلق المرضى) . لم يكن بوسعه بعد أن يقول ما هذا الذى يخاف منه ، ولكنه في البداية الأولى لحالة الحصر هذه فضح لأبيه دافعه الى أن يمرض والميزة التي يحصل عليها من المرض . كان يرغب في أن يبقى مع أمه ، وأن « يتدلح » معها ، وتذكره بأنه كان قد أبعد عنها وقت ميلاد الطفل الصغيرة ربما يكون أيضا — كما أشار أبوه — قد أسهم في اذكاء

(١) الطبعة السابعة الالمانية ، ص ١٧٤ . الترجمة العربية : تفسير الاحلام دار المعارف بمصر ، ص ٢٦٥ وما بعدها .
(٢) قارن خطه عما ينتوى أن يفعله حين تكبر أخته وتستطيع أن تتكلم (ص ٦٦٠) .

صبايته اليها • وسرعان ما اتضح أن حصره لم يعد من الممكن وده من جديد الى صبايته ، فقد كان يخاف حتى حين كانت تصحبه أمه • وفي الفترة الفاصلة ظهرت دلائل تشير الى هذا الذي غدا الليبيدو (أذى تحول الآن الى حصر) متشبثا به • فقد عبر هانز عن خوف نوعى تماما من أن يعضه حصان أبيض •

والاضطرابات من هذا النوع تسمى « فوبيا » ، وربما كان من الممكن أن نضيف حالة هانز على أنها أجورافوبيا ، لولا هذه الحقيقة التى مؤداها أن ما يميز الأجورافابيا هو أن الانتقال ، أذى يعجز المريض فيما عدا ذلك عن أن يقوم به ، يمكن دائما أن يتم بسهولة حين يصاحبه شخص معين — هو فى الحالات القصوى الطبيب • وفوبيا هانز لا يتوفر فيها هذا الشرط ، وسرعان ما توقفت عن أن تكون لها أية صلة بالانتقال ، وأخذت تتركز بوضوح أكثر فأكثر على الأحصنة • وفى الايام البكرة من مرضه ، حين كان قلقه فى أعلى ذروته ، عبر هانز عن خوفه من أن « يدخل الحصان الى الغرفة » ، وكان ذلك هو الذى أعانى كثيرا على فهم حالته •

فى تصنيف الأعصاب ، لم يتم حتى الآن تعيين مكان محدد « للفوبيا » ويبدو من المؤكد أنه يتحتم اعتبارها فحسب مجرد زملاى (١) يمكن أن تشكل جانبا من أعصاب مختلفة ، وأنا لسنا بحاجة الى تصنيفها بحسبانها كنها مرضيا قائما برأسه ، وبالنسبة الى الفوبيات من قبيل فوبيا هانز الصغير ، وهى فى الواقع أكثرها شيوعا ، يبدو لى أن أسم « هستيريا الحصر » ليس غير ملائم • وقد اقترحت هذا المصطلح على الدكتور ف • شتكل ، عندما كان يظطلع بوصف لحالات الحصر العصابى (٢) ، وانى لآمل أن يعم استخدامه ، فهذا المصطلح يجد ما

Syndromes (١)

W. Stekel, Nervose Angstzustände und ihre Behandlung,

(حالات الحصر وعلاجها) •

1908

يبرره في تشابه ما بين البنية السيكولوجية لهذه الفوبيات والبنية السيكولوجية للهستيريا - وهو تشابه تام فيما عدا نقطة واحدة . ولكن هذه النقطة مع ذلك هي نقطة حاسمة ، وملأمة تماما لأغراض التمييز . ففى هستيريا الحصر فان النيبيدو الذى تجرد من المادة المولدة للمرض عن طريق الكيت لا يتبدن (بمعنى أنه لا يتحول من مجاله النفسى الى تعصيب بدنى) ، بل يظل طليقا فى صورة حصر . وفى الحالات الكلينيكية التى نلتقى بها يمكن « لهستيريا الحصر » هذه أن تتألف مع « هستيريا التبدن (١) » بشكل النسب الممكنة . هناك حالات من هستيريا التبدن الخالصة ، دون أى أثر للحصر ، تماما كما أن هناك حالات من هستيريا الحصر ليس غير ، تتبدى فى مشاعر حصر وفوبيات دون أن يمتزج بها أى تبدن . وحالة هانز الصغير هى واحدة من النوع الأخير .

أن هستيريات الحصر هى الأكثر شيوعا بين الأعصية النفسية . ولكنها ، قبل كل شيء ، أبكر الأعصية ظهورا فى الحياة ، أنها بالدرجة الاولى أعصية الطفولة . وعندما تستخدم أى عبارات من قبيل « اعصاب » طفلها فى حالة سيئة فبوسعنا أن نكون على ثقة ، فى تسع حالات من عشر ، من أن الطفل يعانى نوعا من الحصر ، أو عدة أنواع فى آن واحد . ومن سوء الحظ أن الميكانيزم ألرهدف لهذه الاضطرابات العظيمة الدلالة : لم ينل بعد حظا كافيا من ادراسة . فلم يتقرر بعد ما أن كانت هستيريا الحصر - تميزها لها من هستيريا التبدن والأعصية الأخرى - ترجع الى العوامل الجبلية وحدها ، أو الى الخبرات الطارئة وحدها أو الى ائتلاف من النوعين (٢) . ويبدو

(١) (Conversion Hysteria)

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣ .) - ان المشكلة هنا لم تلق المتابعة . ولكن ليس من سبب يدعونا الى أن نفترض أن هستيريا الحصر تشذ عن القاعدة انتى مؤداها أن الاستعداد السابق والخبرة كليهما يتحتم أن يسهما فى الاسباب المولدة للعصاب . بيدد أن رأى رانك عن آثار صدمة الميلاد يلقى ضوءا خاصا على الاستعداد السابق لهستيريا الحصر ، وهو الاستعداد جد القوى فى الطفولة . (لقد نقد فرويد هذا رأى فيما بعد عام ١٩٢٦ فى الفصل الثامن من كتابه الكف والاعراض والحصر . أنظر الترجمة العربية بقلم د . عثمان نجانى بعنوان النقل . مكتبة النهضة . المترجمون) .

على أن هستيريا الحصر ، من بين كل الاضطرابات العصابية ، هي أقلها حاجة إلى استعداد جيلبي ، ومن ثم فهي أيسر الاعصبة حدوثا في أى وقت من الحياة .

وثمة خاصية أساسية من خصائص هستيريات الحصر من اليسير جدا أن نثبنيها ، فهستيريا الحصر تنزع أكثر فأكثر إلى أن تصبح « فوبيا » . وفي النهاية يمكن أن يخون المريض قد تخلص من كل حصره ، ولكن ذلك فقط بثمن باهظ هو إخضاع المريض نفسه لكل ضروب الكفوف والتقييدات . فمئذ البداية في هستيريا الحصر ثمة جهد نفسى متواصل يعمل على أن يقيد نفسيا من جديد هذا الحصر الذى غدا طليقا ، ولكن هذا العمل ليس بوسعه لا أن يعيد من جديد الحصر إلى لبيبيدو (١) لا ولا أن يجد نقطة لتقييده في نفس هذه العقدة التى منها انبعث اللبييدو . فليس أمامه من سبيل الا أن يسد الطريق على كل فرصة يمكن أن تؤدى إلى نشأه الحصر وذلك بأقامة موانع نفسية في صورة تحوطات أو كفوف أو تحريمات ، وهذه الصروح الدفاعية هى التى تثبدي لنا في صورة فوبيات وتشكل أمام ناظرينا لب المرض .

ويمكن القول بأن علاج هستيريا الحصر كان حتى الآن علاجا سالبيا تماما . فقد كشفت الخبرة عن استحالة ، بل وأحيانا عن خطورة ، محاولة شفاء فوبيا بوسائل عنيفة أى بحرمان المريض أولا من دفاعاته ، ووضعه بعد ذلك في موقف لا يستطيع فيه أن يتفادى ما يحتاجه من حصر متفجر . والخلاصة هى أنه ما من شئ يمكن عمله الا أن ندع المريض ، وقد اعيتنا الحيل ، يفتش له عن مأمن ، حيثما يعتقد أن بوسعه أن يجده ، وأن نكتفى بالنظر إليه — مما لا يعينه كثيرا — باحتقار على « جنبه الذى ليس له ما يبرره » .

كان والدا هانز الصغير ، منذ البداية ، قد عقدا عزمهما على أن لا يسخرأ منه أو يعنفأ معه ، بل أن يحاولا البلوغ إلى رغباته المكبوتة

(١) تشير هذه العبارة إلى نظرية فرويد الأولى في الحصر بوصفه طاقة اللبيدو المكبوت ، وقد صحح فرويد هذه العبارة بحيث أصبح الحصر هو الياعت على كبت اللبييدو (الترجمون) .

بطرائق التحليل النفسى • وقد كلل النجاح الجهود المضنية غير العادية لتي بذلها الأب ، وسوف تتيح لنا تقريره فرصة للنفاذ الى نسيج هذا النوع من الفوييا ، وتتبع مسار تحليلها •

ليس من المستبعد ، فيما اعتقد ، أن تكون الاسهات والتفصيلات في هذا التحليل قد جعلته غامضا بعض الشيء بالنسبة الى القارىء • ومن ثم فسوف أبدأ بتقديم موجز مقتضب عنه ، بحيث استيعد منه كل ما هو جانبى ومشتت للانتباه ، موجها الانتباه الى النتائج وهى تتتابع في خروجها الى الضوء واحدة بعد أخرى •

وأول شيء ننتبينه هو أن تفجر حالة الحصر لم يكن بأى حال فجائيا ، كما بدا للوهلة الأولى • فقبل ذلك بأيام قليلة صحا الطفل من حلم حصر ، مؤداه أن أمه قد رحلت ، ولم تعد معه الآن أم «يتدلج» معها • هذا الحلم وحده يشير الى وجود عملية كبت بالغة الشدة • وليس بوسعنا تفسير هذا الحلم ، على نحو ما نفعل مع كثير من أحلام الحصر الأخرى ، بأن نفترض أن الطفل قد استشعر في حلمه حصرأ ناشئا من سجب يدنى ، وأنه قد استفاد من هذا الحصر ليشبع رغبة لا شعورية ، كانت تظل بغير ذلك عميقة الانكبات (١) • بل يتحتم علينا بالحرى أن ننظر الى هذا الحلم على أنه حلم عقوبة وكبت بمعنى الكلمة ، بل — أكثر من ذلك — على أنه حلم فشل في وظيفته ، طالما أن الطفل قد صحا من النوم في حالة حصر • ونستطيع في يسر أن تبني من جديد هذا الذى حدث بالفعل في اللاشعور • كان الطفل يحطم بتدليلات أمه ، وبأنه ينام معها ، ولكن كل اللذة تحولت الى حصر ، وكل المضمون الفكرى الى نقيضه • فقد حقق الكبت انتصارا على ميكانيزم الحلم •

(١) انظر كتابى « تفسير الاحلام » ، الطبعة السابعة الالمانية ، ص ٤٣٣ •

(انظر الترجمة العربية : تفسير الاحلام • دار المعارف بمصر ص ٣٥٤) •

ولكن البدايات الاولى لهذا الموقف السيكولوجى ترجع الى ما قبل ذلك أيضا ، فخلال الصيف السابق اعترت هانز حالات نفسية مشابهة ، هى مزاج من الصبابة والحصر ، تفوه فيها بأمر مشابهة ، وفى ذلك الوقت أتاحت له هذه الحالات أمتيازاً : اذ أخذته أمه معها فى فراشها • وبوسعنا أن نفترض أن هانز قد غدا منذ ذلك الحين فى حالة من الاستثارة الجنسية الشديدة التى كانت الأم موضوعاً لها • وهذه الشدة فى استثارته قد ظهرت فى محاولته لغواية أمه (وقعت المحاولة الثانية قبل تفجر قلقه مباشرة) ، وقد عثر بالصدفة على مسرب لافراغ الاستثارة بالاستمناء فى كل مساء ، وبهذه الطريقة كان يحقق الاشباع • أما كيف تم التحول المفاجئ لهذه الاستثارة الى حصر : أتم تلقائياً ، أم تم نتيجة رفض أمه لعروضه العشقية ، أم تم نتيجة الابتعاد الطارىء للانطباعات الباكرة بفعل مرضه كسبب مباشر (وهو ما سوف نسمع عنه الآن) — فذلك ما لا نستطيع البت فيه ، والواقع أن ذلك أمر لا يهم ، فتلك احتمالات ثلاثة لا يمكن اعتبارها غير مسايرة بعضها لبعض • وتبقى هذه الحقيقة وهى أن استثارته الجنسية قد تحولت فجأة الى حصر •

لقد سبق أن وصفنا سلوك الصبى فى بداية هذا الحصر ، كما وصفنا المضمون الأول الذى نسبه الى هذا الحصر ، وهو على التحديد خوفه من أن حصانا يعضه ، عند هذه النقطة حدث أول تدخل للعلاج قال له أبواه ان حصره هو نتيجة الاستمناء ، وشجعه على أن يقلع عن هذه العادة • وقد حرصت على أن يلحاً — فى حديثهما معه — بأعظم الاهتمام على حبه لأمه ، فقد كان ذلك هو ما يحاول أن يحل محله خوفه من الأحصنة • هذا التدخل الأول أحدث تحسناً طفيفاً ، ولكن سرعان ما ضاعت من جديد تلك الأرض التى كسبناها • وذلك أثناء فترة من المرض البدنى • ظلت حالة هانز دون تغير • وسرعان بعد ذلك ما أرجع خوفه من أن حصانا يعضه الى انطباع عاشه فى جموندن • أب قال لابنته عند رحيلها هذه الكلمات من التحذير : « لاتضعى اصبعك عند الحصان ، فلو فعلت فسيعضك • » وكلمات « لاتضعى اصبعك عند » ، وهى التى

أستخدمها هنز في حكايته لهذا التحذير ، تشبه الكلمات التي صيغ بها التحذير ضد الاستمئاء . ومن هنا ، فقد بدا للوهلة الأولى وكأن أبوى هانز على حق في افتراضهما بأن ماكان يخافه هو اغراقه في الاستمئاء . ولكن العلاقة ماتزال في جملتها غير محددة ، ويبدو وكأنها كانت مجرد صدفة أن الأحصنة غدت شبحه المخيف .

كنت قد افترضت أن رغبة هانز المكبوتة يمكن أن تكون الآن رغبته في أن يرى بأى ثمن حمامة أمه . وحيث أن سلوكه تجاه الخادمة الجديدة جاء مؤيدا لهذا الافتراض ، فقد قدم له أبوه الدفعة الأولى من التبصيرات ، وهي على التحديد أن النساء ليس لهن حمامة . وقد استجاب هانز لهذه المحاولة الأولى لمعاونته ، بأخيولة مؤداها أنه رأى أمه تعرض حمامتها (١) . هذه الأخيولة ، وملاحظة أدلى بها هانز أثناء الحوار ، يتيحان لنا أن نلقى أول نظرة على العمليات النفسية اللاشعورية عند المريض . ذلك أن تهديد الخساء ، الذى وجهته إليه أمه منذ مايقرب من خمسة عشرة شهرا ، قد بدأ الآن يحدث تأثيره عليه بشكل آجل . فأخيولته من أن أمه تفعل نفس الشيء الذى سبق أن فعله هو (التعبير الشهير للأطفال « وأنت أيضا ! حين يوضعون موضع الاتهام) كانت تستهدف تبرير الذات ، كانت أخيولة حماية ودفاع . وينبغى أن ننتبه الى أن أبوى هانز كانا هما اللذان استخرجا ، من بين المادة أتولدة للمرض والتي تعتمل في داخله ، الموضوع الخاص باهتمامه «بالحمامات» وقد مضى هانز في اثرهما على هذه الأرض ، ولكنه لم يدخل بعد في التحليل بأقدام مستقلة . فلم يكن من الممكن بعد ملاحظة أى أثر علاجى مضى التحليل بعيدا تماما عن موضوع الأحصنة ، وتبصيره بأن النساء ليس لهن حمامة كان من شأنه بالحرى أن يزيد من حرصه على أن يبقى على حمامته .

(١) ويخول لنا السياق أن نضيف : « ونلمسها ، (ص ٢١٠) . فهو نفسه في نهاية الامر لم يكن يستطيع أن يعرض حمامته دون أن يلمسها .

ومع ذلك فليس النجاح العلاجي هو هدفنا الأول ، فنحن بالحري نحاول تمكين المريض من أن يبلغ الى أمسك شعوري برغباته اللاشعورية وذلك مايمكن تحقيقه بعملنا ، معتمدين على الاشارات التي يمدنا بها ، ومن ثم بمعونة فنياتنا في التأويل ، مقدمين عقده اللاشعورية الى شعوره في كلمات من عندنا . وسوف تكون هناك درجة معينة من التشابه بين مايسمعه منا وبين هذا الذي يفئس عنه ، والذي يحاول — على الرغم من كل المقاومات — أن يشق طريقه الى الشعور ، وهذا التشابه هو الذي يضع المريض في موقف يمكنه من أن يتعرف على المادة اللاشعورية . والمحلل يسبق المريض على طريق المعرفة ، بينما المريض يتبع ، من ورائه بقليل ، طريقه الخاص به ، حتى يلتقى الاثنان عند الهدف المعين . ومن عادة المحللين المبتدئين أن يخطأوا بين هذين الموقفين ، فيتوهمون أن اللحظة التي تتضح فيها لهم احدى العقد اللاشعورية عند المريض هي أيضا اللحظة التي يتعرف فيها المريض نفسه على هذه العقدة . انهم يتوقعون أكثر مما ينبغي حين يتوهمون أنهم سوف يشفون المريض بمجرد تقديم هذه المعرفة اليه . ذلك أن المريض لايستطيع أن يفيد من هذه المعرفة بأكثر من أن يستعين بها في التعرف على العقدة اللاشعورية ، حيث تستقر عميقة في لاشعوره . أن نجحا مبدئيا من هذا انقبيل هو الذي حصلنا عليه الآن عند هانز . فبوسعه الآن ، وقد سيطر جزئيا على عقدة الخضاء لديه ، أن يفضى الينا برغباته فيما يتصل بأمه . وقد فعل ذلك ، في شكل مايزال محرفاً ، في أخبولة الزرافتين ، اللتين كانت احداهما تصيح في غير طائل لأن هانز قد استولى على الثانية . وقد عبر هانز عن « الاستيلاء » تعبيراً تشكيميا بحسبانه « جلوسا على » . وقد تعرف أبوه عن الأخبولة من حيث هي تكراره لمشهد في غرفة النوم كان يجري عادة في الصباح بين الصبي وأبويه ، وسرعان ماجرد الرغبة الخبيثة من قناعها الذي كانت ماتزال تنتكر فيه . كان أبو الصبي وأمه هما الزرافتان . أما السبب في اختيار أخبولة عن الزراف كأداة للتكرار فيجد مايفسره تماما : في زيارة قام بها الصبي لنفس هذه الحيوانات الكبيرة في شونبرون قبل

ذلك بأيام قليلة ، وفي رسم هانز للزرافة في وقت أبكر ، وهو الرسم الذى احتفظ به أبوه ، وربما أيضا في مقارنة لاشعورية تستند الى الرقبة الطويلة الجامدة عند الزرافة (١) . ومما قد تجدر ملاحظته أن الزراف ، بوصفه حيوانا كبيرا ومثيرا للاهتمام بالنظر الى حمامته ، كان بوسعها أن يدخل في منافسة مع الأحصنة في الاضطلاع بدور الشبح المخيف (أضف الى ذلك أن يكون أبوه وأمه كإيهما قد تبديا في صورة زرافتين ، كان يشكل إشارة لم تتم الافادة منها حتى الآن في تفسير « أحصنة الحصر ») .

وبعد قصة الزرافتين مباشرة أنتج هانز أخيوولتين صغيرتين : احدهما يشق فيينا الطريق عنوة ألى داخل مكان ممنوع في شونبرون ، والأخرى يحطم فيها زجاج النافذة في عربة السكة الحديد في شنادبان . وفي الأخيوولتين يبرز بوضوح الطابع المعيب للفعل الجدير بالعقاب ، كما يبرز أبو هانز شريكا . ومن سوء الحظ أن الأب لم ينجح في تفسير الأخيوولتين ، بحيث لم يفد هانز شيئا من سردهما عليه . وفي التحليل ، على أية حال ، فان الشيء الذى لم يتحقق فهمه يعود بالضرورة الى الظهور من جديد ، هو أشبه مايكون بروح هائمة يستحيل عليها أن تعرف الاستقرار قبل أن ينحل اللغز ويبطل السحر .

وليس بالنسبة اليينا من صعوبة تعترض فهمنا لهاتين الأخيوولتين المتصفتين بالجناح . فيينا تنتمي الى عقدة الاستيلاء على الأم عند هانز . فثمة نوع من الصور الغائم بزغ في نفس الصبى عن شىء مايمكن أن يفعله مع أمه ، ويتحقق به استيلاؤه عليها ، وكيفا يعبر هانز عن هذا الفعل الذى لايستطيع الامساك به ، يلجأ الى تعبيرين تشكيبين معينين يلتقيان عند سمتين مشتركتين هما العنف والممنوع ، ويتفق مضمونهما بشكل عجيب مع الحقيقة الخبيثة ، الى حد يستثير أشد دهشتنا . وكل مانستطيع قوله أنهما كانتا أخيوولتين رمزيتين .

(١) وربما يتفق مع ذلك اعجاب هانز فيما بعد برقبة أبيه .

للجماع ، ولم يكن من التفصيلات العديمة الأهمية أن كان أبوه يشاركه الفعلين : وكأني به يقول « بودى أن أفعل شيئاً مع ماما ، شيئاً ممنوعاً ، لست أدري ماهو ، ولكنى أعرف أنك أنت الآخر تفعله » .

ان أخبولة الزرافتين قد دعمت اقتناعاً كان قد بدأ يستقر في ذهنى حين عبر هانز عن خوفه من أن « يدخل الحصان الى الغرفة » ، ووجدت أن الفرصة المناسبة قد حانت عندئذ لتبصيره بأنه انما كان خائفاً من أبيه لأنه كان هو نفسه يغذى في أعماقه رغبات من الغيرة والعداية ضد أبيه — فقد كان من الضروري افتراض ذلك بحسابه جانباً من وجداناته اللاشعورية . وبتبصيره بذلك ، أكون قد فسرت له جزئياً خوفه من الاحصنة : فالحصان هو بالضرورة أبوه — هذا الذى لدى هانز من الاسباب الداخية الوجيهة ما يدعوه الى الخوف منه . وبعض التفصيلات التى كثف هانز عن خوفه منها — الشرب الاسود على أفواه الاحصنة والاشياء التى أمام عيونها (الشارب والنظارة وهما امتياز ينفرد به الرجل الراشد) — قد بدت لى منقولة بشكل مباشر من أبيه الى الاحصنة .

وبتبصيرى لهانز بذلك أزلت عنده أعنى المقاومات التى تمنع أفكاره اللاشعورية من أن تصبح شعورية : وكان أبوه فى واقع الامر هو الذى يضطلع بدور المحلل . ومنذ تلك اللحظة تخطينا ذروة الحالة ، وأصبحت المادة تتدفق فياضة ، ووجد المريض الصغير من الشجاعة ما جعله يحكى تفصيلات الفوبيا ، ولم يلبث أن بدأ يسهم بشكل ايجابى فى توجيه مسار التحليل (١) .

(١) وحتى فى التحليلات التى يكون فيها المحلل والمريض ولا قرابة بينهما ، يلعب الخوف من الاب دوراً من أهم الادوار كمقاومة ضد المادة اللاشعورية المولدة للمرض . والمقاومات تتخذ من ناحية صورة البواعث . أو من ناحية أخرى ، كما هو فى هذا المثال ، يكون بوسع جزء من المادة اللاشعورية ، بحكم مضونه ذاته ، أن يعمل على كف ظهور جزء آخر من نفس هذه المادة ذاتها .

ولم نبتين الا الآن من أى الموضوعات ومن أى الانطباعات يخاف هانز • لم يكن فحسب يخاف من الاحصنة أن تعضه - فسرعان ما توقف عن الحديث فى ذلك بل أيضا من العربات ، من عربات الاثاث ، ومن الامنيوسات (والخاصية المشتركة بينها ، كما غدا واضحا الآن أنها كلها محملة تحميلا ثقيلًا) ، ومن الاحصنة التى تبدأ فى التحرك ، ومن الاحصنة التى تبدو كبيرة وثقيلة ، ومن الاحصنة التى تركض بسرعة • وهانز يفسر بنفسه ما تعنيه هذه التخصيصات ، كان يخاف من أن الاحصنة تقع ، ومن ثم أدخل فى فؤوبياه ، كل ما بدا من شأنه أن يببسر وقوعها •

وليس مما هو قليل الحدوث أن لا ينجح المحلل فى تبين المضمون الدقيق للفؤوبيا ، أو الصيغة اللغوية الدقيقة لحفرة حصارية ، أو ما انبى ذلك ، الا بعد أن يمضى شوطا بعينه فى العمل التحليلي مع المريض • فالكتب لم يقتصر على أنه نزل بالعقد اللاشعورية ، ولكنه يظل باستمرار يهاجم مشتقاتها أيضا ، بل انه يمنع المريض من أن يصبح على وعى بنتاجاته المرضية ذاتها ، وبذلك فان المحلل يجد نفسه فى ذلك الموقف ، المستغرب من طبيب ، اذ يعمل على اعانة المرض ، وتوجيه الاهتمام اليه • ولكن الذين يجهلون تماما طبيعة التحليل النفسى هم وحدهم الذين يببالغون فى أهمية هذا الطور من العلاج ، منتهين الى اننا ينبغى أن نتوقع بسبب ذلك أن يتمخض التحليل عن الاضرار بالمريض • وحقيقة الامر هى أنه يتحتم عليك أن تمسك بلك قبل أن يكون بوسعك أن تشنقه ، وأنه يتحتم علينا أن نتحمل عناء البدء بالامسك بالتكوينات المرضية التى نهدف الى تدميرها بالعلاج •

وقد سبق لى أن ذكرت ، فى تعليقاتى العابرة على تاريخ الحالة أنه من المفيد جدا أن نعوض على هذا النحو فى تفاصيل فؤوبيا ، فنبلغ من ثم الى اقتناع بالطبيعة الثانوية للعلاقة ما بين الحصر وموضوعاته • ذلك هو ما يفسر كون الفؤوبيات غير ممددة الجال بشكل عجيب ، وفى نفس الوقت محدودة الشروط بشكل محكم •

ومن الواضح أن هانز قد أستمد مادة التنكرات التي لبسها خوفاً من الانطباعات التي كان يتلقاها طوال اليوم بالنظر الى وجود محطة الجمارك المركزية في مواجهة بيته ومما يتعلق بذلك أيضاً ماكتشف عنه هانز من حفزة وان تكن الآن في حالة كف بسبب الحصر الى اللعيب بالحمولة التي على العربات ، بالطرود ، وأبراهيم وألصناديق ، كما يفعل صبية الشوانع .

كان عند هذه المرحلة من التحليل أن تذكر هانز تلك الحادثة ، العديمة الدلالة في ذاتها ، والتي سبقت مباشرة تفجر المرض ، والتي يمكن بلا شك اعتبارها السبب المباشر لهذا التفجر . خرج في نزهة مع أمه ، فرأى حصان أو أومنيوس يقع ، ويضرب بأقدامه في كل اتجاه . أحدث ذلك عنده انطباعاً شديداً . فقد ارتعب ، واعتقد أن الحصان قد مات ، ومنذ ذلك الحين فصاعداً اعتقد ان كل الاحصنة سوف تقع . وقد نبهه أبوه الى أنه عندما رأى الحصان يقع لأبد وأن يكون قد فكر فيه هو ، في أبيه ، وأن يكون قد رغب في أن أباء يقع بنفس الطريقة ويموت . ولم يجادل هانز في هذا التفسير ، وبعد برهة قصيرة شرع يلعب لعبة تتحصر في أن يعض أباء ، كاشفاً بذلك عن تقبله للتفسير الذي مؤداه أنه قد وحد بين أبيه والحصان الذي كان يخاف منه . ومنذ ذلك الحين فصاعداً كان سلوكه تجاه أبيه متصمرا وبلا خوف ، بل ومتبجحا بعض الشيء . ومع ذلك فان خوفه من الاحصنة ظل مستمرا ، كما لم يكن قد اتضح بعد ، خلال أية سلسلة من التداخيات استطاع الحصان الذي يقع أن يبتعث الرغبات اللاشعورية عند هانز .

فلنوجز النتائج التي بلغنا اليها حتى الآن . فمن وراء الخوف الذي عبر عنه هانز في البداية ، وهو خوفه من أن حصانا يعضه ، اكتشفنا خوفاً يستقر عنده في مستوى أعمق ، هو خوفه من أن حصانا يقع ، وكلا النوعين من الاحصنة ، هذا الذي يعض وذلك الذي يقع ، قد تكشفنا على أنهما يرمزان لأبيه ، الذي سيعاقب هانز على الرغبات الشريرة التي كان يضمورها ، ضده . وخلال هذه الفترة ابتعد التحليل عن موضوع أمه .

وعلى غير انتظار تماما ، وبالتأكيد دون أن يستحثه أبوه بحال ، بدأ هانز الآن ينشغل بمقعدة « اللومف » ، ويبدى تقززه من أشياء تذكره بافراغ أعمائه . ولما كان أبوه غير منتهى لان يمضى معه فى هذا الخط الجديد ، فقد مضى بالتحليل عنوة فى ذلك الاتجاه الذى كان يريد المضى فيه . وقد تأدى بهانز الى أن يتذكر حادثة وقعت فى جموندن ، كان انطباعه الخاص بها يكمن وراء انطباعه عن حصان الامنيوس الذى وقع . ففر ينزل ، رفيق اللعب الذى كان هانز يحبه كثيرا ، والذى ربما كان أيضا منافسه فى صديقاته الصغيرات العديديات ، ارتطمت قدمه وهو يلعب الحصان ، بحجر فوق وسأل الدم من قدمه . ورؤية حصان الامنيوس يقع قد ذكرته بهذه الحادثة . وجدير بالملاحظة أن هانز ، الذى كان عندئذ ينشغل بأمر آخرى ، بدأ بانكار أن فريتزل وقع (وان كانت تلك هى الواقعة التى تشكل الرابطة بين المشهدين) ، ولم يسلم بذلك الا فى مرحلة لاحقة من التحليل . وعلى أية حال ، فان ما يجدر ملاحظته بصفة خاصة هو كيف أن تحول الليبيدو عند هانز الى حصر ثم اسقاطه على الموضوع الرئيسى للفوبيا عنده ، وهو الاحصنة . كانت الاحصنة هى أكثر ما يشد اهتمامه من بين الحيوانات الكبيرة جميعها ، فلعبة الحصان كانت لعبته المفضلة مع الاطفال الآخرين . وكنت أعتقد ، وهذا ما أكدته لى أبو هانز عندما سألته ، أن أول شخص قام لهانز بدور الحصان لا بد وأنه كان أبوه ، وكان هو الذى مكن هانز من أن يعتبر فريتزل بديل أبيه عندما وقعت الحادثة فى جموندن . وعندما استقر الكبت ، متمخضا عن انقلاب فى الوجدانات ، فان هانز ، الذى كان فيما سبق يجد المتعة فى الاحصنة ، تحتم عليه بالضرورة أن يخاف منها .

ولكن ، كما سبق أن قلنا ، كان بفضل تدخل أبى هانز أن بلغنا الى هذا الاكتشاف الأخير الهام عن الطريقة التى عمل بها السبب المباشر للمرض عمله . كان هانز نفسه مستغرقا فى اهتماماته اللومفية ، وفى هذا الطريق ينبغى أن نمضى معه آخر الأمر . وتبين عندئذ أن هانز كان من

عادته فيما مضى أن يصر على مصاحبة أمة داخل المرحاض ، وأنه قد أحيا هذه العادة مع صديقته برنا في وقت كانت فيه تشغل مكان أمه ، ذلك حتى انكشفت الواقعة ومنع من أن يفعل ذلك . ان لذة النظر عندما يكون شخص محبوب يقضى حاجته الطبيعية هي مرة أخرى ، « تشابك غرائز » ، ظاهرة استطعنا أن نشهد لها مثالا عند هانز ، وفي النهاية مضى أبوه في رمزية اللومف ، وتبين ماهنالك من تشابه بين عربة محملة تحميلا ثقيلًا وبدن محمل بالبراز ، بين الطريقة التي بها تخرج عربة من بوابة خارجية والطريقة التي يخرج بها البراز من البدن ، وما الى ذلك .

ومهما يكن ، فان موقف هانز من التحليل قد تغير بصفة أساسية بالقياس الى ما كان عليه في المراحل السابقة . ففيما سبق ، كان بوسع أبيه أن يخطره مسبقا بما سوف يظهر ، بينما كان هانز فحسب يتبع أقوال أبيه ، مهرولا في اثرها ، أما الآن فان هانز هو الذى يمضى فى المقدمة بخطى سريعة وثابتة ، بحيث أصبح من العسير على أبيه أن يلاحقه . أنتج هانز ، دون أى تدخل ، أخيوالة جديده : فالسمكرى فك البانيو الذى كان هانز بداخلة ، ثم ضربه فى بطنه بمثقابه الكبير ومنذ ذلك الحين كانت المادة التى تظهر تفيض من كل ناحية بما يزيد على قدرتنا على الفهم المباشر . لم نستطيع أن نفهم الا فى وقت لاحق أنها كانت أخيوالة أنجاب ، الباشر . لم نستطع أن نفهم الا فى وقت لاحق أنها كانت أخيوالة اجاب ، عانت التحريف بفعل الحصر . فالبانيو الكبير الذى تخيل هانز نفسه بداخله كان رحم أمه ، والمنتقاب « Bohrer الذى تبينه الأب منذ البداية قضيبا ، يرجع السبب فى ذكره هنا الى ارتباطه بالانولاد ، (الميلاد) ge boren (١) . والتفسير الذى نجدنا مضطرين لأن نعطيه للأخيوالة سوف يبدو بالطبع جد غريب : « بقضيبك الكبير ثقتنى (بمعنى ، ولدتنى ،) ووضعتنى فى رحم أمى » . ولكن الأخيوالة فى وقتها أفلتت من التفسير ، فاقترعت على أن تكون بالنسبة لهانز نقطة ارتباط يواصل منها تقديم معلوماته .

كئيف هانز عن خوفه من أن تعطيه أمه حمامه في البانيو الكبير ، وكان هذا القلق من جديد قلقا مركبا . جزء منه ما يزال يستعصي على فهمنا ، ولكن الجزء الآخر يمكن فهمه دفعة واحدة بالرجوع الى أخته الطفلة وهي تأخذ حمامها . لقد اعترف هانز بأنه كانت لديه الرغبة في أن تترك الأم أخته الطفلة تقع وهي تعطيها حمامها ، بحيث تموت . كان قلقه ، وأمه تعطيه حمامه ، هو خوف من الثأر على هذه الرغبة الشريرة ، ومن أن تنزل به العقوبة فيصيبه نفس الشيء . ترك هانز الآن موضوع اللومف ، وانتقل مباشرة الى موضوع أخته الطفلة . ويوسعنا أن نستشعر ما يمكن أن يعنيه هذا التجاوز في الواقع : ان هنه الصغيرة هي نفسها لومف — كل الأطفال هم لومفات ، ويتولدون كالثومفات ونستطيع الآن أن نتبين أن كل عربات الأثاث وعربات النقل الثقيل والأومنيبوسات لم تكن غير عربات — صناديق — طائر اللقلق ، ولم تكن لها أهمية عند هانز الا من حيث أنها تمثلات رمزية للحمل ، وأنه عندما كان حصان ثقيل أو محمل تحميلا ثقيلًا يقع لم يكن هانز يبرى في ذلك الا شيئا واحدا — ميلاد طفل ، ولادة ein Nierkommen (١) . وهكذا فان الحصان الذي يقع لم يكن فحسب أبا يموت ، بل أيضا أمه تلد طفلا .

وعند هذه النقطة قدم لنا هانز مفاجأة ، لم تكن مهينين لها أقل تهيئة . كان قد لاحظ ، عند أمه ، الحمل الذي انتهى بميلاد أخته الصغيرة وذلك عندما كان في الثالثة والنصف من عمره . وقد استطاع هانز تماما ، على الأكل بعد الولادة ، أن يتمثل في نفسه حقيقة ماجرى في الواقع ، دون أن ينل — وهذا صحيح — بذلك لأحد ، بل ربما دون أن يكون قادرا على التعبير عنه . وكل ما كان يمكن تبينه في ذلك الوقت هو أن هانز ، بعد الولادة مباشرة ، اتخذ موقفا من الشكل المتطرف تجاه كل ما يمكن أن يحمل إشارة الى وجود طائر اللقلق . أما كون هانز — في تعارض تام مع أقواله الصريحة — كان يعرف في لاشعورة من أين أتت

(١) أنظر هامش ص ٢٨٤ — المترجمون .

الطفلة وأين كانت قبل ذلك ، فذلك ما أثبتته هذا التحليل اثباتا لا يرقى اليه ظل من شك ، وربما يكون ذلك في الواقع هو من هذا التحليل الموضع الذى تستحيل مهاجمته .

وأعظم دليل قاطع على ذلك تقدمه لنا أخيلته (التى تثبت بها بأقصى عناد ، وزينها بكل هذه التفصيلات الثرية) عن كيف كانت هنه معهم فى جموندى فى الصيف السابق على ميلادها ، وكيف سافرت الى هناك معهم ، وكيف كان بوسعها أن تفعل عندئذ أكثر بكثير مما كانت تستطيعه بعد عام ، بعد ميلادها . والقحة التى حكى بها هانز هذه الأخيولة ، والاكاذيب العجيبة العديدة التى مزجها بها ، لم تكن بأى حال عديمة المعنى اذ كان ذلك يستهدف الانتقام من أبيه ، هذا كان يحمل له هانز ضعيفة ، بسبب تضليله اياه بخرافة طائر اللقلق . كان الأمر تماما وكأنه يقول : « أن كنت حقا قد اعتقدت أنتى من الغياء الى هذا الحد بحيث أصدق أن اللقلق قد أتى بهنه ، فعندئذ استطيع بدورى أن أتوقع منك أن تصدق خرافاتى . » وفعل الانتقام هذا من جانب باحثنا الصغير ضد أبيه قد جاءت فى اثره الأخيولة ذات الصلة الواضحة به عن معاكسة الأحصنة وضربها . وهذه الاخويولة هى الاخرى تشتمل على عنصرين . فمن ناحية كانت تقوم على المعاكسة ، هذه التى وجهها ضد أبيه قبل ذلك مباشرة ، ومن ناحية أخرى فانها تمخضت من جديد عن الرغبات السادية الغامضة المتجهة ضد أمه ، والتى سبق أن عبر عنها فى أخاييله (وأن لم تكن مفهومة فى بداية الأمر) عن فعل شئ ممنوع . بل أن هانز قد صرح شعوريا برغبته فى أن يضرب أمه .

لم يبق أمامنا الآن الكثير من الألغاز . فثمة أخويولة غامضة عن قطار يفوتهما ، يبدو أنها كانت طليعة للفكرة اللاحقة عن تسليم أبى هانز الى جدة هانز فى لاينتس ، اذ أن الأخيولة تتعلق بزيارة الى لاينتس ، وتظهر الجدة فى الأخيولة . أخويولة أخرى فيها صبى يعطى السائق خمسين ألف فلورين ليتركه يركب على العربة (ص ٢٧٣) تبدو وكأنها خطة لشراء أمه من أبيه ، هذا الذى يكمن جانب من قوته بالطبع فى ثرائه.

وفي ذلك الوقت تقريبا ، أعترف أيضا ، بدرجة من الصراحة لم يبلغ اليها قط من قبل ، أنه كان يرغب في التخلص من أبيه ، وأن سبب رغبته في ذلك أن أباه كان يعكر عليه صفو خلوته مع أمه • ولا ينبغي أن ندهش حين خلتقى بنفس الرغبات تعود الظهور باستمرار في مسار التحليل • فالرتابة ترجع فقط الى أن عملية التفسير قد اكتملت • أما بالنسبة الى هانز ، فهي لم تكن مجرد تكرارات ، بل درجات في ارتقاء مطرد يمضى من التاميح الوجل الى التصريح الشعورى بمعنى الكلمة ، بعيدا عن كل تحريص

وماسوف يأتى بعد ذلك لا يعدو أن يكون تأكيدات من جانب هانز لنتائج التحليل التى أرسنها تفسيراتنا • ففى فعل أعراضى لا يمكن أن يفتتح لاي لبس ، موهه بعض الشىء على الخادمة ولكن ليس ابدأ على الأب ، أبان هانز عن الكيفية التى يتم بها الميلاد فى تصورهِ ، ولكننا اذا نظرنا فى هذا الفعل الأعراضى عن كثب يكون بوسعنا أن نرى أنه قد أبان عن شىء آخر ، فقد كان يلح الى شىء لم تأت الأشارة اليه مرة أخرى فى التحليل • دفع مطواة كانت لامه فى ثقب مستدير يجسم المطاط ، ثم جعل المطواة عروسة من تسقط خارجه بتمزيقه ما بين رجليها • فالتبصير الذى تلقاه من أبويه اثر ذلك مباشرة ، من أن الأطفال ينمون فى الواقع داخل أبدان أمهاتهم ثم يدفعون خارجين من هذه الأبدان كلومف ، انما جاء بعد الأوان ، فلم يكن بوسعهِ أن يضيف اليه جديدا وثمة فعل أعراضى آخر ، حدث وكأنه مجرد صفة ، أنطوى على اعتراف منه برغبته فى موت أبيه ، ففى نفس اللحظة التى كان يتحدث فيها اليه عن هذه الرغبة فى الموت ، ترك هانز حصانا كان يلعب به يسقط من يده — رمى به الى الأرض فى الواقع • هذا الى أنه أيد فى كثير من عباراته الفرض الذى مؤداه أن العربات المحملة تحميلا ثقيلًا كانت تمثل بالنسبة اليه حمل أمه ، وأن وقوع الحصان يمثل ولادة طفل • ولكن أبرع هذه التأييدات كلها فى هذا الصددما كان من تدليله على أن الأطفال فى رأيه هم « لومفات » ، بابتداعه أسم « لودى » لطفله المفضل • ولكن هذه الواقعة لم تصل الى علمنا الا متأخرة ، اذ تبين

عندئذ أنه كان يلعب بهذا الطفل « السجق » ، طفله المفضل ، منذ وقت طويل مضى (١) .

لقد سبق أن تناولنا الأخيولتين الأخيرتين عند هانز ، اللتين أكتمل بهما شفاؤه . فاحداهما ، أخيوالة السمكرى وهو يزوده بحمامة جديدة هي — كما حدس أبوه — حمامة أكبر لم تكن مجرد تركز للأخيولة الأكبر عن السمكرى والبيانو . فهذه الأخيولة الجديدة كانت أخيوالة رغبة مظفرة ، تغلب بها على خوفه من الخصاء . أما أخيوالته الأخرى التى تصرح برغبته فى الزواج من أمه ، وفى أن يكون له منها أطفال كثيرون فإنها لم تقتصر على استنفادها مضمون العقد اللاشعورية التى تحركت الى السطح برؤية الحصان يقع ، والتى ولدت عنده الحصر . ذلك أن هذه الأخيولة قد صحت أيضا ذلك الجانب من أفكاره الذى لم يكن مقبولا على الاطلاق ، فبدلا من أن تقتل الأخيولة الأب ، جعلته عديم الأذى ، بأن منحتة ترقية الزواج من جدة هانز . بهذه الأخيولة بلع المرض والتحليل كلاهما النهاية الملائمة .

عندما يكون تحليل حالة ما ماضيا فى تقدمه ، يكون من المستحيل البلوغ الى أى انطباع واضح عن بنية العصاب وتطوره . فذلك يتطلب عملية تركيبية ينبغى القيام بها بعد ذلك . وفى محاولتنا القيام بهذه العملية التركيبية عن فويبا هانز الصغير سوف نجعل نقطة انطلاقنا وصف جبلته النفسية ، ورغباته الجنسية المهيمنة ، والأحداث التى سبقت ميلاد أخته ، مما قدمناه فى جزء باكر من هذا المقال .

(١) أذكر مجموعة رسوم للفنان هينه T. T. Heine فى عدد من مجلة Simplicissimus

حيث صور هذا الرسام العبقرى حكاية جزار الخنازير الذى وقع فى آلة السجق ، والذي فى صورة سجقة صغيرة ، بكاه أبواه ، وتلقى بركات الكنيسة ، وصعد الى السماء . وفكرة الفنان تبدو للوهلة الأولى غير مألوفة ، ولكن حكاية « لودى » فى هذا التحليل تمكننا من أن نرجع فكرة الفنان الى أصلها الطفلى .

فمقدم أخته أدخل على حياة هانز كثرة من العناصر الجديدة ، التي لم تجعله منذ ذلك الحين غصاعدا يذوق طعم الراحة . فأولا كان عليه أن يعاني درجة معينة من الحرمان : بادئ ذي بدء ، انفصالا مؤقتا عن أمه ، وبعد ذلك نقصا دائما في قدر العناية والاهتمام اللذين كان يتلقاها منها ، واللذين عليه منذ ذلك الحين فصاعدا أن يعتاد تشاظرهما مع أخته . وثانيا عاش هانز ابتعاث لذاته التي نعم بها عندما كان يتلقى العناية كطفل ، ابتعاثا مرجعه كل هذا الذي كان يرى أمه تعمل من أجل الطفل . ونتيجة لهذين التأثيرين غدت حاجاته الشبقية أكثر شدة ، بينما بدأت في نفس الوقت تتقى اشباعا غير كاف . وقد قام هانز بتعويض نفسه عن الخسارة التي لحقت به بسبب مجيء أخته بأن تخيل أن له أطفالا هو نفسه ، وطالما كان في جموندن — في زيارته الثانية لها ، وكان بوسعه في الواقع أن يلعب مع هؤلاء الأطفال ، كان يجد في ذلك منصرفا كافيا لعواطفه . ولكنه بعد عودته الى فينا أصبح من جديد وحيدا ، فاتجه بكل مطالبه الى أمه . وكان في الفترة الفاصلة قد عانى حرمانا آخر ، اذ نفى من غرفة أمه وهو في الرابعة والنصف من عمره . وعندئذ فان قابليته التي اشتدت للاستثارة الشبقية بدأت تعبر عن نفسها في أخايل — كان بها يستحضر في وحدته رفاق لعبه في الصيف الماضي - وفي اشباع منتظم من الشبقية الذاتية كان يحصل عليه بتنبهات استثنائية لعضو انساله .

وثالثا فان ميلاد أخته قد حدا به الى أن يعمل فكره وكان ذلك من ناحية يستحيل أن يتأدى به الى نتيجة ، وكان من ناحية أخرى يجره الى صراعات انشعافية . كان يواجه اللغز الكبير : من أين يأتي الأطفال الذي ربما يكون أول مشكلة تستنهض القوى العقلية للطفل ، والذي ربما كان لغز أبى الهول في طيبة ليس غير نسخة محرفة له . رفض هانز التفسير الذي قدم اليه من أن طائر اللقلق أتى بهنه . لأنه كان قد لاحظ قبل ميلاد الطفل بعدة أشهر أن بدن أمه قد انفتح ، وأنها بعد ذلك رقدت في الفراش ، وأنها كانت تتأوه أثناء حدوث الميلاد ، وأنها عندما تركت الفراش ذهب عن بدنها الانتفاخ . ومن ثم فقد استنتج أن هنه كانت

داخل بدن أمه ، ثم خرجت منه بعد ذلك كلومف اذ كان بوسعه أن يتخلى
عملية الولادة على أنها عملية لازمة أذ ربطها بمشاعره اللاذة الأولى عند
التبرز وبذلك كان لديه دافع مزدوح لرغيبته في أن يكون له أطفال هو
نفسه ولدة ولادتهم ، ولذة العناية بهم (تعويضية ، ان جاز القول) •
لم يكن في ذلك كله ما يمكن أن يتأدى به إلى الشكوك والصرعات •

ولكن كان هناك شيء آخر لا يمكن الا أن يثير الارتباك عند هانز •
فأبوه لا يبد، وأن كانت له علاقة ما بمولد هذه الصغيرة ، لأنه كان قد أعلن
أن هذه وهانز نفسه هما طفلاه • ومع ذلك فقد كان من المؤكد أن ليس
الأب هو الذى وضعهما بل الام • وهذا الاب كان يقف حائلا بينه وبين
أمه • فعندما يكون حاضراً لا يستطيع هانز أن ينام مع أمه ، وعندما
كانت أمه ترغب في أن تأخذه معها في فراشها كان من عادة أبيه أن يصيح •
لقد تعلم هانز من الخبرة كيف يكون كل شيء على مايرام عندما يكون
أبوه غائبا ، وكان الأمر المعقول وحده هو أن يرغب هانز في التخلص منه •
وعندئذ لقيت عدائية هانز تعزيزا جديدا • فقد أخبره أبوه بتلك الأكذوبة
عن طائر اللقلق ، ومن ثم جعل من المستحيل عليه أن يطلب استيضاح
هذه الأمور • فهو لم يقتصر على أن منعه من أن يكون في الفراش مع
أمه ، بل حرمه أيضا من المعرفة التى كان يتعطش اليها • كان يضع هانز
في وضع مجحف من الناحيتين • وكان من الواضح أنه يفعل ذلك
لمصلحته الخاصة •

ولكن هذا الأب الذى لم يكن يستطيع هانز أن يمنع نفسه من
كراهيته كمنافس ، كان هو نفس الأب الذى أحبه هانز دائما ، وكان
مضطرا لأن يمضى في حبه له ، فقد كان هذا الاب أنموذجه ، وكان أول
رفيق لعب له ، وتعهده بالرعاية منذ طفولته البكرة ، وكان هذا هو الذى
ولد عند هانز أول صراع وجدانى ، وهو صراع لم يستطيع أن يعثر على
حل مباشر له • ووفقا لتطور طبيعة هانز كان ولا بد في البداية للحب أن
تكون له اليد الطولى ، وأن يقوم بكبح الكراهية دون أن يقتدر مع ذلك
على تبديدها ، ذلك أن تلك الكراهية كانت تتلقى بلا انقطاع مددا جديدا
من جراء حب هانز لأمه •

ولكن أباه ليس فقط كان يعرف من أين يأتى الأطفال ، بل كان أيضا يفعل شيئا ما من شأنه أن يأتى بهم — وهو الشيء الذى لم يكن هانز يستطيع حدسه الا بشكل غائم ، و « الحمامة » لابد وأن تكون لها صلة بهذا الشيء ، اذ أن حمامته كانت تهتاج كلما فكر فى هذه الأشياء — وتلك الحمامة لابد أيضا وأن تكون كبيرة ، أكبر من حمامة هانز • فلو كان هانز قد انتبه لهذه الأحاسيس الارهاصية لما كان بوسعه أن يعترض أن ذلك الشيء هو ضرب من أعمال العنف تعانیه الأم ، ضرب من التحطيم ، من عمل فتحة فى شيء ما من الاقتحام عنوه لمكان مغلق — تلك كانت فى الواقع الحفزات التى كان يستشعرها تجيش فى داخله ، ولكن على الرغم من أن الأحاسيس التى استشعرها قضيه قد وضعه على الطريق الى افتراض وجود مهبل ، الا أنه مع ذلك لم يقتدر على حل اللغز اذ لم يكن هناك بحسب خبرته من شيء موجود يشبه هذا الذى كانت تتطلبه حمامته • وعلى النقيض من ذلك تماما فإن اقتناع هانز بأن أمه لها حمامة تماما مثل ماله قد سد عليه الطريق الى حل اللغز • فمحاويلته لحل هذه المشكلة ونعنى : ما الذى ينبغى فعله مع ماما كى يكون لها أطفال ؟ غاصت عميقا فى لاشعوره • وحفزاته الايجابيتان — حفزته العدوانية ضد أبيه وحفزته السادية العشقية تجاه أمه — ظلتا معطلتين ، الأولى بسبب ذلك الحب الذى كان قائما جنبا الى جنب مع الكراهية ، والثانية بسبب الحيرة التى أسلمته اليها نظرياته الجنسية الطفلية •

على هذا النحو ، استنادا منى الى نتائج التحليل ، وجدنتى مضطرا الى أن أعيد بناء العقيدة والرغبات اللاشعورية ، هذه التى تمخض كبتها وابتعائها عن الفوبيا عند هانز الصغير • وأنى أذ أفعل ذلك ، فانى على وعى بأننى أنسب قدرا كبيرا من القدرة العقلية لطفل هو بين الرابعة والخامسة من العمر ، ولكنى أترك زمام نفسى لهذا الذى اكتشفناه حديثا ، دون أن أنقيد بالأحكام القلبية لجهلنا • وربما كان من الممكن أن نستخدم خوف هانز من « عمل صخب شديد بالأرجل » انسد بضع ثغرات أخرى فى سجل أدلتنا • صحيح أن هانز صرح بأن ذلك يذكره بضربه بأرجله عندما كان عليه أن يقطع لعبه لكى يعمل « لومف » ، الأمر

الذى يضع هذا العنصر من العصاب في علاقة مع مشكلة ما ان كانت أمه عن رضى قد رغبت في أن يكون لها أطفال أو عن كره أرغمت على ذلك .
ونكنى لا اعتقد أن ذلك يقدم تفسيراً مكتملاً « لعل صخب شديد بالأرجل » . لم يكن بوسع أبى هانز أن يؤيد ظنى في وجود ذكرى ما ، تتحرك في نفس الصبى ، عن ملاحظته مشهد جماع جنسى بين أبويه عندما كان ينام في غرفة نومهما . فلنقتنع إذن بما استطعنا الكشف عنه .

ومن العسير أن نتبين — في الموقف الذى كان يعيشه ، والذى فرغنا من تقديم لوحة عنه — هذا السبب الذى أدى إلى التغير المفاجيء عند هانز ، الى تحول الصبابة الليبيدية عنده الى حصر ، بعبارة أخرى من أى جانب كان بدء الكبت ؟ بما لا يمكن القطع باجابة لهذا السؤال قبل مقارنة هذا التحليل بعدد من التحليلات المماثلة . ما الذى قلب الميزان ؟ أكان قصوره العقلى عن أن يحل المشكلة العسيرة عن انجاب الاطفال ، وعن أن يجابه الحفزات العدوانية التى يطلقها الاقتراب الغائم من حل هذه المشكلة ؟ أم ترى كن قصوره البدنى ، كنوع من عدم التسامح الجبلى عن أن يتحمل الاشباع الاستمنائى الذى يعيشه بانتظام ؟ (بمعنى أم أن مجرد استمرار الهياج الجنسى بمثل هذه الدرجة العالية من الأشدة كان لابد بالضرورة وأن يؤدى الى انقلاب الوجدان ؟) — هذه المشكلة ينبغى أن نتركها مفتوحة بغير اجابة حتى يتاح لخبرات جديدة أن تأتى لمؤنتنا .

وثمة اعتبارات تتصل بتسلسل الأحداث تمنعنا من أن نولى أهمية كبيرة للسبب المباشر لتفجير المرض عند هانز ، اذ كانت قد ظهرت عنده علامات على الخوف قبل وقت طويل من رؤيته حصان الأومنيبوس يقع في الشارع .

ومع ذلك فان العصاب قد ربط نفسه بشكل مباشر بهذا الحدث الطارىء ، واحتفظ بأثر منه ، اذ ارتفع بالحصان الى مرتبة « موضوع حصر » . ان الأنطباع الذى عاشه هانز ، حين اتفق له أن يرى

الحصان يتفق ، لم يكن لينطوى بذاته على أية « قوة صدمية » ، فهذا الحدث الذى اتفق لهانز أن رآه لم يكتسب فاعليته الكبيرة فى توليد المرض الا بفضل ما كان للحصان سبق من أهمية عنده كموضوع اهتمام وتفضيل ، والا بفضل ارتباطه بحدث أبكر وأكثر صدمية بمعنى الكلمة جرى فى جموندن ، وهو وقوع فرييتزل وهو يلعب دور الحصان ، والا بفضل وجود طريق ميسر للتداعى تأدى بهانز من فرييتزال الى الأب . حتى دُل هذه الارتباطات ربما ما كانت لتكون كافية بحال ، لولا أن الانطباع ذاته - بفضل مرونة العلاقات الارتباطية وانفتاحها للالتباس - قد تكشف الى حد ملائم لابتعاث ثانية العقد التى كانت مترتبة فى لاشعور هانز ، عقدة ولادة أمه الحامل . ومنذ ذلك اللحظة غدا الطريق مفتوحا أمام عودة المكبوت ، وقد عاد المكبوت على النجوى التالى : المادة المولدة للمرض أعيد تشكيلها ونقلها على عقدة الحصان ، بينما الوجدانات المصاحبة كلها بلا استثناء تحولت الى حصر .

ومما تجدر ملاحظته أن المضمون الفكرى لفوبيا هانز ، على نحو ما كان عليه عندئذ ، كان لا يبد وأن يعانى عملية أخرى من التحريف والابدال ، قبل أن يكون بوسع هذا المضمون أن يبلغ الى الأشعور . كانت الصيغة اللفظية الأولى التى عبر بها هانز عن حصره هى : الحصان سوف يعضنى » ، وكان ذلك مشتقا من حدث آخر جرى فى جموندن ، وكان يرتبط من ناحية برغباته ضد أبيه ، ويذكره من ناحية أخرى بالتحذير الذى كان قد تلقاه ضد الاستمئاء . وثمة أمر محير ، ربما يرجع الى أبويه ، يفرض نفسه هاهنا على انتباهنا . فانى لست على ثقة من أن التقارير عن هانز فى تلك الفترة كانت تكتب بعناية كافية ، بحيث تمكننا من أن نقطع بما ان كان هانز قد عبر بهذه الصيغة عن حصره قبل أو فقط بعد أن وبخته أمه بخصوص استمئائه . انى أميل الى الاعتقاد بأن ذلك لم يكن الا بعدا ، وأن تعارض ذلك مع النص الوارد فى تاريخ الحالة . ومهما يكن ، فمن الواضح أنه فى كل موضوع كانت عقدة العدائية عند هانز ضد أبيه تحجب عقده الشهوية تجاه

أمه ، تماما كما كانت الأولى تكشفها وتصفيه في التحليل .

وفي حالات أخرى من هذا القبيل كان يمكن أن يقال ساهو أكثر بكثير عن بيئة العصاب وتطوره واتساع مجاله . ولكن تاريخ نوبة هانز الصغير كان جد قصير ، فتاريخ مرضه لم يكد يبدأ حتى حل محله تاريخ علاجه . وعلى الرغم من أنه أثناء العلاج ، بدت الفوبيا وكأنها تستفحل ، تمتد الى موضوعات جديدة ، وتفرض شروطا جديدة ، فان أبا هانز — بالنظر الى أنه هو نفسه كان يضطلع بعلاج الحالة — كان لديه بالطبع من الاستبصار الكافي مايجعله يدرك أن الأمر يتعلق فحسب بمجرد انبثاق مادة موجودة بالفعل ، وليس بنتائج جديدة يمكن اعتبار العلاج مسئولا عنها . وفي علاج حالات أخرى لن يكون من الممكن دائما التعويل على مثل هذا الاستبصار النافذ .

وقبل أن يكون بوسعى أن أعتبر هذه الصورة التركيبية مكتملة ، يتحتم على أن أتناول الحالة من زاوية أخرى ، مما يجبرنا الى لب الصعوبات التي تعترض طريق فهمنا للحالات العصابية . لقد رأينا كيف أن مريضنا الصغير اجتachte موجة عارمة من الكبت ، وأن هذه الموجة قد أنصبت بالتحديد على هذه العناصر المهيمنة من جنسيته (١) . تخلى عن الاستمنا ، وابتعد في اشمئزاز عن كل ما من شأنه أن يذكره بالمرجات أو بالتطلع الى الآخرين وهم يقضون حاجاتهم الطبيعية . ولكن تلك لم تكن العناصر التي ابتعثها السبب المباشر للمرض (رؤيته الحصان يقع) كما لم تكن العناصر التي زودت الأعراض بمادتها ، أى بمضمونها في الفوبيا .

وفي ذلك ما يتيح لنا هاهنا تمييزا جذريا . فسوف نبليح الى فهم

(١) بل أن أبا هانز قد لاحظ في نفس الوقت مع هذا الكبت ظهور قدر من الإعلاء عند هانز . فمنذ بداية حصره بدأ هانز يكشف عن اهتمام متزايد بالموسيقى ، وبدأت تزدهر عنده موهبته الموسيقية الموروثة .

أعمق للحالة بتحولنا الى تلك العناصر الأخرى التي تجيب على هذين الشرطين الاخيرين اللذين سبق ذكرهما . كانت تلك نزعات هانز سبق أن عانت الكبح ، ويقدر ممانستطيع أن نرى ، لم تستطع قط أن تترجم عن نفسها في تعبير غير مكفوف : مشاعر عداوية وغيره ضد أبيه ، وحفيزات سادية (تبشير ترهص ، أن جاز القول ، بالجماع) ضد أمه . هذه الكبوحات الباكرة ربما كانت هي العوامل الشارطة للاستعداد للعصاب اللاحق . تلك النزعات العدوانية لم تجد لها عند هانز أى مخرج ، وعندما ، في وقت من الحرمان والهيّاج الجنسي المتزايد ، حاولت هذه النزعات ، وقد نالها التعزيز ، أن تشق طريقها الى الخارج ، عندئذ تفجر هذا الصراع الذى نسميه « فوبيا » . أثناء مسار هذه الفوبيا ، نجح جانب من الأنكاز المكبوتة ، في صورة محرقة ومنقولة على عقدة أخرى ، في شق طريقه الى الشعور بوصفه مضمونا للفوبيا . ولكن مما لاشك فيه ان ذلك النجاح كان جديرا بالازدراء . فالنصر ما يزال لقوى الكبت ، هذه التى أنتهزت الفرصة لتمتد بسطانها الى عناصر أخرى غير هذه التى كانت قد تمردت . ولكن ليس في هذا ، مع ذلك ، ما ينال على الاطلاق من الحقيقة التى مؤاها أن لب مرض هانز كان يتوقف كلية على طبيعة العناصر الغريزية التى كان يتحتّم طردها .

فمضمون الفوبيا كان على نحو بحيث يتحتّم أن يلزم عنه تقييد كبير لحرية الحركة ، وكان ذلك أيضا مستهدفه الفوبيا . ومن هنا فقد كانت هذه الفوبيا رد فعل قويا ضد الحفيزات الحركية الغائمة المتجهة بصفة خاصة الى أمه فالحصان كان دائما عند هانز يمثل لذة الحركة . (« انى حصان صغير » ، هكذا كان يقول هانز وهو يثب في كل اتجاه) . ولكن بالنظر الى أن لذة الحركة هذه كانت تتضمن حفزة الجماع ، فان العصاب قد فرض على لذة الحركة قييدا ، وجعل من الحصان شعارا للرعب . وهكذا يبدو الأمر وكأن الغرائز المكبوتة لم يبق لها من شىء في العصاب الاشراف لزويد الحصر بتعلات تبرز ظهوره في الشعور . ولكن كائنا ما كان وضوح هذا الانتصار للقوى المضادة.

للجنسية في قوبيا هانز ، الا أنه بالنظر الى أن هذا المرض هو ، بحكم طبيعته ذاتها ، مصالحة ، فليس من الممكن أن يقف نصيب الغرائز المكبوتة عند هذا الحد . فقوبيا هانز من الاحصنة هي ، في نهاية الامر ، عقبة تحول رون خروجه الى الشارع ، ومن ثم يمكن أن تكون وسيلة تسمح له بأن يبقى في البيت مع أمه الحبيبة . وهكذا فان حبه لأمه استطاع بهذه الطريقة أن يبلغ مظفرا الى هدفه . فمن خلال القوبيا ذاتها ، تشبث العاشق الصغير بموضوع حبه ، وان كانت اجراءات قد اتخذت بالتأكيد لتجعل هانز عديم الايذاء . أن الطابع الحقيقي لاضطراب عصابي انما يتبدى في هذه النتيجة المزوجة .

لقد قدم الفريد أدلر منذ وقت قريب ، في مقال موح (١) ، رأيا مؤداه أن الحصر ينشأ من كبح مأسماه « غريزة العدوان » ونسب الى هذه الغريزة ، بعملية تأليفية كاسمة ، الدور الأساسي في كل ما يحدث للناس ، سواء كان ذلك « في الحياة أو في العصاب » . ومن حيث أننا أنتهينا في حالة القوبيا التي نحن بصددنا ، الى أن الحصر ينبغي تفسيره بوصفه ناجما عن كبت النزعات العدوانية عند هانز (النزعات العدوانية المتجهة ضد أبيه ، والنزعات السادية المتجهة الى أمه) فيبدو أننا بذلك قد قدمنا أسطح تأييد لرأى أدلر . ومع ذلك فاننى ماأستطعت قط أن أتقبل وجهة النظر هذه ، وانى لاعتبرها تعميما مضللا . اننى لأستطيع أن أحمل نفسي على التسليم بوجود غريزة عدوان قائمة برأسها ، جنبا الى جنب مع الغريزتين المعروفتين من قبل ، غريزة حفظ الذات والغريزة الجنسية ، وعلى قدم المساواة معها (٢) . بيدو لى أن أدلر قد جسد من قبل الخطأ في غريزة قائمة

(١) الفريد أدلر : « غريزة العدوان في الحياة وفي العصاب »

Der Aggressionsbetrieb im Leben und in der Neurose, 1908.

وهذا هو نفس المقال الذى سبق أن استعرت منه مصطلح « تشابك الغرائز »

confluence of instincts.

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) كتيبت هذه الفقرة في وقت كان مايزال =

برأسها ماهو في واقع الامر خاصية عامة وضرورية لكل الغرائز والحفزات — وأعنى طابعها « الحفزي » والدينامي ، مما يمكن وصفه بأنه قدرتها على استهلال الحركة . فلو سلمنا بوجهة نظر أدلر، فعندئذ لن يبقى من الغرائز الأخرى شيء اللهم إلا أرتباطها بهدف أذ أرتباطها بالوسيلة لبلوغ هذا الهدف تكون قد سلبته منها «غريزة العدوان» وعلى الرغم من كل ما تتسم به نظريتنا في الغرائز من غموض وبعد عن اليقينية ، فاني أوتر في الوقت الحاضر التمسك بوجهة نظرنا الحالية ، التي تترك لكل غريزة قدرتها الخاصة بها على أن تكون عدوانية ، وبالنسبة للغريزتين المكبوتتين عند هانز ، فاني أميل الى أن اعتبرهما عنصرين من عناصر الليبيدو الجنسي، المؤلف من وقت طويل .

= فيه أدلر يقف على أرض التحليل النفسي ، وقبل أن يقول الاحتجاج بالذكرى وينكر الكتب . ومنذ ذلك الوقت وجدتني مضطرا أنا نفسي الى أن أؤكد وجود « غريزة العدوان » ، ولكنها تختلف عن غريزة العدوان عند أدلر ، واني أفضل تسميتها « غريزة تدمير » . أنظر : مافوق مبدأ اللذة (١٩٢٠) — والانا والجي (١٩٢٣) Des Ich und das Es فتعارض هذه الغريزة مع الغرائز الليبيدية ينترجم في الاستقطاب المؤلف بين الحب والكراهية . واختلافي مع وجهة نظر أدلر ، التي تصادر خاصية عامة للغرائز لصالح واحدة منها ، ما يزال على حالة .

* الترجمة العربية : دار المعارف بمصر .



سوف أشرع الآن فيما أرجو أن يكون نقاشا موجزا حول مدى ما يمكن أن تقدمه لنا قوبيا هانز الصغير مما يتسم بالعمومية والأهمية عن حياة الاطفال وتربيتهم • ولكن قبل ذلك يتحتم على أن أعود الى ذلك الاعتراض الذى طال احتجازه ، والذى بحسبه يعتبر هانز عصابيا ، « فاسد الجيلة » ذا وراثة سيئة ، وليس بطفل عادى يمكن أن نتأدى منه الى الآخرين • ومنذ فترة طويلة وأنا أتألم كلما فكرت فى الطريقة التى سوف ينزل بها المتشيعون « للانسان السوى » على رأس هانزنا الصغير المسكين بمجرد أن يعرفوا بأنه من الممكن فى الواقع التدليك على أنه كان لديه عيب وراثى • فأمه الجميلة وقعت غريسه عصاب نتيجة صراع عانته وهى يافعة • وقد أستطعت فى ذلك الوقت أن أكون لها عوناً ، وكانت تلك فى الواقع هى بداية علاقتى بأبوى هانز • ولست اجترى الا فى أشد الحياء أن أتقدم ببعض الاعتبارات فى صالحه •

فاولاً ، لم يكن هانز بهذا الذى نقصد اليه عندما نقول بدقة : « فاسد الجيلة » تقضى عليه وراثته أن يكون عصابيا • بل على العكس من ذلك كان متين البنيان من الناحية البدنية ، وكان رفيقاً صغيراً مزحاً لطيفاً سريع البديهة ، بوسعنا أن يدخلك السرور على الآخرين بالإضافة الى أبيه • ليس هناك من شك بالطبع فى نضجه الباكر جنسياً ، ولكننا نفتقر فى هذه النقطة الى المعطيات التى تكفى لمقارنة يمكن التعميل عليها • فأننى أعرف ، على سبيل المثال ، من بحث فسيح أجرى فى أمريكا ، أنه ليس من الامور النادرة بحال أن نعثر عند صبيان فى مثل هذه السن الباكرة على اختيارات للموضوع وعلى مشاعر عشقية ، ويمكن معرفة ذلك أيضا من دراسة سجلات الطفولة لرجال أصبحوا يعرفون فيما بعد بأنهم « عظماء » • ومن هنا فانى أميل الى الاعتقاد بأن النضج الباكر جنسياً هو قرين - فك

أن يتغيب — للنضج الباكر عقليا ، ومن هنا فان النضج الباكر جنسياً هو شيء نلتقى به في الاطفال الموهوبين أكثر بكثير مما نتوقع .

وأكثر من ذلك ، اننى ألفت الانتباه في صالح هانز (معترفاً في صراحة بتحيزى) الى أنه ليس بالطفل الوحيد الذى أصيب بفوبيا في وقت أو آخر من طفولته . فمن المعروف جيداً أن الاضطرابات من هذا النوع شائعة بدرجة عجيبة تماماً ، حتى عند الاطفال الذين تكون تنشئتهم من الاحكام بحيث لا تترك مجالاً لتعليق . هؤلاء الاطفال ، في حياتهم اللاحقة ، اما أن يصبحوا عصابيين أو يبقون أصحاء . فالفوبيات عندهم تخرسها الصيحات في الحضنة لانها ليست متاحة للعلاج وان تكن مثيرة بكل تأكيد للانزعاج . وهى على مر الشهور والسنين تنحسر ، ويبدو الطفل وكأنه قد شفى ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يعرف أية تغيرات سيكولوجية اقتضاها مثل هذا الشفاء ، ولا أية تغيرات في الشخصية انطوى عليها . ولكن عندما يأتى اليها مريض عصابى راشد للعلاج بالتطليل النفسى (ولنفترض أن مرضه لم يظهر الا بعد بلوغه الرشد) فاننا نتبين بانتظام أن عصابه مرتبط بحصر طفلى من هذا النوع الذى كنا بصدد دراسته ، وأنه في الواقع استمرار لهذا الحصر ، بحيث يبدو الامر ان جاز القول وكان خيظاً من النشاط النفسى يتصل في غير توقف ابتداءً من صراعات طفولته ينغزل نسيجاً خلال حياته — وذلك بصرف النظر عما ان كان العرض الاول لهذه الصراعات قد تشبث بالبقاء أو انحسر تحت ضغط الظروف . وعلى ذلك فانى أعتقد أن مرض هانز ربما لم يكن أشد خطورة من مرض كثرة من الاطفال الآخرين الذين لا يوصمون بأنهم « فاسدو الجيلة » ، ولكن بالنظر الى أن هانز جرت تنشئته بعيداً عن التخويف ، وبأقصى ما يمكن من تقدير ، وأدنى ما يمكن من اكرامه ، فقد اجترأ حصره على الظهور بشكل أكثر جسارة منه عند الآخرين . فعند هانز لم يكن هناك مكان لدوافع من قبيل التقصد السيء والخوف من العقوبة ، والتي لا بد وأنها تسهم عند أطفال آخرين في ارغام الحصر على الانحسار . ويبدو لى أننا نهتم

أكثر مما ينبغي بالأعراض وأقل مما ينبغي بأسبابها • فكل ما نستهدغه في تربيتنا للاطفال هو أن يتركونا في سلام ، فلا تكون لدينا مشكلات ، باختصار نستهدف عمل « طفل نموذجي » دون أن نتساءل ما ان كانت هذه الطريقة في صالح الطفل أو في غير صالحه • ومن هنا فاني أستطيع أن أتصور أنه ربما كان في صالح هانز أن تظهر هذه الفوبيا عنده ، لانها شدت انتباه أبويه الى الصعوبات التي يتحتم على الطفل أن يواجهها عندما يكون عليه ، أثناء تربيته ككائن متحضر ، أن يقهر في طبيعته حفزاته الغريزية الفطرية ، ولأن اضطراب هانز قد تأدى بأبيه الى أن بعينه • وربما تكون لهانز الآن ميزة على الآخرين ، من حيث أنه لم يعد يحمل في نفسه هذه البذرة في صورة عقد مكبوتة ، هذه التي لا بد وأن يكون لها دائما اثرها على حياة الطفل اللاحقة ، والتي لا بد وأن تنمخض عن درجة معينة من التشوه في الشخصية ، ان لم تنمخض عن استعداد لعصاب لاحق • اني أميل الى الاعتقاد بأن الامر هو كذلك ، ولكنى لست أدري ما ان كان كثيرون آخرون يشاطرونى رأبي ، بل ولست أدري ما ان كانت التجربة ستثبت أننى على حق •

ولكن يتحتم على الآن أن أتقصى أى ضرر قد أصاب هانز باخراجنا الى النور تلك العقد التي ليست فقط مكبوتة عند الاطفال بل أيضا موهوبة من الآباء • فهل شرع الصبي الصغير في القيام بأدنى « محاولة » جدية بخصوص رغبته تجاه أمه ؟ أو هل تمخضت مقاصده السيئة ضد أبيه عن تصرفات شريرة ؟ ذلك بالتأكيد ما يمكن أن يخشاه كثير من الأطباء الذين يسيئون فهم طبيعة التحليل النفسى ، ويتوهمون أننا نقوى من الغرائز الخبيثة حين نجعلها شعورية • مثل هؤلاء « الحكماء » هم منطقيون مع أنفسهم حين يتضرعون الينا بحق السماء بأن لا نلمس هذه الاشياء الخطيرة التي تتربص كامنة وراء العصاب • وهم اذ يفعلون ذلك يغيب عنهم ، وهذا حق ، أنهم أطباء ، وأن تحذيراتهم تشبه بشكل عجيب تحذيرات دوجبرى في رواية

شكسبير « ضجيج كبير من أجل لا شيء » (١) عندما نصح الحارس بأن يتجنب أى احتكاك باللصوص أو الاشرار الذين يمكن أن يلتقى بهم : « لأنه كلما قل اتصالك بمثل هذه الحثالة كان ذلك أفضل لشرفك » (٢) .

وعلى العكس من ذلك ، كانت النتائج الوحيدة للتحليل هى أن هانز قد شفى ، وتوقف عن أن يخاف من الأحصنة ، وأصبحت علاقته بأبيه هى بالحرى أدنى الى الألفة ، على نحو ما قرره الأب فى شىء من المرح . ولكن كائنة ما كانت خسارة أبيه من احترام الصبى له ، فقد عوضه عن ذلك ما كسبه من ثقته . قال هانز : « اعتقدت أنك كنت تعرف كل شىء ، ما دمت قد عرفت ذلك عن الحصان » . ان التحليل لا يمحو فى الواقع نتيجة الكبت . فالعرائز التى كانت من قبل مكبوحة تظل مكبوحة ، ولكن النتيجة نفسها تتحقق بطريقة مختلفة . فالتحليل يضع فى مكان عملية الكبت ، التى هى عملية آلية وباهظة ، عملية تحكم فى العرائز معتدلة وملائمة تتم بواسطة أعلى القوى العقلية . وفى كلمة ، فان التحليل يضع الادانة فى مكان الكبت . وذلك يزودنا فيما يبدو بالدليل الذى طال البحث عنه على أن للشعور وظيفة بيولوجية ، وعلى أنه بدخوله الى المسرح تتحقق ميزة هامة (٣) .

[Much Abs about Nothing, act III, scene iii, Dogberry (1)]

If you meet a thief, you may suspect him, by virtue of your office, to be no true man; and for such kind of men, the less you meddle or make with them why, the more is for your honesty.]

(٢) عند هذه القصة لا أستطيع ان اكتب سؤالا حائرا . من أين يحصل خصومى على معلوماتهم التى يقدمونها بكل هذه الثقة ، عن مسألة ما ان كانت العرائز الجنسية المكبوتة تلعب دورا ! وان كان كذلك فأى دور ضمن الاسباب المولدة للاعصبية ، من أين لهم لو أنهم سدوا أفواه مرضاهم بمجرد أن يبدأ هؤلاء المرضى فى الحديث عن عقدهم أو مشتقاتها ! ذلك أن المصدر البديل الوحيد الذى يبقى بعد ذلك أمامهم هو مؤلفاتى ومؤلفات أشياعى . (٣) (ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣) - انى استخدم هنا مصطلح

ولو كان الامر بيدي تماما ، لاجترأت على تزويد الصبي بالتبصير الوحيد الذى كان ينقصه ، والذى ضن به أبواه عليه . كنت أدعم ارهاصاته الغريزية بأن أعرفه بوجود المهبل والجماع ، وبذلك كنت أمعن فى التقليل من المتخلفات التى بقيت عنده بغير حل ، وأضع حدا لسيل أسئلته . وانى لعلى ثقة من أن ذلك التبصير الجديد لم يكن ليجعله يفقد لآ حبه لأمه ، لا ولا طبيعته الطفلية ، ومن أنه كان سيفهم أن انشغاله بهذه الأمور الهامة ، بل والملحة ، يتحتم عليه فى الوقت الحاضر أن يسكن الى الراحة ، حتى تتاح لرغبته فى أن يكبر أن تتحقق . ولكن التجربة التربوية لم تذهب الى هذا الحد .

أما أنه يستحيل رسم حد فاصل بين «العصابيين» و «الأسوياء» — من الأطفال أو من الراشدين — ، وأما أن تصورنا عن « المرض » هو مجرد تصور عملى ، هو مسألة درجة ، وأما أن الاستعداد وأحداث الحياة يتحتم أن يأتلفا قبل أن نتخطى العتبة التى يبدأ من بعدها المرض ، وأما أنه نتيجة لذلك ينتقل عدد من الناس دون توقف من صنف الأسوياء الى صنف المرضى العصابين ، بينما ينتقل عدد آخر أتمل بكثير فى الاتجاه المضاد — فتلك كلها أمور كثر الحديث عنها ولقيت الكثير من القبول ، بحيث أننى بكل تأكيد لست وحيدا فى التمسك بصدقها . ومن المحتمل جدا ، وهذا أقل ما يقال ، أن تربية الطفل تستطيع أن تمارس تأثيرا قويا ، ان حسنا وان سيئا ، على هذا الاستعداد الذى تحدثنا عنه الآن ، بوصفه أحد العاملين المولدين « للمرض » ، أما ما ينبغى أن تهدف اليه التربية ، وفى أى موضع

« الشعور » فى معنى انصرفت عنه منذ ذلك الحين ، وهو على التحديد لوصف عمليات التفكير العادية من قبيل تلك التى تقتدر على الدخول الى الشعور . ونحن نعلم أن عمليات التفكير من هذا القبيل يمكن أن تحدث أيضا قبل — شعوريا ، ويحسن بنا أن نعتبر « شعوريتها » . من وجهة نظر ظاهريانية بحتة . ولست أقصد بذلك أن أدحض ما هو متوقع من أن الشعور فى هذا المعنى الأكثر تحديدا لابد وأن يضطلع أيضا بوظيفة بيولوجية .

يتحتم عليها أن تتدخل ، فذلك ما تبدو الاجابة عليه في الوقت الحاضر
جد عسيرة . فحتى الآن لم تتخذ التربية لنفسها من هدف الا التحكم
في الغرائز ، وقد يكون أدنى الى الدقة أن نقول قمع الغرائز . ولم
تكن النتائج بأى حال باعثة على الرضى . وحيث نجحت هذه التربية
لم يكن ذلك الا لصالح عدد قليل من الافراد المحظوظين ، ممن لم
يطلب اليهم أن يقمعوا غرائزهم . بل ما من أحد تقصى بأية وسائل ،
وبأى ثمن من التضحيات ، هذا القمع للغرائز المزعجة قد أنجز . فلو
أنا وضعنا بدلا من تلك مهمة أخرى ، تستهدف بدلا من ذلك جعل
الفرد قادرا على أن يصبح عضوا في المجتمع متحضرا ونافعا بأقل
ما يمكن من التضحية بايجابيته ، فعندئذ تكون الاضواء التي أمدنا بها
التحليل النفسى عن منشأ العقد المولدة للمرض ، وعن نواة كل عصاب ،
جديرة بأن ينظر اليها المربون بحسبانها هاديا ، تجل قيمته على
الوصف ، لتصرفاتهم تجاه الاطفال . أما ما يمكن أن تكون عليه النتائج
العملية المترتبة على ذلك ، والى أى حد يمكن أن تؤدي التجربة الى
تبرير تطبيق هذه النتائج في نظامنا الاجتماعى الحالى ، فتلك أمور
أتركه للاخرين يدرسونها ويبتون فيها .

وليس لى أن أغادر فوبيا مريضنا الصغير قبل أن أعبر عن فكرة
تسبغ ، فى رأى . على هذا التحليل (الذى انتهى الى الشفاء) قيمة
خاصة . فلو تحدثت بالدقة ، فان هذا التحليل لم يعلمنى شيئا جديدا ،
شيئا لم أكن من قبل قادرا على حدسه (وان يكن ذلك على الاغلب فى
صورة أقل تحددا ، وعن طريق غير مباشر بدرجة أمعن) من تحليلات
مرضى آخرين فى سن أكثر نضجا . ولكن أعصبة هؤلاء المرضى الآخرين
يمكن فى كل حالة ارجاعها الى نفس العقد الطفلية التى كشفنا عنها وراء
فوبيا هانز . ومن هنا فانى أميل الى أن أنسب الى هذا العصاب
الطفلى أهمية جد خاصة كنمط وكأنموذج ، والى أن أفترض أن الكثرة
الكثيرة لظواهر الكبت التى تكشف عنها الاعصبة ، والكثرة الكثيرة
للمواد المولدة للمرض فى هذه الاعصبة ، ليس ثمة ما يمنع من أن
تكون راجعة الى عدد جد قليل من العمليات التى تعمل دائما عملها
فى نفس العقدة ، فى نفس المضمون الفكرى .

۴

تذییک (۱۹۲۲)

تذييل (١٩٢٢)

منذ بضعة أشهر - في ربيع عام ١٩٢٢ - تقدم الى شاب وأخبرني أنه هانز الصغير ، الذي كان عصابه الطفلى موضوع مقالى الذى نشر عام ١٩٠٩ ، كنت جد مسرورا أن أراه مرة أخرى ، لاننى بعد نهاية تحليله بعامين تقريبا انقطعت صلتى به ، فلم أسمع شيئا عنه منذ أكثر من عشر سنين . كان نشر هذا التحليل ، وهو أول تحليل لطفل ، قد أحدث اثاره شديدة بل واستكارا أشد ، وتوقع البعض مستقبلا أشد ما يكون سوءا لهذا الصبى الصغير المسكين ، الذى « انتهكت براءته » فى مثل هذه السن الغضة فكان ضحية تحليل نفسى .

ولكن ما من شىء من هذه التوجسات قد تحقق ، فقد أصبح هانز الآن شابا قويا فى التاسعة عشرة من عمره . وصرح بأنه على ما يرام تماما ، ولا يعانى من أية اضطرابات أو كفوف . فهو ليس فقط قد اجتاز مراهقته دون أن تنال منه ، بل انه أيضا قد واجه بنجاح محنة من أشد المحن على حياته العاطفية . فقد وقع الطلاق بين أبويه ، وتزوج كل منهما من ناحيته . ونتيجة لذلك كان يعيش بمفرده ، ولكنه كان على علاقة طيبة بأبويه كليهما ، ولم يكن يأسف الا على انفصاله - نتيجة لتفريق الاسرة - عن شقيقته الصغرى التى كان شديد التعلق بها .

وشىء واحد مما أخبرني به هانز قد بدا لى عجيبا بشكل خاص ، ومن ثم فانى لا أخاطر بتقديم أى تفسير عنه . فقد أخبرني بأنه عندما قرأ تاريخ حالته ، بدا له كل شىء غريبا عليه ، فهو لم يتعرف على نفسه ، ولم يكن بوسعه أن يتذكر شيئا ، ولم يكن الا حين بلغت به

القراءة الى رحلة جموندين أن لاح له وميض باهت من الذكرى بأنه من الممكن أن يكون هو الذى يدور حوله الحديث • وهكذا فان التحليل لم يصن الاحداث من الامنيزيا ، بل ان التحليل نفسه قد اجتاحتها الامنيزيا • وأى شخص يألف التحليل يمكن أن يخبر بين الحين والحين شيئاً مماثلاً فى نومه • يوقظه حلم ، فيصم على تحليله فى التو ، ثم يستغرق فى النوم من جديد وهو يشعر برضى تام عما انتهى اليه جهده ، وفى الصباح التالى يكون حلمه وتحليله على السواء قد جرفهما النسيان •

٥

ملاحظات عن حالة عصاب قهري

رجل (الفيران)

١٩٠٩

تصدير

بقلم

مصطفى زيور

تمتاز حالة « رجل الفيران » وهى حالة عصاب قهري بما يمتاز به هذا النوع من العصاب من بيان البعد السيمانطيقى أى المعنى والدلالة التى تتضمنها الاعراض العصابية على نحو أكثر وضوحا مما هى عليه فى الأعصبه الهستيرية . ذلك أن الحيل الدفاعية فى العصاب القهري وبخاصة الكبت لا تنصب على كافة أحداث الطفولة والصادر المباشرة للصراع العصابى كما هو الحال فى الهستيريا ، وانما تنصب على الروابط بين المركبات النفسية وعزل وجداناتها عنها بحيث يعرفها المريض ويجهلها معا ، أى يتذكرها ولكن معناها يغيب عنه .

هذه المعرفة المقترنة بالجهلة تجعل المريض بهذا العصاب مسرحا للنضال بينهما ، نضال من شأنه أن تستعين الجهلة بدفاعات من الدرجة الثانية يستمددها المريض من العقلانية من حيث النمط لا من حيث مقدمات الاستدلال العقلانى ، بحيث لا يقتصر الامر على أفكار قهرية وانما يتميز المريض بهذا العصاب بتفكير ينصف بالقهر هو مصدر عذابه ومطية رغباته معا .

فاذا تأملنا الدفاعات الاخرى بالاضافة الى أنواع الدفاع السابق ذكرها ، من قبيل الاضمار والحذف التى تجعل منطوق المريض يبدو لنا نابيا مفتقرا الى الاتساق ، ثم ذلك الدفاع الرهيب أعنى قهر الشك الذى يجعل افشاءات المريض سلسلة من الجزم والنفى يمتنع علينا معها أن يستقر فهمنا على شىء ، ويبدو المريض وكأنه عاجز عن أن يرى لنفسه رأيا — نقول اذا تأملنا هذه الخصائص للتفكير القهري

تبين لنا سبب تصور النظريات السابقة على التحليل النفسى ، والتي كانت لا تأخذ فى الاعتبار الا هذه الخصائص ، وتنتهى الى تفسير مقارن فى مستوى التفكير الشعورى من قبيل : « الوهن النفسى » (بسيكاستتيا ببيرجانيه) أو « جنون الشك » وما الى ذلك ، أى تفسيرات تلحق العصابى القهرى إما « بالضعف النفسى » مما يجعل المريض عاجزا عن الامساك بزمام تفكيره ، أو تلحقه بطائفة قريبة من المرض العقلى .

وواضح أن هذه التفسيرات تتضمن نظرة يائسة من حيث الشفاء ، ولا تزال كذلك لدى بعض أطباء النفسى الذين لا يعرفون طريقا الى هذا المرض غير طريق العقاقير مثل المطمئنات وما إليها .

وسيرى القارئ — اذا وضع نصب عينيه هذه الخلفية لموقف الطب النفسى التقليدى — مبلغ عبقرية فرويد فى اختراق حجب الدفاعات وإزالة مبهمتها ، ثم مهارته الفذة وحذقه فى فض معميات التفكير القهرى فيستبين البناء السيكلوجى التحنانى ، وبذلك يصبح المتخيل ، مصدر التكوينات المرضية ، فى متناول الفكر الشعورى وزيائه . فيستقيم بعد اعوجاج ، وياستقامته يستقيم اللوغوس بعد تعثر . واستقامة اللوغوس هو الشفاء كما نراه يتحقق لدى رجل القتران .

ومما تجدر الإشارة اليه معالجة فرويد فى الفصل النظرى ، لظاهرتى القهر والشك وهما أبرز مقومات العصاب القهرى . فقد أوضح فرويد على نحو يظفر بالافتناع أن الشك — فضلا عن دوره الدفاعى كما سبق بيان ذلك — انما هو نتيجة للتكوين الاساسى فى العصاب أعنى ما يتصف به من ثنائية الوجدان وما ينجم عن ذلك من حرب طاحنة بين الحب والكراهية ، بحيث أن شك المريض انما هو فى نهاية الامر شكه فى قدرته على الحب لما يلقاه الحب لديه من اقتحامات الكراهية المتصفة بسادية عنيفة . ومن ثم فان القهر محاولة لتعويض زائد ازاء الشك والتردد .

فعندما يتاح لدفعة شبقية أو مضادة لها أن تجد طريقا ملتفا
تتسلل خفية من خلاله بغية الأشباع ، فان كل الطاقة المحجوزة خلف
ما يقيمه الشك من الكف والمنع ، تلقى في مساندة يلزم عنها لزوما أن
تخترق الدفعة كل الحواجز في طريقها نحو التنفيذ ، والا غاص
المريض في لجة هوجاء من الحصر •

من ذلك نتبين مصدر القهر سواء كان هلك في ميدان الفكر أو
الفعل •

ومما يميز هذا العصاب ردة الفعل الى الفكر بحيث ينطبق على
الفكر ما ينطبق على العقل من قهر يحتال المريض تخفيفا لعبئة
بتسبيق الفكر بحيث يصبح قهر الفكر معاناة وشبقا معا •

ومما يميز حالة رجل الفئران عن غيرها، أن فرويد على غير عادته
لم يميز مذكراته — بعد النشر — التي كان يسجلها في مساء كل يوم
عن مضمون جلسات التحليل النفسى لهذا المريض ، فأمكن بذلك نشر
هذه المذكرات أخيرا • ويضيق المقام عن ذكر ما تلقىه هذه المذكرات
من أضواء جديدة •

ونقتصر على الإشارة الى مسألتين : الاولى هي ما نتبينه من
فنيات التحليل في الحقبة التي جرى أثناءها علاج رجل الفئران قبل
أن يطور هذه الفنيات ويصقلها في السنوات التالية • والمسألة الثانية
ما ذكره فرويد في هذه المذكرات عن حادثة تعثر أثناء التحليل كان من
شأنها اختلاط الامر لديه ونسيانه لبعض افشاءات المريض • حتى
تبين له أن ذلك يرجع الى « مشكلة ذاتية » لديه ما أن فطن اليها حتى
استقامت ذاكرته • وتعد هذه الواقعة من أروع أمثلة « مضاد
التحليل » التي ينبغى على المحلل أن يتناولها بالتحليل ، كما يتناول
التحويل لدى المريض • وبغير هذا التحليل المزدوج للتحويل ومضاد
التحويل يمتنع على المحلل أن يمضى بمريضه الى الشفاء •

ملاحظات عن حالة عصاب قهرى

(رجل الفئران)

ملاحظات عن حالة عصاب قهرى (١)

(رجل الأقران)

المادة التى تنطوى عليها الصفحات التالية سوف تكون من نوعين :

أولا : سوف أقدم بعض اجزاء مقتطفه من تاريخ حالة عصاب قهرى • وهذه الحالة ، بالنظر الى طولها ، وفداحة تأثيراتها ، ورأى المريض نفسه فيها ، جديدة بأن تعتبر على درجة من الخطورة • والعلاج الذى استمر نحو عام تأدى الى الشفاء التام لشخصية المريض ، وازالة كقوفه •

وثانيا : سوف أقدم ، انطلاقا من هذه الحالة ، وواضعا أيضا فى اعتبارى حالات أخرى سبق لى تحليلها ، بضع مفاهيم متفرقة موجزة عن نشأة الظواهر القهرية وميكانيزماتها المرهفة • وهذه المفاهيم ،

(١) ظهر هذا المثال أول مرة عام ١٩٠٩ بعنوان :

Bemerkungen Ober einen Fall von zwangnerose Jabrbueh für
Psychoanaly tische und paschopathologische Forachungen.
Vol. I

ثم ظهر بعد ذلك فى :

Sammlung kleiner Schriften zur Neurosenlebre

• مجموعة مقالات قصيرة عن الاعصبة) ، السلسلة الثالثة ، ١٩١٣ .
Gesainmelte Scriften. v. VIII وقد تمت ترجمته الى الفرنسية

(المؤلفات الكاملة لفرويد) على يد مارى بونابارت ور . ليفنشتاين ،
• وظهرت تلك الترجمة أولا فى المجلة الفرنسية للتحليل النفسى عام ١٩٣٢ .
Revue Francaise de Psychanalyse (مجلد ٥ ، عدد ٣)

و يوجد هذا المقال فى المجلة العاشرة من :

workxs of S. Freud Standard Edi. The Complete Psychological

على ما آمل ، تكلم وتواصل ملاحظاتي الاولى عن هذا الموضوع ،
وهي التى نشرتها عام ١٨٩٦ (١) .

وبرنامج من هذا القبيل يتطلب فيما يبدو لى شيئا من التبرير ،
والا فقد يذهب الظن بالبعض الى اننى أعتبر هذه الطريقة فى عرض
الحالة مبرأة من كل نقد ، وأنموذجية جديرة بالتقليد ، بينما أنا فى
الواقع أكيف نفسى ، ليس غير ، لصعوبات بعضها خارجى وبعضها
الآخر ينتمى الى صميم الموضوع . وكان يسرنى أن أقدم عن هذه
الحالة ما هو أكثر ، لو كان ذلك من حتى أو بوسعى أن أفعله . فانى
لا أستطيع فى الواقع تقديم تاريخ كامل للعلاج ، لان ذلك سوف
يتطلب منى أن أخوض فى تفاصيل عن ظروف حياة مريضى . فالاهتمام
الفضولى فى عاصمتنا هذه ، والذى يلاحق بتركيز خاص أعمالى
العلاجية ، يحول بينى وبين أن أقدم لوحة أمينة عن الحالة . هذا الى
اننى أصبحت أميل أكثر فأكثر الى أن أعتبر التحريفات التى عادة
ما يلتجئ اليها فى مثل هذه الظروف . عديمة الجدوى وتفتتح للنقد .
فان كانت التحريفات هينة فشلت فيما ترمى اليه من حماية المريض
من الاستطلاع الفضولى ، بينما ان هى تعدت ذلك اقتضت تفضية
جد باهظة ، اذ تجرد من المعقولة سياق الوقائع ، هذا الذى يستند
فى تماسكه التحديد الى الجزئيات الصغيرة من الحياة الواقعية .
ويترتب على هذه الحقيقة تلك المفارقة التى مؤداها أنه من الايسر
كثيرا أن نفسى من حياة المريض أعظم الاسرار الحميمة من أن نفسى
أنته الوقائع وأكثرها براءة ، لانه بينما لا يكون من شأن الاولى أن

Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsy: (١)

ehossen Gessmmlie Werke, Vol. I

(١) (ملاحظات أخرى عن دفاع الاعصبة النفسية، القسم الثانى منه
بعنوان : طبيعة وميكانيزم العصاب القهرى) ١٨٩٦ ، (المقالات المجموعة،
مجلدا) وفى Standard Ed.

Collected Papers, Vol. I

تلقى أى ضوء على هويته ، فان الثانية ، آلتى عادة ما يعرف بها ، من شأنها أن تكشف عن هويته لكل الناس •

ذلك هو عذرى عما قمت به ، على هذا النمو الجذرى ، من ايجاز شديد لتاريخ هذه الحالة وتاريخ علاجها • بل وبوسعى أن أقدم أيضا أسبابا أكثر وجهة لاقتصارى على بضع نتائج متفرقة من مباحث التحليل النفسى فى العصاب القهرى • ويتحتم على أن أعترف بأننى لم أبلغ حتى الآن حد النفاذ المكتمل فى البنية المعقدة لحالة خطيرة من العصاب القهرى • كما يتحتم أن أعترف بأنه حتى لو كان بوسعى أن أقدم عرضا مكتملا لتحليل حالة ما ، لكان يستحيل على أن أجعل بنية هذا العصاب — على نحو ما نتيبئها أو نحدسها فى ممارسة — متاحة لفهم الآخرين عبر هذه الطبقات المتراكبة التى يجتازها العمى التحليلى • ومما يزيد كثيرا من صعوبة مثل هذا العمل مقاومات المريض، والصور التى تتخذها هذه المقاومات • ولكن حتى بصرف النظر عن ذلك ، ينبغى التسليم بأن العصاب القهرى ليس فى ذاته بشيء يسير على الفهم — فهو يقل كثيرا فى ذلك بالقياس الى حالة الهستيريا • وكان ينبغى بطبيعة الحال أن نتوقع أن يكون الامر على عكس ذلك • فلغة العصاب القهرى — ونعنى الوسائل التى يعبر بها عن أفكاره الدفينة — ليست ، ان جاز القول ، غير لهجة من لغة الهستيريا ، ولكنها لهجة كان ينبغى أن نقدر على فهمها بشكك أيسر ، لأنها أدنى ارتباطا بأشكال التعبير التى يتخذها تفكيرنا الشعورى ، اذا ما قيست بلغة الهستيريا • فلغة العصاب القهرى ، قبل كل شيء ، لا تتطوى على قفزة من عملية نفسية الى تعصيب بدنى — تبدين هستيرى — الامر الذى يستحيل أن يكون مفهوما لدينا بشكك تام •

وإذا كان الواقع لا يؤيد توقعاتنا تلك ، فربما يرجع ذلك ليس غير الى معارفنا الاقل عمقا بالعصاب القهرى • فالاشخاص الذين يعانون درجة خطيرة من العصاب القهرى يسعون الى العلاج بالتحليل أقل كثيرا مما يفعل مرضى الهستيريا • انهم يسترون مرضهم عن

حولهم طالما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وغالبا ما لا يلجأون الى الطبيب الا بعد أن يكون عصابهم قد بلغ مرحلة مستفحلة الى حد ، بحيث لو قارناه مثلا بمرضى السل الرئوى ، لادى الى رفض قبولهم بالصحة • هذا الى أننى أعقد هذه المقارنة لانه فى حالات العصاب القهرى ، الهينة أو الخطيرة ، متى تناولها التحليل فى مرحلة باكرة ، نستطيع ، كما هو الشأن فى حالة هذا المرض المعدى المزمى ، أن نتبين سلسلة من النتائج العلاجية الباهرة •

فى هذه الظروف لا يبقى أمامنا الا أن نفرض الوقائع على هذا النحو من القصور وعدم الاكتمال الذى نعرفها عليه والذى يحق لنا أن نصرح به • وهذه المعارف الجزئية التى نقدمها فى هذه الصفحات ، على الرغم من أن البلوغ اليها كان مضميا بدرجة كافية ، ربما لا تكون بذاتها جد باعثة على الرضا، ولكنها يمكن أن تكون نقطة بدء لعمل باحثين آخرين ، وقد يبلغ الجهد المشترك الى نجاح ربما لا يكون فى متناول جهد فردى •

١

مقتطفات من تاريخ الحالة

مقتطفات من تاريخ الحالة

رجل ما يزال في شبابه ، جامعي التعليم ، قدم الى نفسه قائلاً أنه قد عانى من القهور (أفكار ودفعات قهرية) بصفة مستمرة منذ طفولته ، وان اشتدت هذه المعاناة بصفة خاصة في السنوات الاربع الاخيرة . كانت السمات الانسانية لاضطرابه هي : أنه يستشعر مخاوف من أن ينزل شيء (مكروه) بشخصين يحبهما جدا شديداً . - أبيه وسيدة كان يجبها في اجلال : هذا الى أنه كان يستشعر حفزات قهرية - من قبيل حفزة مثلا الى أن يقطع رقبتة بموسى ، أصف الى ذلك انه كانت تنشأ عنده تجريبات ، أحيانا ما تتصل بأمر تافهة تماما . قال لي انه قد ضيع سنوات يناضل ضد أفكاره هذه ، الامر الذى جعله متخلفا في الحياة . ولقد حاول علاجات عديدة ، ولكن ما من واحد منها كان ذا نفع له ، فيما عدا دورة علاجية من الاستشفاء بالمياه في احدى المصحات على مقربة من س - ، وربما كان ذلك فيما يعتقد راجعا الى أنه عقد علاقة هناك مع امرأة أتاحت له ممارسة منتظمة للاتصالات الجنسية . أما هنا في فينا ، فليست لديه فيما يقول فرص من هذا القبيل ، فالاتصالات الجنسية لا تتاح له الا نادرا ، وعلى فترات غير منتظمة . وكان يشمئز من البغايا . وبصفة عامة ، كانت حياته الجنسية - على حد قوله - فقيرة ، فالاستمناء لم يلعب فيها غير دور ضئيل ، في عامه السادس عشر أو السابع عشر . كانت قدرته الجنسية تبدو عادية ، وقد قام بأول اتصال جنسى في عامه السادس والعشرين .

• ولد عندى انطبعا بأنه شخص صافى الذهن حاد الذكاء . وعندما سألته عن هذا الذى جعله يهتم كل هذا الاهتمام بأن يخبرنى عن حياته الجنسية ، أجاب بأن ذلك هو ما كان يعرفه عن نظرياتي .

ولكنه في الواقع لم يقرأ شيئاً من مؤلفاتي ، فيما عدا أنه كان منذ وقت قصير يقلب صفحات واحد من كتبي ، فوقج على تفسير لتداعيات لفظية غريبة (١) ، ذكرته كثيراً بتأليفه « الفكرية المصنية » المتصلة بأفكاره التي قرر بسببها أن يعهد بنفسه الى .

(١) بداية العلاج

في اليوم التالي تعهد بأن يلتزم باتباع الشرط الواحد والوحيد للعلاج — وهو على التحديد أن يقول كل شيء يخطر بباليه ، حتى ولو كان ذلك أليماً بالنسبة اليه ، أو بدا له عديم الأهمية أو عديم المعنى ، أو عديم الصلة بالموضوع . وعندئذ تركت له الحرية في أن يختار الموضوع الذي يرغب في البدء به . فبدأ حديثه كما يلي (٢) :

أخبرني بأنه كان لديه صديق ، وكانت فكرته عن هذا الصديق عالية بشكل غير عادي . كان من عادته أن يلجأ اليه في كل مرة تستبد به حفزة إجرامية . ويسأله ما ان كان يحتقره كمجرم . وكان من عادة صديقه عندئذ أن يزوده بدعم معنوي ، اذ يؤكد له بأنه رجل لا يعيب سلوكه أى شيء ، وربما اعتاد منذ طفولته أن ينظر الى حياته بمنظار أسود . واستطرد يقول بأنه ، في وقت أبكر من حياته ، كان هناك شخص آخر له مثل هذا التأثير عليه . كان ذلك الشخص طالبا في التاسعة عشرة من عمره (بينما كان هو نفسه في ذلك الوقت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ، وكان فيما يبدو يحمل الحب لهذا المريض ،

Zur Psychopathologie des Alltagslebens, 1904.

(١)

« في سيكوباتولوجية الحياة اليومية » .

(٢) ما يلي مستمد من ملاحظات كنت أدونها في مساء يوم الجلسة ، ويقترب ما أمكن من نفس كلمات المريض . — وأجدني هنا مضطرا الى التحذير من ممارسة التدوين أثناء الجلسات لأقوال المريض . فما يترتب على ذلك من تشتت في انتباه المحلل يضر بالمريض بأكثر مما تستطيع تبريره هذه الزيادة في الدقة التي يمكن البلوغ اليها في سرد تاريخ الحالة .

وقد أذكى عنده قيمة الذات بدرجة غير عادية ، الى حد جعل مريضنا يعتقد بأنه عبقرى . هذا الطالب أصبح فيما بعد مدرسا عليه ، وعندئذ غير فجأة من سلوكه نحوه ، فراح يعامله على أنه أبله . ويمرور الوقت تبتين له أن ذلك الطالب كان شعوقا باحدى شقيقاته . وأتضح له أنه كان يتخذة مجرد وسيلة لتتبع له أن يدخل الى أسرته . كانت أول صفة كبرى في حياته .

ثم استطرد دون أن يبدى أية علامة على الانتقال .

(ب) الجنسية الطفلية

وبدأت حياتى الجنسية في وقت باكر جدا . بوسعى أن أتذكر مشهدا يرجع الى عامى الرابع أو الخامس ، (ومنذ عامى السادس وصاعدا أستطيع أن أتذكر كل شئ) بزغ هذا المشهد في رأسى بشكل واضح تماما بعد ذلك بسنوات . كانت عندنا مربية شابة رائعة الجمال تسمى الأنسة بطرس (١) . كانت ذات مساء مستلقية على الارىكة وهى تقرأ . وكنت مستلقيا الى جانبها ، وسألتها بأن تسمح لى فى أن أدخل تحت النصف الاسفل من ثوبها . فسمحت لى بذلك ، بشرط أن لا أتحدث

(١) ان الدكتور الفريد أدلر ، الذى كان يوما من المحللين النفسيين ، التى ترتبط بالاتوال الاولى الاستهلالية التى ينطق بها المرضى . وأمانا وجه الانتباه ذات مرة في محاضرة له في جلسة ضيفة الى الاهمية الخاصة هنا مثال على ذلك . فلكلمات المريض الامتتاحية تبرز التأثير الذى يمارسه الرجال عليه ، أى تبرز الدور الذى يلعبه في حياته الاختيار المثلى الجنسية الموضوع . ولكن اقواله انتقلت بعد ذلك مباشرة الى موضوع ثان ، سوف يصبح فيما بعد ذا أهمية كبيرة ، هو على التحديد الصراع بين الرجل والمرأة والتناقض بينهما في الاهتمامات . وحتى كونه قد تذكر مربيته الاولى الجيدة باسم عائلتها ، الذى هو بالصدفة اسم مذكر ، فذلك أمر ينبغى أن يوضع موضع الاعتبار في هذا الصدد . ففى الاوساط البورجوازية في فينا أصبح في العادة مناداة المربية باسمها الاول ، وبهذا الاسم يتم في العادة تذكرها .

عن ذلك الى أحد . كانت بالكاد ترتدى شيئاً ، ورحت أعبت بأصابعى
 فى عضوها التناسلى وفى الجزء الاسفل من بدننا الذى أدهشنى كشيء
 غريب جداً . ومنذ ذلك الحين أصابتنى استطلاعية متحرقة ومضنية
 لمشاهدة البدن الانثوى . وما زال بوسعى أن أتذكر هذا الهياج الذى
 كان يستبد بى وأنا أنتظر فى الحمام (الذى كان فى ذلك الحين مسموحاً
 لى أن أذهب اليه مع شقيقتى والمربية) حتى تنزع المربية عنها ملابسها
 وتنزل فى الماء . وبوسعى أن أتذكر أشياء أكثر منذ عامى السادس
 فصاعداً . فى ذلك الوقت كانت عندنا مربية أخرى ، كانت هى الأخرى
 شابة وجميلة . كانت لديها دمامل فى ردفها ، وكان من عاداتها أن
 تعصرها فى المساء . وكان من عادتى أن أتقرب فى تلهف حلو تلك
 اللحظة لاشبع استطلاعتى . وكذلك كان الحال فى الحمام ، وان كانت
 الأنسة لينا أكثر تحفظاً من سابقتها . (واجابة منه على سؤال ألقيته
 أخبرنى المريض : كقاعدة عامة لم أكن أنام فى غرفتها بل فى الاغلب
 مع أبوى) . وأذكر مشهداً لا بد وأن يكون قد حدث وأنا فى السابعة
 من العمر (١) . كنا نجلس معا ذات مساء — المربية والطاهية وخادمة
 أخرى وأنا وشقيقى الذى يصغرنى بعام ونصف . كان النساء
 الشابات يتحدثن ، وتبتهت فجأة الى الأنسة لينا وهى تقول : « مع
 الصغير يمكن الآن عمل ذلك ، أما بول (أنا) فهو عديم المهارة ، وسوف
 يفشل بالتأكيد فى العملية » . لم أفهم فى وضوح ما كانت تعنيه ، ولكنى
 استشعرت فى ذلك الاستهانة بى فرحت أبكى . وشرعت لينا تسرى
 عنى ، وقصت على كيف أن احدى الخادومات التى فعلت ذلك مع صبي
 صغير كانت مسؤولة عنه قد دخلت السجن لعدة شهور . ولست أعتقد
 أنها قد ارتكبت بالفعل معى أى شىء ممنوع ، ولكنى كنت على قدر
 كبير جداً من الحرية معها . فعندما كنت أدخل ألى فراشها كان من
 عادتى أن أعريها وأتحسسها ، ولم تكن تبدي أى اعتراض . لم تكن
 شديدة الذكاء ، وكان لديها بشكل واضح تحرق جنسى شديد . وكانت

(١) سلم المريض بعد ذلك بأن هذا المشهد يمكن أن يكون قد حدث،

بعد ذلك بعام أو عامين .

في الثالثة والعشرين من عمرها ، وكان قد سبق لها أن أنجبت طفلا ،
تزوجت من أبيه فيما بعد ، بحيث أنها اليوم مدام « هوفرات » (١) .
وحتى الآن كثيرا ، التقى بها في الطريق .

وعندما كنت في السادسة من عمري كنت أعانى بالفعل من
الانتصاب ، وأعرف اننى ذهبت ذات يوم الى أمى أشكو لها من ذلك
الانتصاب . وأعرف أيضا اننى ، كيما أفعل ذلك ، كان على أن أتغلب
على بعض الهواجس . لاننى كنت استشعر وجود علاقة ما بين هذا
الموضوع وبين أفكارى واستطلاعتى ، وكان من عادتى في ذلك الوقت
أن تستبد بى فكرة مريضة مؤاذاها أن أبوى يعرفان أفكارى ، وقد
فسرت ذلك لنفسى بأن افترضت بأننى لابد وأن أكون قد نطقت بها
بصوت عال ، دون أن أسمع نفسى وأنا أنطق بها .

« وانى اعتبر ذلك بداية مرضى . كانت هناك بعض شخصيات ،
بعض خادمات ، يعجبني كثيرا جدا ، وكانت لدى رغبة شديدة جدا
في أن أراهن عاريات . ولكنى كنت وأنا أشعر بهذه الرغبة استشعر
احساسا يبعث بغرابته على القلق (٢) فكان أمرا ما يتحتم أن يقع لو
أننى فكرت في هذه الرغبة ، وكأنه يتحتم على أن أفعل كل شيء لامنح
هذا الامر من أن يقع .

« واجابة على سؤال منى قدم لى مثلا لهذه المخاوف : « مثلا

(١) (ان اللقب النمسوى Hofrat يمنح للبارزين من الاطباء والمحامين
واساتذة الجامعات ، والموظفين المدنيين الخ . وربما يعادل في إنجلترا
الحديثة رتبة الشرف المعروفة بالفروسية Knighthood — هامش الترجمة
الانجليزية) .

(٢) « بالالمانية Unbeimleh وهى كلمة يصعب ترجمتها وقد جرى
العرف لدى المحللين النفسيين على ترجمتها في الانجليزية بكلمة Uncanny
وفي الفرنسية Equietante etrangeté وقد كتب فرويد مقالا هاما في
هذا المفهوم .

من أن أبي يموت » ومنذ سن جد باكرة ، ولستوات طويلة ، كانت الأفكار عن موت أبي تشغل ذهنى وتسبب لى اكتئابا شديدا » .

عند هذا الموضع عرفت فى اندهاش أن الأب ، الذى كانت أفكار المريض القهرية ما تزال تدور حوله حتى الوقت الحالى ، كان قد مات قبل ذلك بسنوات عدة .

ان الظواهر التى وصفها المريض فى الجلسة الاولى من علاجه ، والتى يرجع تاريخها الى عامه السادس أو السابع ، لم تكن فقط ، كما أعنقد ، مجرد بداية مرضه ، بل هى مرضه ذاته . انها عصاب قهرى مكتمل لا ينقصه أى عنصر أساسى ، انها فى آن واحد النواة والانموذج الاصلى لعصابه اللاحق — فهى ان جاز القول كيان عضوى برعى ، يستحيل علينا بغير دراسته أن نتمكن من الامسك بالانتظام المعقد لمرضه الحالى . فنحن نرى الطفل يستبد به عنصر من عناصر الغريزة الجنسية هو النظرية (السكوبتوفيليا) ، ترتب عليه أن كانت تتنابه بصفة مستمرة رغبة جد قوية تتعلق بأفراد الجنس المؤنث ممن يحظين باعجابه — هى رغبته فى أن يراهن عاريات . وهذه الرغبة تتناظر الفكرة القهرية اللاحقة . واذا كانت خاصية القهر لم تظهر بعد فى الرغبة ، فذلك لان أنا الطفل لم يكن بعد قد وضع نفسه فى معارضة تامة ضد هذه الرغبة . ولم يكن بعد قد اعتبرها شيئا غريبا عليها . ومع ذلك فقد كانت هناك بالفعل معارضة فعالة من مصدر أو آخر ضد هذه الرغبة ، اذ أن ظهور هذه الرغبة كان يصحبه دائما وبانتظام وجدان أليم (١) ، وكان من الواضح أن هناك صراعا يزدهر فى نفسية هذا الداعر الصغير . فجنبنا الى جنب مع هذه الرغبة القهرية ، وفى ارتباط وثيق معها ، كان هناك خوف قهرى : ففى كل مرة تتنابه رغبة من هذا القبيل ، لم يكن بوسعها أن يدفع عن نفسه الخوف من أن شيئا مروعا سيقع . هذا الشئ المروع كان منذ تلك الفترة ينتشج بهذه

(١) يتحتم على أن أنبه الى أنه كانت هناك محاولات لتفسير القهور دون أى اعتبار للوجدانية ! .

الخاصية المميزة من اللاتجدد ، هذا الذى يشكل ، منذ الآن فصاعداً ،
خاصية لا تتبدل لكل مظهر من مظاهر العصاب . ولكن عند طفل لن
يكون من العسير أن نكشف القناع عن هذا الذى يتحجب وراء لا تحدد
من هذا القبيل . فلو أننا بلغنا الى معرفة مثال محدد لما يعبر عنه العصاب
القهرى بعموميات غير محددة ، فبوسعنا أن نكون على ثقة من أن هذا
المثال المحدد يشكل الفكرة الاصلية والحقيقية التى كانت هذه العموميات
تستهدف حجبها . ومن ثم فان الخوف القهرى الحالى عند مريضنا ،
إذا ما نقصينا دلالاته الاصلية ، يكون كما يلى :

« إذا عنت لى هذه الرغبة فى أن أرى امرأة عارية فان أبى يتحتم
أن يموت » فالوجدان الاليم كان يتخذ بشكل قاطع طابع الغرابة
المقلقة . والخرافة ، وكان منذ هذه اللحظة بالفعل يولد حفزات الى
عمل شئ ما لتفادى الكارثة الوشيكة . وكان من شأن هذه الحفزات
أن تتطور فيما بعد الى الاجراءات الدفاعية التى تبناها المريض .

وهكذا نجدنا أمام : حفزة شبقية وحركة من التمرد ضدها ، أمام
رغبة لم تصبح بعد قهرية ، وخوف يناضل ضدها هو بالفعل قهرى ،
أمام وجدان أليم وحفزة الى انجاز اجراءات دفاعية . تلك هى القائمة
الكاملة للعصاب . والواقع أنه يوجد شئ أكثر ، هو على التحديد نوع
من التكوين شبه الهذائى (١) ذى مضمون عجيب أن أبويه يعرفان
أفكاره لانه كان ينطق بها بصوت عال دون أن يسمع نفسه وهو ينطق
بها . ولن نبعد عن الصواب ان نحن سلمنا أن الطفل فى قيامه بهذه
المحاولة للتفسير كان لديه أحساس غائم بهذه الظواهر النفسية الغريبة
التى نسميها لا شعورية والتى يستحيل أن نستغنى عنها ان كان لنا أن
نلقى أى ضوء علمى هذا الموضوع . الغامض . « انى أنطق بأفكارى
بصوت عال ، دون أن أسمعها » ذلك ما يبدو وكأنه اسقاط الى العالم

(١) « delirium » مصطلح يستخدم هنا بمعنى خاص يأتى شرحه

فيما بعد ، ص ٧٣ — هامش الترجمة الانجليزية » .

الخارجى لافتراضنا بأنه كانت لديه أفكار دون أن يعرف أى شىء عنها ، انه يبدو وكأنه ادراك داخل النفس لما هو مكبوت •

الأمر واضح : فهذا العصاب الطفلى البرعى كان ينطوى على مشكلة وعلى سخر ظاهر ، شأنه شأن أى عصاب معقد عند الرائد • فماذا يمكن أن تعنيه فكرة الطفك من أنه اذا عنت له الرغبة الداعرة فسيتحتم على أبيه أن يموت ؟ هل الأمر مجرد سخر ؟ أم ان هناك وسيلة لفهم هذه الكلمات باعتبارها نتيجة حتمية تلزم عن أحداث ومقدمات أبكر ؟ •

فاذا ما طبقنا على هذا العصاب المعارف التى اكتسبناها من حالات أخرى ، فانه لن يكون بوسعنا أن نتجنب الافتراض ، فى هذه الحالة كما فى غيرها ، بأن الطفك قبل أن يبلغ عامه السادس وقعت له أحداث صدمية ، وصراعات وكبوتات مما جرفته الامنيزيا ، ولكنها تركت وراءها ، من قبيل المتخلفات ، مضمون هذا الخوف القهرى • وسوف نتبين فيما بعد الى أى حد يكون بوسعنا أن نعثر من جديد على تلك التجارب المنسية ، أو أن نعيد بناءها فى شىء من اليقين • وفى انتظار ذلك ، ينبغى أن نلجح بالاهمية على هذه الواقعة ، التى ربما كانت أكثر من مجرد صدفة ، وهى أن الامنيزيا الطفلية عند المريض قد أنتهت على وجه الدقة مع عامة السادس •

وانى لاعرف حالات أخرى عديدة من العصاب القهرى الزمن كانت بدايتها كما فى هذه الحالة ، فى الطفولة الباكرة ، برغبات داعرة مماثلة ، مصحوبة بمخاوف مشؤومة ، وبنزعة الى القيام باجراءات دفاعية • فقد التقيت بهذه البداية فى عدد من الحالات الاخرى • فهى نمطية بصورة مطلقة ، وان كان من المحتمل أن لا تكون هذه البداية هى النمط الوحيد الممكن • بقيت كلمة أخرى أحب أن أضيفها فى موضوع التجارب الجنسية الباكرة للمريض ، قبل أن أنتقل الى أحداث الجلسة الثانية • فمما لا يسهل الجدك فيه ، أن هذه التجارب كانت

هامة جدية بالاعتبار ، سيان في ذاتها أو بالنسبة الى نتائجها • ولكن ذلك أيضا كان هو الحال في الحالات الاخرى من العصاب القهري التي أتيج لى أن أقوم بتحليلها • فمثل هذه الحالات على العكس من حالات الهستيريا ، تتسم دائما أبدا بخاصية النشاط الجنسي السابق لاوانة • فالاعصبة القهرية بأكثر كثيرا من الهستيريات ، توضح لنا كيف أن العوامل التي تتمخض عن العصاب النفسى تكمن في الحياة الجنسية الطفلية للمريض ، وليس في حياته الجنسية الحالية • فالحياة الجنسية الحالية لعصابى قهري كثيرا ما تتبدى للملاحظ غير المتمرس ، سوية تماما ، والواقع أنها كثيرا ما تكشف عن شذوذات وعناصر مرضية أقل بكثير مما عليه الأمر في حالة مريضنا هذا •

(ج) الخوف القهري الكبير

اعتقد أننى سأبدا اليوم بتلك التجربة التي كانت السبب المباشر في قدومى اليك • كان ذلك في شهر أغسطس أثناء المناورات في س : كنت أعانى قبل ذلك ، وأضنى نفسى بكل أنواع الافكار القهرية ، ولكنها سرعان ما تبددت جميعها أثناء المناورات • كنت حريصا على أن أبين للضباط العاملين أن الضباط الاحتياطيين من أمثالى ليس فقط قد تعلموا كثيرا ، بل بوسعهم أيضا أن يتحملوا كثيرا • وذات يوم انطلقنا من س — في مسيرة قصيرة • وفي أثناء الاستراحة فقدت نظارتى الانفية ، وعلى الرغم من أنه كان بوسعى أن أعثر عليها ، الا أننى لم أكن أرغب في أن يتأخر تحركنا ، ومن هنا صرفت النظر عن هذه الحالة • ولكنى أبرقت الى نظاراتى الخاص في فينا لبيعث الى بنظارة أخرى مع عودة البريد • وأثناء الاستراحة نفسها كنت أجلس بين ضابطين ، أحدهما ، وهو نقيب تشيكي الاسم ، سوف يفتضح أنه لم يكن قليل الاهمية بالنسبة لى • كنت استشعر نوعا من الرعب منه ، اذ كان من الواضح أنه ولع بالقسوة (١) • لست أقول أنه كان

(١) سوف تكون الإشارة اليه فيما بعد باسم النقيب القاسى —

رجلا سيئا ، ولكنه في ميس الضياع كثيرا ما دافع عن ضرورة ادخال العقوبات البدنية ، بحيث كان يتحتم على أن أعارضه بشكل جد حاسم ، حسنا ، فأثناء تلك الاستراحة خضنا في حديث أخبرني النقيب خلاله أنه قد قرأ عن عقوبة مروعة بشكل خاص شائعة في الشرق .

هنا يتوقف المريض ، وينهض من الأريكة ، ويرجوني في أن أعفيه من سرد التفاصيل . أكدت له أنني أنا نفسي لا أستطيع القسوة بحال ، وأنتى بالتأكيد لا رغبة لى في تعذيبه ، ولكننى بطبيعة الحال لا أستطيع أن أعفيه من شيء لا أملكه فذلك مثله أن يطلب الى أن أحضر اليه القمر (١) . ذلك أن التغلب على المقاومات هو شرط للعلاج ، ولا يمكن الاستغناء عنه تحت أى ظرف من الظروف . (كنت قد شرحت له فكرة المقاومة في بداية الجلسة ، عندما أخبرنى بأن لديه الكثير في نفسه مما يلزمه أن يتغلب عليه ان كان له أن يقص على هذه التجربة) . ومضيت أقول بأننى سأفعل مع ذلك كل ما فى وسعى لأحدس الدلالة المليئة لاية تلميحات يقدمها الى . أربما كان يفكر فى الاغدام باجلاس المتهم المحكوم عليه على الخازوق ؟ كلا — ليس هذا . . . كان المحكوم عليه يجرى تقييده . . . كان حديثه من عدم الوضوح بحيث لم يكن بوسعى أن أحدس فى التوفى أى وضع كان يتم ذلك التقييد — وعلى اليته كان يقلب وعاء . . . به فئران . — ونهض قائما من جديد وعليه كل علامات الرعب والمقاومة — وتشق طريقها داخلة — فى أسنته ، قلت مكملا .

وفى لحظة هامة من حديثه ، كان يبدو على وجهه تعبير معقد وغريب . ولم يكن بوسعى أن أفسره الا على أنه رعب من لذة لديه لم يكن على وعى بها . واستطرد بأقصى صعوبة : فى تلك اللحظة ومضت فى ذهنى فكرة أن ذلك كان يحدث لشخص جد عزيز عندى (١) ،

(١) « فكرة » ، هكذا قال — فان المصطلح الاقوى والاكثر دلالة . (رغبة) أو بالاحرى « خوف » قد احتجزته الرقابة بكل وضوح . وليس بوسعى لسوء الحظ أن أقدم صورة صادقة لما يطبع كل ملاحظاته من . لا تحديد مميز بشكل خاص .

واجابة منه على سؤال مباشر قال بأنه لم يكن هو نفسه الذى يقوم بتنفيذ العقوبة ، ولكن كان ذلك يجرى ، ان جاز القول ، بطريقة لا شخصية • وبعد أن استحثثته بعض الشئ تبينت أن ذلك الشخص الذى كانت تتجه اليه تلك « الفكرة » عنده كان السيدة التى تحظى باعجابه •

توقف عن السرد ليؤكد لى أن هاتين الفكرتين كانتا بالنسبة اليه منفرتين وغريبتين تماما ، وليخبرنى بأن كل ما يأتى بعد ذلك يتعاقب فى ذهنه بأقصى سرعة مذهلة • وفى نفس الوقت مع الفكرة كانت تبرز دائما « عقوبة » ، وهى الاجراء الدفاعى الذى كان يتحتم عليه أن يتخذه كيما يمنع الاخيوالة من أن تتحقق • فعندما تحدث اليه النقيب عن ذلك التعذيب المروع ، وبرزت لديه الفكرتان ، استطاع ، بما لديه من صيغة مألوفة : (هى كلمة « ولكن ! » مصحوبة بإشارة استنكار وبالكلمات التى يردددها لنفسه : « أى شخص هذا الذى تفكر فيه ؟ ») أن ينجح أيضا فى أن يتخلص من الفكرتين كليهما •

هذه التثنيه كانت مفاجأة لى ، وهى لا شك قد حيرت القارىء • فنحن لم نسمع حتى الآن الا عن فكرة واحدة — فكرة السيدة التى تعاني التعذيب بالفئران • وحيث أن أباه كان قد توفى منذ سنوات عديدة ، فان هذا الخوف القهرى كان أشد امعانا فى السخف من الخوف الاول ، ومن ثم فقد حاول أن يفلت من الاعتراف به لفترة أطول قليلا •

وفى مساء اليوم التالى سلمه نفس النقيب طردا وصل بالبريد وقال له « الملائم (١) دفع عنك الرسوم • ينبغى أن تسدها له » • كان بالطرد النظارة الانفية التى أبرق فى طلبها • وعلى أية حال ، فقد تخلقت فى نفسه فى تلك اللحظة « جزاء » هى على التحديد : ينبغى

(١) الاسماء هنا ليس لها تقريبا من أهمية •

أن لا يستد هذا الرسوم (١) ، والا فان « ذلك » سوف يحدث :
(أى أن أخيوالة الفيضان سوف تتحقق بالنسبة لأبيه وللسيدة) • وعلى
الفور ، بمقتضى نوع من الاجراء كان مألوفاً لديه ، كيما يناضل ضد
هذا الجزاء ، برز لديه هذا الأمر الداخلى فى صورة قسم : ينبغى
عليك أنت أن تسدد ٣٨٠ كراونا (٢) للملازم • أ « قال هذه الكلمات
لنفسه بصوت نصف عال تقريبا •

وبعد يومين انتهت المناورات • وقد قضى كل تلك الفترة الفاصلة
فى جهود ليسدد للملازم • أ ذلك المبلغ الضئيل ، ولكن نشأت سلسلة
من الصعوبات من طبيعة خارجية فى الظاهر لتحول دون هذا السداد •
فقد حاول أولاً أن يقوم بالسداد عن طريق ضابط آخر كان فى طريقه
الى مكتب البريد • ولكنه استشعر راحة كبيرة عندما أعاد اليه هذا
الضابط النقود ، قائلاً بأنه لم يقابل هناك الملازم • أ ، وذلك لان هذه
الطريقة فى وفائه بقسمة لم تكن لترضيه ، لانها لم تكن تتفق مع
حرفية كلمات القسم ، وهى : « ينبغى عليك أنت أن تسدد المبلغ
للملازم • أ » وأخيراً ألتقى بالملازم • أ ، وهو الشخص الذى يفتش
عنه ، ولكنه رفض أن يتقبل المبلغ ، معلناً بأنه لم يستد عنه شيئاً ،
وليست له علاقة بالبريد ، فذلك كان من اختصاص الملازم ب • وقد
أوقع ذلك مريضاً فى حيرة شديدة ، فقد كان معنى ذلك أنه يستحيل
عليه الوفاء بقسمة ، اذا كان يستند الى واقعة زائفة • وعندئذ ابتدع
وسيلة جد عجيبة للتخلص من مأزقة ، هى على التحديد أن يذهب الى
مكتب البريد مع كلا الرجلين أ وب ، وهناك يتحتم على أن يدفع الى
الموظفة الشابة بالبريد مبلغ ٣٨٠ كراونا ، ويتحتم على الموظفة الشابة
أن تدفع ذلك المبلغ نفسه الى ب ، وعندئذ يقوم هو نفسه بسداد
المبلغ الى أ طبقاً لنص قسمه •

(١) كانت الرسوم المعينة هى ثمن النظارة الانفية • ففى النمسا
يشيع فى البريد نظام « الدفع عند التسلم » — هامش الترجمة الانجليزية •
(٢) هذا المبلغ كان يعادل فى ذلك الوقت ثلاث شلنات وبنسين —
هامش الترجمة الانجليزية •

ولن يدهشنى عند هذا الموضع أن أسمع أن القارئ قد توقف عن أن يكون قادرا على المتابعة • إذ أنه حتى البيانات التفصيلية التي قدمها الى المريض عن الوقائع الخارجية في تلك الايام ، وعن استجاباته لها ، كانت مليئة بالناقضات الذاتية وكان التباسها يبعث على اليأس • ولما سرد على القصة للمرة الثالثة ، وليس قبل ذلك • استطعت أن أجعله يتبين ابهاماتها ، وأن أكشف له عما تنطوى عليه من أخطاء الذاكرة وأنواع النقل التي تورط فيها • وسوف أوفر على نفسى عناء سرد هذه التفصيلات ، هذه التي سوف نتبين الاساسى منها بعد قليل ، وسأقتصر على أن أضيف أن المريض في نهاية هذه الجلسة الثانية كان يتصرف وكأنه في حالة من الذهول والخلط • فكثيرا ما كان يخاطبني على أنني « نقيب » ، ربما لأننى أخبرته في بداية الجلسة بأننى أنا نفسى لا أستسيغ القسوة مثل النقيب م ، وأنه ليس في نيتى أن أعذبه في غير طائل •

والمعلومة الاخرى الوحيدة التي حصلت عليها منه خلال هذه الجلسة هي أنه منذ البداية الاولى لقهوره ، وفي كل المناسبات السابقة التي كان يستشعر فيها الخوف من أن شيئا سوف يقع للأشخاص الذين يحبهم ، بما لا يقل عن المناسبة الحالية ، كان يعتقد أن المصائب التي يتحتم أن تنزل بهم ، سوف تصيبهم ليس فقط في الحياة الحالية ، بل أيضا في الحياة الابدية — في الآخرة • كان حتى عامه الرابع عشر أو الخامس عشر متدينا بشكل جد متزمت ، ولكنه منذ ذلك الوقت فصاعدا غدا بالتدرج هذا المفكر المتحرر الذي هو اليوم • وقد صالح هذا التناقض بين معتقداته وقهوره بأن قال لنفسه : « ماذا تعرف عن العالم الآخر ، بل ماذا يعرف عنه الآخرون ؟ وحيث أنه ما من شيء يمكن معرفته عنه ، اذن فأنت لا تخاطر بشيء — واذن فأفعل » • وهذا الشكل من الدليل قد بدأ ولا اعتراض عليه عند هذا الرجل الذي يتسم في مناسبات أخرى بصفاء الذهن بصفة خاصة ، ولكنه بهذه الطريقة أستطاع أن يستغل عدم يقينية العقل البشرى في مواجهة هذه المشكلات لصالح الاتجاه الدينى الذي هجره •

وفي الجلسة الثالثة أكمل المريض قصته الفريدة عن جهوده للوفاء بقسمه القهرى . في ذلك المساء انعقد آخر اجتماع للضباط قبل انتهاء المناورات . كان من نصيبه أن يرد بكلمة على النخب الذى شربه الجميع تكريما « للضباط الاحتياطيين » . تحدث فأحسن الحديث ، ولكنه كان وكأنه فى حلم ، فقد كان فى قرارة نفسه يتعذب فى غير انقطاع من جراء قسمه . قضى ليلة مروعة . فالحجج والحجج المضادة كانت تتصارع فى داخله . كانت الحجة الرئيسية بطبيعة الحال هى أن الواقعة التى يقوم عليها قسمه — وهى أن الملازم أ قد سدد عنه الرسوم — قد تكشفت زائفة . ومع ذلك فقد راح يعزى نفسه بفكرة أن المسألة لم تنته بعد بالنظر الى أن أ سوف يسافر معه فى الصباح التالى جانبا من الرحلة حتى محطة السكة الحديد عند ف (١) ، ومن ثم يكون أمامه متسع من الوقت ليطلب اليه هذه الخدمة الضرورية . ولكنه فى واقع الأمر لم يفعل ذلك ، وترك أ يرحل بدونه ، ولكنه أصدر تعليمات الى مراسلته لكى يخبر أ بأنه ينتوى زيارته بعد الظهر من ذلك اليوم . وقد يبلغ مريضنا المحطة فى التاسعة والنصف صباحا . أودع أمتعته هناك ، ثم تفرغ لمهام مختلفة كان عليه أن يقوم بها فى تلك المدينة الصغيرة ، وفى نيته بعد ذلك أن يقوم بزيارة أ . كانت القرية التى يقيم فيها أ على مسافة ساعة تقريبا من السفر بالعربة من مدينة ف — وكانت الرحلة بالسكة الحديد الى المكان الذى يوجد فيه مكتب البريد تستغرق ثلاث ساعات . ومن هنا فقد حسب حسابه بحيث أن تنفيذ خطته المعقدة يترك له بالكاد وقتا يمكنه من اللحاق بقطار المساء الذى يغادر ف — الى فيينا . كانت الفكرتان اللتان تتصارعان فى داخله هما ، من ناحية : « لست الا جبانا ، فانى أريد بكل وضوح أن أتجنب هذا الكدر فى أن أطلب هذه الخدمة من أ — وفى أن ينظر الى على أنى مجنون ، ومن أجل ذلك فانى أربغ فى عدم الوفاء بقسمى » . ومن ناحية أخرى : « ان

(١) فى الاصل ا ، ولم نشأ أن نترجمها ب حتى لا تختلط بشخصية الملازم ب — المترجمون .

الأمر على العكس إذ من الجبن تحقيق هذا القسم ، لاني لا أرغب في الوفاء به الا لاتخلص من قهوري » • وروى لى انه فى كل مرة ، فى مداولاته الداخلىة ، تتعادل عنده على هذا النحو حجتان متناقضتان ، كان من عادته أن يسلم زمام نفسه الى أحداث غارضة وكأنها مشيئة الله • ومن هنا فعندما طلب اليه حمال فى المحطة : « قطار العاشرة يا سيادة الملازم ؟ » • كانت اجابته : « نعم » وعلى ذلك سافر فى الساعة العاشرة ، محققا بذلك سياسة الامر الواقع ، التى أراحته الى حد بعيد ، وكذلك احتجز فى عربة المطعم مكانا للغذاء • وفى أول محطة وقف بها القطار خطر له أن الوقت ما يزال امامه كيما ينزل ، وينتظر القطار المسافر فى الاتجاه المضاد ، ويذهب عائدا الى بلدة ف — ويستقل عربة الى المكان الذى يقيم فيه الملازم أ ، حيث يقوم معه فى القطار برحلة الثلاث ساعات الى المكان الذى يوجد فيه مكتب البريد ، وهكذا • ولم يحل بينه وبين تنفيذ هذا المخطط الا كونه قد ارتبط مع مشرف عربة الطعم باحتجاز مكان للغذاء ومع ذلك فانه لم ينتازل عن مخطئه ، ولكنه أجل فقط نزوله الى المحطة التالية • وبهذه الطريقة مضى يؤجل النزول من محطة الى التالية حتى بلغ الى محطة كان يستحيل عليه أن ينزل بها بسبب بعض أقاربه المقيمين هناك • وعندئذ عقد عزمه على أن يمضى الى فينا ، حيث يلتقى هناك بصديقه ، ويشرح له الموقف ، ثم يعود بقطار الليل الى بلدة ف — ان ارتأى صديقه ذلك • وعندما عبرت له عن شكى فى امكانية تنفيذ ذلك من الناحية العملية ، أكد لى بأنه كان سيكون لديه نصف ساعة كاملة ما بين وصول قطاره وقيام القطار الآخر • وعندما وصل الى فينا لم يعثر على صديقه فى المطعم الذى كان يتوقع أن يجده فيه ، ولم يصل الى شقة هذا الصديق الا فى الحادية عشر مساء ، فشرح له الموقف فى نفس الليلة • أبدى صديقه دهشة شديدة من أنه ما يزال لديه شك فيما ان كان مصابا بقهورة وطمأنه فى تلك الليلة بحيث أنه نام نوما هادئا • وفى صباح اليوم التالى ذهب معه الى البريد ليرسل الـ ٣٨٠ كراونا الى مكتب البريد الذى كان قد وصل اليه الطرد المحتوى على النظارة الانفية •

كانت هذه الواقعة الاخيرة هي التي زودتني بنقطة البدء التي
أستطيع منها تصحيح التحريفات المختلفة التي أنطوت عليها قصته •
فبعدما أعاده صديقه الى رثده أرسل ذلك المبلغ الصغير من النقود ،
لا الى الملازم أ ولا الى الملازم ب ، بل مباشرة الى مكتب البريد •
ومن ثم فلا بد وأنه كان يعرف بأنه مدين بالرسوم المقررة على الطرد،
لموظفة البريد وليس لاي شخص آخر ، بل ولا بد وأنه كان يعرف
ذلك قبل أن يبدأ رحلته في القطار • وقد اتضح أن المريض كان في
الواقع يعرف ذلك ، قبل أن يطلب اليه النقيب م تسديد الرسوم وقبل
أن يقطع على نفسه القسم ، فقد تذكر الآن أنه قبل ساعات من لقائه
بالنقيب القاسى كان قد التقى بنقيب آخر أطلعته على حقيقة الأمر
كله • فهذا النقيب الاخير لم يكذب يسمح اسمه حتى أخبره بأنه كان
في مكتب البريد منذ برهة قصيرة ، وأن السيدة الشابة التي تعمل
هناك قد سألته عما ان كان يعرف الملازم هـ (مريضنا) الذى وصله
طرد بنظام « الدفع عند التسلم » • وأجاب الضابط بأنه لا يعرفه ،
ولكن السيدة الشابة قالت بأنها تتق في هذا الملازم الذى لا تعرفه ،
وأنها في انتظار قدومه سوف تدفع عنه الرسوم • وعلى هذا النحو
تسلم مريضنا النظارة الانفية التي كان قد أبرق في طلبها • كان
النقيب القاسى قد ارتكب خطأ اذ طلب اليه ، وهو يسلمه الطرد ،
أن يقوم بتسديد مبلغ ٣٨٠ كراونا للملازم أ ، ولا بد وأن المريض
قد تبين هذا الخطأ • ولكنه على الرغم من ذلك قطع على نفسه قسما
ينبنى على هذا الخطأ ، وهو قسم استحالة عذابا بالنسبة اليه • وهو
اذ يفعل ذلك حجب عن نفسه ، تماما كما حجب عنى وهو يسرد
القصة ، واقعة النقيب الآخر ووجود السيدة الشابة الواثقة فيه في
مكتب البريد • ومع ذلك فانى أعترف بان هذا التصحيح لم يكن من
شأنه الا أن يجعل سلوكه أكثر سخفا ، وأكثر لا معقولية عما كان
يبدو عليه من قبل •

وبعد أن ترك المريض صديقه وعاد الى أسرته استبدت به
الشكوك من جديد • فحجج صديقه لم تكن لتختلف عن حججه التي

يردها لنفسه ، وهو لم يكن يغيب عنه بحال أن الراحة المؤقتة التي استشعرها ترجع فحسب إلى التأثير الشخصي لصديقه ، وليس إلى أي شخص آخر . كان قراره باستشارة طبيب يدخل بشكل بارع ضمن النسيج الكلي لشبهه هذائه على النحو التالي . كان في نيته أن يقنع الطبيب بأن يعطيه شهادة مؤداها أنه من الضروري له ، كيما يبرأ ، أن يقوم يطقوس كهذه التي ابتدعها فيما يتصل بالملازم أ ، وكان يأمل أن يقتنع الملازم ، بفضل هذه الشهادة ، فيقبل منه الـ ٣٨٠ كراونا . والصدفة التي جعلت واحدا من كتبي يقع في يديه في هذه اللحظة هي التي اتجهت به إلى . وعلى أي حال لم يكن الأمر معي أن يحصل على شهادة ، فكل ما طلبه مني ، وكان منطقيا تماما ، أن أخلصه من قهوره . وبعد ذلك بعدة شهور ، عندما بلغت مقاومته ذروتها ، استشعر من جديد غواية السفر إلى بلدة ف — لبيحث عن الملازم أ وليمضى معه في مهزلة تسديد النقود له .

(د) بدء تلقين في طبيعة العلاج

ليس للقارئ أن يتوقع أن يسمع مني في التوما يمكن أن ألقيه من ضوء على قهور المريض الغريبة والسخيفة عن الفيران . فالفنيات الحقة للتحليل النفسي تتطلب من الطبيب أن يكبح استطلاعيته ، ويترك للمريض حرية مطلقة في اختيار الترتيب الذي تتتابع بحسبه الموضوعات الواحد بعد الآخر أثناء العلاج . ومن هنا فقد استقبلت المريض في الجلسة الرابعة بهذا السؤال : « بأي موضوع سوف تبدأ الحديث اليوم ؟ » .

أجاب : « لقد عقدت العزم على أن أخبرك بشيء أعتبره غاية في الأهمية ، وقد سبب لي عذابا منذ البداية » . وعندئذ أخبرني بكل تفاصيل المرض الأخير لأبيه الذي مات من انتفاخ رئوي (امفيزيما) قبل ذلك بتسع سنوات . وذات مساء ، وكان يعتقد أن الأمر عند أبيه لا يعدو أن يكون مجرد أزمة ، سأل الطبيب متى يمكن

أعتبر أن الخطر قد زال • كانت الاجابة : « مساء بعد باكر » • لم يخطر بباله قط أن أباه لن تمتد به الحياة الى هذا الموعد • وفي الحادية عشرة والنصف مساء رقد يستريح ساعة • وعندما استيقظ في الواحدة صباحا أخبره طبيب صديق أن أباه قد مات • وقد أتت نفسه على أنه لم يكن حاضرا أثناء وفاته ، وقد أشد تأنيبه لنفسه عندما أخبرته الممرضة بأن أباه قد نطق اسمه مرة في الايام الاخيرة ، وقال لها وهي تتقدم الى سريريه : « أنت بولس ؟ » وأعتقد أن أمه وشقيقاته كان يغلب عليهن تأنيب أنفسهن بنفس الطريقة ، ولكنهن لم يتكلمن قط عن ذلك • وعلى أية حال ، فان هذا التأنيب لم يعذبه في البداية • ذلك لانه لم يصدق ، خلال فترة طويلة ، حقيقة موت أبيه • كان كلما سمع نكته طيبة يقول دائما لنفسه : « ينبغي أن أحكيها لأبى » • وكان خياله أيضا منشغلا بأبيه ، بحيث كان اذا ما سمع طرقا على الباب يقول لنفسه : « هاهو أبى قد حضر » ، وعندما كان يدخل الى غرفة كان يتوقع أن يجد أباه فيها • وعلى الرغم من أنه لم ينس قط أن أباه قد مات ، فان توقعه لمثل هذا الظهور الاشباحى لم يكن ينطوى بالنسبة اليه على أى طابع مرعب ، بل على العكس من ذلك كان شديد الرغبة في أن يتحقق ذلك • ولم يكن قبل مرور عام ونصف أن عاودته ذكرى تقصيره في حق أبيه ، وبدأت في تعذيبه بشكل مروع ، بحيث غدا ينظر الى نفسه على أنه مجرم • كانت المناسبة التي أدت الى ذلك هي وفاة زوجة عمه وزيارة عزاء قام بها الى بيتها • ومنذ ذلك الحين فصاعدا وسع من نطاق أفكاره الحصارية بحيث اشتملت على العالم الآخر • وكانت النتيجة المباشرة لهذا التطور أن أصبح معوقا بشكل خطير عن العمل (١) • قال لى بأن الشيء الوحيد الذى مكنته

(١) ان وصفا اكثر تفصيلا لهذه الواقعة قدمه لى المريض فيما بعد ، مكنى من أن اتفهم تأثير هذه الواقعة عليه • فقد قال عمه ، زوج المتوفية ، وهو ينتحب : « ان الرجال الآخرين يسمحون لانفسهم بكل متعة ممكنة ، أما أنا فقد عشت لهذه المرأة وحدها » وقد أعتقد مريضا أن عمه انما كان يلح بذلك الى أبيه ، ويلقى بذلك الشكوك على وفاء هذا الاخير لزوجته ،

«من أن يمضى في الحياة في ذلك الوقت انما كان ذلك العزاء الذي كان يتلقاه من صديقه ، هذا الذي كان دائما ما يمسح عنه تأنيباته الذاتية استنادا الى اسرافها في المبالغة .»

وقد انتهزت هذه الفرصة كيما أقدم اليه لمحة أولى عن المبادئ التي يستند اليها علاج التحليل النفسى ، بدأت أقول انه عندما يكون هناك عدم تناسب بين الوجدان ومضمونه الفكرى (فى المثال : بين شدة التآنيب الذاتى وسببه) يقول غير الاخصائى ان الوجدان يزيد كثير عن سببه - أى أن التآنيب مسرف - ومن ثم فان الاستدلال الذى يستند اليه يكون باطلا ، من قبيل اعتقاد الشخص - فى هذا المثال - أنه مجرم . وعلى العكس من ذلك يقول المحلل : « كلا . ان الوجدان له ما يبرره . فشعور الاثم لا يقبل الطعن . ولكنه ينتمى الى مضمون آخر مجهول (لا شعورى) ، ويتطلب التتقيب عنه . وهذا المضمون الاخير قد أخلى مكانه ببساطة ، وبفضل ترابط زائف ، للمضمون الفكرى المعروف (الشعورى) . نحن لم نتعود أن نستشعر وجدانات قوية دون أن يكون لها أى مضمون فكرى ، ومن هنا فعندما يكون المضمون متغيبا ، فاننا نقبض ، كبديل ، على مضمون آخر ، يكون ملائما بشكل أو آخر ، تماما كما تفعل الشرطة ، عندما تعجز عن القبض على القاتل الحقيقى ، فتقبض بدلا منه على متهم زائف . هذا الى أن حقيقة كونهما فى حالة ترابط زائف هو الوسيلة الوحيدة التى تفسر لنا عدم جدوى العمليات المنطقية فى محاربة الفكرة القهرية المضنية » وختمت حديثى بأن سلمت بأن هذه الطريقة الجديدة فى النظر الى الأمر من شأنها أن تولد للنظرة الاولى ألغازا هائلة : اذ كيف للمريض أن يسلم بأن تأنيبه الذاتى على أنه مجرم فى حق أبيه له ما يبرره ، بينما هو لا بد يعلم أنه لم يرتكب فى الواقع أية جريمة ضد أبيه ؟

وعلى الرغم من أن عمه قد نفى بأقصى القطع مثل هذا التأويل لكلماته ، فلم يعد من الممكن بعد ابطال تأثيرها عليه .

وفي الجلسة التالية كشف المريض عن اهتمام شديد بما قدمته له من تفسيرات ، ولكنه اجترأ ، على حد قوله ، على أن يتقدم ببعض شكوكه - سألتني : كيف أن معرفة كهذه ، بأن التائب الذاتي أى شعور الاثم له ما يبرره ، يمكن أن يكون لها تأثير علاجي ؟ - أوضحت له أن ليست المعرفة هي التي لها هذا التأثير ، بل اكتشاف المضمون الجهول الذي يرتبط به في واقع الأمر التائب الذاتي - قال المريض : « نعم ، تلك كانت على وجه التحديد هي النقطة التي يستهدفها سؤالى » . وعندئذ قدمت له ملاحظات قصيرة عن الفروق البيكولوجية بين الشعور واللاشعور ، وعن كون كل ما هو شعورى يتعرض لان يبلى ، بينما كل ما هو لا شعورى يظل نسبياً غير قابل للتغيير ، وذلك على ملاحظاتي بالقطع الاثرية الموجودة في غرفتى . قلت له بأن هذه القطع كانت في الواقع مجرد أشياء تم العثور عليها في مقبرة ، وكان انطمارها هناك هو الذي حفظها من أن تبلى : فتدمير بومبىي انما بدأ الآن فقط باخراجها من تحت الاطمار . - بعد ذلك سألتني المريض : « هل يمكن أن ننشأ بشكل يقينى بما سيكون عليه اتجاه الفرد من الافكار التي يتم الكشف عنها ؟ فواحد يمكن أن يتغلب على التائب الذاتي ، بينما يمكن أن لا ينجح آخر في ذلك » . - قلت له : « كلا ، فمن طبيعة الامور أن الوجدان غالباً ما يتم التغلب عليه أثناء تقدم العمل التحليلي ذاته . فبينما تبذل كل الجهود للمحافظة على بومبىي ، يسعى الناس بأى ثمن للتخلص من الافكار الاليمة من هذا القبيل » . - فمضى يقول : « لقد قلت لنفسى بأن التائب الذاتي لا يمكن أن ينشأ الا بانتهاك الفرد لقوانينه الاخلاقية الباطنية الخاصة به ، وليس بانتهاكه لاية قوانين خارجية - وافقته على ذلك ، وقلت بأن الفرد الذى ينتهك القوانين الخارجية غالباً ما ينظر الى نفسه على أنه بطل - فاستطرد المريض يقول : « ان هذه الظاهرة لا يمكن بالتالى أن تحدث الا اذا كان هناك بالفعل انشطار في الشخصية . وانى لأتساءل ما ان كان من الممكن لى أن استعيد تكامل (وحدة) شخصيتى . فلو تحقق لى ذلك فاننى على ثقة من أننى سأبلغ في حياتى الى نجاح ربما يتخطى بكثير غالبية

الناس « • أجبتُه باننى أنفق معه تماما فى تصورِه هذا عن انشطار شخصيته • كل ما كان يلزمه هو أن يعتبر هذا التعارض الجديد ، بين الذات الاخلاقية والذات الشريرة ، مماثلا للتعارض الذى سبق لى أن ذكرته بين الشعور واللاشعور • فالذات الاخلاقية هى الشعور ، والذات الشريرة هى اللاشعور (١) •

وعندئذ قال المريض : « اننى اعتبرت نفسى رجلا أخلاقيا الا انى استطيع أن أتذكر بشكل قاطع أننى ارتكبت فى طفولتى أفعالا صادرة من تلك الذات الاخرى » • - قلت له بأنه ما هنا قد وقع بالصدفة على خاصية من أهم خصائص اللاشعور ، هى على التحديد صلته بالطفولة • وأوضحت له أن اللاشعور هو الطفلى فىنا ، فاللاشعورى هو هذا الجزء من النفس الذى انفصل عنها فى الطفولة ، فلم يتابع المراحل اللاحقة من تطورها ، والذى أصبح بالتالى مكبوتا • ومشتقات هذا اللاشعور المكبوت هى منهل الافكار اللاارادية التى تشكل مرضه • فأضفت قائلا بأن بوسعه الآن أن يتبين خاصية أخرى من خصائص اللاشعور ، وانه ليسرنى أن يبلغ بنفسه الى اكتشاف هذه الخاصية - ولكنه قال : « اننى لا أجد جديدا اضيفه ، ولكننى أتساءل ما ان كان فى وسع المرء أن يبرأ من اضطرابات قديمة الى هذا الحد • وعلى وجه الخصوص ، ما الذى يمكن عمله فى فكرتى عن العالم الآخر ، وهى التى لا يمكن دحضها بالنطق ؟ » - قلت له بأننى لا أنكر خطورة حالته ، لا ولا خطورة أفكاره المرضية ، ولكن فى نفس الوقت يعتبر شبابه نقطة فى صالحه الى أقصى حد ، وكذلك أيضا فى صالحه ما عليه شخصيته من تكامل • وفى هذا الصدد قلت كلمة أو كلمتين عما تكون لدى من رأى طيب عنه ، وقد أسبغ عليه ذلك سرورا ملحوظا •

وفى الجلسة التالية بدأ بأن أخبرنى بأنه يتحتم عليه أن يذكر

(١) كل ذلك بالطبع ليس صحيحا الا بصورة جد غليظة ولكن يصلح كمدخل تمهيدى للموضوع •

لى حادثة وقعت له فى طفولته : فمئذ السابعة من عمره • كما سبق أن أخبرنى ، كان لديه خوف من أن يحدث أبواه أفكاره ، وهذا الخوف قد لازمه فى الواقع طيلة حياته كلها • وعندما بلغ الثانية عشرة كان يجب صبىة صغيرة ، هى شقيقة صديق له (واجابة على سؤال منى ، قال بأن حبه لها لم يكن شهويا ، لم يشعر بالرغبة فى أن يراها عارية لانها كانت جد صغيرة) • ولكنها لم تظهر له من الحب بقدر ما كان يتمنى • وعندئذ خطرت له هذه الفكرة ، بأنها يمكن أن تكون أكثر حبا له لو نزلت به كارثة ، وكمثال لهذه الكارثة فان موت أبيه قد فرض نفسه على ذهنه • رفض فى التو وبشدة هذه الفكرة وحتى الآن فانه لا يستطيع أن يسلم بأن ما خطر بذهنه على هذا النحو يمكن أن يكون « رغبة » ، كان من الواضح بالنسبة اليه أن المسألة لا تعدو أن تكون « تداعى أفكار » (١) • ومن قبيل الاعتراض سألته : « اذا لم تكن تلك رغبة ، فلماذا نفيتها عن نفسك بكل هذه القوة ؟ » — أجاب : « بسبب مضمون الفكرة ، ألا وهو امكانية موت أبى » — نبهته الى أنه ينظر الى العبارة وكأنها تتطوى على جريمة عيب فى الذات الملكية ، فمن المعروف جيدا بالطبع بأنه مما ينطوى على العقوبة بالمثل أن يقول المرء : « الامبراطور حمار » أو أن يموه على هذه الكلمات المحرمة بقوله :

لو قال أحد ان الامبراطور •• فسوف أريه • وأضفت بأننى أستطيع فى يسر أن أدس هذه الفكرة التى نفاها عن نفسه بكل هذه القوة ، ضمن سياق يستبعد كل احتمال لمثل هذا النفى • مثال ذلك : « اذا مات أبى فسوف أقتل نفسى على قبره » • صدمه كلامى هذا بشكل ظاهر ، ولكنه لم يتخل عن اعتراضه • وعندئذ وضعت حدا للجدل بقولى بأنى متأكد من أن تلك لم تكن المرة الاولى التى خطرت له فيها فكرة موت أبيه ، فمن الواضح أنها نشأت فى تاريخ أبكر ، وسيكون علينا ذات يوم أن نقتفى تاريخها الى الوراء • — وعندئذ

(١) ليس العصايبون القهريون وحدهم هم الذين ينعون بمثل هذه العبارات التهوينية .

شرع يخبرنى بأن فكرة مماثلة على وجه التحديد قد ومضت فى رأسه مرة ثانية قبل موت أبىه بستة أشهر • فى ذلك الوقت (١) كان بالفعل واقعا فى حب السيدة الشابة ، ولكن الصعوبات المالية جعلت من المستحيل عليه أن يفكر فى الاقتران بها • وعندئذ خطرت له فكرة أن موت أبىه يمكن أن تجعله من الثراء بدرجة تكفى للاقتران بها • وفى دفاعه عن نفسه ضد هذه الفكرة بلغ الى حد أن تمنى أن لا يترك له أبوه أى شىء ، بحيث لا يحصل على تعويض عن خسارته الفادحة • ونفس هذه الفكرة خطرت له ، ولكن فى صورة أهون بكثير ، للمرة الثالثة ، فى التيوهم السابق على موت أبىه فعندئذ خطرت له فكرة « انى الآن على وشك أن أفقد أعز من أحب فى الحياة » • وفى مواجهة ذلك خطرت له فى التوفكرة مضادة : « كلا ، بل هناك شخص آخر سيكون فقدانه أشد ايلاما لى » (٢) • هاتان الفكرتان أثارتا دهشته الى أبعد حد ، لانه كان على ثقة من أن موت أبىه ما كان يمكن بحال أن يكون موضوع رغبة عنده بل فقط موضوع خوف •

وبعد هذه الكلمات التى نطق بها المريض فى حماسة ، بدا لى من المفيد أن أشرح بضع تصورات نظرية جديدة عليه • قلت له أنه بحسب نظرية التحليل النفسى فان كل خوف يناظر رغبة قديمة هى الآن مكبوتة ، ومن هنا فان هذه الاعتراضات من جانبه ينبغى أن تجعلنا نفترض وجود نزعات مضادة تماما • وذلك يتفق أيضا مع مطلب نظرى آخر ، هو على التحديد أن اللاشعور ينبغى أن يكون مضادا تماما للشعور • — كان شديد التأثير بما قلته وشديد الشك فيه • تساءل كيف يمكن بحال أن كانت لديه مثل هذه الرغبة ، بالنظر الى أنه كان يحب أباه أكثر من أى شخص آخر فى العالم ، لم يشك لحظة فى أنه لم يكن يتردد فى التنازل عن كل سعادة ممكنة فى الحياة لو أنه بذلك كان يستطيع أن ينقذ حياة أبىه • — أجبته بأن مثل

(١) كان ذلك منذ عشر سنوات •

(٢) هنا اشارة لا يمكن أن تخطئها الملاحظة الى التعارض بين

موضوعى حبه : أبىه والسيدة الشابة •

هذا الحب الشديد هو على وجه الدقة الشرط لكبت الكراهية . فمن المؤكد أنه يستطيع في يسر ، ازاء أشخاص لا يحفل بهم ، أن يستشعر جنبا الى جنب نزعات من الحب المعتدل مع نزعات مساوية من الكراهية المعتدلة : ولنفترض على سبيل المثال أنه موظف ، فمن الممكن عندئذ أن يعتبر رئيسه لطيفا كرئيس ، ولكنه في نفس الوقت مخادع كمحام ، وعديم الانسانية كقاض . وشكسبير يجعل بروتس يتحدث بطريقة مشابهة عن يوليوس قيصر : « كان قيصر يحبنى وانى لابكيه ، وكان محظوظا وانى لسعيد بذلك ، وكان شجاعا وانى لأمجده ، ولكن لانه كان طموحا فانى قتلته » (١) . ولكن هذه الكلمات تثير دهشتنا لانه أدنى الى الغرابة ، اذ كنا نتصور حب بروتس لقيصر أعمق من ذلك . فلنعد الى مريضنا . ذكرت له بأنه لو كان ازاء شخص جد حميم ، زوجته مثلا لو كان متزوجا ، لكانت تكون لديه نزعة الى توحيد مشاعره العاطفية ، مغفلا - كما هو الشأن عند كل البشر - النقائص التى يمكن أن تثير كراهيته لها ، بحيث يتعلمى عن هذه النقائص . وهكذا فقد كانت شدة حبه هى على وجه التحديد التى منعت كراهيته وان كانت هذه التسمية ضربا من التغليف - من أن تظل شعورية . هذه الكراهية لأبد وأن يكون لها مصدرها . والكشف عن هذا المصدر هو بالتأكيد مشكلة . كانت أقواله تشير الى تلك الفترة التى كان يخاف فيها من أن يحدس أبواه أفكاره . ومن ناحية أخرى أيضا يمكننا أن نتساءل كيف أن مثل هذا الحب الشديد من جانبه لم ينجح في اطفاء كراهيته ، على نحو ما يحدث في العادة عند وجود حفزتين متضادتين . لا يسعنا الا أن نفترض أن الكراهية لأبد وأنها ترتبط بمصدر ما جعلها مستحيلة على الازالة . وعليه كانت بالتأكيد رابطة من هذا النوع هى التى أبقت على كراهيته حية ضد أبيه ، هذا من ناحية بينما من ناحية أخرى ، كان حبه الشديد هو الذى منع هذه الكراهية من أن تصبح شعورية . ومن ثم لم يبق أمام هذه الكراهية

إلا أن تنظر في اللاشعور ، وإن استطاعت بين حين وحين أن تبرز للحظة في الشعور .

قال المريض بأن ذلك كله يبدو معقولا تماما ، ولكنه لم يكن بالطبع مقتنعا به بأى حال من الأحوال (١) . قال لى بأن بوده أن يسأل كيف أمكن لفكرة من هذا القبيل أن تكون لها عودات ، كيف أمكنها أن تظهر للحظة عندما كان فى الثانية عشرة ، وتظهر ثانية عندما بلغ العشرين ، ثم مرة أخرى بعد ذلك بعامين ، لتختفى فلا تظهر بعد ذلك . لم يكن بوسعه أن يعتقد أن كراهيته كانت خامدة فى الفترات الفاصلة ، ومع ذلك فلم يستشعر خلال هذه الفترات الفاصلة أية علامة على التائب الذاتى - أجبته على ذلك قائلاً بأنه فى كل مرة يسأل شخص سؤالا كهذا فاته تكون لديه بالفعل الاجابة عليه ، وكل ما يلزمه هو تشجيعه على الحى فى الحديث . - عندئذ مضى ، دون ما ارتباط فى الظاهر بما سبق ، يقول بأنه كان أعز صديق لابيه ، وكان أبوه أعز صديق له . وفيما عدا هذه الموضوعات القتيلة التى عادة ما يتجنب الآباء والأبناء بعضهم بعضا - (ما الذى يمكن أن يعنيه بذلك ؟) كانت بينهما علاقة حميمة باكثر مما عليه الآن علاقته مع أعز صديق له . أما فيما يتصل بالسيدة الشابة ، التى من أجلها استهان بأبيه فى تلك الفكرة التى خطرت له ، فقد كان يجبها فى الواقع حبا شديدا ، ولكنه لم يستشعر قط بالفعل أية رغبات شهوية تجاهها ، من قبيل تلك التى كان يستشعرها دواما فى طفولته . فعلى وجه الجملة ، كانت حفزاته الشهوية أقوى بكثير فى طفولته منها أثناء بلوغه : - وعندئذ نبهته الى أنه قد قدم الآن الاجابة التى كنا

(١) مثل هذه المناقشات لا تستهدف اقناع المريض فالغرض منها فحسب هو اجتذاب العقدة المكبوتة الى الشعور ، واذا كان صراع حول هذه العقدة فى مجال العمليات النفسية الشعورية ، وتيسير انبثاق مادة جديدة من اللاشعور . فالشعور بالاعتناع لا يبلغ اليه المريض الا بعد أن يتناول بنفسه من جديد المادة المستخلصة . وطالما لم يبلغ المريض بعد الى تمام الاعتناع فالمادة لم يتم استفادها بعد .

ننتظرها ، وأنه كشف في الوقت نفسه عن الخاصية الثالثة الأساسية
للاشعور • فالمصدر الذي يغذى كراهيته لابيه ، ويجعلها مستحيلة
على الازالة كان بكل وضوح من طبيعة الرغبات الشهوية ، وفي هذا
الصدد لا بد وأن يكون قد استشعر ، على نحو أو آخر ، وجود أبيه
كعائق • وأضفت قائلاً بأن الصراع من هذا النوع بين الشهوية وحب
الطفل لابيه هو نمطى تماما • فاحتجاب الكراهية ، الذي سبق أن
أشار اليه المريض ، قد حدث لأن التفجر الباكر لمشاعره الشهوية قد
ترتب عليه ، كنتيجة مباشرة ، تضاؤل بالغ في شدة تلك المشاعر • ولم
تظهر كراهيته من جديد الا حين استبدت به من جديد رغبات شبقية
شديدة ، وكان ذلك بسبب ابتعاث الموقف القديم • وقد اتفق معي
على أنني لم أوجهه لا الى موضوع الطفولة ولا الى موضوع الجنس ،
بل كان هو الذي أثار الموضوعين بمحض ارادته — ومضى المريض
يسألنى لماذا ، في تلك الفترة التي كان فيها شديد الحب للسيدة الشابة
لم يتخذ ببساطة قرارا في داخله بأن العقبة التي كانها أبوه في طريق
حبه لم تكن لترجح في الميزان للحظة واحدة حبه لابيه — أجبت بأنه
يكاد يكون من المستحيل القضاء على شخص في « غيابه » • فمثل
هذا القرار ما كان يقتدر على اتخاذه الا اذا كانت رغبته المستهجنة
في التخلص من الأب كعائق تظهر لأول مرة في هذه المناسبة ، بينما
هي في الواقع رغبة كبتت منذ وقت طويل ، ومن ثم لم يكن بوسعها أن
يتصرف ازاءها الا كما تصرف من قبل في طفولته ، واذن كانت في مأمن
من القضاء عليها • فنلك الرغبة (رغبة التخلص من أبيه كعائق) لا بد
وأن تكون قد نشأت في وقت كانت فيه الظروف جد مختلفة ، في وقت
ربما لم يكن فيه بعد يجب أباه أكثر من الشخص موضوع شهويته ،
أو في وقت كان فيه لا يقتدر بعد على اتخاذ قرار واضح • وعليه
فلا بد وأن ذلك كان في طفولته جد الباكرة ، قبل أن يبلغ السادسة
من عمره ، وقبل أن تشكل ذكرياته وحدة متصلة ، ولا بد وأن تكون
الامور قد بقيت على حالها منذ ذلك الحين • — وبهذا التفسير توقفه
حديثنا في ذلك اليوم •

وفي الجلسة التالية ، وهي السابعة ، أستأنف المريض من جديد الحديث في نفس الموضوع . قال انه لا يستطيع أن يصدق بأنه كانت لديه يوما مثل هذه الرغبة ضد أبيه . واسترسل يقول بأنه يذكر رواية للكاتب سودمان تركت في نفسه انطبعا عميقا . هذه الرواية تصور امرأة استشعرت ، وهي تجلس الى فراش أختها المريضة ، الرغبة في أن تموت أختها هذه بحيث تتمكن هي بعد موتها من أن تقترن بزوجها . وعلى اثر ذلك انتحرت المرأة اعتقادا منها بأنها ليست جديدة بالحياة بعد ما هوى بها الاثم الى هذه الخساسة . قال أن بوسعه أن يفهم ذلك تماما ، وأنه لن يكون الا عدلا أن تتسبب أفكاره في موته هو ، لانه لا يستحق أقل من ذلك (١) . — نبهته الى أنه من الحقائق جد المعروفة لدينا أن المرضى يحصلون من مكابداتهم على نوع من الاشباع ، بحيث أنهم جميعا في الواقع يقاومون الى حد ما شفاءهم . وطلبت اليه أن لا يعيب عن باله أن علاجا كعلاجنا هذا تصحبه دائما مقاومة ، ولم أتوقف عن تذكيره بذلك .

وعندئذ مضى يقول بأنه يرغب في التحدث عن فعل إجرامي ، لا يتعرف في مرتكبه على نفسه ، وان كان يذكر تماما أنه ارتكبه . وذكر نصا من نينشه (٢) : « اتى فعلت ذلك » تقول ذاكرتي « كلا ، لا يمكن أن أكون قد فعلت ذلك » يقول كبريائي في اضرار لا يلين . وفي النهاية تنتهزم ذاكرتي . واستطرد يقول : « حسنا ، فان ذاكرتي لم تنتهزم في هذه النقطة » . — « ذلك على وجه التحديد لانك تستمد لذة من تأنيباتك الذاتية ، من حيث هي وسيلة لعقوبة الذات » . — « ان أخى الاصغر (وانى في الواقع أحبه الآن كثيرا ، وهو يسبب لى في الوقت الحاضر قدرا كبيرا من المشغولية ، لانه يريد أن يعقد زواجا

(١) شعور الاثم هذا أشد ، يكون تناقضا مع انكاره السابق لرغبته في موت أبيه . وذلك نمط شائع من الاستجابة لفكرة مكبوتة بزغت الى الشعور : فلانكار يعقبه مباشرة اثبات ، وان يكن بشكل غير مباشر .
Teneits von Gut und Bose, iv, 68.

هو في رأيي حماقة ، وقد خطر لى قبل الآن أن أذهب فأقتل تلك الشخصية حتى أحول بينه وبين الزواج منها) حسنا ، ان أخى الاصغر هذا وأنا كثيرا ما كنا نتعارك ونحن أطفال • وكان كل منا جد مغرم بالآخر في نفس الوقت ، ولم نكن يفترق أحدنا عن الآخر • ولكنى كنت ببساطة أمتلىء غيرة منه لانه كان أكثر منى قوة وأكثر وسامة ، ومن ثم كان يحظى بالتفضيل » • — « نعم • فقد سبق أن وصفت لى مشهدا من الغيرة يتصل بالآنسة لينا » • — « حسنا ، بعد حادث من هذا النوع (كان ذلك بالتأكيد قبل أن أبلغ الثامنة ، لاننى لم أكن بعد قد ذهبت الى المدرسة ، وهى التى بدأت الذهاب اليها فى الثامنة) بعد حادث من هذا النوع ، فقلت ما يلى : كان لدينا نحن الاثنى بندقيتان للعب من النوع العادى • عمرت بندقيتى بعضا تنظيف البندقية وقلت له أن ينظر فى الماسورة ليرى شيئا • وبينما كان ينظر الى داخل البندقية ضغت على الزناد • جاءت الضربة فى جبهته ولكنها لم تصبه بأذى • ولكن كان فى نيتى فى الواقع أن أوذيه جدا • وبعد ذلك خرجت عن طورى تماما ، وألقيت بنفسى على الارض ، وسألت نفسى كيف كان من الممكن على الاطلاق أن أفعل شيئا كهذا • ولكنى فعلت ذلك » • — وانتهزت الفرصة للتدليل على رأيى • فاذا كان قد احتفظ بذكرى فعل غريب على نفسى الى هذا الحد ، فليس فى وسعه أن ينكر امكانية حدوث شىء مشابه ، نسيه الآن تماما ، اذ حدث له فى سن أبكر من ذلك ويتصل بأبيه — عندئذ أخبرنى بأنه على وعى من أنه استشعر أيضا حفزات انتقامية ، ولكن فى هذه المرة ضد السيدة الشابة التى كان يحبها حبا مليئا بالتبجيل ، والتى قدم عن شخصيتها لوحة فى حماسة متقدة قال ، ربما يكون من الصحيح أنها لا تستطيع أن تحب فى يسر ، ولكنها كانت تحتجز نفسها كلية لذلك الرجل الواحد الذى ستكون له يوما • لم تكن تحبه ، وعندما يتقن من ذلك ، تخلقت فى رأسه أخبولة شعورية عن مدى ما سيصير اليه يوما من ثراء عريض، فيتزوج من امرأة أخرى ، وعندئذ يصبحها لزيارة تلك السيدة الشابة كيما يؤذى مشاعرها • ولكن عند هذه النقطة توقفت الاخبولة ، لانه كان مضطرا لان يصارح نفسه بأن المرأة الاخرى (زوجته) لا يهملها

شئ من أمره ، وعندئذ اختلطت عليه الافكار ، وفي النهاية استقر في ذهنه بوضوح أن هذه المرأة الاخرى يتحتم أن تموت في هذه الاخيولة ، تماما كما في محاولته ضد أخيه ، تبين في نفسه هذه السمة ، التي تتروعه بشكل خاص ، وهي الجبن (١) . — وفيما تلا من حديث ، نبهته الى أنه يتحتم عليه أن يعتبر نفسه غير مسئول بحال عن أية سمة من مثل هذه السمات في شخصيته ، لان كل هذه الحفزات المستهجنة نشأت من طفولته ، فهي تتناظر مشتقات من شخصيته الطفلية ، ما تزال باقية في لا شعوره . كما يتحتم عليه أن يعرف أن المسؤولية الاخلاقية لا يمكن تطبيقها على الاطفال . وأضفت قائلا أنه انما بفضل عملية نمو يشب الراشد ، بمسئوليته الاخلاقية ، عن طوق مجموعة استعداداته الطفلية (٢) . وعلى أية حال ، فقد عبر مريضى عن شكه في أن تكون كل حفزاته الشريرة قد نشأت من هذا المصدر . ولكنى وعدته بأن أثبت له ذلك في مسار العلاج .

ومضى المريض يذكر أن مرضه قد استقل بدرجة خطيرة منذ موت أبيه . وقلت له بأننى أتفق معه في ذلك بقدر ما أعتقد أن حزنه على موت أبيه هو السبب الرئيسى في استفعال مرضه . فان حزنه قد وجد في مرضه ، ان جاز القول ، تعبيره الباثولوجى . وأخبرته بأنه بينما فترة الحداد العادية يمكن أن تمتد من عام الى عامين فان الحداد الباثولوجى ، من قبيل حداده ، يمكن أن يمتد الى غير نهاية .

ذلك من تاريخ الحالة هو كل ما أستطيع أن أعرضه في تفصيل وتتابع منطقى وهو يطابق على وجه التقريب هذا الجانب الايضاحى من العلاج ، وهذا العلاج قد امتد أكثر من أحد عشر شهرا .

(١) هذه السمة عنده سوف تجد تفسيراً فيما بعد .

(٢) انى انما أوردت هذه الحجج لادلل لنفسى مرة اخرى على عدم جدواها . وليس بوسعى أن أفهم كيف أن معالجن نفسيين آخرين يستطيعون أن يؤكدوا أنهم يهاجمون الاعصبة بنجاح بمثل هذه الاسلحة .

(هـ) بعض الأفكار القهرية وتفسيرها

ان الأفكار القهرية ، كما هو معروف تماما ، تبدو في الظاهر عديمة الدافع أو عديمة المعنى ، شأنها تماما شأن الأحلام . والمشكلة الاولى هي أن نعثر لها على معنى ، وعلى مكان ضمن سياق الحياة النفسية للفرد ، بحيث نجعلها متاحة للفهم ، بل ومعقولة . ويحسن بنا في محاولتنا ترجمة هذه الأفكار القهرية ، أن لا نتزعج أبدا مما تبدو عليه من استحالة على الفهم . فأكثر الافكار القهرية غرابة واغربا يمكن توضيحها اذا ما تعمقنا بحثها بدرجة كافية . فنحن نعثر على تفسيرها متى تبيننا العلاقة الزمنية بين الافكار القهرية وتجارب المريض ، أى بتقصينا متى ظهرت لأول مرة فكرة قهرية معينة ، وفي ظل أية ظروف خارجية يمكن أن تعاود الظهور عادة . وعندما لا تتجح فكرة قهرية — وهو ما يحدث غالبا — في أن تستمر في الوجود بشكل دائم ، فان مهمة توضيحها تكون أيسر بنفس الدرجة ومتى عثرنا على العلاقات البينية التي تربط الافكار القهرية بتجارب المريض ، يكون من اليسير علينا أن نتقنع بأن ما من صعوبة تعترض بلوغنا الى أى شىء آخر يمكن أن يكون محيرا أو جديرا بالمعرفة في البناء الباثولوجي الذى نحن بصدده : دلالة الفكرة القهرية ، وميكانيزم نشأتها ، والقوى النفسية الغريزية التى صدرت عنها .

وكمثال واضح بنوع خاص سوف أبدأ يا جدى الحفزات الانتحارية، هذه التى كثيرا ما تواتر ظهورها عند مريضنا . فهذا المثال يكاد يتضح تحليله من مجرد سرده . قال لى انه ذات مرة ضاعت عليه ثلاثة أسابيع بغير مذاكرة ، بسبب تغيب السيدة الشابة التى كان يجبها : كانت قد سافرت لتتريض جدتها التى اشتد عليها المرض . وبينما كان مستغرقا في جزء جد عويص من مذكرته خطرت له الفكرة : « لو تلقيت أمرا بأن تؤدى امتحانك عن هذه الفترة الدراسية في أول فرصة تسنح ، فيمكنك أن تتدبر بحيث تطيع الأمر . ولكنك اذا تلقيت أمرا بأن تقطع رقبته بموسى ، فماذا أنت فاعل ؟ » وفجأة

أحس بأن هذا الأمر يقد ضدر اليه بالفعل ، واندفع الى خزائنة الملابس يفتش عن الموس ، وعندئذ خطرت له الفكرة : « كلا ليست المسألة بهذه البساطة • ينبغي (١) أن تذهب فتقتل هذه العجوز » .
وفي اثر ذلك سقط على الارض في مكانه مرتعبا •

وفي هذا المثال توجد العلاقة بين الفكرة القهرية وتجارب المريض ضمن الكلمات الافتتاحية من قصته • فالسيدة الشابة التي يجبها كانت متغيبية ، بينما كان هو مستغرقا في جزء جد عويص من مذكرته استعدادا لامتحانه ، حتى يقرب ما أمكن من يوم اقترانه بها • وبينما كان مستغرقا في عمله استبد به الحنين الى سيده الشابة ، ففكر في سبب تغيبها • واستولى عليه ما كان من الممكن أن يكون ، عند رجل سوى ، نوعا من الشعور بالحنق ضد جدتها : « لماذا يتحتم أن تمرض هذه العجوز في الوقت الذي أحن فيه بكل هذه الشدة الى رؤية حبيبتي ؟ » وينبغي أن نفترض أن شيئا مماثلا ، ولكن أكثر شدة بكثير ، قد حدث في نفس مريضنا — نوبة غضب لا شعورية يمكن أن تأتلف مع حنينه فتترجم عن نفسها في هذه العبارة : أوه ! بودى أن اذهب فأقتل هذه العجوز التي تسلبني حبيبتي ! » وعندئذ يأتي في اثر ذلك الأمر « أقتل نفسك ، عقوبة على هذه النزوات الهمجية السفاحة ! » كل هذه العملية تبرز في شعور المريض القهرى مصحوبة بأعنف الوجدانات ، ولكن في ترتيب معكوس : الامر بالعقوبة أولا ، وبعد ذلك ينفجر ذكر الرغبة الاثمة • ولست أعتقد أن هذه المحاولة للتفسير تبدو متعسفة ، أو أنها تتطوى على كثرة من العناصر الافتراضية •

وثمة حفزة أخرى يمكن اعتبارها انتحارية بشكل غير مباشر ، وقد لازمته فترة طويلة ، ولم يكن تفسيرها بنفس الدرجة من اليسر • ذلك أن علاقتها بتجارب المريض نجحت في أن تتحجب وراء ارتباط

(١) يقتضى المعنى هنا أن نضيف كلمة أولا •

من تلك الارتباطات الخارجية الصرفة هذه التي ينفر منها كثيراً
تفكيرنا الشعوري .

ذات يوم بينما كان في رحلة في أجازة صيف خطرت له فجأة
فكرة أنه مسرف البدانة (بالالمانية Dick) ، وأنه يتحتم عليه أن
ينقص من وزنه . ومن هنا بدأ يغادر المائدة قبل توزيع الحلوى ،
ويندفع في الطريق بغير قبعة في الحرارة القائظة لشمس أغسطس ،
ثم يشرع في تسلق الجبل وهو يجري ، فلا يتوقف الا بعد أن يغرقه
العرق . . وفي إحدى المناسبات برزت نواياه الانتحارية عارية من
وراء هوسه هذا في أن ينقص من وزنه . فبينما كان يقف ذات يوم
على حافة جرف شديد الانحدار تلقى فجأة الامر بأن يقفز الى أسفل ،
مما كان يؤدي به الى موت محقق . ولم يكن بوسع مريضنا أن يعثر
على تفسير لهذه الحفزة القهرية اللامعقولة ، حتى خطر له فجأة
أن سيدته الشابة كانت في ذلك الوقت تنزل في نفس المصيف ، ولكنها
كانت في صحبة ابن عمومة لها من الانجليز ، كان شديد الحذب عليها ،
وكان مريضنا شديد الغيرة منه . كان ابن العمومة هذا اسمه رينشارد ،
وبحسب العادة المألوفة في انجلترا كانت شهرته ديك Dick . كان
مريضنا يرغب في أن يقتل هذا الـ « ديك » ، كانت غيرته منه وحنقه
عليه أكثر بكثير مما يستطيع أن يعترف به لنفسه ، وكان ذلك هو
السبب في أنه فرض على نفسه من قبيل العقوبة هذه المكابدة
للانقاص من وزنه . هذه الحفزة القهرية قد تبدو جد مختلفة عن
الامر المباشر بالانتحار ، وهو الذي شرحناه آنفا ، ولكنها يشتركان
مع ذلك في خاصية واحدة هامة . فكلاهما قد نشأ استجابة لغضب جد
عنيف — غير متاح للشعور — يتجه ضد الشخص الذي يعكر
الحب (١) .

(١) ان استخدام الاسماء والكلمات لخلق ارتباطات بين الافكار
اللاشعورية (حفزات وأخايل) من ناحية ، والاعراض من ناحية أخرى ،
يوجد في العصاب القهرى بدرجة اقل تواترا بكثير واقل غلظة مما عليه
=

ومع ذلك فان بعض القهور الاخرى عند المريض ، وان كانت أيضا تدور حول سيدته الشابة ، تكشف عن ميكانيزم مختلف وترجع بأصلها الى غريزة مختلفة . فبالإضافة الى هوسه في أن ينقص من وزنه ، استحدث سلسلة بأسرها من القهور ، وذلك في الفترة التي كانت فيها سيدته الشابة تنزل في نفس المصيف ، وكانت هذه القهور ، بشكل جزئي على الاقل ، تدور مباشرة حول هذه السيدة . فذات يوم ، وكان معها في نزهة بالقرب ، وعصفت ريح شديدة ، تحتم عليه أن يرغمها على أن تلبس قطنسوته ، لان أمرا كان قد تكون في ذهنة . بأن ما من شيء ينبغي أن يحدث لها (٢) . كان ذلك نوعا من قهر الحماية ، واليك أمثلة أخرى منه . ففي مرة أخرى بينما كانا يجلسان معا أثناء عاصفة رعديّة ، اعتراه قهر ، لا يدري له سببا ، بأنه يتحتم عليه أن يعد الى أربعين أو خمسين بين كل ومضة برق وقصفة الرعد التي تصحبها . وفي يوم رحيلها ارتطمت قدمه بحجر ملقى في الطريق ، فتحتم عليه أن يحمله بعيدا عن الطريق ، لان الفكرة خطرت له بأن عربة حبيبته سوف تمر بعد ساعات في هذا الطريق ، ويمكن أن تتعرض لحادثة بسبب هذا الحجر . ولكن بعد دقائق قال لنفسه بأن ذلك سخف ، وتحتم عليه أن يعود ثانية ليعيد الحجر الى مكانه الاصلى في منتصف الطريق . وبعد أن رحلت السيدة الشابة أصبح مريضنا فريسة لقهر الفهم ، مما جعله بلاء لا يطاق بالنسبة الى جميع رفقاءه ،

الحال في الهستيريا . ومع ذلك ، يحضرنى مثال آخر جرى فيه استخدام نفس هذا الاسم « ريتشارد » استخداما ماثلا من جانب مريض قيمت بتحليله منذ وقت طويل . فهذا المريض ، على أثر عراك مع شقيقته راح يقدر فكره بشكل قهري للعثور على وسيلة يتخلص بها من ثروته ، معلنا أنه لم يعد يرغب في أن تكون له أية علاقة بالمال ، وما الى ذلك . وكان اسم أخيه ريتشارد Rickard (ريشار) في الفرنسية تعنى « رجل غنى » .

(٢) « مما يمكن أن تقع على لائمه » هذه الكلمات تنبئ اضافتها

ليكمل المعنى .

كان يحتم على نفسه أن يفهم على وجه التحديد معنى كل مقطع مما يقال له ، وكأنه لو فاته ذلك يضيع كنزاً لا يقدر بثمن . ومن هنا فقد ظل يسأل : « ماذا كان هذا الذي تفوهت به الآن ؟ » . وبعدما كان محدثه يكرر عليه ما قاله كان يتحتم عليه أن يعتقد بأنه سمع شيئاً مختلفاً في المرة الأولى ، ويغلبه شعور بعدم الرضا .

كان هذه المظاهر لمرضه كانت تستند الى حدث بعينه كان يحكم في تلك الفترة علاقته مع سيدته الشابة . هذا الحدث كان قد وقع في حيننا ، قبل زحيله الى الريف . فبينما كان يستأذن سيدته الشابة في الزحيل في أجازة الصيف ، قالت له شيئاً فهمه على أنه رغبة من جانبها في أن تتبرأ منه على مشهد من بقية الصحاب ، وقد جعله ذلك جد تعس . وأثناء إقامتها في الإجازة بالمصيف ، سنحت الفرصة لمناقشة هذه المسألة ، واستطاعت السيدة الشابة أن تثبت له أن كلماتها تلك التي أتت أثناء فهمها ، كانت على العكس تستهدف حمايته من أن يكون موضع سخريه . وقد جعله ذلك جد سعيد من جديد . وكان أوضح تلميح لهذا الحادث متضمناً في قهر الفهم ، هذا الذي أنبنى صرخه وكان المريض يقول لنفسه : « بعد مثل هذه التجربة يتحتم عليك أن لا تسيء فهم أى شخص مرة أخرى ، لو شئت أن توفر على نفسك ألماً لا داعى له » . وهذا القرار لم يكن فقط مجرد تعميم ابتداء من حدث وحيد ، بل كان أيضاً نقل — ربما بسبب غياب السيدة الشابة — من شخصية وحيدة عالية المكانة عنده الى جميع الآخرين الأدنى منها . وقهر الفهم هذا ما كان يمكن أن ينشأ ، ليس غير ، عن الرضا الذي استشعره من التفسير الذي قدمته اليه السيدة الشابة ، فلا بد وأن هذا القهر يعبر عن شيء أو آخر بالإضافة الى ذلك ، لان مريضنا ينتهى دائماً ، في هذا القهر ، بأن يشك ، في عدم رضا ، فيما ان كان ما سمعه في المرة الأولى قد أعيد عليه بشكل صحيح .

والاوامر القهرية الاخرى التي ذكرناها تضعنا على الطريق الى هذا الشيء الآخر . فقهر الحماية عنده لا يمكن أن يكون الا استجابة

— تعبر عن الندم والتكفير — لتقيض هو حفزة عدائية ، استشعرها
 حتما تجاه سيدته الشابة ، قبل أن توضح له حقيقة المسألة . وقهر
 العد عنده أثناء العاصفة الرعدية يمكن فهمه — بالاستعانة ببعض
 المعطيات التي قدمها — على أنه إجراء دفاعي ضد مخاوف من خطر
 الموت . وتحليل القهور التي تناولناها في البداية قد تنبها الى أن
 نعتبر الحفزات العدائية عند مريضا عنيفة بشكل خاص ، وأنها من
 قبيل الحنق الارغن ، فما نحن نتبين ، حتى بعد أن أوضحت له السيدة
 الشابة حقيقة المسألة ، أن حنقه ضد هذه السيدة استمر يسهم في
 تكوين قهوره . فقهر الشك عنده ، فيما أن كان قد سمع على نحو
 صحيح ، هو تعبير عن الشك الذي ما يزال يكمن مقربا في نفسه ،
 فيما أن كان قد فهم حقا سيدته الشابة فمها صحيحا ، وفيما أن كان
 على حق اذ اعتبر كلماتها دليلا على حبها له . فالشك المتضمن في قهر
 الفهم عنده هو شك في حبها له . فهناك صراع بين الحب والكرهية
 يحتدم في قلب هذا العاشق ، وموضوع كل من هاتين العاطفتين هو
 شخص واحد وبعينه . وهذا الصراع قد ترجم عن نفسه في صورة
 عيانية في فعل قهري عظيم الدلالة في رمزيته : ابعاده الحجر عن
 الطريق الذي كانت ستتم به عربتها ، ثم محوه هذا الصنيع العشقي
 باعادته الحجر الى مكانه الأصلي ، بحيث يمكن أن تتعرض عربتها
 للاصطدام به وتصاب هي نفسها بأذى . ولن يكون حكما صحيحا
 على هذا الجزء الثاني من الفعل القهري اذا ما وقفنا في تقديره عند
 السطح ، فاعتبرناه مجرد دحض منطقي لفعل مرضي ، وتلك دلالة
 يود المريض أن يضيفها عليه . فهذا الجزء من الفعل — بالنظر الى أن
 المريض قد قام به بشكل قهري — يفضح بذلك كيانه كجزء من هذا
 الفعل المرضي ، ولكنه يرجع في تحديده الى دافع مضاد لذلك الدافع
 الذي يحدد الجزء الاول من الفعل القهري .

ان الافعال القهرية من هذا القبيل ، في مرحلتها المتعاقبتين ،
 والتي فيها المرحلة الثانية تمحو المرحلة الاولى ، هي ظواهر نمطية
 في الاعصابة القهرية . وطبيعي أن يسيء التفكير الشعوري للمريض
 فهم هذه القهور ، فيفسرها بردها الى دوافع ثانوية — أي يلجأ

باختصار الى تعقيلا (١) . ولكن دلالتها الحقيقية تكمن في كونها تعبيراً عن صراع بين حفزتين متضادتين متساويتين في القوة تقريبا . وقد وجدت حتى الآن أن هذا التعارض كان دائما أبدا تعارضا بين الحب والكراهية . والافعال القهرية من هذا القبيل تتطوى على أهمية خاصة من الناحية النظرية ، لأنها تكشف لنا عن نمط جديد في تكوين الاعراض . فالذى يحدث بانتظام في الهستيريا هو مصالحة يتم الوصول اليها نتيج للزعتين المتضادتين كليهما في نفس الوقت أن تترجما عن نفسيهما — مما يتيح ضرب عصفرين بحجر واحد (٢) ، بينما هنا في العصاب القهري تترجم كل من الزعتين المتضادتين عن نفسها على نحو منفرد ، احدهما أولا ثم تليها الاخرى ، وان كانت هناك محاولة بالطبع لاقامة نوع من العلاقة المنطقية (غالبا ما تكون مجافية لكل منطق) بين الزعتين المتضادتين (٣) .

(١) قارن ارنست جونز في مقاله (التعقل في الحياة اليومية)

(J. of Ab. Psy) (1908) Rationalization in Every-day Life .

(٢) قارن (الاخييل الهستيرية في صلتها بالجنسية الثنائية ،

فرويد ١٩١٨) .

Hysterical Phantasies and their Relation to Bisexuality, Col.

Papers, Vol. II.

(٣) مريض آخر بالعصاب القهري حكى لى مرة القصة التالية ، كان

يسير ذات يوم في حديقة شونيرون (بفيينا) عندما ارتطمت قدمه بفرع شجرة ملقى على الارض التقطه وقذف به بين الشجيرات التى تمتد على حافة الطريق . وفى طريق عودته الى البيت استبد به فجأة الانزعاج من أن فرع الشجرة في وضعه الجديد يمكن أن يكون بارزا معض الشيء فيتسبب في ايداء شخص يمر من نفس الطريق من بعده . تحتم عليه أن يقفز من الترام مهرولا الى الحديقة ومتجها الى نفس المكان ، فاعاد فرع الشجرة الى مكانه الاصلى على الارض .

وذلك على الرغم من أن أى شخص آخر غير المريض كان سيجد

على العكس أن فرع الشجرة هو بالضرورة أكثر خطرا على المارة في وضعه الاصلى على الارض منه حيث وضعه بين الشجيرات . والفصل الثانى العدوانى ، الذى قام به بشكل قهري قد تزيد في فكره الشعورى بدوافع تنتمى في الواقع للفعل الاول الانسانى .

ان الصراع بين الحب والكرهية قد ترجم عن نفسه عند مريضنا في مظاهر أخرى أيضا . ففي الوقت الذي عاودته فيه نزعته الى الورع ، كان من عادته أن يبتدع لنفسه صلوات كانت تستغرق منه وقتا أكثر فأكثر ، حتى بلغت ساعة ونصفا . وكان السبب في ذلك أنه تبين ، على العكس من بلعام (١) ، أن شيئا ما يندس دائما بين كلماته الورعة فيقلب معناها الى الضد . فلو قال مثلا : « يحفظه الله » فان روحا شريرة تسارع فتدس كلمة « لا » . وفي إحدى هذه المناسبات خطرت له الفكرة بأن يتلو لعنات ، اعتقادا منه بأنه في هذه الحالة لا يبد وأن تتدس الكلمات المضادة . وفي فكرته هذه استطاع مقصده الاصلى ، الذي كانت تكتبته صلواته ، أن يثيق طريقه . وفي النهاية وجد خلاصه من محنته في أن يهجر الصلوات واضعا في مكانها صيغة موجزة ، تتألف من الحروف أو المقاطع الاولى لصلواته المختلفة . وكان يتلو هذه الصيغة على نحو من السرعة بحيث لا يمكن أن يندس فيها شيء .

وحكى لى المريض ذات مرة حلما يترجم عن نفس الصراع في طرحه على المحلل : حلم المريض أن أمى قد ماتت ، وكان يتوق أن يقدم لى عزاءه ، ولكنه كان يخشى أن ينفجر ، أثناء قيامه بذلك ، في ضحكة وقحة ، على نحو ما تكرر ذلك منه في مناسبات مماثلة ماضية . ومن ثم فقد فضل أن يترك لى بطاقته بعد ما يدون عليها حرفى العزاء P.C. ، ولكن الحرفين استحالوا أثناء كتابتهما الى حرفى التهئة P. F. .

كانت الطبيعة المتناقضة لعواطفه تجاه سيدته الشابة من الوضوح بحيث يستحيل عليها أن تقلت تماما من ادراكه الشعورى ، وان يكن لنا أن نستخلص ، من الطابع القهرى لهذه العواطف المتناقضة ، أنه كان يستحيل عليه أن يتبين مدى شدة حفزاته السالبة

(١) (نعرف من العهد القديم ان بلعام كان نافذ الدعاء ، فالذى يباركه مبارك والذي يلعنه ملعون) سفر العدد ٢٢ - (المترجمون) .

ضد هذه السيدة • كانت هذه السيدة الشابة قد رفضت منذ عشر سنوات أول طلب منه للزواج بها • ومنذ ذلك التاريخ تناوبت عليه فيما يعلم فترات : فترات يعتقد أثناءها أنه يجبها بشدة ، وفترات يشعر فيها أنه لا يحفل بها • وفي كل مرة أثناء العلاج تخابه ضرورة اتخاذ خطوة تقربه من النهاية السعيدة لعلاقته الغرامية ، كانت المقاومة عنده تتخذ في العادة صورة الاقتناع بأنه في نهاية الامر لم يعد يحفل بها كثيرا — وان كان من الصحيح أن هذه المقاومة كانت سريعا ما تنتهار • وذات مرة عندما كانت السيدة الشابة طريحة الفراش من شدة المرض ، وكان هو أشد ما يكون انشغالا عليها ، خطرت له ، وهو ينظر اليها ، رغبة في أن تترقد هكذا الى الابد • وقد شرح هذه الفكرة بسفسطة عبقرية : مدعيا بأنه انما تمنى لها أن تظل أبدا مريضة حتى لا يكابد هذا الخوف المروع من أن تقع حبيبته من جديد فريسة للمرض ! (١) • وبين حين وآخر كان من عادته أن يشغل ذهنه بأحلام يقظة ، كان يتعرف عليها هو نفسه بوصفها « أخابيل انتقام » ، وكان يستشعر الخجل من ذلك • ومن ذلك أنه ، اعتقادا منه بأن سيدته الشابة تولى أهمية كبيرة للمركز الاجتماعي لرجل يريد الزواج منها ، تكونت لديه الاخيولة التالية : تتزوج هي من موظف كبير ، ويدخل مريضا في نفس هذا المجال من العمل مع ذلك الموظف ، ويتقدم مريضا بأسرع منه كثيرا ، بحيث يصبح ذلك الموظف تحت رئاسته • وذات يوم يرتكب ذلك الموظف فعلة تنتافي مع الامانة ، فتأتى زوجته وترتمى عند أقدام مريضا وتتوسل اليه أن ينقذ لها زوجها • فيعدها بذلك ، ولكنه يكشف لها عن أنه لم يلتحق بهذا العمل الا بدافع حبه لها ، وتوقعا منه لمثل ما حدث • أما الآن ، وقد أنقذ لها زوجها ، فقد انتهت رسالته ، فيقدم استقالته •

وقد تكونت لديه أخابيل أخرى كان يبسدى فيها خدمات كبيرة

(١) ليس من شك في أن دانعا آخر قد أسهم في نشأة هذه الفكرة القهرية : هو رغبته في أن يراها عاجزة عن الدفاع أمام رغبته •

لسيدته الشابّة دون أن تدري هي أنها قد صيرت عنه ، في هذه الأجيال لم يتعرف الا على جبهه ، دون أن يتبين بدرجة كافية أصل أريحيته هذه ، وما يبيتهده من كيت تعطشه للانتقام ، على طريقة الكونت دي مونت كريستو عند ديماس . ومع ذلك فقد اعترف بأنه احيانا ما كانت تستبد به جفزات جد واضحة الى أن ينزل الضرر بالسيدة التي يجبها .

(و) السبب المباشر للمرض

وذات يوم حكى لى المريض ، بشكل عرضي ، حادثة ، استطعت أن أثبت فيها على الفور السبب المباشر لمرضه ، أو على الأقل السبب المباشر الحديث لهذه النوبة التي تفجرت منذ ست سنوات ، والتي ما تزال مستمرة حتى اليوم . لم يكن هو نفسه علي وعى بأنه أهلي بشيء ذي أهمية ، وهو لا يستطيع أن يتذكر أنه قيد أولي يوما هذه الحادثة أي اهتمام ، هذا الى أنه لم ينس الحادثة قط . مثل هذا الاتهام من جانبه يتطلب ايضا نظريا .

في الهستيريا ، القاعدة هي أن الاسباب المباشرة الحديثة للمرض يجتاحها النسيان (الامنيزيا) بقدر ما يحتاج التجارب الطفلية التي بفضلها تتمكن الاسباب المباشرة الحديثة من تحيل طاقتها الوجدانية الى أعراض . وحيث لا يستطيع النسيان أن يكون مكتملا ، فإنه يفرض على السبب المباشر الحديث الصدمي عملية تآكل فيسلبه على الأقل أهم عناصره المكونة . في مثل هذا النسيان نتبين الدليل على الكبت الذي حدث . ولكن الامر مختلف في الاعصبة القهرية . فالاصول الطفلية يمكن أن يكون قد اجتاحتها النسيان ، وان يكن هذا النسيان الغالب غير مكتمل ، أما الاسباب المباشرة الحديثة للمرض فهي على العكس من ذلك تظل باقية في الذاكرة . فالكبت هنا يستخدم ميكانيزما آخر (١) ، هو في الواقع أبسط : فالسبب المباشر (الصدمة) ، بدلا

(١) يعرف الآن باسم ميكانيزم العزل في الانجليزية والفرنسية isolation (المترجمون) .

من أن يعانى النسيان ، يتجرد من شحنته الانفعالية ، بحيث أن ما يبقى منه فى الشعور لا يزيد عن المضمون الفكرى مجردا تماما عن كل لون ، فيبدو لصاحبه عديم الاهمية . والاختلاف بين ما يحدث فى الهستيريا وما يحدث فى العصاب القهرى ، أى بين هذين النوعين من الكبت ينحصر فى العملية النفسية التى بوسعنا أن نعيد بناءها وراء الظاهرة ، والنتيجة هى دائما على وجه التقريب واحدة فى الحالتين ، لان المضمون الفكرى العديم اللون نادرا ما يلتفت اليه المريض . فهو لا يلعب أى دور فى حياته النفسية الشعورية .

وكيما نميز بين هذين النوعين من الكبت ليس لدينا فى السطح ما يمكن التعويل عليه ، اللهم الا توكيد المريض بأنه يشعر فى حالة (العصاب القهرى) بأنه كان دائما يعرف الحادثة ، وأنه يشعر فى الحالة الاخرى (الهستيريا) بأنه قد نسى الحادثة منذ زمن بعيد (١) .

ذلك هو السبب فيما يحدث كثيرا من أن العصابين القريين ، الذين يعانون التأنيبات الذاتية ، والذين ربطوا وجداناتهم هذه بأسباب زائفة ، يذكرون للمحلل فى نفس الوقت الاسباب الحقيقية لتأنيباتهم الذاتية ، دون أن يتجه ظنهم قط ان هذه التأنيبات قد انفصلت ببساطة عن تلك الاسباب الحقيقية . وهم حين يذكرون مثل هذه الحادثة ، التى هى السبب الحقيقى لتأنيباتهم الذاتية ، فانهم أحيانا ما يضيفون فى دهشة ، أو حتى فى كبرياء « ذلك ما لا يحرك

(١) وعليه ينبغى التسليم بأنه فى حالة العصاب القهرى يوجد نوعان من المعرفة ، فمن المنطقى بنفس الدرجة أن نقول ان المريض « يعرف » صدماته ، أو أن نقول بأنه لا يعرفها . فهو يعرفها من حيث أنه لم ينسها ، وهو لا يعرفها من حيث أنه على غير وعى بدلالاتها ، وغالبا ما يكون الامر كذلك فى الحياة العادية . فالخدم الذين كان من عادتهم أن يخدموا شوبنهاور فى مطعمه المألوف كانوا « يعرفونه » بمعنى ما ، وذلك فى وقت لم يكن فيه عدا ذلك معروفًا فى فرانكفورت أو فى خارجها ، ولكنهم لم يكونوا يعرفونه بالمعنى الذى نغنيه حين نتحدث اليوم عن شوبنهاور .

عندي ساكنا » • كان ذلك هو ما حدث في الحالة الأولى من العصاب القهري التي أتاحت لي ، منذ سنوات عديدة ، أن أفهم طبيعة هذا المرض • كان المريض ، وهو موظف حكومي ، يعاني من وسوسات لا حصر لها • كان هو نفس الرجل الذي سبق أن وصفت فعله القهري المنصب على فرع الشجرة في حديقة شوتبرون • لفت انتباهي أن أوراق العملة التي كان يدفعها لي أجرا للجلسات كانت دائما أبدا نظيفة ولا معة (كان ذلك قبل أن تظهر العملة الفضية عندنا في النمسا) • وأسرت إليه ذات مرة بأن المرء يستطيع دائما أن يتعرف على موظف الحكومة بأوراق العملة الجديدة التي يتسلمها من خزانة الدولة ، وعندئذ أخبرني بأن أوراق العملة التي يقدمها لي ليست جديدة بحال ، ولكنه كان « يكوينا » في منزله • وقال موضحا بأنها كانت عنده مسألة ضمير أن لا يقدم لاحد أوراق عملة قذرة ، لأنها تأوى كل أنواع الميكروبات الخطرة ، ويمكن أن تسبب ضررا للذي يتسلمها • في ذلك الوقت لم تكن لدى الافكرة غائمة عن العلاقة بين الاعصبة والحياة الجنسية ، ومن هنا اجترأت في مناسبة أخرى أن أسأل المريض عن موقفه من تلك المسألة • أجابني في مرح : « هذا على ما يرام تماما • فاني لا أعاني على الاطلاق أى حرمان في هذا المجال • ذلك أنى ألب دور العم العزيز في عدد من الاسر الراقية ، وبين حين وآخر استغل وضعي هذا لادعو شابة صغيرة لتخرج معي لقضاء يوم من النزهة في الريف • وبعد ذلك أرتب الامر بحيث يفوتنا القطار الاخير للعودة ، فنكون مضطرين لقضاء الليل بعيدا عن المدينة • وأستأجر دائما غرفتين — اذ أنى أتصرف بسخاء • وعندما تكون الفتاة في فراشها أذهب اليها ، واستمئنيها بأصابعي » • « ولكن ألا تخشى أن يصيبها بأذى وأنت تعبت بيدك القذرة في عضوها ؟ » — عند ذلك تنفجر غاضبا : « أذى ؟ كيف يمكن أن يصيبها ذلك بأذى ؟ لم يسبب ذلك حتى الآن أى اذى لاية واحدة منهن ، وكن كلهن يستمتعن بذلك ! وبعضهن قد تزوجن الآن ، ولم يسبب ذلك لهن أى اذى على الاطلاق ! » — فهم اعتراضى بشكل جد سيء ، فلم يعد قط بعد ذلك • وليس في وسعي أن أفسر التعارض بين تزمته في أوراق العملة ولا

مبالاته في استغلال الشابات الصغيرات اللاتي كان يؤتمن عليهن ،
 الا بان افترض بان وجدان التائب الذاتي قد عانى نقلا . كان الهدف
 من هذا النقل واضحا بدرجة كافية : فلو كان لتأنيباته الذاتية ان تنقى
 حيث يجب ان تكون ، لكان يتحتم عليه ان يتخلى عن شكل من أشكال
 الاثباع الجنسي الذي ربما كان مرعما عليه بفعل بعض المحددات
 الطفلية القوية . وعليه ، فالنقل قد ضمن له حصوله على ميزة هائلة
 من مرضه (الكسب الأولى) .

ولكن ينبغي الآن ان أعود الى السبب المباشر للمرض عند
 مريضا بدراسة تفصيلية أمين . نشأت أمه في أحضان أسرة ثرية
 من أقاربها البعيدين . وكانت تلك الأسرة من أصحاب المصانع الكبيرة .
 وكان أبوه على أثر زواجه من أمه قد عمل في مصانع هذه الأسرة ،
 بحيث أنه لم يبلغ الي ما يبلغ اليه من ثراء عريض الا بفضل زواجه .
 ومن خلال المداعبات التي كان يتبادلها الزوجان ، اللذان كانا يعيشان
 معا في نقاهم تام ، عرف مريضا ان أباه كان ، قبل ان يتعرف على
 أمه ، قد تقدم الى فتاة جميلة ، لكنها معدمة من أسرة متواضعة .
 وحسبنا ذلك تمهيدا للموضوع . وبعد أن مات الأب قالت الام
 لمريضا ذات يوم بأنها كانت تبحث أمر مستقبله مع أقاربها الاثرياء ،
 وأن واحدا من أبناء عمومتها أعلن عن استعداده لان يزوجه من إحدى
 بناته عندما يفرغ من تعليمه ، وكان من شأن علاقات العمل مع مصانع
 تلك الأسرة الثرية ان تهيبء له مستقبلا باهرا في حياته المهنية . هذه
 الخطة من جانب أسرته أثارت عنده هذا الصراع : أبقى مخلصا
 للسيدة الشابة التي يحبها على الرغم من فقرها ، أم يتبع مثال أبيه
 فيتزوج من الفتاة اللطيفة الثرية العريقة التي اختارتها الأسرة له ؟
 وقد فض مريضا هذا الصراع ، الذي كان في الواقع صراعا بين حبه
 والتأثير العنيد لرغبات أبيه ، بأن وقع مريضا ، أو بتعبير أكثر صحة ،
 أنه بوقوعه في المرض قد أفلت من مهمة فض هذا الصراع في الحياة
 الواقعية (١) .

(١) يجدر بنا أن ننبه الى أن هروبه في المرض قد أصبح ممكنا:

والدليل علي صحة هذا الرأي ينحصر في أن النتيجة الأساسية لمرضه هي عجز عنيد عن العمل ، الأمر الذي مكنه من أن يؤجل لسنوات الانتهاء من تعليمه ولكن نتائج مثل هذا المرض لا يمكن بحال أن تكون غير مقصودة ، فان ما يبدو نتيجة تقترب على المرض هو في الواقع السبب أو الدافع الى الوقوع في المرض .

وكما كان متوقعا ، فان المريض في البداية لم يتقبل ايضاحي للمسألة . قال بأنه لا يستطيع أن يتصور أن خطة الأسرة لزواجه يمكن أن تتمخض عن مثل هذا الاثر : فتلك الخطة لم تثر عنده أدنى اهتمام في ذلك الوقت . ولكنه في المسار اللاحق للعلاج تحتم عليه أن يتأدى الى الاعتقاد بصحة افتراضى ، وذلك بطريقة فريدة الى أقصى حد . فبفضل أخيوالة تحويك عاش المريض ، بحسبانها جديدة وحالية ، نفس تلك الوقائع من الماضى التى كان قد نسيها ، أو التى لم تخطر بذهنه الا على نحو لا شعورى . فقد جاءت فترة في العلاج عسيرة وغامضة ، وفي النهاية تكشفت عن أن مريضنا كان قد ألتقى مرة بفتاة شابة على الدرج بمنزلى ، ظن في التو أنها ابنتى . وفي نفس الوقت رفع بخياله من ثروة أسرتى ومكانتها الى المستوى الذى يتفق مع الانموذج الذى في ذهنه . ولكن حبه الذى لا يتزعزع لسيدته الشابة كان يفاضل في نفسه ضد هذه الغواية . وبعد ما اجتزنا سلسلة من أعنى المقاومات وأمر الشتائم من جانبه ، لم يعد بوسعه بعد ذلك أن يستمر في الافلات من التأثير المقتنع لهذا التماثل المكنم بين أخاييل التحويل وواقع حياته في الماضى . وسأورد هنا واحدا من الاحلام التى رآها في تلك الفترة ، كيما أقدم مثلا لطريقته في تناول المسألة : رأى في الحلم ابنتى تقف أمامه بقطعتين من الروث في مكان عينيها . وما من أحد يفهم لغة الاحلام يجد صعوبة كبيرة في

بالنسبة اليه بفضل توحيده بابيه ، فهذا التوحد قد مكن وجداناته من النكوص الى مخلفات طفولته .

ترجمة هذا الحلم : فالحلم يعلن أنه كان يتزوج ابنتى لا من أجل عينيها الجميلتين بل من أجل ثروتها .

(ز) عقدة الأب وتصفية قهر الفيران

ثمة حيط يربط ما بين السبب المباشر لمرض مريضنا فى سنوات الرشد وبين طفولته . فقد وجد نفسه (فى الرشد) فى موقف شبيه بالموقف الذى كان يعلم أو يعتقد أن أباه قد عاشه قبل زواجه . وبذلك أصبح بوسعه أن يوحد نفسه بأبيه ولكن أباه المتوفى كان من ناحية أخرى أيضا يلعب دورا فى نوبة مرضه الحالى . فالصراع ، الذى هو أساس مرضه ، كان فى صميمه تضالا بين التأثير العنيد لرغبات أبيه وبين تفضيلاته العشقية الخاصة . فلو وضعنا فى اعتبارنا ما أدلى به المريض أثناء الجلسات الاولى من علاجه ، تحتم علينا أن نفترض أن صراعه كان صراعا جد قديم ، وأنه نشأ فى وقت قديم قدم طفولته .

فبحسب كل المعلومات ، كان أبو مريضنا رجلا جد ممتاز . كان قبل زواجه صف ضابط . وكمختلفات لتلك الفترة من حياته ، احتفظ بصرامة عسكرية الطابع ، وبميل الى استخدام اللغة الفاحشة . وبالإضافة الى تلك الفضائل التى نحفرها عادة على كل قبر ، كان يتميز بروح الفكاهة الودية وبتسامح عطوف تجاه أقرانه . أما أنه كان أحيانا متهورا وعنيفا فذلك بالتأكيد ما لا يتنافى مع بقية خصاله ، بل هو بالحرى تنمة ضرورية لها . ولكن ذلك قد عرض أطفاله لأشد العقوبات قسوة ، حين كانت تغلب عليهم « الشقاوة » فى صغرهم . وعلى أى حال ، فعندما كبروا ، كان الأب يتميز عن غيره من الآباء بأنه لم يحاول أن يفرض نفسه عليهم كسلطة قدسية ، بل بأنه كان يشركهم فى معرفة ما يعانیه هو فى حياته من اخفاقات وتعاسات صغيرة ، وذلك فى صراحة طيبة . كان ابنه بالتأكيد بعيدا عن المغالاة عندما أعلن أنهما كانا يعيشان معا كأعز صديقين ، اللهم الا فى نقطة واحدة (انظر ص ٣٨٩) .

ولا بد أنه كان بسبب هذه النقطة ذاتها أن الأفكار حول موت أبيه قد شغلت ذهنه حين كان صبيا صغيرا وذلك بدرجة من الشدة مسرفة وغير مألوفة (ص ٣٦٩) ، وكان بسبب تلك النقطة أيضا أن تلك الافكار قد تبدت في المضمون اللفظي لقهوره الطفلية ، ولم يكن من الممكن الا بسبب هذه النقطة ذاتها أنه استطاع أن يتمنى موت أبيه ، حتى يتمكن من اثاره تعاطف فتاة صغيرة بعينها بحيث تغدو أكثر لطفا معه (أنظر ص ٣٨١) .

لم يكن ثمة شك في وجود شيء في مجال الجنسية يقف بين الأب وابنه ، وفي أن الأب قد وقف موقف المعارضة من الحياة الشبقية الباكرة الازدهار عند الابن وعندما عاش للمرة الاولى الاحاسيس اللذذة للجماع ، بعد موت أبيه بسنوات ، قفزت فكرة الى رأسه : « ولكن هذا رائع ! ان المرء ليقتل أباه من أجل ذلك ! » كان ذلك في نفس الوقت صدى وتفسيرا للأفكار القهريية في طفولته . هذا الى أن أباه ، قبل موته بقليل ، عارض بشكل مباشر في هذا الذي أصبح فيما بعد العاطفة المشبوبة التي تهيمين على مريضنا . كان قد لاحظ أن ابنه يسعى دائما الى صحبة السيدة الشابة ، فنصحها أن يبتعد عنها ، قائلا له ان ذلك تهور ولن يجلب عليه الا السخرية .

الى هذه المعطيات الجديدة تماما نستطيع أن نضيف مادة جديدة ، اذا ما اتجهنا الى تاريخ الجانب الاستمنائي من الانشطة الجنسية لمريضنا . وفي مسألة الاستمناء يوجد تناقض بين آراء الاطباء وآراء المرضى ، وهو تناقض لم يلق حتى الآن حظه من الدراسة . فالمرضى يتفقون جميعا في اعتقادهم بأن الاستمناء ، ويقصدون به الاستمناء أثناء مرحلة البلوغ ، هو أصل ومصدر كل اضطراباتهم . أما الاطباء فهم على وجه الجملة ، لا يعرفون ما ينبغي أن يكون عليه رأيهم ، ولكنهم استنادا الى ما يعرفونه من أنه ليس العصبيون وحدهم بل معظم الاسوياء أيضا يمرون بفترة من الاستمناء أثناء مرحلة بلوغهم ، يميل أغلبهم الى رفض توكيدات المرضى بحسبانها مبالغت مسرفة . وفي رأيي أن المرضى هم من جديد أدنى الى الصواب من الاطباء ، وذلك لان

المرضى لديهم ضرب من حدس الحقيقة ، بينما يتعرض الاطباء لخطر اغفال حقيقة هامة • ان الرأى الذى يقرره المرضى هو بالتأكيد غير مسابر للوقائع ، وذلك بالمعنى الذى يقصدون اليه وهو على التحديد أن الاستمناء أثناء مرحلة البلوغ (وهو الذى يمكن اعتباره دائما تقريبا ظاهرة نمطية) مسئول عن كل الاضطرابات العصابية • فرأيهم يتطلب تأويلا • ان استمناء البلوغ ليس فى الواقع ألا انبعاث لاستمناء الطفولة ، هذا الذى لم يحظ حتى الآن بأية دراسة ، ان الاستمناء الطفلى ، كقاعدة عامة ، يبلغ ذروته ما بين الثالثة والرابعة أو الخامسة ، وهو أوضح تعبير عن الجبله الجنسية للطفل ، هذه التى ينبغى التفتيش فيها عن الاسباب المولده للاعصبة اللاحقة • وعليه فان المرضى بهذه الطريقة المتكررة يلقون بمسئولية مرضهم على جنسيتهم الطفلية ، وهم فى ذلك على حق تماما • ومن ناحية أخرى فان مشكلة الاستمناء تصبح مستحيلة على الفهم اذا ما حاولنا تناولها كوحدة اكلينيكية قائمة بذاتها متناسين أن الاستمناء يمكن أن يمثل افراغا لكل حفزة من تشكيلة الحفزات الجزائية المكونة للجنسية ولكن ضرب من الاخاييل التى تولدها مثل هذه الحفزات • ان التأثيرات الضارة للاستمناء ليست الا بدرجة ضئيلة جدا مستقلة بذاتها — أى راجعة فى تحديدها الى طبيعة الاستمناء ذاتها • فهذه التأثيرات فى جوهرها ليست غير جزء لا يتجزأ مما للحياة الجنسية ككل من دلالة فى توليد المرض • وكون كثرة كثيرة من الناس تقتدر على تحمل الاستمناء أى تحمل قدر معين منه — دون أن ينالهم ضرر ، فذلك ما يكشف ببساطة عن أن جبلتهم الجنسية ، وعن أن مسار التطور الذى سلكته حياتهم الجنسية ، كانا على نحو بحيث يمكنهم من ممارسة الوظيفة الجنسية ضمن الحدود التى تبيحها الثقافة (١) بينما أناس آخرون ، جبلتهم الجنسية ليست مواتية الى هذا الحد ، أو مسار التطور الذى سلكته حياتهم الجنسية قد تعرض للاضطراب ، يقعون مرضى بسبب جنسيتهم ، أى أنهم لا يستطيعون انجاز ما هو ضرورى من

(١) فرويد ، ثلاث مقالات فى نظرية الجنس ، ١٩٠٥ .

كبح أو اعلاء لحفزاتهم الجنسية الجزئية ، دون أن يلجأوا الى الكفوف أو التكوينات البديلة •

كان سلوك مريضنا فيما يتصل بالاستمناء أعظم ما يكون استلفاتا للانتباه • فهو لم يمارسه أثناء مرحلة البلوغ بأى قدر يستحق الذكر ، وعليه ، كان له أن يتوقع ، بحسب بعض الآراء ، أن يكون بريئا من العصاب • ولكن من ناحية أخرى ، اعترته اندفاعة الى ممارسة الاستمناء فى عامة الحادى والعشرين ، بعد موت أبيه بقليل ، كان يشعر بالخزى الشديد من نفسه فى كل مرة يسمح فيها لنفسه بهذا النوع من الاشباع ، وسرعان ما تخلى عن هذه العادة ومنذ ذلك الوقت فصاعدا لم يعاود الاستمناء الظهور عنده الا فى مناسبات نادرة ، وجد خاصة • قال لى بأن رغبته فى الاستمناء كانت تستثار حين يعيش لحظات ، أو يقرأ فقرات ، تكون جميلة بنوع خاص • حدث ذلك على سبيل المثال ذات مرة عصر يوم جميل من أيام الصيف ، عندما سمع فى وسط فينا حوديا ينفخ فى بوقه على أجمل نحو ممكن ، حتى أوقفه عن ذلك شرطى ، لان النفخ فى الابواق غير مسموح به فى وسط المدينة • وحدث ذلك مرة أخرى عندما قرأ فى « الحقيقة والاسطورة » (١) كيف أن جوته الشاب حرر نفسه فى غمرة حنان من آثار لعنة ألقته عاشقة غيورة على أول امرأة من بعدها تقبل شفتيه كان من جراء هذه اللعنة قد عانى الحرمان أمدا طويلا ، بهذا التأثير الوهمى ، ولكنه الآن قد كسر قيوده ، فراح يقبل حبيبته طربا مرات ومرات •

ولم يكن مريضنا قليل الاندهاش من أن تنتابه هذه الاندفاعة الى الاستمناء وعلى التحديد فى لحظات بهذا الجمال وهذا الجلال فلم يسعنى الا أن أنبهه الى أن هاتين المناسبتين تلتقيان فى سمة مشتركة — التحريم ، ثم التصرف على نحو مضاد للنهى •

وينبغي أيضا في هذا الصدد أن نتفحص سلوكه الغريب في وقت كان فيه يستعد للامتحان ، ويتلهى بأخيولته المحببة من أن أباه ما يزال حيا ، ويمكن أن يظهر في أية لحظة . كان من عادته أن يرتب الامر بحيث تأتى ساعات عمله متأخرة ما أمكن في الليل . وبين منتصف الليل والواحدة صباحا كان يتوقف عن العمل ليفتح الباب الخارجى للشقة كما لو كان أبوه يثف وراء الباب ، ثم يعود الى الردهة ، يخرج تضييه ويتأمله في المرآة . هذا التصرف الغريب يعدو متاحا للشيم اذا ما افترضنا أنه يتصرف كما لو كان يتوقع زيارة من أبيه في الوقت الذى تخرج فيه الاشباح . كان على وجه الجملة متكاسلا في مذاكرته أثناء حياة أبيه ، وكان ذلك في الغالب مبعث ضيق لابيه . أما الآن ، والأب يعود شبعا ، فعليه أن يستشعر السرور اذ يجد ابنه منكبا على المذاكرة . ولكن كان مستحيلا على أبيه أن يستشعر السرور من الجزء الاخير من تصرفه ، ففي هذا الجزء لابد وان المريض كان يتحدى أباه وهكذا عبر المريض في فعل قهرى واحد ، غير متاح للفهم ، عن كلا الجانبين من علاقته بأبيه ، تماما كما تصرف فيما بعد ازاء سيدته الشابة من خلال فعله القهرى المنصب على الحجر الملقى في الطريق .

واستنادا الى هذه البيانات ، وإلى معطيات أخرى مماثلة ، اجترأت على أن أفصح له عن تصورى من أنه قد ارتكب ، وهو طفل دون السادسة ، سيئة من طبيعة جنسية ترتبط بالاستمناء ، وأنه عوقب عليها عقابا صارما من أبيه . وهذه العقوبة ، بحسب افتراضى ، قد وضعت حدا ، وهذا صحيح ، لاستمنائه ، ولكنها من ناحية أخرى خلفت وراءها حقا لا ينمحي ضد أبيه ، وعمدت الأب بصفة دائمة في دور المعكر لصفو الاستمتاع الجنسى عند المريض (١) . وما كانت أشد دهشتى عندما أخبرنى المريض بأنه قد سمع من أمه ، في مناسبات عديدة ، حادثة من هذا القبيل ، ترجع الى أبكر طفولته ، ومن الواضح أن هذه الحادثة قد أفلتت من النسيان عند الأم بسبب ما ترتب عليها

(١) قارن افتراضاتى من هذا القبيل في إحدى الجلسات الاولى

من نتائج هامة • أما هو نفسه فلا يذكر منها شيئاً على الإطلاق • كانت القصة كما يلي : عندما كان جد صغير - كان من الممكن تحديد التاريخ بصورة أدق نظرا لحدوثها في نفس الوقت الذي مرضت فيه أخت كبرى له مرض الموت - ارتكب شيئاً مشيناً ، ضربه من أجله أبوه • وتفجر الصبي الصغير في ثورة شنيعة من الغضب ، وانهال بالشتائم على أبيه حتى وهو تحت ضرباته • ولكن نظرا لانه كان يجهل لغة الشتائم ، فقد شتم أباه بأسماء كل الاثيياء المألوفة التي خطرت بذهنه ، فكان يصرخ : « أنت يالجرة ! أنت يا طبق ! » وهكذا • أما الأب ، وقد صدمه هذا التفجر من الغضب العاصف ، فانه توقف عن ضربه ، معلنا : « هذا الطفل اما أن يصبح رجلا عظيما أو مجرما خطرا ! » (٢) • ويعتقد المريض أن هذا المشهد قد خلف عنده ، كما خلف عند أبيه ، أثرا دائما • فقد قال ان أباه لم يعد مرة أخرى الى ضربه ، كما أنه ينسب الى هذه التجربة جانبا من التغيير الذي طرأ على شخصيته • فمنذ ذلك الحين فصاعدا غدا جبانا - وذلك خوفا من عنف الغضب عنده • أضف الى ذلك أنه طوال حياته كلها كان يرتعب خوفا من الضرب • كان من عادته أن يتسلل بعيدا ويختبئ ، يملؤه الرعب والاستهجان ، عندما كان واحد من أشقائه أو شقيقاته ينضرب •

عاد المريض بعد ذلك فسأل أمه من جديد • أكدت له القصة ، وأضافت أنه كان في ذلك الوقت بين الثالثة والرابعة من عمره ، وأن العقوبة قد نزلت به لانه كان قد عض أحدا ما • ولم يكن بوسع الأم أن تذكر من التفاصيل ما يزيد على ذلك ، اللهم الا فكرة أبعد ما يمكن عن أن تكون أكيدة ، وهى أن هذا الشخص الذى عضه الصبي

(٢) هذان الاحتمالان لا يستنفذان كل الامكانيات المحتملة • فقد نسى أبوه أكثر نتاجات هذه التفجرات السابقة لوانها شيوعا - وهو العصاب •

الصغير ربما كان مربيته • ولم تتطو رواية الأم على أية إشارة للطبيعة الجنسية لهذه الفعلة السيئة (١) •

(١) كثيرا ما نلتقى في التحليل النفسى بأحداث من هذا القبيل ، ترجع بتاريخها الى أبكر السنوات من طفولة المريض ، هذه التى فيها ، على ما يبدو ، يبلغ النشاط الجنسى الطفلى ذروته ، وينتهى غالبا الى نهاية كارثية بسبب صدمة تعسة أو عقوبة ، مثل هذه الاحداث يمكن أن تظهر بشكل غائم فى الاحلام . ولكنها غالبا ما تكون من الوضوح بحيث يعتقد المحلل أنه قد أحكم الإمساك بها ، ومع ذلك فانها تروغ من أى استجلاء حاسم . وما لم يمض المحلل بأقصى براعة وحذر فقد يجد نفسه مضطرا الى أن يتركها دون أن يبيت فيها ان كان المشهد المعنى قد جرى فى الواقع أم لا . ومما قد يعيننا على اتخاذ الطريق الصحيح فى تفسيرنا لهذا المشهد ، أن نتبين أن أكثر من صياغة للمشهد (غالبا ما تختلف كل منها عن الاخريات اختلافا كبيرا) يمكن استخلاصها من أخايل المريض اللاشعورية . واذا أردنا أن لا نضل فى حكمنا على الواقعية التاريخية لتلك الاحداث فينبغى قبل كل شئ أن تضع نصب أعيننا أن « ذكريات الطفولة عند الناس لا تثبت الا فى مرحلة لاحقة ، عادة ما تكون فى سن البلوغ ، وأن هذا ينطوى على عملية معقدة من اعادة الصياغة ، تشبه من كل وجه تلك العملية التى تصوغ بها الشعوب الاساطير عن تاريخها الباكر . وعندئذ يغدو للتو واضحا أن الفرد ، فى أخايله عن طفولته ، يحاول ، ما تقدم به النمو ، أن يمحو ذكرى أنشطته الشبقية الذاتية . وهو يبلغ الى ذلك بأن يرفع آثار ذكرياته الخاصة بها الى مستوى حب الموضوع ، تماما كما يفعل المؤرخ فى الواقع حين ينظر الى الماضى فى ضوء الحاضر . وفى ذلك ما يفسر العلة فى أن هذه الاخايل تزخر بالفوايات والاعتصابات ، بينما تكون الوقائع قاصرة على الانشطة الشبقية الذاتية ، والترتيبات أو العفويات التى أثارها . هذا الى أنه يغدو واضحا أن الفرد فى نسجه الاخايل عن طفولته يشبق ذكرياته (يصبغها بالجنسية) ، بمعنى أنه يعتقد صلة بين الوقائع العادية ونشاطه الجنسى ، فيبسط اهتمامه الجنسى عليها — وان كان وهو ، يفعل ذلك ربما يتبع آثار صلة قائمة بالفعل . وما من أحد يذكر مقالى « تحليل فوبيا عند صبي فى الخامسة » (وهو المقال الثانى من هذا المجلد) هو بحاجة لان يقال له بأن ليس من قصدى

أما وقد ناقشت في الهامش قيمة هذا المشهد الطفلى فحسبى أن انبه هنا الى أن ظهور ذكرى هذا المشهد قد زرع عند المريض للمرة الاولى رفضه أن يصدق بأنه فى وقت جد باكر من طفولته قد استولى

فى هذه الملاحظات أن أنتقص من الاهمية التى أضفيتها حتى الآن على الجنسية الطفلية بحيث لا تكون أكثر من اهتمام جنسى فى سن البلوغ . كل ما أريده هو أن أقدم بضع نصائح عن الفتيات التى يمكن أن تعين على ايضاح صنف من الاخاييل التى تستهدف تزييف لوحة نشاط الجنسية الطفلية .

ونادرا ما يسعدنا الحظ بحيث نقدر ، كما فى المثال الحالى ، على التحقق من الوقائع التى تستند اليها هذه الاخاييل المنسوجة عن الطفولة الباكرة ، وذلك بالرجوع الى شهادة لا يرمى اليها الشك من جانب راشد . وحتى فى هذه الحالة فان الشهادة التى أدلت بها أم مريضنا تترك الطريق مفتوحا أمام احتمالات متنوعة . فكونها لم تقرر الطبيعة الجنسية للفعلة السيئة التى عوقب عليها الطفل ربما كان مرجعه نشاط الرقيب عندها ، إذ أنه عند جميع الآباء يكون ذلك العنصر الجنسى من ماضى أطفالهم هو على التحديد الذى يتوق الرقيب — أكثر ما يتوق — الى حذفه وبنفس الدرجة من الاحتمال ربما يكون الطفل قد لقى التائب من جانب مربيته أو أمه نفسها بسبب « شقاوة » عادية من طبيعة غير جنسية ، وتكون استجابة الصبى كانت من العنف بحيث استدعت عقابه من جانب أبيه . وفى الاخاييل من هذا النوع عادة ما يخل محل المربيات والخاديات الشخصية الأكثر امتيازاً وهى الام . وقد كشف التفسير الأكثر عمقا لاحلام المريض المتصلة بهذه الحادثة عن أوضح العلامات الدالة على وجود نتاج أخىولى فى ذهنه من طبيعة بطولية بارزة . وفى هذا النتاج الاخىولى كانت رغباته الجنسية تجاه أمه وأخته ، وكذلك الموت الباكر لهذه الاخى ، ترتبط بالعقوبة التى عاناها البطل الصغير على يدى أبيه . لقد كان من المستحيل على أن أفكك هذا الرداء من النسيج الاخىولى خيطا خيطا ، فنجاح العلاج هو على التحديد ما حال بينى وبين ذلك . شفى المريض وبدات حياته العادية تفرض مطالبها : كانت تنتظره مهام كثيرة طال عهده باغفالها ، ولم يكن ذلك يتفق واستمرار العلاج . ومن هنا فليس لى أن الام على هذه الثغرة فى التحليل . فالنتائج العلمية للتخيل

عليه الحقد (الذى غدا فيما بعد كامنا) ضد أبيه ، هذا الذى كان المريض يحبه كثيرا . وينبغى أن أعترف بأننى كنت أتوقع أن يكون لظهوره أثر أكبر ، إذ أن الحادثة كثيرا ما حكيت له - حتى من جانب أبيه نفسه - بحيث يستحيل أن يكون هناك أى شك فى واقعتها الموضوعية . ولكن بهذه القدرة على تزييف المنطق ، والتي تثير دائما الحيرة بوجودها عند أناس يمثل هذا الذكاء الفائق كالعصابيين القهريين ، مضى يعارض القيمة التدليلية لهذه القصة استنادا الى أنه هو نفسه لا يستطيع أن يذكر المشهد . ومن هنا لم يكن الا من خلال الطريقة الاليمة للتحويل أن استنطاع البلوغ الى اقتناع بأن علاقته بأبيه كانت تستلزم بالضرورة افتراض هذه التهمة اللاشعورية . فسرعان ما وصلت الامور الى نقطة بدأ فيها ، فى أحلامه وأخايبيل

النفسى ليست فى الوقت الحاضر غير نتاج جانبى لاهدافه العلاجية ، ومن أجل ذلك فغالبا ما تتحقق معظم الكشوف على التحديد فى تلك الحالات التى يفشل فيها التطفل .

ان مضمون الحياة الجنسية فى الطفولة ينحصر فى النشاط الشبقي الذاتى من جانب الحفزات الجنسية الجزئية المهيمنة ، وفى آثار حب الموضوع ، وفى صياغة تلك العقدة التى يجدر تسميتها العقدة النوواة للعصبية . وهذه العقدة هى التى تشتمل على أبكر الوجدانات ، حبا وكراهة على السواء ، تجاه الابوين والاخوة والاخوات ، وذلك على الاغلب بعد أن تكون استطلاعية الطفل قد استيقظت فى العادة بميلاد أخ أو أخت . ان وجدانية الشكل التى تميز مضمون الجنسية الطفلية (أى النزعات المتضمنة فى العقدة) ، بالإضافة الى الطابع الثابت للنزعات المضطلعة بالتعديل والتي تظهر فيما بعد متصدية لنزعات الجنسية الطفلية تلك ، بوسعها فى يسر أن يفسرا التماثل الثابت الذى يخصص - كقاعدة عامة - الاخايبيل التى نصاب عن مرحلة الطفولة ، وذلك بصرف النظر عن عظم أو ضآلة ما أسهمت به التجارب الواقعية فى اقامة هذه الاخايبيل . ومما يميز بصفة أساسية العقدة النوواة للطفولة أن أبا الطفل يتحتم أن يضطلع بدور الخصم فى المجال الجنسى والمعوق للانشطة الجنسية الشبقية الذاتية . وغالبا ما تكون الاجداث الواقعية هى المسئولة فى العادة عن تحقق ذلك الموقف الوجدانى .

يقظته وتداعياته ، ينهال بأفزع الشتائم وأقذرها على شخصى وعلى عائلتى ، وان كان فى تصرفاته الارادية لم يعاملنى قط الا بأعظم الاحترام . كان سلوكه ، وهو يخبرنى بهذه الشتائم ، سلوك شخص غلبه اليأس . كان يتساءل « كيف يمكن لرجل عظيم مثلك سيدى الاستاذ ان يسلم نفسه على هذا النحو للشتائم من جانب وضع تافه حقير مثلى ؟ ينبغى ان تلقى بى الى الخارج فما استحق سوى ذلك » وبينما كان يتكلم على هذا النحو كان ينهض من الاريكة ، ويجول فى الغرفة — وهو تصرف أرجعه فى بادىء الامر الى شعوره المرهف :

قال بأنه لا يستطيع أن يتصور التفوه بمثل هذه الاشياء الفظيعة بينما يستلقى على الاريكة بكل ارتياح . ولكنه سرعان ما عثر بنفسه على تفسير أكثر اقناعا ، هو على التحديد أنه كان يتجنب أن يكون على مقربة منى خوفا من أن أضربه . وحين كان يبقى على الاريكة كان يتصرف كشخص فى رعب يائس يحاول أن ينقذ نفسه من عقوبات لا حدود لها ، كان يدفن رأسه بين يديه ، أو يغطى وجهه بذراعه ، ثم يقفز فجأة ويندفع بعيدا ، وقد التوت ملامح وجهه من المكابدة ، وما الى ذلك . تذكر أن أباه كان حاد الطبع ، وأحيانا لم يكن يعرف فى عنفه أين يقف . وهكذا رويدا رويدا ، فى مدرسة المكابدة هذه ، بلغ المريض الى الشعور بالاعتناع الذى كان يعوزه — وان تكن الحقيقة بالنسبة لاي عقل محايد ، واضحة بذاتها . وعندئذ انفتح الطريق الى تصفية قهر الفيران عنده . لقد بلغ العلاج نقطة التحول، فعدت متاحة كمية من المعطيات الواقعية كانت حتى الآن حبيسة ، ومن ثم أتاحت اقامة الوحدة الكلية للاحداث .

وكما أشرنا من قبل ، فسوف أقتصر فى وصفى للاحداث على موجز عنها أكثر ما يمكن أن يكون اختصارا . ومن الواضح أن أول مشكلة تتطلب الحل هى :

لماذا كان للحديثين اللذين أدلى بهما النقيب التشيكى — قصته عن الفيران ، وطلبه الى المريض أن يسدد النقود للملازم ؟ — أن يثيرا مثل هذا التأثير المزعج وهذه الاستجابات الباثولوجية العنيفة ؟ كان افتراضى أنها مسألة « حساسية عقدية » ، وأن الحديثين قد

مسا بعنف نقطا بعينها مسرفة الحساسة من لا شعوره وقد تأكدت صحة ذلك فكما هو الشأن في كل ما يتصل بالمسائل العسكرية ، كان مريضنا في حالة توحده لا شعورى مع أبيه ، هذا الذى قضى عدة سنوات في الخدمة ، وكان من عادته أن يحكى الكثير من وقائع هذه الفترة من حياته . اتفق بالصدفة — اذ أن الصدفة يمكن أن تلعب دوراً في تكوين النكتة — أن احدى المغامرات الصغيرة لأبيه كانت تنطوى على عنصر هام مشترك بينها وبين طلب النقيب تسديد النقود . كان أبوه ، بصفته صف ضابط ، يحتفظ في عهده بمبلغ صغير من المال ، وقد ضيعه في احدى المناسبات في لعب الورق (وهكذا كان « فأر لعب ورق » (١)) .

وكان سيكون في موقف حرج لولا أن أحد أصحابه أقرضه المبلغ . وبعد ما ترك أبوه الجيش ، وأصبح رجلاً ثرياً ، حاول العثور على ذلك صاحب الشهم ليورد اليه المبلغ ، ولكنه لم يتمكن من اقتفاء أثره . لم يكن المريض على ثقة من أن أباه قد وفق في رد المبلغ . كان تذكر المريض لخطيئة شباب أبيه هذه مثار ألم عنده ، وذلك لأنه على الرغم مما يبدو وفي الظاهر ، كان شعوره يزدحم بالانتقادات المريرة العدائية تجاه شخصية أبيه . وكلمات النقيب : « يتحتم عليك أن تسدد الـ ٣٨٠ كراونا للملازم أ . » قد دوت في أذنيه تلميحا لهذا الدين الذى لم يسدده أبوه .

ولكن معرفته بأن الموظفة الشابة في مكتب البريد في س — قد دفعت عنه بنفسها الرسوم المقررة على الطرد ، وبأنها قد امتدحت شخصه (٢) قد زاد من شدة تطابقه مع أبيه ، وان كان ذلك في اتجاه

(١) حرفياً تعنى فأر لعب الورق ، كلمة المانية عامية تعنى « مقامر

لعب الورق » .

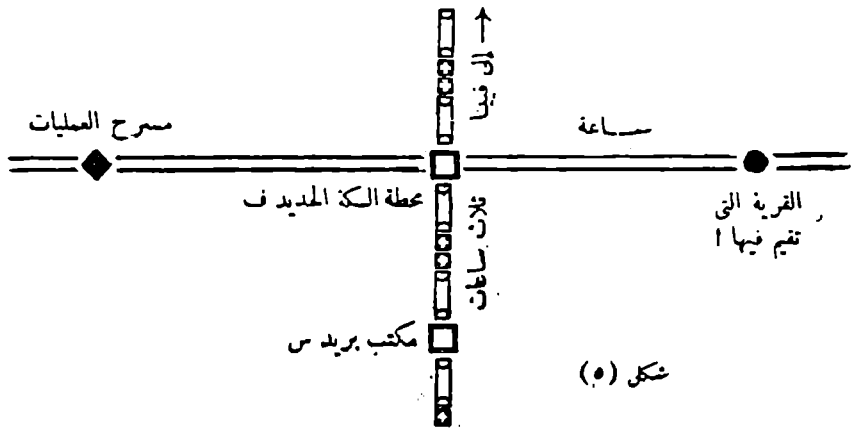
(٢) لا ينبغي أن ننسى ان المريض قد عرف ذلك قبل ان يطلب اليه النقيب ، عن سوء فهم ، أن يسدد المبلغ الى الملازم . كانت تلك هى النقطة الحيوية فى القصة ، ويحكمها هوى المريض الى ذلك النيه من التشويش ، وحال — لفترة ما — بينى وبين أن أبلغ الى أية فكرة عن دلالة الامر كله .

مختلف تماما . في هذه المرحلة من التحليل أدلى المريض بمعطيات جديدة مؤداها أن المنزل الذي كان على مقربة من مكتب البريد كان لصاحبه بنت جميلة ، وكانت بشكل قاطع تشجع ضابطنا الشاب الوسيم ، بحيث أنه فكر في العودة الى هناك بعد انتهاء المناورات ، ليحرب حظه معها . ولكن هذه الابنة الحسنة كانت لها منافسة هي الموظفة الشابة في مكتب البريد . وكأبيه في قصة زواجه كان بوسعه الآن أن يتردد الى أى الفتاتين يتجه بتفضيله عندما يفرغ من خدمته العسكرية . وبوسعنا الآن أن نتبين على الفور كيف أن تردده الغريب بين أن يسافر الى فينا أو أن يعود أدراجه الى حيث يوجد مكتب البريد ، وكيف أن الغواية الدائبة التي كان يستشعرها في أن يرجع قافلا من رحلته (انظر ص ٣٧٥) لم يكونا عديمي الدلالة على نحو ما تبديا لنا في البداية . وبالنسبة الى تفكيره الشعوري ، كانت الجاذبية التي تتطوى عليها بالنسبة اليه مدينة س — ، حيث يوجد مكتب البريد ، ترجع الى ما يستشعره من ضرورة رؤيته للملازم . أكيما يستعين به في الوفاء بقسمه . ولكن ما كان يجذبه في حقيقة الامر انما كان هو الموظفة الشابة في مكتب البريد ، ولم يكن الملازم غير بديك مناسب لها اذ كان يقيم في نفس المكان ، كان في الوقت مسئولا عن البريد الحربى . وعندما سمع بعد ذلك أن الملازم . أ لم يكن هو القائم بالخدمة في البريد في ذلك اليوم ، بل الملازم ب ، أدخل هذا الاخير أيضا في « توليفاته » ، وعندئذ كان بوسعه في شبهه هذائه (١) أن يكرر بازاء الملازمين ذلك التردد الذي كان يستشعره ازاء الفتاتين اللتين كانتا تبديان ميلا اليه (٢) .

(١) انظر فيما بعد ص ٥٢٨ .

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) — لم يدخر مريضنا جهيدا في تشويش القصة الصغيرة الخاصة بتسديد الرسوم عن نظارته الانفية ، بحيث ربما يكون عرضي لها قد فشل هو الآخر في ايضاحها بشكل تام . ومن ثم فانى أقدم هنا خريطة صغيرة (شكل ٥) ، حاول بها مترجمائى الى الانجليزية ، مستر ومسر ستراسى ، أن يجعلوا الموقف عند نهاية

ولتوضيح آثار قصة النقيب عن الفيран يتحتم علينا أن نتتبع مسار التحليل عن كتب • بدأ المريض بانتاج كمية هائلة من مادة المستدعيات ، التي لم تلاق مع ذلك في البداية أى ضوء على الملابس التي نشأ فيها قهره • ففكرة العقوبة التي يتم توقيعهما عن طريق الفيран قد لعبت دور المثير لعدد من غرائزه ، واستدعت كمية بأسرها من الذكريات ، بحيث أن الفيран ، في الفترة القصيرة الفاصلة ما بين قصة النقيب عن العقوبة بالفييران وطلبه اليه تسديد الرسوم ، واكتسبت سلسلة من الدلالات الرمزية ، كانت تتضاف اليها بلا انقطاع خلال الفترة التي تلت ذلك دلالات جديدة • ويتحتم على أن بأنى لا أستطيع أن أقدم الا صورة جد ناقصة عن الامر كله • ان ما ابتعثته فكرة العقوبة بالفييران ، أكثر من أى شىء آخر انما كانت شبقيته الاستيه ، هذه التي لعبت دورا هاما في طفولته ، والتي ظلت نشطه •



المناورات أكثر وضوحا . فقد لاحظا بحق أن سلوك المريض يظل غير مفهوم ما لم تنص صراحة على واقعة أخرى هي على التحديد أن الملازم أ. كان يقيم سابقا في مدينة س .

حيث يوجد مكتب البريد ، وكان مسئولاً هناك عن البريد الحربى ، ولكنه في الايام القليلة الاخيرة أوكل هذه المهمة الى الملازم ب. ، إذ نقل هو الى بلدة أخرى . وكان النقيب (القاسى) على غير علم بهذا الانتقال ، وفى ذلك ما يقر خطأه فى افتراضه بان الرسوم ينبغى تسديدها للملازم أ. ،

لسنوات عديدة بأهاجة متصلة راجعة الى الديدان • وهكذا اكتسبت الفيران دلالة « النقود » (١) • فقد قدم المريض ما يشير الى هذه الرابطة بأن استجاب لكلمة Ratten (فيران بالمستدعية Raten (أقساط مستحقة) • وفي حالته القهريّة شبه الهذائية صك لنفسه عمله نقدية من الفيران • فعلى سبيل المثال ، عندما أخبرته في اجابتي على سؤال منه بمقدار ما انتقاه من النقود عن ساعة من العلاج قال لنفسه (وهو ما عرفنه بعد ذلك بستة أشهر) : كذا من الفلورينات — كذا من الفيران •• وشيئا فشيئا ترجم المريض الى هذه اللغة كل عقدة النقود عنده ، وهى التى كانت تدور حول ميراثه من أبيه ، ومعنى ذلك أن كل أفكاره المرتبطة بهذا الموضوع قد انتقلت — عن طريق القنطرة اللفظية : Raten-Raten (قسط مستحق — فأر) الى حياته القهريّة ، وأصبحت تحت هيمنة لا شعوره هذا الى أن ما طلبه النقيب اليه من أن يسدد الرسوم المستحقة على الطرد كان من شأنه أن يدعم الدلالة النقدية للفيران ، ولكن عن طريق قنطرة لفظية أخرى Spieltratte (فأر لعب ورق) هذه التى رجعت به الى دين أبيه في مقامرة لعب الورق •

ولكن المريض كان يعرف أيضا أن الفيران حملة أمراض معديه خطيرة ، ومن ثم كان بوسعه أن يستخدمها رمزا لرعبه (وهو رعب له ما يبرره بدرجة كافية في الجيش) من عدوى الزهري • وكان هذا الرعب يحجب كل أنواع الشكوك فيما يتصل بنوع الحياة التى عاشها أبوه أثناء خدمته العسكرية • ومن ناحية أخرى ، لما كان حامل عدوى الزهري هو القضيبي نفسه ، فقد غدا بوسع المريض أن يعتبر الفأر عضوا تناسليا ذكريا • وتلك رمزية ترجع في تحديدها الى سبب آخر أيضا ، ذلك أن القضيبي (وعلى الاخص قضيبي الطفل) يمكن مقارنته بدودة ، وكانت قصة النقيب عن العقوبة بالفيران تدور حول فيران

Freud, Character and Anal Erotism, 1908.

(١) أنظر

« فرويد : الشخصية والشبكية الشرجية » Collected Papers, Vol. II.

تنبش في الشرح ، تماما كما كانت تفعل في شرحه وهو طفل ديدان الاستكارس . وهكذا كانت الدلالة القضائية للفيران تستند هي الأخرى الى الشبقية الشرجية . وفوق ذلك فان الفأر حيوان قذر يتغذى من المخرجات ويعيش في « المجارى » (١) وربما لا تكون هناك حاجة لان نوضح الى أى حد من العظم غدا اتساع هذا الفأر ممكنا بفضل هذه الدلالة الجديدة . فعلى سبيل المثال « كذا من الفيران — كذا من الفلورينات » يمكن أن تكون تخصيصا ممتازا لمهنة نسائية معينة كان المريض يحتقرها بشكل خاص . ومن ناحية أخرى ، فمن المؤكد أنها ليست مسألة خوة من الدلالة أن احلال القضيب محل الفأر في قصة النقيب قد أدى الى استدعاء موقف جماع عن طريق الشرح الامر الذى كان يستثير بالضرورة نفوره عند ربطه بأبيه وبالسيده الشابة التى يحبها . وعندما نضع في اعتبارنا أن نفس هذا الموقف يظهر من جديد في التهديد القهرى الذى تخلق في نفسه بعدما طلب اليه النقيب تسديد الرسوم ، فسوف نذكر على الرغم منا بعض الشتائم الشائعة بين السلافيين الجنوبيين (٢) . هذا الى أن كل هذه المعطيات ، وأخرى غيرها أيضا ، تدخل ضمن السياق الكلى لموضوع الفيران وذلك وراء التداعى الحاجب : Heiraten (يتزوج) .

ان قصة العقوبة بالفيران ، كما ظهر من حديث المريض عن الموضوع ، ومن تعبيرات وجهه وهو يحكى القصة لى ، قد ابتعثت كل ما كان مكبوحا عنده قبل الاوان من حفزات القسوة ، الانانية ،

(١) اذا ما استشعر القارئ ميلا الى انكار امكانية شطحات الخيال هذه عند الشخص العصابى ، فبوسعى ان أذكره بأن الفنانين أحيانا ما انفسوا في نزوات خيال من هذا القبيل . ذلك على سبيل المثال حال Diableries érotiques (شيطانيات شبقية) من عمل لوبوافتان .Le Poivetin

(٢) الكلمات الحرفية لهذه الشتائم يمكن العثور عليها في المجلة الدورية Anthropophyteia التى يقوم على نشرها ف.س.كراوس .F. S. Krauss

والجنسية على السواء ولكن على الرغم من كل هذه المعطيات الثرية ، ظلت دلالة الفكرة القهرية عنده بعيدة عن الوضوح ، حتى ظهرت ذات يوم في تداعياته أثناء التحليل « امرأة الفيران » في « أيولف الصغير » من مؤلفات ابسن ، وعندئذ لم يكن هناك بد من أن نستنبط أن الفيران ، في الكثير من الاشكال التي اتخذها شبه هذائه القهرى ، كانت تنطوى أيضا على دلالة أخرى — هى على التحديد الاطفال (١) .

وحيث تنقصت منشأ هذه الدلالة الجديدة ، وجدنتى فجأة اصطدم بأصول من أهم وأبكر ما يمكن فذات مرة حين كان المريض يزور قبر أبيه ، رأى حيوانا ، ظنه فأرا ، ينحدر من فوق القبر (٢) . واعتقد أن هذا الحيوان قد خرج بالفعل من قبر أبيه ، بعدما فرغ لتوه من تناول وجبة من جثته . ان تصور الفأر يرتبط دائما بالاسنان الحادة التى تفرض وتعض (٣) . ولكن الفيران لا يمكن أن تكون حادة الاسنان ،

(١) ليس من شك فى أن امرأة الفيران عندابسن ترجع الى اسطورة هاملان عن عازف المزمارة الارقط ، هذا الذى بدأ باستدراج الفيران الى الماء ، ثم عاد بنفس الطريقة فاستدرج الاطفال الى خارج المدينة حيث لم يعودوا قط . وكذلك أيضا فان أيولف الصغير قد ألقى بنفسه فى الماء بسحر من امرأة الفيران . وفى الاساطير بصورة عامة لا يظهر الفسار ككائن منفرد بقدر ما يظهر ككائن مشئوم يبعث على القلق والحيرة — كحيوان شيطانى chthonie ان جاز القول ، يرمز لارواح الموتى .

(٢) كانت ولا شك « عرسة » من تلك التى توجد بأعداد كبيرة فى المدافن الرئيسية بفينا .

(٣) قارن كلمات مفيسستوفوليس (عندما يريد أن يدخل من باب يحرسه سحر « خمسة وخميسة ») :

'Doch dieser Schwelle Zauber zu zerspalten

Bedarf ich eines Rattenzahns.

Noch einen Biss, so ist's geshehn!

(ولكن لابطال سحر هذه العتبة

تلزمنى سنة فأر « ويستحضر

بالتعويذة فأرا » عضة أخرى من

السنة ، وينتهى الامر) .

Goethe, Faust, Part 1.

شرهة قذرة ، دون أن تتألمها العقوبة : فهي تتعرض بقسوة للتعذيب ، وللقتل في غير رحمة من جانب الانسان ، على نحو ما لاحظته المريض مرارا في زعب منه . وكثيرا ما أشفق على هذه الكائنات المسكينة . ولكنه هو نفسه كان على التحديد ذلك الكائن الصغير التعس القذر المنفر ، الميال الى أن يعرض الناس عندما يستبد به الغضب ، وكانت تتألم العقوبة المروعة من أجل ذلك (انظر ص ٥٠٨ ، ٥٠٩) . وكان يمكن القول بحق أنه يجد في الفأر (١) « صورته الحية » كان الامر وكأن القدر عندما سرد عليه النقيب القصة ، يضعه في اختبار تداعي الكلمات : تقوه القدر بـ « كلمة — مثير للعقدة » فلم يكن منه الا أن استجاب بفكرته القهرية .

وعليه ، فبحسب أبكر تجاربه وأكثرها أهمية في نتائجها ، كانت الفيران أطفالا . وعند هذه النقطة أدلى المريض بواقعة كان قد طال احتجاجه لها بعيدة عن سياقها ، ولكنها تقدم الآن تفسيراً كاملاً للاهتمام الذي كان يتحتم عليه أن يستشعره تجاه الأطفال . فالسيدة الشابة ، التي كان يهيم بها منذ سنوات عديدة ، والتي كان لا يستطيع مع ذلك أن يحزم أمره ليتزوج منها ، كان مقضيا عليها بالعقم ، بسبب عملية جراحية نسائية ، تمت فيها ازالة المبيضين معا . كان ذلك في واقع الامر السبب الرئيسي في تردده ، وذلك لانه شديد الولع بالأطفال .

كان عندئذ فقط أن أمكننا فهم تلك العملية الغامضة التي بها تكونت فكرته القهرية . فبالاستعانة بمعارفنا عن النظريات الجنسية الطفلية وعن الرمزية (كما تبينها من تفسير الاحلام) يمكننا ترجمة

'Er sieht in der geschwollnen Ratte Sein (1)
ganz natürlich Ebebild.'

ذلك أنه يرى في الفأر المزهو بنفسه
الصورة الحية لنفسه

Faust, Part 1, Scene in Auerbach's Cellar.

الامر كله والبلوغ الى دلالاته • فعندما أخبر النقيب المريض ، أثناء استراحة بعد الظهر التي فقد فيها نظارته الانفية عن العقوبة بالفيران فأن المريض لم يستلفته أول الامر الا ما يطبع الموقف من قسوة وشهوية واعرة • ولكن على اثر ذلك مباشرة نشأ ارتباط مع مشهد طفولته الذى فيه قام هو نفسه بعض أحد ما • فالنقيب — وهو الرجل الذى نافح عن هذه العقوبة — قد غدا عند المريض بديل أبيه ، ومن ثم اجتذب اليه جانبا من الغضب المبتعث ، وهو الغضب الذى كان قد تفجر فى الموقف الاصلى ضد أبيه القاسى والفكرة التى خطرت فى شعوره للخط ، من أن شيئا من هذا القبيل يمكن أن يحدث لشخص عزيز عليه ، ربما يمكن ترجمتها الى رغبة من قبيل : « انما أنت الذى ينبغى فعل ذلك فيك ! » ، وهى رغبة تنتج ضد حاكى القصة ، ولكن من خلاله تنتج ضد أبيه • وبعد يوم ونصف (١) من ذلك ، عندما سلمه النقيب الطرد ، وطلب اليه أن يسدد ٣٨٠ كراونا الى الملازم • أ، كان المريض عندئذ على وعى بالفعل بأن « رئيسه القاسى » قد وقع فى خطأ ، وبأنه (المريض) لا يدين بهذه الرسوم الا للموظفة الشابة بمكتب البريد • ومن ثم فقد كان من الممكن فى يسر أن يخطر له أن يفكر فى اجابة ساخرة من قبيل : « أفتحسبني سأدفع مع ذلك ؟ » — أو « بل أمك هى التى تدفع ! » ، أو « أتراهن ان كنت أدفع له المبلغ ؟ » — وهى اجابات ما من قوة قهرية ترغمه على التفوه بها • ولكنه بدلا من ذلك ، وقد ابتعثت عنده عقدة الأب وذكرى مشهد طفولته ، تخلقت فى ذهنه اجابة من قبيل : « نعم ! سوف أسدد المبلغ الى أ عندما ينجب أبى أو السيدة الشابة أطفالا ! » ، أو « بقدر ما هو من المؤكد أن أبى أو السيدة الشابة يمكن أن ينجبا أطفالا ،

(١) وليس فى مساء نفس اليوم كما أخبرنى أولا . فمن المستحيل تماما أن تكون النظارة الانفية التى ابرق فى طلبها قد وصلت فى نفس اليوم . ولكن المريض اقتضب الفترة الزمنية الفاصلة فى ذكرياته ، لانها كانت الفترة التى تكونت فيها الارتباطات النفسية الحاسمة ، والتي حدثت فيها الواقعة التى انكبتت — ونعنى واقعة التقائه مع الضابط الذى أخبره بالتصرف الودى من جانب الموظفة الشابة بمكتب البريد .

فسوف أسدد له المبلغ ! » وباختصار ، وعد ساخر يقتزن بشرط غير
معتاد يستحيل تحقيقه (١) .

ولكن الآن وقعت الجريمة ، فقد أهان أعز شخصين لديه — أباه
وسيدته الشابة . وهذه الجريمة اقتضت العقوبة ، وكانت العقوبة
تتحصر في أنه ربط نفسه بقسم يستحيل عليه الوفاء به ، ويستلزم
منه ضاعة حرفية لهذا الطلب المستند الى أساس خاطيء من جانب
رئيسه . كان القسم كما يلي : « يتحتم عليك الآن أن تسدد المبلغ فعلا
الى . أ » . وفي طاعته القسرية هذه كبت ما كان يعرفه على نحو أفضل
من أن طلب النقيب كان يستند الى وقائع خاطئة : « نعم ، يتحتم
عليك أن تسدد المبلغ الى . أ » ، على نحو ما طلب ذلك منك بديل أبيك .
فالأب لا يمكن أن يكون على خطأ » . وكذلك الملك أيضا لا يمكن أن
يكون على خطأ ، فلو خاطب فردا من راياه بلقب ليس له ، فان
هذا الفرد يحمل ذلك اللقب منذ ذلك الوقت فصاعدا .

ولم يبلغ الى شعور المريض الا وعى غائم بهذه الوقائع . ولكن
ثورته ضد أمر النقيب ، والتحول المفاجيء لهذه الثورة الى ضدها ،
كانا كلاهما متمثلين في شعوره . فأولا جاءت الفكرة بأن لا يدفع
المبلغ ، والا فانها (أى العقوبة بالفيران) سوف تقع ، وبعد ذلك
جاء تحول هذه الفكرة الى قسم في الاتجاه المضاد ، كعقوبة على
ثورته .

ولنتمثل الآن من جديد تلك الملابس العامة التي تكونت فيها
الفكرة القهرية الكبرى عند المريض . كان الليبيدو عنده قد ازدادت
شدته نتيجة فترة طويلة من الحرمان جنبا الى جنب مع ذلك الترحيب

(١) وهكذا فان اللامعتولية تعنى السخرية في لغة التفكير القهرى،
تماما كما تعنى ذلك في لغة الاحلام (انظر فرويد ، تفسير الاحلام ، الطبعة
السابعة الالمانية ص ٢٩٥) . وفي الترجمة العربية ، فرويد : تفسير
الاحلام . دار المعارف بمصر . الفصل السادس ص ٤٢٥ وما بعدها .

الودى الذى يمكن لضابط شاب أن يعول عليه عندما يتجه الى النساء . هذا الى أنه ، فى الوقت الذى بدأت فيه المناورات ، كان هناك نوع من الفتنور بينه وبين سيدته الشابة . وكان من شأن ازدياد شدة الليبيدو أن يهيىء ابتعاث صراعه القديم ضد سلطة أبيه ، فاجتراً على التفكير فى الاتصال الجنسى مع نساء أخريات . وراح ولاؤه لذكرى أبيه يتضاءل بقدر ما كانت تزداد شكوكه فى مزايا سيدته الشابة . وفى هذا الاطار النفسى ترك نفسه تتزلق الى سبهما هما الاثنتين ، وبعدئذ فرض على نفسه العقوبة من أجل ذلك كان بذلك يكرر أنموذجا قديما . وعندما تردد طويلا فى نهاية المناورات بين ما ان كان يتحتم عليه المضى الى فينا أو أن يتوقف للوفاء بقسمه ، كان بذلك يجسد فى صورة واحدة هذين الصراعين اللذين كانا يعتمرانه منذ البداية — ما ان كان يتحتم عليه أولا أن يبقى مطيعا لابيه ، وما ان كان يتحتم عليه أولا أن يبقى مخلصا لسيدته الشابة (١) .

وبودى أن أضيف كلمة عن تفسير مضمون « العقوبة » التى كان مؤداهما كما ينبغى أن نذكر « والا فان العقوبة بالفيران سوف تنفذ فيهما هما الاثنتين » . كان يستند الى تأثير نظريتين من نظريات الجنسية الطفلية ، سبق لى أن عرضت لهما فى مكان آخر (٢) . أولى هاتين النظريتين أن الاطفال يخرجون من الشرح والثانية — وهى

(١) ربما لا يخلو من أهمية أن نلاحظ مرة أخرى أن طاعته لابيه تطابق تخليه عن سيدته الشابة . فلو أنه توقف وقام بتسديد المبلغ الى ا. لكان بذلك يضطلع بتكفير ازاء أبيه ، ويكون فى نفس الوقت قد تخلى عن سيدته الشابة ، وذلك لصالح شخص آخر أكثر جاذبية وفى هذا الصراع انتصرت السيدة الشابة — وذلك بالتأكيد بفضل تفكير سوى من جانب المريض .

On the Sexual Theories of Children, 1908, Collected Papers, Vol. II. (٢)

(فى نظريات الجنسية الطفلية ، المقالات المجموعة ، ترجمة مستر ومسر ستراشى ، مجلد ٢) .

نتيجة منطقية للاولى — أن الرجال يمكنهم أنجاب الاطفال ، تماماً كالنساء • وبحسب القواعد الفنية في تفسير الاحلام ، يمكن لفكرة « الخروج من المستقيم » أن تتمثل في الفكرة المضادة ، وهى « الدخول في المستقيم » (كما في العقوبة بالفيران) ، والعكس بالعكس •

وليس لنا أن نتوقع — لافكار قهرية خطيرة من هذا القبيل الذى هى عليه في هذه الحالة — تفسيراً يكون أكثر بساطة ، أو يتحقق بأية وسيلة أخرى • فعندما بلغنا الى التفسير الذى قدمناه آنفاً تلاحظ قهر الفيران عند المريض •

٣

اعتبارات نظرية

(أ) بعض الخصائص العامة للتكوينات القهرية (١)

في عام ١٨٩٦ قدمت تعريفاً للأفكار القهرية على أنها « تأنيبات تعود إلى الظهور — في صورة محرقة — من تحت الكبت ، تأنيبات تنتسب دائماً أبداً إلى فعل جنسى قام به المريض في لذة أثناء طفولته » (٢) . وهذا التعريف ، كما يبدو لي الآن ، يفتح للنقد من ناحية الشكل ، وإن كانت عناصره المكونة لا يمكن الاعتراض عليها . كان التعريف ينزع أكثر مما ينبغي إلى التوحيد ، وكان يتخذ كأنموذج له نفس تلك العملية التي يمارسها العصابيون القهريون ، عندما يكذبون معاً — بميلهم المتميز إلى اللاتحدد — تحت لافتة « الأفكار القهرية » تكوينات نفسية أعظم ما تكون بعداً عن التجانس (٣) . وقد يكون من الأصح في الواقع أن نتحدث عن « تفكير قهري » ، وأن تبرز

(١) أن عدداً من النقاط التي تناولها هنا وفي القسم الثاني قد سبق بالفعل أو وردت في الكتابات عن العصاب القهري ، على نحو ما يتضح في الدراسة الشاملة التي قام بها لوينفلد في مؤلفه الذي يعد المرجع الرئيسي العميق لهذا النوع من المرض :

L. Lowenfeld, Die Psychischen Zwangerscheinungen, 1904.

Further Remarks on the Defence Neuro-Psychoses, (٢)

1896, Collected Papers, Vol. P. 162.

(ملاحظات أخرى عن دفاع الأذهنة العصبية ، ١٨٩٦ ، المقالات المجموعة ، ترجمة مستر ومسر ستراشي ، مجلد ١) .
(٣) هذا الخطأ في تعريفى يلقي إلى حد ما يصححه في المقال نفسه .
ففي ص ١٦٣ منه نجد هذه الفقرة : « ومع ذلك فإن الذكريات المنبعثة والتأنيبات الذاتية المترتبة عليها لا تظهر قط في الشعور على حالها دون تحريف . فالفكرة القهرية ، والوجدانات القهرية التي تظهر في الشعور ، والتي تحتل في الحياة الشعورية مكان الذكرى المولدة للمرضى ، هي تكوينات اثلافية من الأفكار المكتوبة والأفكار الكابتة » . ومعنى ذلك أنه يتحتم في التعريف أن نلج بشكل خاص على هذه الكلمات : « في صورة محرقة » .

هذه الحقيقة وهي أن التكوينات القهرية يمكن أن تمثل أفعالا نفسية-أشد ما تكون تنوعا مما يمكن تصنيفه بشكل متميز في : رغبات ، وغوايات ، وحفزات ، وأفكار ، وشكوك وأوامر ، ونواه • وبصورة عامة ينزع المرضى الى طمس هذه التمايزات ، فيعتبرون ما تبقى من هذه الافعال النفسية ، بعدما تكون قد تجردت من شحنتها الوجدانية مجرد « أفكار قهرية » • وقد قدم مريضنا الحالي ، في إحدى جلساته الأولى ، مثالا لهذا النمط من السلوك ، عندما أراد أن يخفض رغبة الى مجرد « تداعي أفكار » (أنظر ص ٣٨٠ ، ٣٨١) •

هذا الى أنه يتحتم الاعتراف بأن فينوميولوجية التفكير القهرى ذاتها لم تلق حتى الآن عناية كافية • فأتساءل النضال الدفاعى الثانوى الذى يشنه المريض ضد « أفكاره القهرية » التى شقت طريقها الى شعوره ، تظهر تكوينات نفسية تستحق تسمية خاصة • (من قبيل ذلك مثلا تلك السلسلة من الافكار التى شغلت ذهن مريضنا فى رحلة عودته من المناورات) • هذه التكوينات النفسية التى تظهر ليست مجرد اعتبارات منطقية خالصة تظهر مناهضة للأفكار القهرية ، ولكنها ان جاز القول ، مزاج من كلا النوعين من التفكير ، فهذه التكوينات الدفاعية تندس فيها بعض مقدمات القهر الذى تتأهضه ، وهكذا فانها وإن استخدمت أسلحة المنطق الا أنها تستند الى أساس من التفكير الباثولوجى • وفى رأى فان مثل هذه التكوينات الدفاعية تجدر تسميتها « شبه هذآات » (١) • وكما أوضح هذا التخصيص ، فسوف أقدم مثالا ينبغى أن يوضع فى مكانه الصحيح من سياق تاريخ حالة المريض • فقد سبق أن وصفت السلوك الغريب الذى استسلم له المريض فى وقت ما بينما كان يستعد لامتحان - كيف كان من عادته أن يعمل فى وقت متأخر من الليل ، وأن يذهب فيفتح الباب

(١) deliria (E), delires (Fr.) نلاحظ هنا أن فرويد يطلق

هذا المصطلح على ظواهر نفسية لا تطابق تلك التى يطلق عليها الطبي النفسى هذا الاسم - وانما يستخدمه كما يستخدم مصطلح [delire de toucher].

الخارجى لروح أبيه ، ثم يتأمل عضوه الجنسى فى المرأة (أنظر ص ٥٠٨) • كان يحاول أن يعيد نفسه الى الرشد بأن يسأل نفسه عما يمكن أن يقوله أبوه عن هذا كله لو أنه كان حقا ما يزال حيا ولكن هذا التفكير لم يتمخض عن أية نتيجة طالما كان يظهر عنده فى تلك الصورة المنطقية • فالسلوك الغريب لم يتوقف الا بعد أن قام المريض بتحويل نفس هذه الفكرة الى تهديد « شبه هذائى » : لو أنه عاد مرة أخرى الى مثل هذه الحماسة فسوف ينزل بأبيه سوء فى العالم الآخر •

وليس من شك فى أن التمييز بين نضال دفاعى أولى ونضال دفاعى ثانوى يستند الى أساس متين ، ولكن قيمة هذا التمييز تتضاءل بصورة غير متوقعة عندما نتبين أن المرضى أنفسهم يجهلون منطوق أفكارهم القهرية • وقد يبدو هذا متناقضا ، ولكنه يستند الى المنطق التالي : فأتساءل تقدم التحليل النفسى ليس المريض وحده هو الذى يستجمع سباعته بل مرضه أيضا ، واذ يغدو من الجسارة بحيث ينطق بأصرح مما كان ينطق من قبل • فاذا ما تركنا لغة المجاز هذه ، يمكن القول بأن ما يحدث هو ما يلى : ان المريض الذى كان حتى الآن يدير عينيه فى رعب بعيدا عن نتاجاته الباثولوجية يبدأ فى التنبه اليها ، فيبلغ الى معرفتها بشكل أوضح وأكثر تفصيلا (١) •

هذا الى أنه توجد طريقتان محددتان للبلوغ الى معرفة أكثر دقة عن التكوينات القهرية • ففى المقام الاول تكشف التجربة عن أن « أمرا » قهريا (أو رغبة قهرية أو ما الى ذلك) ، مما لا يعرفه المريض فى حياته اليقظة الا فى صورة بترء وشائمة ، كبرقية شوهاها الايجاز ، يمكن أن يظهر منطوقه الصريح فى الحلم • مثل هذه المنطوقات تظهر فى الاحلام عبارات منطوقة ، ومن ثم تمثل استثناء للقاعدة التى تقضى

(١) كثير من المرضى يديرون أعينهم بعيدا معنيين فى ذلك الى حد أنهم يعجزون تماما عن تقديم مضمون فكرة قهرية أو عن وصف فعل قهرى ، رغم أنهم قاموا به مرات ومرات •

بأن المنطوقات في الاحلام مستمدة من منطوقات الحياة الواقعية^(١) .
 وفي المقام الثانى ، كثيرا ما تتأدى ، أثناء الفحص التحليلى لتاريخ
 جاللة ، الى الاقتناع بأنه اذا ما تتابعت قهور ، الواحد بعد الآخر ،
 فانها غالبا ما تكون في نهاية الامر — حتى وان لم تتطابق منطوقاتها
 — قهرا واحدا وبعينه . فربما يكون القهر عند ظهوره الاول قد تم
 التخلص منه بنجاح . ولكنه يعاود الظهور مرة ثانية في صورة محرقة ،
 بحيث لا يمكن التعرف عليه . فربما بسبب ذلك التحريف ، على وجه
 التحديد ، أنه يقتدر على الصمود بشكل أكثر فاعلية في النضال الدفاعى .
 ولكن الصورة الاصلية هي الصحيحة وكثيرا ما تقدم لنا دلالتها في
 صراحة تامة . وعندما تبلغ ، بعد عناء شديد ، الى استجلاء فكرة
 قهرية مستغلقة على الفهم ، فغالبا ما يحدث أن يخبرنا المريض أن
 فكرة أو رغبة أو هواية على التحديد ، كهذه التى بلغنا الى استجلائها ،
 قد ظهرت لديه بالفعل في احدى المناسبات قبل أن تنشأ عنده الفكرة
 القهرية ، ولكنها لم تستمر في البقاء .

ولو أردنا تقديم أمثلة من تاريخ حالة مريضنا الحالى ، لجرنا
 ذلك لسوء الحظ الى استطراد مسرف الاسهاب .

فالفكرة التى نصفها من الناحية الرسمية بأنها « فكرة قهرية » ،
 تكشف من ثم ، في صورتها المحرفة ، من المنطوق الاصلى ، عن آثار
 النضال الدفاعى الاولى . وهذا التحريف الذى طرأ عليها هو الذى
 يمكنها أن تستمر في البقاء ، ما دام التفكير الشعورى يعجز بذلك
 عن أن يفهم حقيقتها . تماما كما لو كانت حلما ، لان الاحلام هي
 الاخرى نتاج ائتلافات وتحريفات ، وهي الاخرى يعجز التفكير
 الشعورى عن أن يفهم حقيقتها .

وهذا العجز عن الفهم من جانب التفكير الشعورى يمكن أن

(١) انظر : تفسير الاحلام ، الطبعة السابعة الالمانية ، ص ٢٨٣ .
 والترجمة العربية : تفسير الاحلام . دار المعارف بمصر ، ص ٤١٩ .

نتبين فعاليته ليس فقط فيما يتصل بالافكار القهرية ذاتها ، بل أيضا فيما ينصل بنتائج النضال الدفاعى الثانوى ، وذلك ، على سبيل المثال ، هو حال الصيغ الوقائية ، وبوسعى أن أقدم مثالين مناسبين على ذلك . كان من عادة مريضنا أن يستخدم — كصيغة وقائية — كلمة ينطقها بسرعة هى aber (لكن) مصحوبة بإشارة استنكار . قال لى فى احدى المناسبات ان هذه الصيغة قد تعدلت e أخيرا ، فلم يعد ينطقها (آبر) ولكنه ينطقها aber (أبير) . وعندما سألته عن السبب فى هذا التعديل ، قال لى بأن حرف e الساكن لم يكن يحقق له شعورا بالامن ضد احتمال الاندساس ، الذى كان يرتعب منه ، من جانب بعض العناصر الغريبة المضادة ، ومن ثم عقد عزمه على أن ينطق بحرف é متحركا . وهذا التفسير (وهو عينة ممتازة من الأسلوب العصابى القهرى) كان قاصرا بشكل واضح ، فأقصى ما يمكن أن يكونه هو التبرير . أما الحقيقة فهى أن كلمة aber (أبير) كانت شبيهة فى نطقها بكلمة Abwehr (أبوير) «دفاع» ، وهى كلمة تعلمها من خلال مناقشتنا النظرية فى التحليل النفسى . النفسى . فهو بذلك قد أستغل العلاج بشكل شبه هذائى وغير مشروع ، كيما يدعم صيغة وقائية .

وفى مرة أخرى تحدث الى عن كلمته السحرية الاساسية ، التى كان يفتى بها كل شر ، والتى صاغها من الحروف الاولى لكثر صلواته قوة وبركة ، وذيلها بحروف amen (آمين) فى نهايتها . وليس بوسعى أن أورد الكلمة هنا لاسباب ستتضح فى التو . ذلك أنه عندما ذكر لى هذه الكلمة لم يسعنى الا أن أثبتن أنها ليست فى الواقع غير معكوس اسم سيدهته الشابة . كان اسمها يشتمل على حرف (س) ، وقد جاء فى آخر الكلمة أى قبل حروف « آمين » مباشرة . ومن هنا يكون بوسعنا أن نقول انه بهذه العملية قد أتاح لسائله المنوى samen أن يلتصق بالمرأة التى يحبها ، ومعنى ذلك أنه فى الخيال قد استمنى عليها . ومع ذلك فانه هو نفسه لم ينتبه قط الى هذه

الصلة جد الظاهرة ، فقوى الدفاع عنده قد سمحت لنفسها أن تخذعها القوة المكبوتة • وذلك أيضا مثال طيب على القاعدة التي بمقتضاها :

ان الشيء الذى يراد كبته يبلغ — مع الوقت وبانتظام — الى أن ينفذ داخل الوسيلة التي تستخدم لكبته •

قد أكدت من قبل بأن الافكار القهرية قد عانت تحريفا شبيها بهذا التحريف الذى عانته افكار حلم قبل أن تصبح المضمون الصريح للحكم ، فان ما يشد انتباهنا هنا هو الاسلوب الذى يتخذه هذا التحريف • ولا ينبغي أن يكون هناك ما يحول بيننا وبين بيان الأشكال المختلفة التى يتخذها هذا التحريف ، وذلك عن طريق مجموعة من القهور التى تمت ترجمتها وأكتمل استجلاؤها • ولكن ضمن الاطار الخاص بهذه الحالة يستحيل على أن أزيد على بضع عينات لم تكن كل قهور مريضنا من تعقيد البنية ، ومن صعوبة التفسير ، على النحو الذى كان عليه قهره الكبير عن الفيران • ففى بعض قهوره الاخرى ، كان الاسلوب المستخدم بسيطا جدا — هو على التحديد أسلوب التحريف بالحذف أو الاضمار • وهذا الاسلوب يتضح بشكل بارز فى النكات اللفظية ، ولكنه أيضا فى الحالة التى أمامنا يعمل كوسيلة للوقاية ضد الفهم •

وعلى سبيل المثال ، فان واحدا من أقدم القهور وأكثرها خطورة عند المريض (مما كان يمثل تذكيرا) كان كما يلى : « اذا تزوجت من السيدة الشابة فسوف ينزل سوء بأبى فى العالم الآخر ؟ » • فاذا أعدنا وضع الحلقات الوسيطة المحذوفة وهى التى تبينها من التحليل ، نجدنا أمام هذه السلسلة من الافكار : « لو كان أبى حيا لغضب من مشروع زواجى من السيدة الشابة كما غضب فى مشهد طفولتى ، بحيث كنت أتفجر غاضبا ضده مرة أخرى متمنيا له كل

ما يمكن من سوء ، وبفضل ما لرغباتى من قدرة مطلقة (١) ولن يكون مفر من أن ينزل به كل هذا السوء » .

وثمة مثال آخر يمكن البلوغ الى فهمه اذا أعدنا وضع الحلقات الوسيطة المحذوفة وهو أيضا من طبيعة تحذيرية أو تحريمية زاهدة، كانت للمريض ابنة أخت صغيرة ساحرة وكان شديد التعلق بها . وذات يوم خطرت هذه الفكرة في رأسه : « لو استبحت لنفسك جماعا فسوف ينزل سوء بايلا Ella (سوف تموت) » . فاذا ما أعدنا وضع الحلقات الوسيطة المحذوفة نجدنا أمام ما يلى : « فى كل مرة تستبجح جماعا ، حتى مع امرأة غريبة ، فلن يكون بوسعك أن تتجنب التفكير فى أن الجماع فى حياتك الزوجية لا يمكن قط أن ينجب لك طفلا (بالنظر الى عقم سيدته الشابة) . وسوف يحزنك ذلك كثيرا بحيث تحسد شقيقتك على ابنتها الصغير ايلا ، وسوف تحقد عليها بسبب طفلتها . هذه الرغبات الحسودة لن يكون مفر من أن تتأدى الى موت الطفلة » (١) .

(١) ثمة مثال من أحد مؤلفاتى الأخرى Der Witz (١٩٠٥) « النكات وعلاقتها بالاشعور » « الطبعة الرابعة الألمانية ص ٦٣ » ، يذكر القارئ الطريقة التى يستخدم بها أسلوب الحذف الاضمارى فى صنع النكات : « فى فينا صحفى داهية مشاكس ، أدت به طعونه اللاذعة الى أن يتعرض للاذى البدنى ، مرات ومرات ، من جانب ضحاياه ، وفى احدى المناسبات ، حين تناول النقاش سيئة جديدة صدرت من واحد من خصومة المعتادين ، تعجب أحد الحاضرين قائلا : « لو سمع س بذلك ، فسوف تذوق أذناه اللكمات من جديد » . . واللامعتولية البادية فى هذه العبارة لا تلبث أن تخفى اذا ما وضعنا بين شتى العبارة هذه الكلمات : « سوف يكتب عن الرجل مقالا من المرارة بحيث . . الخ » — هذه النادرة القائمة على الحذف الاضمارى هى ، كما يمكن أن نلاحظ ، شبيهة فى مضمونها ، وأيضا فى شكلها ، بالمثل الاول الذى أوردناه فى النص . (من هذا القبيل ما يروى عن جحا فى النكات الشعبية، إذ جلس يوما أمام بيته يتناول تمرا ، غمر عليه صديق بادره بالتحية : « سلام عليكم يا جحا » ، فلم يكن من

ان أسلوب التحريف بالحذف الاضمارى هو ، على ما يبدو ، نمطى فى الاعصبة القهرية فقد التقيت به أيضا فى الافكار القهرية لمرضى آخرين . وثمة مثال يتسم بالشفافية بنوع خاص ، وينطوى على أهمية خاصة ، بالنظر الى تماثل فى البنية بينه وبين قهر الفيران . كانت حالة من الشك ظهرت عند سيدة تعانى أساسا من أفعال قهرية . خرجت تلك السيدة فى نزهة مع زوجها فى نورمبرج ، واصطحبته الى متجر حيث انشغلت فى شراء أشياء مختلفة لطفلها ، ومن بينها مشط . أما زوجها فقد كانت عملية الشراء هذه بالنسبة الى مذاقه مهمة أطول مما يحتتمل ، فأخبر زوجته بأنه قد لمح فى طريقه قطعة نقدية — فى محل للعاديات — يتوق الى اقتنائها ، وأضاف بأنه متى فرغ من شرائها فسيعود اليها ليلتقى بها حيث هما فى نفس المتجر . ولكنه تغيب عنها ، بحسب تقديرها ، وقتا طويلا أكثر من اللازم . ومن ثم سألته حين عاد اليها أين كان . أجاب : « فى محل العاديات الذى اخبرتك عنه » . وفى نفس اللحظة استولى عليها شك مضمّن فيما ان لم يكن هذا المشط الذى اشترته الآن لطفلها ، لديها دائما من قبل فى الواقع . وكانت بالطبع عاجزة عن أن تتبين الحلقة النفسية البسيطة التى كانت مضمرة فى هذا الشك . فكل ما كان يلزم هو أن ننظر الى الشك على أنه عانى نقلا وأن نعيد بناء السلسلة المكتملة للافكار اللاشعورية كما يلى : « لو صح أنك لم تكن حقا الا فى محل العاديات ، ولو كان على حقا أن أصدق ذلك ، فعندئذ يمكننى بنفس الدرجة أن أصدق أن هذا المشط الذى اشتريته منذ لحظة كان لدى دائما منذ سنوات » . ومن ثم فقد كانت السيدة بذلك ترسم خطأ موازيا من التهكم الساخر ، تماما كما فكر مريضنا : « نعم ، بقدر ما هو صحيح أن أبى والسيدة الشابة سينجبان أطفالا ، فأننى بالتأكيد سوف أسدد الرسوم الى أ . »

==
جحا الا أن اجابه : « كده يعنى كده ! » ولم يفهم الصديق هذه الاجابة فراح يستوضحه ، فقال « أرد عليك التحية فتسألنى : « ماذا تأكل ؟ » فأجيبك ، فتسألنى : « هلا اشركتنى معك فى هذا الطعام ؟ » فأجيبك « كده ! » فنسألنى : « كده ليه » فأجيبك « كده يعنى كده ! » — المترجمون . -

كان الشك في حالة الزوجة راجعا الى غيرتها اللاشعورية ، التي جعلتها تعتقد أن زوجها قد أمضى فترة غيابة عنها في زيارة غرامية .

ولن أحاول في هذا المقال أن أقوم بأية دراسة للدلالة السيكلوجية للتفكير القهري . مثل هذه الدراسة يمكن أن تتطوى نتائجها على قيمة هائلة ، ويمكن أن تعمل على توضيح تصوراتنا عن الشعور واللاشعور ، بأكثر مما تستطيعه أية دراسة للهستيريا أو لظواهر التثويم المغناطيسى . ولو أن الفلاسفة وعلماء النفس ، ممن يصوغون نظريات براءة عن اللاشعور استنادا الى معارفهم القائمة على التقولات أو الى تعريفاتهم التي يتواضعون عليها ، بدأوا بتلقى هذه الانطباعات المقنعة التي يمكن البلوغ اليها من الدراسة المباشرة لظواهر التفكير القهري ، لكان ذلك أمرا مرغوبا فيه الى أقصى حد . وكان بودنا أن نمضى الى حد مطالبتهم بالقيام بذلك ، لو لم تكن هذه المهمة أكثر مشقة بكثير من طرائق العمل التي ألفوها . وفي الاعصبة القهرية ، حسبى أن أضيف بأن العمليات النفسية اللاشعورية أحيانا ما تقتحم داخلية الى الشعور في صورتها الخالصة غير المحرفة ، وأن مثل هذه الاقتحامات يمكن أن تحدث في كل مرحلة من مراحل العملية اللاشعورية للتفكير . كذلك فإنه في الوقت الذي يتحقق فيه هذا الاقتحام ، غالبا ما يمكن التعرف على الافكار القهرية على أنها تكوينات جد قديمة العهد . وفي ذلك ما يفسر تلك الظاهرة الشديدة الغرابة التي تنحصر في أنه ، عندما يحاول المحلل مستعينا بالمريض ، تحديد التاريخ الذي ظهرت فيه لأول مرة فكرة قهرية ، يجد المريض نفسه مضطرا الى أن يرجع بذلك التاريخ الى الوراء وأكثر فأكثر كلما تقدم التحليل ، فلا يفتأ يعثر على مناسبة « أولى » جديدة لظهور القهر .

(ب) بعض الفرائب السيكلوجية للعصابيين القهريين

اتجاههم من الواقع والخرافة والموت

في هذا القسم سوف أتناول بعض الخصائص النفسية عند العصابيين القهريين ، والتي وان لم تكن هامة في ذاتها ، الا أنها مع

ذلك تسد على فهمنا الطريق الى أشياء أكثر أهمية . كانت هذه الخصائص جد بارزة عند مريضنا الحالي ، ولكنى أعرف بأنها لا ترجع الى مرضه ، وأنا نلتقى بها بصورة نمطية تماما عند عصابين قهريين آخرين .

كان مريضنا يؤمن بالخرافة بدرجة كبيرة ، وذلك على الرغم مما كان عليه من تعليم عال وثقافة واسعة وفطنة كبيرة ، وعلى الرغم من أنه كان يقتدر أحيانا على أن يؤكد لى بأنه لا يؤمن بكلمة واحدة من كل هذا الهراء . وهكذا فقد كان معا مؤمنا بالخرافة وغير مؤمن بها ، وكان هناك فارق واضح بين اتجاهه وبين الايمان بالخرافة عند غير المتعلمين وهو ايمان لا يعرف الشك . كان فيما يبدو يفهم أن ايمانه بالخرافة يرجع الى تفكيره القهري ، وان كان في بعض الاحيان يستسلم تماما لهذا الايمان . ومثل هذا السلوك المتناقض والمتذبذب يمكن أن نتبين دلالتة بأقصى سهولة اذا ما نظرنا اليه في ضوء فرض سوف أشرع في تقديمه الآن . اننى لم أتردد في أن أفترض بأن المريض كان لديه ، فيما يتصل بهذه الامور ، رأيان منفصلان ومتناقضان وليس رأيا واحدا لم يتحدد بعد . وتذبذبه بين هذين الرأيين يرجع بكل وضوح الى اتجاهه في اللحظة من قهوره . فلا يكاد يتغلب على أحد هذه القهور حتى يبتسم في فهم ساخرا من قابليته للتصديق ، وما من شيء يحدث يستطيع أن ينال من ثباته ، ولكنه ما أن يعانى من جديد تسلط قهر آخر لم تتم تصفيته — أو ما أن يعانى ، وهو ما يعد مكافئا ، تسلط مقاومة — حتى تقع أكثر المصادفات غرابة ، سندا لايمانه الساذج .

ومع ذلك فان ايمانه بالخرافة كان ايمان رجل مثقف ، فكان يتجنب الخرافات السوقية من قبيل الخوف من يوم الجمعة أو من الرقم ١٣ وما الى ذلك . ولكنه كان يؤمن بالنذير وبأحلام النبوءة ، كان يلتقى دائما بنفس الشخص الذى كان ، لسبب لا يعرفه ، قد خطر بفكره منذ هنيهة ، أو يتلقى خطابا من شخص يكون قد خطر فجأة بباله ، بعد أن غاب عن ذهنه سنوات . وفي نفس الوقت كان

من الامانة — أو كان بالحرى من الولاء لشكليات ايمانه — بحيث لم ينس الحالات التى تتمخض فيها أقوى نذيراته عن شىء على الاطلاق . ففى احدى المناسبات على سبيل المثال ، عندما رحل فى اجازته الصيفية ، استشعر فى نفسه احساسا أكيدا بأنه لن يعود قط الى فينا جيا . وكذلك اعترف أيضا بأن الغالبية العظمى من نذيراته كانت تتعلق بأمر لىست بذات أهمية شخصية خاصة ، وبأنه حين كان يلتقى بأحد معارفه ، الذى لم يخطر بباله لسنوات طويلة الا منذ هنيهة ، لم يكن هناك شىء يحدث بينه وبين صاحب هذا الظهور الخارق . ولم يكن بوسعها بالطبع أن ينكر أن كل الاحداث الهامة فى حياته قد وقعت دون أن يكون لديه أى نذير عنها ، وأن موت أبيه على سبيل المثال ، قد مات فجأة على غير انتظار منه تماما . ولكن الحجج من هذا القبيل لم تغير شيئا من قناعات معتقداته . فهى لم تتمخض الا عن اثبات الطابع القهرى لايمانه بالخرافة ، وكان من الممكن بالفعل استخلاص ذلك من الطريقة التى بها يجىء ويذهب ذلك الايمان مع ازدياد مقاومته ونقصانها .

لم أكن بالطبع فى وضع يمكننى من تقديم تفسير منطقى لكل تلك الحكايات الخارقة من ماضيه السابق . ولكن فيما يتصل بالامور المماثلة التى حدثت أثناء فترة علاجه ، كان بوسعى أن أثبت له أنه كانت له هو نفسه دائما يد فى صنع هذه المعجزات ، وكان بوسعى أن أبين له الوسائل التى استخدمها . كانت وسائله فى العمل هى الرؤية والقراءة الهامشية ، والنسيان ، وأهم من ذلك كله خداعات الذاكرة وفى النهاية اعتاد أن يساعدنى بنفسه فى الكشف عن سر حيله المستتدة — ان جاز القول — الى « خفة اليد » ، التى كانت بها تتحقق تلك الخوارق . وثمة أصل طفلى هام لا اعتقاده فى صدق النذيرات والنبوءات تكشف لنا عندما تذكر المريض أنه كان يجرى تحديد موعد لشىء ما ، فكثيرا ما كان من عادة أمه أن تقول : « لن يكون بوسعى أن . . فى هذا اليوم أو ذاك . سوف أكون طريحة الفراش فى ذلك الحين » . وعندما كان يحين اليوم المحدد كانت أمه فى الواقع بلا استثناء تلازم الفراش ! .

ليس هناك من شك في أن المريض كانت لديه رغبة في العثور على خبرات من هذا النوع تكون تكئات لايمانه بالخرافة ، وأنه كان من أجل هذا السبب يشغل نفسه كثيرا بالمصادفات غير المفهومة في الحياة اليومية ، وهى التى نألفها جميعا ، وكان يعوض عن قصور هذه المصادفات بنشاطه اللاشعورى . وقد التقيت برغبة مشابهة عند كثيرين آخرين من العصابين القهريين ، واشتبهت في وجودها عند كثيرين آخرين غيرهم . ويبدو لى أنها رغبة يسهل تفسيرها بالرجوع الى الخصائص السيكولوجية للعصاب القهرى . ففى هذا المرض ، كما سبق أن أوضحت (ص ٣٩٩) ، يتحقق الكبت ، لا النسيان ، بل بتقطيع العلاقات السببية ، وذلك بسحب الوجدان بعيدا . هذه العلاقات المكبوتة تبدو مستمرة في البقاء على نحو قائم (سبق أن قارنته في مكان آخر بادراج نفس المصدر (١)) ، وهكذا تتزاح هذه العلاقات ، بعملية اسقاط ، على العالم الخارجى ، حيث تكون شاهدا على ما تم استبعاده من الشعور .

وثمة رغبة أخرى يتشاطرها أيضا العصابيون القهريون ، وهى من بعض الاوجه تتصل بالرغبة السابقة الذكر ، هى الرغبة في « عدم التيقن » في حياتهم ، أو الرغبة في الشك . وتقضى هذه الخاصية يتأدى بنا الى تقص عميق للحفزات الغريزية . ان استحداث « عدم التيقن » هو احدى الوسائل التى يستخدمها العصاب لسحب المريض بعيدا عن الواقع وعزله عن العالم — الامر الذى يعد هدفا من أهداف كل عصاب نفسى . ومرة أخرى ، من الواضح الى أقصى حد مدى الجهود التى يبذلها المرضى أنفسهم كيما يكونون قادرين على تجنب اليقين والبقاء في الشك . فبعضهم في الواقع يترجمون عن هذه النزعة بشكل بارز في نفورهم من الساعات والمنبهات (لأنها على الاقل تحقق اليقين في الوقت) ، وهم يلجأون الى وسائل لا شعورية يصطنعونها

Zur Psychopathologie des Alltagslebens (1905) (١)

(سيكوباتولوجية الحياة اليومية — الطبعة العاشرة الالمانية ،

لابطال فعالية هذه الآلات المزيلة للشك . ومريئنا الحالى قد استحدث موهبة خاصة لتجنب معرفة أية وقائع يمكن أن تعينه على البت فى صراعه . من ذلك أنه كان يجهل تلك الامور الخاصة بسيدته الشابة ، والتي كانت على أعظم درجة من الارتباط بمسألة زواجه . كان من الواضح أنه لا يستطيع أن يعرف من الذى أجرى لها العملية ، وما ان كانت العملية قد استأصلت أحد المبيضين أو كليهما . كان يتحتم على أن أكرهه على أن يتذكر ما نسيه ، وعلى أن ينقصى المعلومات عما أغفل الانتباه اليه .

ان ما يستشعره العصابيون القهريون من نزوع الى عدم التيقن والشك يتأدى بهم الى أن يتجهوا بأفكارهم الى تلك الموضوعات التى يستشعر ازاءها كل البشر عدم التيقن ، والتي يتحتم على معارفنا وأحكامنا عنها أن تظل مفتوحة للشك . والموضوعات الرئيسية من هذا النوع هي :

الأبوة ، وطول العمر ، والحياة بعد الموت ، وأيضا الذاكرة — وهذه الاخيرة من عادتنا جميعا أن نصدقها دون أن يكون لدينا أدنى ضمان بأنها جديرة بالثقة (١) .

والعصابيون القهريون يفيدون الى أقصى حد من عدم يقينيه الذاكرة فى تكوين أعراضهم ، وسوف نتبين الآن الدور الذى تلعبه فى المضمون الفعلى لافكار المرضى مسألة طول العمر ومسألة الحياة بعد

(١) كما يقول ليختنبرج Lichtenberg ان عالم الفلك يعرف ما ان كان القمر مسكونا أو غير مسكون بنفس الدرجة من اليقين تقريبا التى يعرف بها من هو أبوه ، ولكن ليس بنفس درجة اليقين التى يعرف بها من هى أمه . لقد عرفت الحضارة تقدما هائلا عندما عقد الناس عزمهم على أن يصنعوا استنباطاتهم فى نفس المستوى مع شهادة حواسهم ، وعلى أن يعبروا من النظام الامومى الى النظام الابوى — وتماثل ما قبل التاريخ التى تصور كائنا بشريا أصفر يجلس فوق رأس شخص أكبر ترمز للخط السلالى الابوى ، والالهة اثينا لم يكن لها أم ، ولكنها خرجت من

الموت • ولكن كحلقة إنتقال ملائمة سوف أبدا أولا بتناول خاصية للايمان بالخرافة عند مريضنا سبق أن أشرت إليها (ص ٤٧١) ، ولا بد وأنها قد أثارت الحيرة عند أكثر من واحد من قرائي •

وانى أعنى بذلك القدرة المطلقة التى كان ينسبها لافكاره ومشاعره ، ولرغباته سيان كانت خيرة أم شريرة • ويتحتم على أن أعترف بأن هناك ما يعزى ولا شك بالقول بان الامر هنا يتعلق بهذاء، وبأنه يتخطى حدود العصاب القهرى • وعلى أى حال ، فانى قد التقيت بنفس هذا الايمان بالقدرة المطلقة عند عصابى قهرى آخر ، شفى منذ وقت طويل ، ويعيش الآن حياة سوية • والواقع هو أن كل العصابين القهرين يتصرفون وكأنهم يشاركون فى هذا الايمان بالقدرة المطلقة • وسيكون علينا أن نلقى بعض الضوء على ما لدى هؤلاء المرضى من تقدير زائد لقدراتهم • ولنسلم على الفور ودون تلوؤ بأن هذا الايمان بالقدرة المطلقة ينطوى على جانب كبير من الميجالومانيا (هوس العظمة) الطفلية ، ولنشرع فى مسألة مريضنا عن الاساس الذى يستند اليه ايمانه هذا • وقد أجاب يحكى واقعتين من حياته • فعندما عاد للمرة الثانية الى مصحة العلاج بالمياه حيث سبق أن تحسنت حالته للمرة الاولى والوحيدة ، أبدى رغبته فى أن ينزل بنفس غرفته السابقة التى يسرت له بفضل موقعها علاقتة باحدى ممرضاته • أخبروه بأن الغرفة مشغولة بالفعل من جانب أستاذ عجوز • هذا الخبر قلل الى حد كبير ما كان يأمل فيه من علاج ناجح ، فاستجاب له بهذه الكلمات غير الودودة : « آه ، فليمت بالسكينة ! » وبعد أسبوعين من ذلك استيقظ من نومه تفزعه فكرة جثة • وفى الصباح سمع أن الاستاذ انتابته سكتة مخية فى الواقع ، وأنهم حملوه الى غرفته ، وذلك فى نفس الوقت تقريبا الذى استيقظ فيه مريضنا فزعا

=

راس جوبتير • والشاهد الذى يشهد على شىء فى محكمة يسمى بالالمانية ^{31.90} (وتعنى حرفيا والد منجب) ، استنادا الى دور الذكر فى عملية الانجاب ، وكذلك أيضا فى الهيروغليفية كان يجرى تمثيل الشاهد فى صورة عضو الانسال الذكرى •

من نومه • أما الواقعة التالية فكانت تتعلق بأنسة متقدمة في السن • وان كانت تتوق بشدة الى الحب ، كانت قد أولته قدرا كبيرا من اهتمامها ، بل وطلبت اليه مرة في صراحة ما ان كان بوسعه أن يجيبها • وقد أجابها اجابة مراوغة وبعد ذلك بأيام قليلة سمع أنها ألفت بنفسها من النافذة • عندئذ بدأ يؤنب نفسه ، وقال لنفسه بأنه كان بوسعه أن ينقذ حياتها ، لو منحها حبه • وبهذه الطريقة تأدى الى الاقتناع بالقدرة المطلقة لحبه وكراهيته • ودون انكار منا للقدرة المطلقة للحب ، ينبغي أن نشير الى أن هاتين الواقعتين قد انتهيتا الى الموت ، ومن حقنا أن ننبنى هذا التفسير الواضح الذى مؤداه أن مريضنا ، كغيره من العصائيين القهريين ، كان يتحتم عليه أن يغالى فيما لكراهيته من آثار على العالم الخارجى ، لانه كان يجهل شعوريا جانبا كبيرا من الآثار الداخلية ، النفسية ، لهذه الكراهية كان حبه ، أو بالحرى كراهيته ، طاغية في الواقع ، وكانا على وجه التحديد هما اللذان ولدا الافكار القهرية ، هذه التى لم يكن يستطيع أن يثبث أصلها ، والتى ناضل عبثا ليحمى نفسه ضدها (١) •

وكان لمريضنا اتجاه غريب تماما من مسألة الموت • كان يبدى أعرق التعاطف كلما مات أحد ، ويشترك بكل خشوع في الجنازات ، حتى اشتهر بين أشقائه وشقيقاته باسم « غراب البين » (٢) • وكان في خياله أيضا لا يتوقف عن قتل الناس كيما يتمكن من ابداء تعاطفه القلبي العميق مع أقارب الفقيد • ان موت شقيقته التى تكبره ، وهو ما بين الثالثة والرابعة من العمر ، قد لعب دورا كبيرا في أخايله • وهذا الموت قد تكشف وثيق الصلة بالسيئات الصغيرة القليلة في تلك

(١) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) — ان القدرة المطلقة للانكار ، أو بعبارة أدق ، للرغبات ، قد تكشفت منذ ذلك الوقت عنصرا رئيسيا في الحياة النفسية للشعوب البدائية • انظر كتابى Totem and Tabu (الطوطم والتابو) •

(٢) (في الاصل الالمانى Leichenvogel ، وتعنى حرفيا « طائر الجثث » من هامش الترجمة الانجليزية) •

الفترة من حياته • هذا الى أننا نعرف في أى وقت باكر شغلت ذهنه الافكار عن موت أبيه ، وبوسعنا أن ننظر الى مرضه ذاته بحسبانه استجابة لذلك الموت الذى رغب فيه بشكل قهري قبل ذلك بخمسة عشر عاما • ولم يكن الامتداد العجيب لمخاوفه القهرية الى « العالم الآخر » الا تعويضا عن تلك الرغبات فى موت أبيه • ظهر ذلك بعد موت أبيه بعام ونصف ، فى وقت ابتعث فيه حزنه على فقد أبيه ، وكان ذلك يستهدف — فى تحد للواقع ، وفى اذعان للرغبة التى كانت من قبل قد تبدت فى الآخاييل من كل نوع — محو واقعة موت أبيه • ولقد تعلمنا فى عدة مواضع (أنظر ص ٤٢٨ و ص ٤٣٢) أن نترجم عبارة « فى العالم الآخر » بالكلمات : « لو كان أبى ما يزال حيا » • ولكن سلوك العصابين القهريين الآخرين لا يختلف كثيرا عن سلوك مريضنا ، وحتى وان لم يكن من نصيبهم أن يجابهوا ظاهرة الموت وجها لوجه فى مثل هذه السن الباكرة • فهم دائما مشغولون بطول عمر الآخرين واحتمال موتهم ونزعاتهم الى الايمان بالخرافة لا تتطوى ، بادىء ذى بدء ، الا على نفس هذا المضمون ، وربما لا يكون لها على الاطلاق أى مصدر آخر • ولكن هؤلاء العصابين القهريين يحتاجون ، قبل كل شىء ، الى العون الذى تتطوى عليه امكانية الموت ، لانه يمكن أن ينزل حلا لصراعاتهم التى تركوها بغير حل • فخاصيتهم الرئيسية هى عجزهم عن البت وخاصة فى أمور الحب ، فهم يخاولون تأجيل كل بت ، وهم اذ يترددون فى صالح من يكون البت ، وفى أية اجراءات ينبغى اتخاذها ضد شخص ما • يجدون أنفسهم مضطرين الى أن يتخذوا أنموذجهم من المحاكم الالمانية القديمة ، التى كانت تنتهى قضاياها ، قبل الحكم فيها ، بموت الجانبين المتخاصمين • وهكذا فانهم فى كل صراع يدخل حياتهم يتطلعون الى موت أحد ذى أهمية بالنسبة اليهم ، وعادة ما يكون موضع حبهم — وذلك من قبيل أحد أبويهم ، أو منافس ، أو واحد من موضوعات حبهم التى تتأرجح بينها ميولهم • ولكن عند هذه النقطة يبدأ نقاشنا لعقدة الموت فى الاعصبة القهرية يلمس مشكلة الحياة الغريزية عند العصابين القهريين • فلنتحول الان الى هذه المشكلة •

(ج) الحياة الفريزية للعصابيين القهريين

ومصدر القهر والشك عندهم

إذا أردنا أن ننتبين القوى النفسية التي أقام تفاعلها صرخ هذا العصاب ، فإنه يتحتم علينا أن نرجع الى الوراء ، الى ما سبق أن عرفناه من مريضنا عن الاسباب المباشرة لموضعه في سن الرشد وفي الطفولة تفجر عنده المرض عندما كان عليه بعد العشرين أن يواجه غواية الزواج من امرأة أخرى غير تلك التي كان يحبها منذ وقت طويل ، وقد تجنب البت في هذا الصراع بتأجيله كل الاجراءات التي كان من شأنها أن تهيبء الحل . وقد أمده عصابه بوسائل هذا التجنب . ان تردده بين السيدة الشابة التي كان يحبها والفتاة الاخرى يمكن ارجاعه الى صراع بين تأثير أبيه وحبه لسيدته الشابة ، أو بعبارة أخرى ، الى صراع اختيار بين أبيه وموضوعه الجنسي ، على نحو ما كان قائما (استنادا الى ذكرياته وأفكاره القهرية في طفولته الباكرة . هذا الى أن مريضنا كان بكل تأكيد ، طوال حياته كلها ، فريسة صراع بين الحب والكراهية ، سواء بالنسبة الى سيدته الشابة أو بالنسبة الى أبيه . فأخاييله الانتقامية ، وقهوره ، من قبيل قهر الفهم عنده ، وتصرفه ازاء الحجر في الطريق ، تقوم شاهدا على تناقض مشاعره ، وكان تناقضها هذا الى حد ما معقولا وطبيعيًا ، ذلك أن السيدة الشابة برفضها الزواج منه أولا ، ثم بفتورها بعد ذلك قد هيأت بعض العذر لكراهيته لها ولكن علاقته بأبيه كان يحكمها أيضا تناقض عاطفي مماثل ، على نحو ما رأينا من استجلائنا لافكاره القهرية ، وأبوه هو الآخر لابد وأن يكون قد أمده ببعض العذر لكراهيته أثناء الطفولة ، على نحو ما تمكنا في الواقع من تبينه بشكل يكاد يعلو على الشك . وكان اتجاهه من سيدته الشابة — وهو مزاج من الحب والكراهية — يدخل الى حد كبير ضمن نطاق معرفته الشعورية ، وأقصى ما استطاع أن يخدع نفسه فيه اقتصر على درجة وشدة مشاعرة السالبة . أما عن كراهيته تجاه أبيه فانها

على العكس ، على الرغم من أنه عاشها شعوريا مرة وبشكل حاد ، قد اختفت منذ ذلك الوقت بعيدة عن ادراكه ، ولم يكن من الممكن جلبها الى الشعور الا عبر مقاومة أقصى ما تكون شدة . ونستطيع أن نعتبر كبت كراهيته الطفولية ازاء أبيه بحسابه العملية التي رفعت الى اطار العصاب بكل صراعاته اللاحقة .

ان الصراعات الوجدانية عند مريضنا ، وهي التي عدناها منفصلة ، لم تكن في الواقع مستقلة بعضها عن بعض ، بل كانت مترابطة في أزواج ، فكراهيته لسيدته الشابة تتراوح بالضرورة مع حبه لابيه ، والعكس صحيح ، بمعنى أن كراهيته لابيه تتراوح بالضرورة مع حبه لسيدته الشابة . ولكن هذين التيارين من الصراع اللذين ينضمان من هذا التبسيط — وهما على التحديد تعارض علاقته بأبيه مع علاقته بسيدته الشابة ، والتناقض بين حبه وكراهيته داخل كل من هاتين العلاقتين ليس بينهما أى ارتباط على الاطلاق ، سيات من حيث مضمونهما أو من حيث أصلهما . والصراع الاول من هذين الصراعين يناظر التآرجح الطبيعي بين الرجل والمرأة من حيث هما موضوعات للحب وهذا الصراع يفرضه أولا على انتباه الطفل بالسؤال التقليدي : « أيهما تحب أكثر ، بابا أم ماما ؟ » ثم يلزمه بعد ذلك طول حياته ، كائنة ما كانت الشدة النسبية لمشاعره ازاء الجنسين ، أو كائنا ما كان الهدف الجنسي الذي يعدو في نهاية الامر مثبتا عليه . ولكن في الحالات العادية لا يلبث هذا التعارض حتى يفقد طابعه كتناقض حارم ، وتتأوب لا سبيل الى الافلات منه ، بمعنى اما الواحد واما الاخر . فثمة مجال لاشباع المطالب غير المتكافئة للجانبين كليهما ، وان كان — عند الشخص السوى ذاته — دائما ما يدين التقدير الاعلى لاحد الجنسين ببروز لتقدير أدنى للجنس الآخر .

وأما الصراع الثانى ، ونعني التناقض بين الحب والكراهية ، فيشير دهشتنا بشكل أعظم . فنحن نعرف أن الحب في بدايته كثيرا ما يكون ادراكه بحسابه كراهية ، وأن الحب ، حين يحرم الاشباع ،

يمكن أن يتحول في يسر وبصورة جزئية الى كراهية • ويجدثنا الشعراء عن أنه في المراحل المشبوبة من الحب يمكن للعاطفتين المتناقضتين أن تتعايشا برهه جنباً الى جنب وكأنهما في تنافس أحدهما مع الأخرى • وأما التعايش الزمن بين الحب والكراهية ، في اتجاههما معا الى نفس الشخص ، وبأعظم شدة لهما ، فلا يمكن الا أن يثير دهشتنا • كنا نتوقع أن يكون الحب المشبوب قد اجتاحت الكراهية ، أو اجتاحته الكراهية العرمة منذ زمن طويل والواقع هو أن البقاء الطويل الامد للنتيذين معا لا يمكن أن يتحقق الا تحت ظروف سيكولوجية خاصة تماما ، والا بتعاون الاوضاع القائمة في اللاشعور • فالحب لم ينجح في اطفاء الكراهية ، بل نجح فحسب في دفعها أى كبتها في اللاشعور، وفي اللاشعور ، حيث الكراهية في مأمن من أن تدمرها العمليات الشعورية ، يكون بوسعها أن تستمر في البقاء ، بل وأن تنمو في مثل هذه الظروف ، وكقاعدة عامة ، يبلغ الحب الشعورى ، من قبيل رد الفعل ، درجة عالية من الشدة بشكل خاص ، حتى يكون من القوة بحيث يتمكن من الاضطلاع بمهمته الدائبة في الابقاء على خصمه (الكراهية) تحت الكبت • والشرط الضرورى لحدوث مثل هذا الوضع الغريب في الحياة الشبقية لشخص ما ، هو على ما يبدو ، أن تنتشر عنده ، في سن جد باكراً من طفولته ، في وقت ما من الفترة قبل التاريخية من طفولته ان جاز القول ، العاطفتان المتناقضتان ، وأن تعاني احدهما — عادة الكراهية — الكبت (١) •

لو تفحصنا عددا من تحليلات العصابين القهريين ، فلن يكون بوسعنا أن نتفادى الانطباع بأن علاقة بين الحب والكراهية ، كهذه التي وجدناها عند مريضنا الحالى ، هي خاصة من أكثر الخصائص تواترا وبروزا ، وربما بالتالى من أكثرها أهمية في العصاب القهرى • ولكن كائنا ما كان الاغراء الذى ينطوى عليه أرجاع مشكلة « اختيار العصاب » الى الحياة الغريزية ، فان لدينا من الاسباب ما يكفى لتجنب هذا الاغراء • ذلك أننا في كل الاعصبة نلتقى بنفس الغرائز مكبوتة

(١) قارن المناقشة حول هذه النقطة في إحدى الجلسات الاولى (ص ٢٥) — « ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣ » — لهذا الوضع الانفعالى

وراء الاعراض . وهكذا فان الكراهية التي تبقى بفعل الحب حبيسة في اللاشعور نلعب أيضا دورا كبيرا في توليد المرض في حالتى الهستيريا والبرانويا . ونحن لا نعرف الا النذر اليسير عن طبيعة الحب بحيث يمكننا هنا البلوغ الى أية نتيجة حاسمة ، وبصفة خاصة ، فان العلاقة بين العامل السالب (١) في الحب والعناصر السادية من الليبيدو ما تزال غامضة تماما . ومن ثم فلا ينبغي النظر الى ما يلى على أنه يزيد على تفسير مؤقت . عندئذ يكون لنا أن نفترض في حالة الكراهية اللاشعورية التي نحن بصدها ، أن العناصر السادية من الحب ، لاسباب جبلية ، كانت نامية بشكل غير عادى ، ومن ثم عانت بعد ذلك انكباحا مسرفا في تبكيه وفي شدته . من ذلك نخلص الى أن الظواهر العصابية التي لاحظناها تتشأمن ناحية من الحب الشعورى الذى غدا مسرفا من قبيل رد الفعل ، ومن ناحية أخرى من السادية التي ما تزال قائمة في اللاشعور في صورة كراهية .

ولكن كائنا ما كان التفسير الذى نقدمه عن هذه العلاقة العجيبة بين الحب والكراهية ، فان واقعيته حقيقة ترتفع ، بفضل ما لاحظناه في هذه الحالة ، على كل امكانية للشك ، ومما يبعثنا على الرضا أن نتبين مبلغ اليسر الذى نستطيع به الآن أن نفهم الظواهر المحيرة في العصاب القهرى متى أرجعناها الى هذا العامل وحده . فاذا كان هناك حب شديد تعارضه كراهية مساوية في الشدة تقريبا ، وكان هذا الحب في نفس الوقت يرتبط بتلك الكراهية ارتباطا لا ينفصم ،

الفريب استحدث بلوبلر فيما بعد مصطلح « ثنائية الوجدان » . انظر أيضا مزيدا من التطوير لهذا التصور في مقالى « الاستعداد السابق للعصاب القهرى » ١٩١٣ .

Die Predisposition zur Zwangsneurose.

The Predisposition to Obsessional Neurosis, Collected Papers, Vol. II.

(١) يقول السيبياديس عن سقراط في محاوره « المادية » : « كثيرا ما تمنيت أن يموت ، ومع ذلك فانى اعرف بانى ساكون أسفا أكثر بكثير منى فرحا لو أنه مات . وهكذا أجدنى عديم الحيلة » .

فان النتيجة المباشرة والاكيدة هي شلل جزئى للارادة ، وعجز عن البت بقرار فى أى من هذه الافعال التى ينبغى أن تجد فى الحب قوتها الدافعة . ولكن هذا « اللابت » لن يستمر طويلا فى اقتصاره على صنف واحد بعينه من الافعال . وذلك لانه فى المقام الاول : ما عساها أن تكون تلك الافعال التى تصدر عن عاشق ولا تكون لها علاقة بدافعه الرئيسى ؟ وثانيا ، لان اتجاه الفرد من الامور الجنسية ينطوى على قوة الانموذج ، بحيث تنزع الى مسابرة بقية استجاباته . وثالثا ، لانها خاصة فى صميم سيكولوجية كل عصابى قهرى أن يستخدم ميكانيزم النقل أقصى استخدام ممكن . ومن هنا فان شلل قدرته على البت يمتد بالتدريج الى كل أنشطة المريض .

وهكذا تتشيد هيمنة القهر والشك على نحو ما نلتقى بهما فى الحياة النفسية للعصابيين القهرين . فالشك يناظر ما لدى المريض من ادراك داخلى عن « عجزه عن البت » ، هذا العجز الذى ، نتيجة الكف الذى نزل بحبه من جانب الكراهية ، يستولى عليه فى مواجهة أى فعل ينتويه . فالشك فى واقع الامر هو شك ينصب على حبه — هذا الذى ينبغى أن يكون أكثر الأشياء يقينية فى حياته النفسية كلها، ثم يمتد هذا الشك الى كل شىء آخر ، وهو بصفة خاصة قابل لان ينقل الى أتفه التفاصيل (١) . فالفرد الذى يشك فى حبه يمكن أن يشك أو بالحري ينبغى أن يشك فى كل الأشياء الاخرى التى هى أقل قيمة من الحب (١) .

(١) قارن استخدام « التمثيل بشىء تافه » كوسيلة لصنع النكات . Freud, Der Witz (1905). (فرويد ، النكات ، ١٩٠٥ ، الطبعة الرابعة

الالمانية ، ص ٦٥) .

(١) ذلك ما نتبينه فى الابيات التى يوجهها هاملت الى أوفيليا :

« فلتشكى فى أن تكون النجوم من اللهب ،

ولتشكى فى أن الشمس تدور ،

ولتشكى فى أن الحقيقة تكذب ،

ولكن لا تشكى أبدا فى حبى »

هذا الشك نفسه هو الذى يتأدى بالمريض الى عدم التيقن من اجراءاته الدفاعية ،والى تكراره الدائب لهذه الاجراءات حتى يتخلص من عدم تيقنه ، وهذا الشك نفسه أيضا هو الذى يتأدى فى النهاية الى أن تصبح اجراءات المريض الدفاعية ذاتها مستحيلة التنفيذ ، شأنها شأن قراره الاصلى المكفوف فيما يتصل بحبه . وكنت فى بداية أبحاثى قد وجدتنى مضطرا الى القول بأصل آخر أكثر عمومية لعدم التيقن عند العصابين القهريين ، وهو أصل يبدو أقرب الى الحياة العادية . فعلى سبيل المثال ، اذا راح أحد يقاطعنى بالاسئلة وأنا أكتب خطابا ، فانى أشعر بعد ذلك بعدم تيقن مشروع تماما مما يكون قد فاتتى أن أكتبه بتأثير المقاطعة ، وكيفا أتأكد ، يتحتم على أن أقرأ الخطاب من جديد بعد أن أفرغ منه وبنفس الطريقة يمكننى أن أفترض أن عدم تيقن العصابين القهريين ، وهم يؤدون الصلاة مثلا، يرجع الى أخاييل لا شعورية تندس بلا انقطاع فى صلواتهم ، فتربكمهم وهذا الافتراض صحيح ، ولكن يمكن فى يسر مصالحته مع رأينا الذى أوردناه قبلا . صحيح أن عدم تيقن المريض مما ان كان قد أنجز اجراء دفاعيا يرجع الى التأثير المربك لاخاييله اللاشعورية ، ولكن مضمون هذه الاخاييل هو على التحديد الحفزة المضادة — هذه التى كانت الصلاة تستهدف طردها بالذات . ولقد اتضح هذا بشكل بارز عند مريضنا فى احدى المناسبات ، اذ أن العامل المربك لم يبق لا شعوريا بل برز واضحا على نحو صريح . كانت الكلمات التى يريد أن ينطق بها فى صلاته هى : « يحفظها الله » ، ولكن انطلقت فجأة من لا شعوره الكلمة العدوانية « لا » فاندست فى كلماته ، وقد فهم أن ذلك انما كان محاولة للعنها (ص ٣٥٩) . ولو أن كلمة « لا » بقيت خرساء لكان يجد نفسه فى حالة من عدم التيقن ، ولاستمر يسترسل فى صلواته الى غير نهاية . أما وأن كلمة « لا » غدت منطوقة فقد كان بوسعه بالتالى أن يتوقف عن الصلاة . ولكنه قبل أن يفعل ذلك على أية حال ، حاول بكل وسيلة ، شأنه شأن غيره من العصابين القهريين: أن يمنع العاطفة المضادة من أن تندس . ومن ذلك مثلا أنه كان يختصر صلواته أو يتلوها بسرعة . وبالمثل يناضل قهريون آخرون « لعزل » اجراءاتهم الدفاعية ، التى من هذا القبيل ، عن كل ما عداها . ولكن

ما من واحدة من هذه الوسائل تجدى فتبلا مع الوقت • فاذا ما
أحرزت حفزة حب أى نجاح فى نقل نفسها على أى فعل تافه ، فان
حفزة كراهية تتطلق لاحقة بها على أرضها الجديدة ، فتشرع من جديد
فى محو كل ما فعلته •

وعندما يكتشف المريض القهرى نقطة الضعف فى أمن حياتنا
النفسية — وهى عدم يقينية الذاكرة بحيث لا يمكن التعويل عليها —
فان هذا الكشف يمكنه من أن يمتد بشكك الى كل شىء ، حتى الى
الافعال التى تم بالفعل انجازها والتى لم تكن لها حتى الآن أية علاقة
بعقدة الحب — الكراهية ، والى الماضى برمته • وهنا أذكر بمثل
الزوجة التى فرغت لتوها من شراء مشط لابنتها فى متجر ، والتى ،
وقد استولى عليها الشك فى زوجها ، شرعت تشك فيما ان لم يكن لديها
هذا المشط فى واقع الامر منذ وقت طويل : ألم تكن هذه الزوجة
تقول فى صراحة تامة : « ما دام بوسعى أن أشك فى حبك » (ولم
يكن ذلك غير اسقاط لشكها فى حبها هى له) « فبوسعى عندئذ أن
أشك فى هذا المشط ، وأن أشك فى كل شىء » — وبذلك تكتشف لنا عن
الدلالة الخبيثة للشك العصابى ؟

أما القهر فهو ، على العكس ، محاولة للتعويض عن الشك ،
ولتصحيح تلك الظروف غير المحتملة من الكف ، هذه التى يشهد الشك
عليها • فاذا ما نجح المريض آخر الامر ، بفضل النقل ، فى أن يبلغ
بأحد مقاصده المكفوفة الى قرار ، فعندئذ ينحتم عليه تنفيذ هذا
المقصد • صحيح أن هذا المقصد ليس هو مقصده الاصلى ، ولكن
الطاقة الحبيسة فى هذا الاخير لا يمكن أن تسمح بأن تفوت على
نفسها فرصة عثورها على مخرج للافراغ فى الفعل البديل • وهكذا
فان هذه الطاقة الحبيسة يعيشها المريض أحيانا وأوامر وأحيانا نواهى،
تبعاً لما ان كانت حفزة الحب أو حفزة الكراهية هى التى انتزعت
السيطرة على طريق الافراغ • فلوحده أن أمراً قهريا استحق
تنفيذه ، فان التوتر يغدو غير محتمل ، ويعيشه المريض فى صورة
قلق بالغ ولكن الطريق المؤدية الى فعل بديل ، حتى حين تكون النقل
على فعل تافه ، تكون موضوع تنازع مرير ، بحيث أن مثل هذا الفعل
البديل لا يمكن — كقاعدة عامة — انجازها الا فى صورة اجراء دفاعى

وثيق الارتباط بنفس تلك الحفزة التي كان يستهدف هذا الاجراء في الاصل طردها .

وأكثر من ذلك ، وبفضل نوع من النكوص ، فان الافعال التمهيدية تصبح بدائل عن القرار النهائي ، فيحل التفكير محل الفعل ، وبدلاً من الفعل البديل فان فكرة ما من الافكار الممهدة لهذا الفعل تؤكد نفسها بكل ما للقهر من قوة . وتبعاً لما يكون عليه هذا النكوص - من الفعل الى التفكير - من درجة البروز تكشف حالة العصاب القهري عن خصائص التفكير القهري (أى عن خصائص الافكار القهرية) أو عن خصائص الفعل القهري بالمعنى الاضيق للكلمة . ومع ذلك فان الافعال القهرية بمعنى الكلمة من هذا القبيل لا تغدو ممكنة الا لأنها تمثل ضرباً من المصالحة في صورة تكوين ائتلافى من الحفزتين المتضادتين كليهما . ذلك أن الافعال القهرية تنزع الى أن تقترب أكثر فأكثر - وكلما طاق عمر المرض غدا ذلك أوضح - من الافعال الجنسية الطفلية ذات الطابع الاستثنائى . وهكذا ففى هذا النوع من العصاب يتم انجاز أفعال جب على الرغم من كل شئ ، ولكن ذلك فقط بفضل نوع جديد من النكوص ، وذلك لان أفعال الحب من هذا القبيل لم تعد تتعلق بشخص آخر موضوع حب وكرامية ، بل هى أفعال شبقية ذاتية على نحو ما يحدث فى الطفولة .

والنوع الاول من النكوص ، ونعنى-النكوص من الفعل الى التفكير ، يعين عليه عامل آخر يدخل فى توليد العصاب . فتقارب العصابيين القهريين تكاد تكشف دائماً أبداً عن ازدهار باكر وكبت سابق لاوانه للغريزة الجنسية النظرية (السكوبنوفيلية) والاستطلاعية (الابستيموفيلية) ، وجانب من النشاط الجنسى الطفلى لمريضنا الحالى كانت تحكمه ، كما نعلم ، هذه الغريزة (١) .

فقد سبق أن نبهنا الى الدور الهام الذى تلعبه العناصر الغريزية السادية فى نشأة الأعصاب القهرية . فحيث تكون الغريزة الجنسية الاستطلاعية (الايستيموفيلية) غالبة فى جبلة العصابى القهري ،

(١) ان المستوى جد المرتفع للقدرة العقلية عند العصابيين القهريين ربما يرتبط أيضاً بهذه الواقعة .

يصبح الاجترار الفكرى العرض الرئيسى للعصاب • فعملية التفكير نفسها تصبح مشبعة (مصطبغة بالجنسية) ، وذلك لان اللذة الجنسية ، التى عادة ما ترتبط بمضمون التفكير ، تراح على عملية التفكير ذاتها ، ومن ثم يعيش المريض الرضى المعرفى (الناتج من البلوغ الى نتيجة تلزم عن سلسلة من التفكير) بحسبانه اشباعا جنسيا •

وفى الاشكال المختلفة من العصاب القهرى التى تلعب فيها الغريزة الجنسية الاستطلاعية (الايستيموفيلية) دورا ، فان علاقة هذه الغريزة بعمليات التفكير تجعلها مهياة بصفة خاصة لان تجتذب الطاقة التى نجاهد عبثا كيما تشق طريقها قدما الى الفعل ، فتحرفها الى مجال التفكير ، حيث تتوفر امكانية حصولها على اشباع لاذ من نوع آخر وبهذه الطريقة ، وبفضل الغريزة الجنسية الاستطلاعية (الايستيموفيلية) يمكن للفعل البديك بدوره أن يخلى مكانه لافعال تمهيدية من التفكير • ولكن المماثلة فى الفعل لا تلبث حتى تطفى مكانها لتلكؤ فى التفكير ، ومن ثم تنتقل العملية كلها فى النهاية ، وبكلى غرائبها ، الى أرض جديدة ، تماما كما يحدث فى أمريكا حين ينتقل أحيانا بيت برمنه من مكان الى آخر •

وبوسعى الآن أن أجتريء ، استنادا الى هذه المناقشة الاخيرة ، فأحدد الخاصية السيكلوجية التى طال البحث عنها ، والتى تسبغ على نتائج العصاب القهرى طابعها « القهرى » • ان عملية التفكير تكون قهرية حين يجرى انجازها — نتيجة كفى (ناجم عن صراع حفزتين متضادتين) ينال الطرف الحركى للجهاز النفسى — بانفاق من الطاقة هو (فيما يتصل بكمه وكيفه على السواء) مخصص فى العادة للافعال وحدها ، أو بتعبير آخر ، فان التفكير القهرى هو تفكير وظيفته أن يخل — بصورة نحوسية — لمحل فعل • وما من أحد ، فيما أعتقد ، يعترض على ما افترضه من أن عمليات التفكير عادة ما يجرى انجازها (لاسباب اقتصادية) بنقل طاقة أقل (ربما الى مستوى أعلى) من تلك التى تستنفدها الافعال فى افراغها لوجدان أو فى تعديلها للعالم الخارجى •

والتفكير القهرى ، الذى يشق طريقه الى الشعور بمثل هذا العنف المرفى . نتحتم بعد ذلك تأمينه ضد جهود التفكير الشعورى التى تنزع الى فضه . وكما سبق أن رأينا فان هذا التأمين يتحقق بفضل التحريف الذى عناه التفكير القهرى قبل أن يصبح شعوريا . ولكن تلك ليست هى الوسيلة الوحيدة المستخدمة . فبالإضافة الى ذلك فان كل فكرة قهرية على حدة تنتزع دائما ابدا تقريبا من سياق الموقف الذى نشأت فيه ، والذى على الرغم من تحريفها ، يمكن ضمنه فهمها بمنتهى السهولة . ولتحقيق هذه الغاية ، ففى المقام الاول يندس فاصل زمنى بين الموقف المولد للمرض والقهر الذى تولد منه ، بحيث يضلل أى تفكير شعورى فى تقصيه عن العلاقة السببية ، وفى المقام الثانى فان مضمون القهر يتم ابعاده عن سياقه الخاص عن طريق تعميمه .

و « قهر الفهم » عند مريضنا هو مثال على ذلك (انظر ص ٣٩٣) ولكن مثلا آخر ، ربما كان أفضل ، تزودنا به مريضة أخرى . كانت امرأة حرمت على نفسها أن تترين بأى نوع من الحلى ، ولو أن السبب المباشر لهذا التحريم كان ينصب فقط على قطعة واحدة وبعينها من الحلى : كانت قد حسدت أمها على امتلاكها لهذه القطعة من الحلى ، وتمنت أن يأتى يوم ترثها منها . وأخيرا ، واذا ما حرصنا على التمييز بين التحريف اللفظى وتحريف المضمون ، فثمة مع ذلك وسيلة أخرى يبلغ بها القهر الى تأمين نفسه ضد المحاولات التى تستهدف فضه من جانب التفكير الشعورى . وهذه الوسيلة هى اختيار منطوق (نص لفظى للقهر) غير محدد أو غامض . وهذا المنطوق ، بعدما يتعرض لاساءة الفهم من جانب المريض يكون بوسعه أن يشق طريقه الى « شبه هذائه » ، وكيفما كانت عمليات التطوير أو الابدال التى يعانها قهره بعد ذلك ، فانها تستند جميعا عندئذ الى اساءة الفهم . ولبس الى المعنى الحقيقى للمنطوق . وسوف تكشف الملاحظة مع ذلك عن أن « شبه الهذات » هذه عند المريض تنتزع دائما الى عقد روابط جديدة أبدا بهذا الجانب ، من مضمون ومنطوق القهر ، الذى لم يبلغ الى الشعور .

وبودى أن أعود من جديد الى الحياة الغريزية عند الغصابيين

القهرين ، فأضيف عنها ملحوظة واحدة . فقد تكشف أن مريضنا ، بالإضافة الى كل خصائصه الاخرى ، كان شميا (أو شهوى الشم) . وبحسب ما قاله ، فإنه كان في طفولته يعرف كل شخص برائحته ، شأنه شأن الكلب . وحتى حين كبر ، ظلت حساسيته الشمية تزيد على ما هي عليه عند معظم الناس (١) . وقد ألتقيت بنفس هذه الخاصية عند عصابين آخرين ، سيان من الهستيريين أو من القهرين وقد أنتهى بى الامر الى أن أتبين أن نزعة من الشهوية الشمية ، خمدت منذ الطفولة ، يمكن أن تلعب دورا في توليد العصاب (٢) . وبودى هنا أن أتساءل بصورة عامة عما ان كان ضمور حاسة الشم (وهى نتيجة نم يكن منها مفر بالنظر الى الهيئة المنتضبة التى اتخذها البشر) ، وما ترتب عليه من كبت عضوى للشهوية الشمية، لم يلعب دورا هاما في تهيئة الكائن البشرى للمرض العصبي : ذلك يمكن أن يزودنا بشيء من التفسير عن العلة في أن الحياة الجنسية هى على وجه التحديد التى كان يتحتم عليها - مع تقدم الحضارة - أن تقع فريسة الكبت . فاننا نعرف منذ زمن طويل تلك الصلة الوثيقة ، في الانتظام الحيوانى ، بين الغريزة الجنسية ووظيفة عضو الشم .

وفي ختام هذا المقال ، بودى أن أعبر عن أملى في أن يكون في بحثى هذا على الاقل ، رغم قصوره من كل ناحية ، ما يحفز باحثين آخرين على لقاء مزيد من الضوء على العصاب القهرى بفضل مزيد من التعمق . ان ما يخص هذا العصاب ، وما يميزه عن الهستيريا ، لا يمكن العثور عليه - بحسب رأى - في الحياة الغريزية بل في العلاقات السيكلوجية .

ولا يسعنى أن أغادر مريضى قبل أن أسجل انطباعي بأنه كان ، ان جاز القول ، منقسما الى ثلاث شخصيات . الى شخصية لا شعورية،

(١) وأضيف أن المريض كان لديه في طفولته نزعات قوية من الولع بالبراز (كوبرونيليا) . وفي هذا الصدد سبقت الإشارة الى شبكته الشرجية (انظر ص ٥١٥) .

(٢) على سبيل المثال في بعض الاشكال الفيتيشية .

وشخصيتين قبلشعوريتين بينهما يتأرجح شعوره • فشخصيته اللاشعورية كانت تشمل على تلك الحفزات التي عانت المكبت في سن باكرة ، والتي يمكن وصفها بانها حفزات مشبوبة وشريرة • كان مريضنا في شخصيته العادية طيبا ، مرحا ، مرهف الحس انسانا مثقفا ذكيا • بينما كان في انتظامه السيكولوجي الثالث يتكشف مؤمنا بالخرافة وزاهدا • ومن هنا كان بوسعه أن يكون له رأيان في نفس الموضوع ، وتصوران مختلفان عن الحياة • وهذه الشخصية قبلشعورية الثانية كانت تشمل أساسا على التكوينات الضدية ضد رغباته المكبوتة ، وكان من اليسير أن نتوقع ، لو أن المرض استمر مدة طويلة من ذلك بكثير ، أن هذه الشخصية كانت ستبتلع شخصيته العادية • وتتاح لى الآن فرصة معالجة سيدة مريضة تعاني من عصاب قهري خطير • وقد غدت هي الأخرى بالمثل منقسمة الى شخصية رضية مرحة وشخصية شديدة الكآبة وزاهدة • وهى تضع فى الصدارة أولى هاتين الشخصيتين على أنها اناها الرسمية ، بينما هى فى واقع الامر تحت هيمنة الشخصية الثانية • وكل من هذين الانتظامين النفسيين يفتح أمامه الطريق الى شعورها • ولكن من وراء شخصيتها الزاهدة نستطيع أن ننبئ القسم اللاشعورى من كيانها — وهو قسم نجهله تماما ، ويتكون من حفزات نزاعة قديمة طال كبتها (١) •

(١) « ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣. » — استرد المريض صحته النفسية عن طريق التحليل الذى أوردت تقريرا عنه فى هذه الصفحات • ولكنه ككثرة كثيرة غيره من الشباب الممتاز الذين تعهد عليهم الآمال ، قتل فى الحرب العالمية (الأولى) : ٥٥

أقرأ للدكتور مخيمر

أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية بجامعة عين شمس

- * سيكولوجية الموضة - الانجلو - ١٩٦٥
- * شائعات معركة يونيو ١٩٦٧ - الانجلو - ١٩٦٧
- * نحو نظرية ثورية في التربية - الانجلو - ١٩٦٨
- * تناول جديد للمراهقة - الانجلو - ١٩٦٩
- * نظرية الجشطلت وعلم النفس الاجتماعي - الانجلو - ١٩٦١
- * المدخل إلى الصحة النفسية - الانجلو - ١٩٧٢
- * الانماط الانفعالية للمكفوفين - الانجلو - ١٩٦١
- * تاريخ تأهيل المكفوفين - الانجلو - ١٩٦٥
- * المجال الفيزيائي والمهني للمكفوفين - الانجلو - ١٩٦٥
- * العمى «رعاية المكفوفين» للاب كارول - مؤسسة فرانكلين ١٩٦٩
- * في مجال الحياة الوجدانية الاجتماعية للمكفوفين - تحت الطبع
- * أقرأ للدكتور مخيمر والاستاذ عبده ميخائيل رزق

مؤلفات

- * سيكولوجية الشخصية - الانجلو - ١٩٦٨
- * المدخل إلى علم النفس الاجتماعي - الانجلو - ١٩٦١
- * المدخل إلى سيكولوجية التعلم - الانجلو - ١٩٧١
- * في الاشتراكية العربية ، ماركس يدحض الماركسية - الدار القومية - ١٩٦٤
- * دراسات في القومية مع هيكل نظرية تفسيرية - دار الفكر العربى - ١٩٦٢

مترجمات

- * علم نفس الجشطلت لبول جيوم — سلسلة الالف كتاب —
سجل العرب — ١٩٦٣
- * وحدة علم النفس — لدانيل لاجاش — الانجلو — الطبعة
الثانية — ١٩٦٥
- * سيكلوجية الاشاعة — لاولبورت وبوستمان — دار المعارف —
١٩٦٤
- * علم الاجتماع عند ماركس الشاب • لجريفتش — الانجلو —
١٩٦٤
- * الدعاية السياسية ، لدومنيك — الانجلو — ١٩٦٥
- * سيكلوجية المرأة ، لمارى بونابرت — الانجلو — الطبعة الثانية
— ١٩٦٣
- * سيكلوجية الشخصية ، لتوتكات — الانجلو — الطبعة الثانية
— ١٩٦٣
- * نظرية التحليل النفسى فى العصاب — أوتوفيلخل — ثلاثة أجزاء
الانجلو — ١٩٦٩
- * الاناوميكانيزمات الدفاع — أنا فرويد — الانجلو — ١٩٧٢
- * مقدمة فى العلاج السلوكى عن ديفيد مارتن — الانجلو — تحت
الطبع

المحتويات

الصفحة

١	تقديم الكتاب بقلم دكتور مصطفى زيور
١	تصدير بقلم دكتور مصطفى زيور
٥	جزء من تحليل لحالة هيمستريا دورا (١٩٠٥) (١)
١٧	اللوحة الكيميائية (١)
٧٣	الحكم الأول (٢)
١١٣	الحكم الثاني (٣)
١٤١	تذييل
١٥٥	ثبت مصطلحات
١٦٣	تصدير بقلم دكتور مصطفى زيور
١٧٩	تحليل فوبيا عن صبي في الخامسة (هانز الصغير) (١)
٢٠١	تاريخ الحالة والتحليل (٣)
٢٠٩	تعليق (٣)
٢٥١	ملاحظات (٣)
٢٥٧	تذييل (٤)
٢٦٣	تصدير بقلم دكتور مصطفى زيور
٢٦٧	ملاحظات عن حالة عصاب قهري (رجل الفيران)
٢٧٣	مقتطفات من تاريخ الحالة (١)
٤٣٩	اعتبارات نظرية

